

كتاب الادب وخواص العرب

الذي هو المطلوب

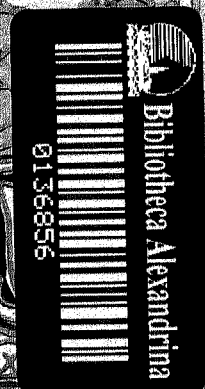
في

أخبار العرب وخواصهم

من

أخبار العرب وخواصهم
وخواص العرب وخواصهم

المجلد الثاني



كنز الدرر وجامع الغرر

الجزء السابع

الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب

تأليف

أبي بكر بن عبد بن أبيك الدواداري

تحقيق

دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

القاهرة

١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م

الْجُزْءُ السَّابِعُ مِنْ تَارِيخِ

كَانِزِ الدُّرَرِ

تَأْلِيفِ

أَبِي بَكْرٍ بَنِي عَبْدِ بَنِي أَبِي بَكْرٍ

٨٠	ذكر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة
٨٢	ذكر سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة
٨٤	ذكر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة
٨٤	ذكر فتح القدس الشريف
٨٧	ذكر خطبة القاضي محبي الدين
٩٤	ذكر سنة أربع وثمانين وخمسمائة
٩٨	ذكر سنة خمس وثمانين وخمسمائة
٩٨	ذكر الوقعة الكبرى على عكا
١٠٤	ذكر سنة ست وثمانين وخمسمائة
١٠٦	ذكر سنة سبع وثمانين وخمسمائة
١١١	ذكر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة
١١٣	ذكر سنة تسع وثمانين وخمسمائة
١١٣	ذكر وفاة السلطان صلاح الدين
١١٥	ذكر عدة أولاده الملوك
١١٦	ذكر بعض محاسنه رضى الله عنه
١٢٣	ذكر سنة تسعين وخمسمائة
١٢٤	ذكر سبب انتفاض ملك الأفضل صاحب دمشق
١٢٦	ذكر سنة إحدى وتسعين وخمسمائة
١٢٨	ذكر سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة
١٣١	ذكر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة
١٣٣	ذكر سنة أربع وتسعين وخمسمائة

صفحة	
١٣٦	ذكر سنة خمس وتسعين وخمسة
١٣٦	ذكر تملك المنصور بن الملك العزيز
١٤٠	ذكر سنة ست وتسعين وخمسة
١٤٢	ذكر القاضي الفاضل وفقر من ترسله
١٤٨	ذكر سنة سبع وتسعين وخمسة
١٥٣	ذكر سنة ثمان وتسعين وخمسة
١٥٤	ذكر سنة تسع وتسعين وخمسة
١٥٥	ذكر سنة ستمائة هجرية
١٥٨	ذكر سنة إحدى وستمائة
١٥٩	ذكر سنة اثنتين وستمائة
١٦٠	ذكر سنة ثلاث وستمائة
١٦١	ذكر سنة أربع وستمائة
١٦٥	ذكر سنة خمس وستمائة
١٦٧	ذكر سنة ست وستمائة
١٦٩	ذكر سنة سبع وستمائة
١٧٠	ذكر سنة ثمان وستمائة
١٧٢	ذكر سنة تسع وستمائة
١٧٥	ذكر سنة عشر وستمائة
١٧٧	ذكر سنة إحدى عشرة وستمائة
١٨١	ذكر سنة اثنتي عشرة وستمائة
١٨٣	ذكر سنة ثلاث عشرة وستمائة

فهرس المحتويات

(ف)

صفحة

١٨٧	ذكر سنة أربع عشرة وستمائة
١٨٨	ذكر توجه السلطان خوارزم شاه إلى نحو بغداد
١٩٣	ذكر أولاد الشيخ وأصلهم
١٩٥	ذكر سنة خمس عشرة وستمائة
١٩٥	ذكر الوقعة العظمى على ثغر دمياط وابتدائها
١٩٧	ذكر وفاة السلطان الملك العادل
٢٠٢	ذكر سنة ست عشرة وستمائة
٢٠٥	آل السلطان صلاح الدين بن أيوب
٢٠٥	آل السلطان الملك العادل بن أيوب
٢٠٥	آل سيف الإسلام صاحب المين ابن أيوب
٢٠٦	آل المعظم شاهان شاه الكبير بن أيوب
٢٠٨	ذكر سنة سبع عشرة وستمائة
٢٠٩	ذكر سنة ثمان عشرة وستمائة
٢١٥	ذكر ليلة طيبة جرت بين ملوك الإسلام
٢١٧	ذكر السلطان علاء الدين خوارزم شاه
٢١٩	ذكر بدء شأن الترك الأول حسبما ذكره صاحب السكتاب التركي
٢٣٢	ذكر سبب تغلب التتار على ملك الطن خان وما كان من حيل الحروب
٢٣٩	ذكر ما جرى بين الملسكين السلطان علاء الدين خوارزم شاه وجكرخان
٢٤١	ذكر دخول التتار بلاد الإسلام
٢٤٣	ذكر سنة تسع عشرة وستمائة

صفحة

٢٥٢	ذکر سنة عشرين وستمائة
٢٥٧	ذکر تملك السلطان جلال الدين مفكرتی بن السلطان علاء الدين خوارزم شاه
٢٦١	ذکر سنة إحدى وعشرين وستمائة
٢٧١	ذکر سنة اثنتين وعشرين وستمائة
٢٧١	ذکر بعض شئ من سيرة الإمام الناصر
٢٧٢	ذکر خلافة الإمام الظاهر بأمر الله
٢٧٩	ذکر سنة ثلاث وعشرين وستمائة
٢٨١	ذکر خلافة الإمام المستنصر بالله بن الإمام الظاهر بأمر الله
٢٨٣	ذکر سنة أربع وعشرين وستمائة
٢٨٩	ذکر سنة خمس وعشرين وستمائة
٢٩٢	ذکر سنة ست وعشرين وستمائة
٢٩٩	ذکر سنة سبع وعشرين وستمائة
٣٠٢	ذکر سنة ثمان وعشرين وستمائة
٣٠٥	ذکر سنة تسع وعشرين وستمائة
٣٠٩	ذکر سنة ثلاثين وستمائة
٣١١	ذکر سنة إحدى وثلاثين وستمائة
٣١٣	ذکر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة
٣١٥	ذکر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة
٣١٧	ذکر سنة أربع وثلاثين وستمائة
٣٢٠	ذکر سنة خمس وثلاثين وستمائة
٣٢٠	ذکر وفاة الملك الأشرف موسى رحمه الله

فهرس المحتويات (ق)

صفحة

٣٢٦	ذکر سنة ست وثلاثين وستمائة
٣٢٦	ذکر وفاة الملك الكامل
٣٢٨	ذکر تملك الملك الجواد مظفر الدين یونس لدمشق
٣٣٥	ذکر سنة سبع وثلاثين وستمائة
٣٣٩	ذکر سلطنة السلطان الملك الصالح نجم الدين ایوب
٣٤١	ذکر سنة ثمان وثلاثين وستمائة
٣٤٢	ذکر عجائب مما ذکر رسول التتار
٣٤٧	ذکر سنة تسع وثلاثين وستمائة
٣٤٨	ذکر سنة أربعين وستمائة
٣٤٨	ذکر خلافة الإمام المستعصم بالله وأخباره وما تلخص من سيرته
٣٥٢	ذکر سنة إحدى وأربعين وستمائة
٣٥٦	ذکر سنتی اثنتين وثلاث وأربعين وستمائة
٣٥٨	ذکر سنة أربع وأربعين وستمائة
٣٦٢	ذکر سنة خمس وأربعين وستمائة
٣٦٤	ذکر سنة ست وأربعين وستمائة
٣٦٥	ذکر سنة سبع وأربعين وستمائة
٣٦٥	ذکر سبب مجيء الفرنسيس وما تم في هذه الوقعة
٣٧٠	ذکر وفاة السلطان الملك الصالح
٣٧٤	ذکر بیعة الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح
٣٧٩	ذکر سنة ثمان وأربعين وستمائة
٣٧٩	ذکر الليلة النراء المسفرة عن الصباح الأزهر بالنصر والظفر
٣٨١	ذکر قتلة الملك المعظم وتمليك أم خليل شجر الدر

صفحة	
	ذكر الشعراء بالمائة السادسة من أهل الشرق ، والمختار من أشعارهم
٣٨٦	في طبقتي الرقص والطرب
	ذكر شعراء المائة السادسة من أهل المغرب ، والمختار من أشعارهم
٣٩٢	في طبقتي الرقص والطرب
	ذكر شعراء المائة السابعة من أهل الشرق ، والمختار من أشعارهم
٣٩٤	في طبقتي الرقص والطرب
	ذكر شعراء المائة السابعة من أهل المغرب ، والمختار من أشعارهم
٤٠٠	في طبقتي للرقص والطرب
	الفهارس
٤٠٩	أولا - فهرس الأعلام
٤٣٦	ثانيا - فهرس الأماكن والبلدان
٤٤٩	ثالثا - فهرس المصطلحات

مَقْدَمُ الْحَقِيقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

(١)

وبعد ، فهذا هو الجزء السابع من تاريخ كنز الدرر وجامع النور لأبي بكر بن عبد الله بن أيك الدواداري ؛ وهو الجزء الذي أسماه مؤلفه « الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب » ، تمشياً مع طريقته في تسمية كل جزء من أجزاء مؤلفه الكبير باسم فرعي خاص يوضح العصر ويحدد الدولة التي خصص هذا الجزء أو ذاك لمعالج تاريخها .

ولا تحفى على المشتغلين بدراسة تاريخ الشرق الأدنى في العصور الوسطى أهمية عصر الأيوبيين بالذات ، بوصفه العصر الذي عاين حلقة من أخطر حلقات الحركة الصليبية . ففي ذلك العصر أخذت الصحوة الإسلامية تنطلق لتأخذ شكل موجة جهاد كبرى ضد الوجود الصليبي الغربي في بلاد الشام ، وهو الأمر الذي ساعد عليه وأدى إلى نجاحه تحقيق الوحدة بين مصر والشام في ظل ملوك بني أيوب . وبعبارة أخرى فإن جانباً هاماً من جوانب أهمية العصر الأيوبي يبدو في أنه شهد تحول الصليبيين من الهجوم إلى الدفاع ، وتحول المسلمين - وخاصة في بلاد الشام - من الدفاع إلى الهجوم ؛ الأمر الذي جعل دعاة الحروب الصليبية ، وأصحاب مشاريعها في الغرب الأوربي يؤكدون حقيقة هامة لم تنب تماماً عن أنظار الصليبيين الأوائل ، وهي أن مصر بموقعها وإمكاناتها ومواردها مصدر خطر كبير على الصليبيين بالشام ، وأنه إذا أراد الصليبيون إقامة أمانة هادئة في بلاد الشام فعليهم بتأمين جبهتهم الجنوبية من ناحية

مصر أولا . وهكذا تعرضت مصر في أواخر العصر الأيوبي - أعنى في النصف الأول من القرن الثالث عشر للميلاد - لمجتين صليبيتين كبيرتين ، ارتبط بهما كثير من الأحداث التي ميزت تاريخ الشرق الأدنى في عصر الأيوبيين .

فإذا أضفنا إلى ذلك التيارات الأخرى الخارجية التي أثرت في تاريخ المنطقة في ذلك العصر، مثل تفكك الدولة الخوارزمية ، وظهور خطر المغول أو التتار في المشرق، وما سبب هذا وذاك من ردود فعل حضارية وسياسية واسمة الأصداء - وخاصة في مصر والشام - أدركنا بعض الأهمية التي لعصر الأيوبيين في تاريخ الشرق الأدنى . ففي ذلك العصر انسابت كثير من العناصر - وخاصة من الأكراد والأتراك والتركمان - داخل المحيط العربي الكبير في مصر والشام ، لتترك آثار بصاتها واضحة في التركيب الاجتماعي والتكوين البشري والجنسي والبناء الحضاري ، وخاصة ما يرتبط بالنظم واللغة والعادات والتقاليد . وحسب عصر الأيوبيين أن مصر والشام شهدتا فيه انتشار النظام الإقطاعي الحربي ، والتوسع في استخدام الرقيق الأبيض الذين عرفوا باسم المماليك ، ثم ظهور كثير من الألفاظ والمصطلحات غير العربية لتصبح شائعة الاستعمال ، لا عند العامة فحسب، بل أيضا عند الخاصة من العلماء والكتاب والمؤلفين، فضلا عن الحكام . وهذه كلها ظواهر أخذت تنمو ويشهد خطرها طوال العصر الأيوبي ، حتى اكتملت صورتها مع قيام دولة المماليك ، التي خلفت دولة الأيوبيين في حكم مصر والشام .

(٢)

ومن داخل إطار هذه الصورة المبسطة تبدو الأهمية الخطيرة للحقبة التي يعالجها هذا الجزء السابع من تاريخ كنز الدرر لابن أبيك . ويزيد من هذه الأهمية أن ابن أبيك لم يكن مؤرخا عاديا ، اقتصر في كتابه على الجمع والتلخيص والنقل عن سبقه من المؤرخين ؛ وإنما انتمى ابن أبيك إلى أسرة كان لها من مسئولية المشاركة في صنع الأحداث المعاصرة نصيب مرموق . فإذا أضفنا إلى السنوات التي عاشها مؤلف هذا

الكتاب وفهم أحداثها ، تلك التي عاشها أبوه وجده - وكان لهما قسط واضح في المشاركة في الأحداث المعاصرة - لخرجنا بحقبة زمنية تمتد على وجه التقريب من أوائل القرن السابع حتى قرابة منتصف القرن الثامن للهجرة - وهي حقبة لها أهميتها التاريخية البالغة بوصفها تمثل عصر الانتقال من دولة الأيوبيين إلى دولة المماليك ؛ أو بعبارة أخرى الانتقال من العصر الذي اكتمل فيه بناء دولة الأيوبيين وبدأت تنخر في جسمها العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى سقوطها من ناحية ، إلى العصر الذي نضجت فيه ملامح ومقومات دولة سلاطين المماليك لتصبح قوة فعالة ، تمثل دولة من أغرب الدول التي عرفها التاريخ سواء من ناحية تكوينها أو من ناحية نظمها أو من ناحية الدور الحربي والسياسي والحضاري الذي قدر لها أن تلعبه على مسرح الشرق الأدنى أواخر العصور الوسطى .

فؤلف هذا الكتاب الذي عاصر فترة نشطة حافلة بالأحداث في صدر دولة سلاطين المماليك ، ربطته ببعض بقايا ملوك بني أيوب صلات قوية مما جعله يقف على تفصيلات عديدة عن الأيوبيين وحياتهم الخاصة ودقائق ما كان يجري بين بعضهم وبعض من أحداث وأحاديث تلقى أضواء جديدة على روح العصر من ناحية وعلى حياة ملوك بني أيوب الخاصة والعامة من ناحية أخرى^(١) . بل إن المؤلف يقول في صراحة عند كلامه عن ابتداء دولة ملوك بني أيوب في بداية هذا الجزء السابع من كتابه كنز الدرر ، إنه صاحب الملك الكامل بن الصالح إسماعيل الأيوبي ، وأن الصداقة بينهما اشتدت إلى درجة أنه « كان يطلعني على كثير من أسراة » .

وعند ما يشير المؤلف إلى جده عز الدين أيبك صاحب صرخد (ت ٦٤٥) يبدو لنا بوضوح مدى مشاركة هذا الجد - الذي نسب إليه المؤلف - في صنع الأحداث التي كانت تجري على مسرح بلاد الشام في النصف الأول من القرن السابع لليلاد^(٢) .

(١) انظر حوادث سنتي ٦٣٤ هـ ، ٦٣٥ هـ في هذا الجزء .

(٢) انظر حوادث سنوات ٦١٦ هـ ، ٦٢٦ هـ ، ٦٣٥ هـ ، ٦٤٧ هـ في هذا الجزء .

ثم إن الأمير عز الدين أيبك - جد المؤلف - لم يكن مجرد أمير من أرباب السيوف الذين لاشغل لهم في الحياة إلا المساهمة في تبعات الحكم ، وإنما يبدو مما كتبه حفيده صاحب هذا الكتاب - أن الأمير الجد عرف بشدة التدين والحرص على تلاوة القرآن الكريم^(١) ، والاشتغال بالكتابة ، فكانت له كتابات بخط يده كما كانت له خزانة كتب عامرة . وهنا يكشف المؤلف عند إشارته إلى جده في هذا الجزء عن حقيقة جديدة هامة هي أن أسرة ابن أيبك تنحدر من نسل بني سلجوق ، وأن عز الدين أيبك اسمه الحقيقي ميكائيل بن بهرام ، أسره الخوارزمية ، وباعوه للملك العظيم الأيوبي ، فنسب إليه وصار يعرف بالمعظمي^(٢) . ويلقى المؤلف أضواء جديدة على أسرته - في هذا الجزء السابع من كتابه - فيروى أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب هو الذي كاد لجده الأمير عز الدين أيبك ودرس له السم ليتخلص منه ويستولى على أمواله وممتلكاته . فلما أحس الأمير أيبك بالسم يسرى في جسده ، وتحقق من مؤامرة السلطان الصالح ، دبر للسلطان مؤامرة أدت إلى إصابته بمرض السقاية الذي مات به بعد ذلك . وكانت من جملة جوارى الأمير أيبك - اللاتي استولى عليهن السلطان الصالح - أم عبد الله والد المؤلف ، وهي امرأة خطائية الجنس ، فباعها الصالح - وهي حامل بوائد المؤلف من الأمير عز الدين - إلى رجل من كبار أهل صرخد ، فولدت عنده . ونشأ عبد الله - أبو المؤلف - عند ذلك الرجل ، حتى بلغ السابعة عشر من عمره وعندئذ انتقل إلى السلطان الظاهر بيبرس في قصة طويلة ، فأنعم عليه بإقطاع عبرته ألني وأربعمائة دينار ، وسامه للأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار ، وقال له « علمه وخليه يمشي معك » فعرف عبد الله - أبو المؤلف - بالدواداري .

ويفهم من سياق هذه القصة أن عبد الله بن أيبك - أبا المؤلف - نشأ هو الآخر

(١) انظر حوادث سنة ٦٤٧ هـ في هذا الجزء .

(٢) انظر حوادث سنة ٦١٩ هـ في هذا الجزء .

نشأة قديمة ، حيث أن الرجل الذي اشترى أم عبد الله « كان ديناً . . . وكان رجلاً فقيهاً صوفياً فاضلاً محققاً ، له عندى كتاب تأليفه بخطه فى التصوف » . مما يشير إلى أن والد المؤلف نفسه شب فى بيت علم وأدب . هذا إلى أن عبد الله والد المؤلف كان مقرباً من السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ثم من السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، الذى أمّره وولاه بلبليس والربان سنة ٧٠٣ هـ ، فأقام إلى سنة ٧١٠ هـ ، فنقله إلى الشام بسؤاله ، وجعله مهمنداراً ، ثم ألزم بشد الدواوين بدمشق . . . وهكذا ظل والد المؤلف يشارك فى شئون الحكم حتى وفاته سنة ٧١٣ هـ (١) .

وهكذا ولد أبو بكر - مؤلف كنز الدرر - وشب فى بيت عرف قيمة العلم وقدره . وإذا كانت المصادر المعاصرة قد صمّمت صمماً غريباً عن ذكره عن حياة أبي بكر ابن عبد الله بن أبيك ، إلا أن مؤلفاته العديدة تشهد على تمرسه فى حياة العلم وسعة معلوماته وأفقّه . ومن جملة هذه المؤلفات التى ألفها صاحب كنز الدرر كتاب فى خطط القاهرة ، أسماه « اللقط الباهرة فى خطط القاهرة » (٢) ومعروف عن موضوع الخطط أنه ليس بالموضوع السهل ، وأنه لايجرؤ على الخوض فيه إلا عالم متمكن واسع المعرفة . كذلك يشير المؤلف فى هذا الجزء السابع إلى أنه كان يرجع إلى مسوداته بين حين وآخر ليتحقق من حدث أو نبأ ، مما يوضح أنه كان حريصاً على تدوين ما يتوصل إليه من معلومات فى مسودات يرجع إليها وقت الحاجة ، وهذا أسلوب لا يأخذ به إلا صاحب منهج علمى منظم (٣) .

(٣)

أما عن كتاب كنز الدرر لابن أبيك فإن الصفة الغالبة عليه هى الإيجاز الشديد ، والاكتفاء بالإشارة إلى الأحداث الكبرى الرئيسية دون الدخول فى التفاصيل ،

(١) انظر حوادث سنة ٦٤٧ هـ فى هذا الجزء .

(٢) انظر حوادث سنة ٥٥٧ هـ فى هذا الجزء .

(٣) انظر حوادث سنة ٥٨٩ هـ فى هذا الجزء .

والبعد عن ذكر التفريعات الثانوية التي تتصف بها حوليات المصور الوسطى بوجه عام . وقد توخى المؤلف هذا النهج في كتابة التاريخ متممدا ، فيقول عن بعض الأحداث « أضربت عنه لطوله ، وكون تاريخنا تاريخ تلخيص » . كذلك نراه يحرص على عدم تكرار بعض الأحداث فيقول « . . . بعد عدة وقائع قد تقدمت أخبارها بحكم التلخيص »^(١) .

على أننا لا يمكن أن ننزع ابن أبيك من العصر الذي عاش فيه فعلا ، وهو عصر اتصفت عقليته بحب الاستطراد في الكلام والكتابة . وكان الماصرون يرون في هذا الاستطراد نوعا من التنويع لزيادة الفائدة من ناحية والترويح عن المستمع والقارئ ودفع السأم عنهما من ناحية أخرى . ولذا نجد المؤلف في بعض أجزاء كتابه يفتح أحيانا إلى الاستطراد ، بل ربما انتقل من فن التاريخ إلى فن الأدب ، مثلما حدث في ترجمته للقاضي الفاضل في حوادث سنة ٥٩٦ هـ ، إذ لم يكتف بذكر فقرات من بليغ أدبه ، وإنما ساقته المعاني إلى ذكر بعض محفوظاته - محفوظات المؤلف نفسه - من الشعر الرقيق . وعند ما يتنبه المؤلف إلى أنه خرج عن الموضوع واستسلم للاستطراد ، يبرر سلوكه بأنه فعل ذلك متممدا « لتنشيط القارئ ، ولا يمل ويسأم من فن واحد ، فإذا خرج به شجون الحديث من فن إلى فن كان لزناد فسكرته أقدر ، ولطير نظرته أصدق . . . »^(٢) . على أن ابن أبيك لم يستسغ في قرارة نفسه هذا الاستطراد الذي وقع فيه أحيانا ، فكان يعلن بسرعة عودته « إلى سياقة التاريخ بمعونة الله وحسن توفيقه » . وربما أحس أنه باستطراده قد وقع في خطأ فعلا ، فيعترف بالخطأ الذي وقع فيه ، ويستغفر الله منه ، ويقولها في صراحة « وقد خرج بنا الكلام وشجونه عن شرط الاختصار ، وأنا أقول استغفر الله من ذلك !! »^(٣) .

(١) انظر حوادث سنة ٦٢٨ هـ في هذا الجزء .

(٢) انظر حوادث سنة ٥٩٦ هـ في هذا الجزء .

(٣) انظر حوادث سنة ٦١٩ هـ في هذا الجزء .

ومع روح الإيجاز الشديد التي سادت كتاب كنز الدرر ، ينبغي أن نعترف بأن ابن أبيك استطاع أن يأتي في كتابه هذا بجديد فعلا . ويبدو هذا الجانب الجديد في بعض المعلومات والآراء والحقائق التي يشير إليها ابن أبيك إشارات قد تكون موجزة ، ولكننا لانعثر عليها في مصدر آخر من المصادر التي تعرضت لتاريخ نفس الفترة . ويبدو السر في هذه الحقيقة في أن بعض المصادر التي أخذ عنها ابن أبيك واستقى منها معلوماته قد اندثرت ولم تصل إليها أيدي غيره من المؤرخين الذين عالجوا تاريخ نفس الحقبة الزمنية التي عالجها .

من ذلك ما نجده في كتابة ابن أبيك من تلميحات طريفة عن أصل التتار وأخبارهم^(١) . كذلك نراه يشير في هذا الجزء إلى أن رسل الصليبيين إلى المسلمين كانوا يدعون أنهم لا يعرفون العربية وهم يعرفونها^(٢) . وإلى سياسة صلاح الدين في مصانعة الفرنج - وخاصة أرناط صاحب السكرك - وكيف أنه كان يبذل لهم الأموال في الدور الأول الذي شغل فيه صلاح الدين بإعادة بناء الجبهة الإسلامية ، وتمبئة جهود المسلمين في مصر والشام استعدادا لمرحلة الجهاد ، « وكان يعطى الإفرنج شيئا كثيرا لا يعلم له قيمة ، ويصانعهم فيما بينه وبينهم ، ويجتهد بكتان ذلك ، لا يسمع عنه أنه يصانع عن نفسه وبلاده »^(٣) . . . إلى غير ذلك من الإشارات السريعة الخاطفة التي لا نجد لكثير منها أثرا في بقية المصادر المعاصرة ، والتي تلقى أضواء لها أهميتها على روح العصر .

هذا فضلا عن أن ابن أبيك نفسه - بالإضافة إلى أبيه وجده - شاركوا في كثير من أحداث الفترة التي عاشوها - كما سبق أن أشرنا - مما جعله في كتابته عن هذه الفترة بالذات يحيط بما لم يحيط به غيره علما . ومع هذا فقد تحلى ابن أبيك في كتابته

(١) انظر حوادث سنة ٦٣٨ هـ في هذا الجزء .

(٢) انظر حوادث سنة ٥٨٩ هـ في هذا الجزء .

(٣) انظر حوادث سنة ٥٦٨ هـ في هذا الجزء .

بالتواضع الشديد ، وعدم الاستبداد بالرأى ، والاعتراف بعدم تثبته أحيانا من بعض البيانات. فهو مثلا في حوادث سنة ٥٩١ هـ يقول إن العادل عاد إلى دمشق « وخلف بعض أولاده بالشرق ، لا أعلم أيهم كان » . وهو عندما يشير إلى واقعة حطين يفعل ذلك ضمن أحداث سنة ٥٦٨ هـ ، ولكنه يذكر أن ابن واصل قال إن هذه الواقعة حدثت سنة ٥٨٣ هـ ، ويؤيد رأى ابن واصل قائلا « وأقول إنه الصحيح » . ويعمل ابن أبيك ذلك بأن المصدر الذى نقل عنه أخبار تلك الواقعة - وهو أبو المظفر جمال الدين يوسف - اتبع طريقة رواية الأحداث والوقائع متكاملة لا مجزأة وفق السنوات التى استغرقها ، بحيث يذكر الواقعة « واستمر على ذكرها هل يكون فى سننها أو غير سننها » . أما ابن واصل فقد اتبع أسلوب تتابع السنين ، بحيث لا يذكر فى السنة الواحدة إلا ماتم فيها من أحداث ، ولذا « فالرجوع إليه فى وقائع السنين أولى من غيره . . . » .

وهكذا يبدو لنا أنه إذا كان البعض قد أخذ على كتاب كنز الدرر لابن أبيك بعض المآخذ ، كالاستطراد حيناً ، والإيجاز الشديد أحيانا ؛ فضلا عن رككة الأسلوب وكثرة الأخطاء اللغوية . . . فإن هذا كله لا ينبغي أن يصرفنا عن مزاي هذا الكتاب ومحاسنه ، بوصفه مصدرا هاما من مصادر الحقبة الزمنية التى تصدى لمعالجها . هذا إلى أننا فى حكمنا على أى عمل تاريخى ينبى ألا ننظر إليه بأعين العصر الذى نعيش نحن فيه ، ولا نحكم عليه بمقاييسنا ومثلنا ومستوياتنا نحن ؛ وإنما تتطلب العدالة أن نقيم هذا العمل أو ذاك فى ضوء المثل والمقاييس والمستويات التى سادت العصر الذى تم فيه إنجاز ذلك العمل فعلا . ولا يخفى علينا أن ابن أبيك عاش وكتب فى عصر شهد زحف الأعاجم على الوطن العربى فى الشرق الأدنى وتغلغلهم فيه وبسط سيادتهم عليه . . . ونجهم عن هذا كله زحف كثير من عادات الترك والتتار وغيرهم من شعوب الشرق ، وانتشار عديد من نظمهم وتقاليدهم فى العراق والشام ومصر بوجه خاص ، وانسياب كثير من ألفاظهم المستعربة فى هذه البلاد ، حتى غدت مألوقة الاستعمال فى الحياة اليومية عند العامة والخاصة سواء ، بحيث صار

لا يخلو منها كتاب أو مصدر أو موسوعة مما تم تأليفه بالعربية في ذلك العصر . وعلى هذا فإن ابن أبيك - فيما ظنه البعض مخطئا - لم يكن في حقيقة أمره إلا قطعة من العصر الذى عاش فيه ، وكتب بروحه ، وتأثر بأوضاعه واتجاهاته . وحسب ابن أبيك أنه استطاع أن يقدم لنا في كتابه كنز الدرر الكثير من المعلومات الجيدة الحبيب التى لا تخلو من جديد وطريف .

(٤)

وإذا كان لى أن أختار صفة نصف بها ابن أبيك في الأجزاء الأخيرة من كتابه « كنز الدرر وجامع الفرر » ؛ فإننى لأجد أفضل من أن أصفه بأنه « مؤرخ النيل » . قد يقول البعض بأن هذه الصفة ليست من خصائص ابن أبيك وحده في كتابه كنز الدرر ، وإنما يشاركه فيها ابن تفرى بردى ، المؤرخ الذى عاش في القرن التاسع الهجرى (ت ٨٧٤ هـ) والذى عنى هو الآخر عناية فائقة بذكر أمر النيل في كل سنة من سنوات حوليته الشهيرة « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » . ولكن علينا هنا أن نضع أمام أعيننا اعتبارين هامين : أولهما أن ابن أبيك عاش وكتب في عصر يتقدم من الناحية الزمنية العصر الذى عاش وكتب فيه المؤرخ ابن تفرى بردى ، مما يجعل ابن أبيك في هذه الناحية مبتكرا ورائدا لا مقلدا ومحاكيا . هذا مع عدم استطاعتنا أن نفنى أن يكون هناك من المؤرخين والمؤلفين من سبق ابن أبيك زمنيا في العناية بذكر أمر النيل في كل سنة من السنوات التى تصدى لعلاج تاريخها . ولكننا فيما نعلمه - وفوق كل ذى علم عليم - لم نتوصل إلى أحد قبل ابن أبيك استن هذه القاعدة في العناية بذكر أمر نهر النيل سنة بعد أخرى . أما الاعتبار الثانى الذى يميز ابن أبيك عن ابن تفرى بردى في هذا الصدد فهو أن ابن أبيك جعل للنيل مكان الصدارة في أحداث كل سنة من حولياته ، في حين جعل ابن تفرى بردى للنيل مكان الخاتمة أو الذيل . ويبدو لنا في هذا الجزء السابع من كتاب كنز الدرر كيف حرص ابن أبيك على أن يستهل أحداث كل سنة بعنوان ثابت لا يحد عنه ، هو : « القيل المبارك في هذه السنة » . في حين ينهى ابن تفرى بردى في حولياته « النجوم

الزاهرة « حوادث كل سنة بذكر من توفى فيها من الأعيان ثم يختتمها بعنوان جانبي نصه « أمر النيل في هذه السنة » .

وهكذا أدرك ابن أيبك أن نهر النيل « مبارك » وأن الوقوف على حال فيضانه هو المفتاح لدراسة أحوال مصر وأهلها ، ولذا يبدأ بذكر أمر الفيضان . وفي ضوء وضع النيل والفيضان يمكن تفسير ما ألمَّ بالبلاد والعباد في هذه السنة أو تلك من أحداث اقتصادية واجتماعية وسياسية . حقيقة إنه قد يؤخذ على ابن أيبك عدم دقته أحيانا عند تسجيل مدى الماء القديم في النيل ، ومقدار زيادة ماء الفيضان ؛ ولكننا مرة أخرى نكرر ماسبق أن ذكرناه من أنه علينا قبل أن نحكم على عمل من أعمال التاريخ أن نقدر ظروف العصر الذي تم فيه ذلك العمل ، ومدى إمكانيات المؤلف ، والمصادر التي كان عليه أن يستقى منها معلوماته . . . إلى غير ذلك من الاعتبارات المديدة التي لا يقدرها حق قدرها إلا المؤرخ الذي يتمتع بحاسة تاريخية نفّاذة .

(٥)

وأخيرا ، فإنه لا يسمنى باللياقة عن جميع المشتغلين في حقل تاريخ العصور الوسطى سوى أن أشكر المعهد الألماني للآثار بالقاهرة لعنايته - وعناية القائمين على أمره - بشكر هذا الكتاب ، كتاب كنز الدرر وجامع الغرر لأبي بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري ، والحرص على إخراجه في هذه الصورة السليمة المتكاملة التي تم إخراجه فيها فعلا . وأرجو أن أكون قد وفقت في النهوض بنصبي في هذا العمل العلمي الجليل ، بتحقيق الجزء السابع من هذا الكتاب ، وهو الجزء الذي أتشرف بتقديمه اليوم للباحثين ، لخصيف به لبنة جديدة إلى صرح بناء حركة إحياء التراث العربي . والله ولي التوفيق ما

سعيد عبد الفتاح عاشور

أستاذ كرسي تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة القاهرة

ضاحية المعادى بالقاهرة في { ذى الحجة سنة ١٣٩١
فبراير سنة ١٩٧٢ }

فهرس المحتويات

صفحة	
ج	مقدمة المحقق
٣	مقدمة المؤلف
٥	ذكر ابتداء دولة الملوك بنى أيوب ونسبهم وبدء شأنهم
١١	ذكر سنة خمس وخمسين وخمسمائة
١١	ذكر خلافة المستنجد بالله بن المقتدى لأمر الله
١٢	ذكر خلافة العاضد لدين الله
١٥	ذكر سنة ست وخمسين وخمسمائة
١٦	ذكر سنة سبع وخمسين وخمسمائة
١٦	ذكر نبذ من أخبار الصالح بن رزيك
١٨	ذكر شاور ونسبه وبدء شأنه
٢٠	ذكر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة
٢٠	ذكر طرف من أخبار الساجوقية وملوكهم
٢١	ذكر عدة ملوك بنى سلجوق
٢٢	ذكر عبد المؤمن ونسبه وبدء شأنه
٢٦	ذكر سنة تسع وخمسين وخمسمائة
٣٤	ذكر سنة ستين وخمسمائة
٣٧	ذكر سنة إحدى وستين وخمسمائة
٣٨	ذكر سنتي اثنتين وثلاث وستين وخمسمائة
٣٩	ذكر سنة أربع وستين وخمسمائة

صفحة

٤١	ذكر سنة خمس وستين وخمسمائة
٤٣	الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل محمود نور الدين الشهيد بن إنا بك زنگي
٤٦	ذكر سنة ست وستين وخمسمائة
٤٦	ذكر خلافة المستضيء بنور الله بن المستنجد بالله
٤٧	السلطان الأجل صلاح الدنيا والدين يوسف الملك الناصر
٤٨	ذكر سنة سبع وستين وخمسمائة
٥٠	ذكر سنة ثمان وستين وخمسمائة
٥٠	ذكر مفاصلة الكرك وسببه
٥٦	ذكر سنة تسع وستين وخمسمائة
٥٨	ذكر سنة سبعين وخمسمائة
٦٠	ذكر سنة إحدى وسبعين وخمسمائة
٦١	ذكر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة
٦٣	ذكر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة
٦٤	ذكر سنة أربع وسبعين وخمسمائة
٦٦	ذكر سنة خمس وسبعين وخمسمائة
٦٦	ذكر خلافة الإمام الناصر لدين الله بن المستضيء بنور الله
٦٨	ذكر سنة ست وسبعين وخمسمائة
٧٠	ذكر سنة سبع وسبعين وخمسمائة
٧٣	ذكر سنة ثمان وسبعين وخمسمائة
٧٥	ذكر سنة تسع وسبعين وخمسمائة
٧٨	ذكر سنة ثمانين وخمسمائة

مَقْدِمَةُ الْمُؤَلَّفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ اخْتِم بِخَيْرٍ

الحمد لله الذى أنشأ الجنين فى الأحشاء ، ثم أبرزه فديره ، إلى أن ترعرع ومشى ، ودبّ ونشأ . يفعل فى ملكه ما يريد ، ويحكم فى خلقه ما يشاء ، « قل اللهم مالك الملك تُؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتمز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شىء قدير » (١) .

وصلى الله على سيدنا محمد الذى نسخت ملته سائر الملل ، ورسخت هيئته فى قلوب تلك الملوك الأول ، من الأكاسرة والقيصرة ، أرباب الدول والحول . لم يزل صلى الله عليه منصوراً بالرعب والرهب ، حتى بلغ الإيمان أقصى نهاية الأرب ، وأصبحت نواصى ملوك الكفر من المعجم بأيدى سادات الإسلام من العرب . صلى الله عليه وعلى آله ، الذين ما خاب من توسل بهم ، وأضحى بجناهم مستجيرا ، وأنزل فى حقهم « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٢) وعلى أصحابه خلفاء الدنيا ، سادات الآخرة الذين أنزل فى حقهم « وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة » (٣) .

وبعد ، فإن هذا الجزء السابع ، المشنف المسامع ، بدرره اللوامع ، المسمى « بالدر المطلوب فى أخبار ملوك بنى أيوب » ، السادة الأعلام ، وقادة الإسلام ، ملوك مصر والشرق والشام ، الذين شفوا صدور أهل الإيمان ، من عبدة الأوثان

(١) سورة آل عمران ، ٢٦

(٢) سورة الأحزاب ، ٣٣

(٣) سورة القيامة ، ٢٢ ، ٢٣

والصلبان . وكفاهم بالسلطان صلاح الدين شرفاً إلى يوم الدين . فاتح الأمصار ،
من أيدي الكفار ، بالصارم البتار . السيد الفاضل ، والأسد الباسل ، السلطان
الملك الناصر ، أبو المعالي والمفاخر ، الذي ليس له من قبله من الملوك الإسلامية
مناظر ، المستمد النصر من الناصر الآخر ، الذي وُضع جميع هذا التاريخ توطئة لذكر
بعض محاسن سيرته ، منبهاً على آثار مآثر علانيته وسريته . الخاتم بمحاسنه محاسن
سائر ملوك الدنيا ، كما ختم بميمه صلى الله عليه جميع الأنبياء . لازالت معانيه من
الخواطر مخترعة ، وأبكار أفكار محاسنه من القلوب مفرعة . فلذلك أسهرت ناظري ،
وشغلت فكري وخاطري ، وأنشأت هذا التاريخ الغريب المثال ، الجامع نبذ الحكم
إلى زبد الأمثال ، المشتمل على ما شئت من النوادر . وبأن وغير على ذلك تصاريف
الأزمان ، فأحييت ذلك في أيام دولته القاهرة ، بمدينة القاهرة ، في سنين عشر
الأربعين والسبعائة ، إلى أن بلغت في ذلك إلى ذكر سيرته الشريفة ، فكانت النهاية ،
وبالله اعتضد فيما أعتمد .

ذكر ابتداء دولة الملوك بنى أيوب ونسبهم وبدء شأنهم

- ٣ قال العبد الفقير ، المعترف بالتقصير ، واللسان القصير ، مؤلف هذا التاريخ
وجامعه ، غفر الله له ولوالديه ولقارئه وسامعه : حدثني الجنب العالى المرحوم
ناصر الدين محمد الملقب بالملك الكامل ، من ولد الملك الصالح إسماعيل المعروف بأبى
الجيش ، صاحب الشام ، رحمه الله تعالى ، وسائر ملوك المسلمين ، مع كافة أمة محمد
أجمعين . وكان الحديث فى سنة عشرة وسبع مائة بمدينة دمشق المحروسة ، والملك
الكامل المذكور يومئذ بها أمير مائة فارس مقدم ألف . وكان حصل بينى وبينه من
الصحبة ما كان يطلعنى على كثير من أسراة . وكان الملك الكامل المذكور ملك
النفوس والكرم والسماحة ، فاضل ، راو من كل فن حسن . وكان مع ذلك كثير
الزح والخلاعة ، طيب المحاضرة ، لذىذ المفاكهة ، لا يُعمل حديثه . لم يزل يروى
المضحكات والنوادر الحسنة ، كثير التنديب على نفسه وعلى أقاربه من أولاد الملوك
١٢ من بنى أيوب ، حيّهم وميّتهم . وسيأتى طرف من ذكره وخلاعته وحكاياته فى تاريخه ،
إن شاء الله تعالى .
- ١٥ سألت منه - رحمه الله - ذات يوم عن جدّهم أيوب ، ابن من ؟ . فقال : أيوب بن شاذى
ابن مروان ، أكراد من جبل نهاوند . قال : وكان مروان فى جيش السلجوقية ،
وكان مشهوراً^(١) بينهم بقوة وشجاعة ، حتى قيل إنه كان يركض الفرس ويدعه فى
قوة جريه ، فيطبق عليه وركيه مع ساقيه ، فيقف الجواد من ساعته ، ولا يعود يتنفس .
١٨ وكان يمسك ذنب الفرس ويقول^(٢) للراكب : « حرك فرسك » فلا ينقل خطوة .
وكان يركب ولده شاذى أعنى فرس عفته ، ويأمره أن يحرك عليه ، ويعارضه فى

(١) فى المتن : « مشهور » .

(٢) فى المتن : « ويقل » .

الميدان ، والفرس في قوة جريه ، فيصدمه بصدرة فيوقفه . وكان ستين رطلاً^(١) بالبندادى رحمه . وكان إذا تقابلت الصفوف في وقت المصافات يبرز إلى الميدان ويطلب المبارزة ، فلا يجسر أحد أن يخرج إليه . وله أحوال كثيرة لا يمكن ذكرها ، تخامر العقول لا تصدق .

يقول هكذا الملك الكامل . ثم إن ولده شاذى كان يقاربه في بعض شجاعته ، فصار في جملة جيش أتابك زنكي أبو نور الدين محمود ، وتقرّب بشجاعته حتى صار أمير علم عند أتابك زنكي ، وحظى عنده ، وتربى أيوب ولده مع محمود بن أتابك . قال ابن واصل^(٢) صاحب تاريخ حماة في نسب آل أيوب : لاخلاف في أن الملك الأفضل نجم الدين أيوب ، والد الملوك الأيوبية ، وأخاه الملك المجاهد أسد الدين شيركوه ، هما ابنا شاذى بن مروان . ثم قيل إن مروان هو ابن محمد بن يعقوب . واختلف الناس في أصلهم ، فذكر عز الدين بن الأثير أن أصلهم من الأكراد الروادية وهم نخذ الهذبانبة . وأنكر ذلك جماعة من بني أيوب ، النسبة إلى الأكراد ، وقالوا إنما نحن عرب ، نزلنا عند الأكراد ، وتزوجنا منهم . وادعى بعضهم النسب إلى بني أمية . وكان الملك إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طنتسكين بن أيوب صاحب اليمن بعد أبيه [سيف الإسلام ظهير الدين] يدعى ذلك ، ولقب نفسه المعز لدين الله ، وخطب لنفسه بالخلافة باليمن . وذلك في أيام عمه الملك العادل [سيف الدين أبي بكر] بن أيوب . فلما بلغه ذلك صعب عليه ، وقال : كذب والله ، ما نحن من بني أمية أصلاً .

والذين ادعوا هذا النسب قالوا : أيوب بن شاذى ، بن مروان ، بن الحكم ، ابن عبد الرحمن ، بن محمد ، بن عبد الله ، بن محمد ، [بن محمد] ، بن عبد الرحمن ،

(١) في المتن : « رطل » .

(٢) بالمبارزة التالية يمتد أخطاء ونقص ، وقد صححناها وأكملناها من الأصل الذى أخذ المؤلف عنه ، انظر (ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣ - ٦) .

٧ . ابتداء دولة بني أيوب ونسبهم وبدء شأنهم

ابن الحكم ، بن هشام ، [بن عبد الرحمن الداخل ، بن معاوية ، بن هشام ، بن عبد الملك ، بن مروان ، بن الحكم ، بن أبي العاص ، بن أمية ، بن عبد شمس ، ابن عبد مناف . وفي عبد مناف يجتمع نسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ٣ ونسب بني أمية . فهذا قول من جعل نسبهم في بني أمية .

وجماعة آخرون أثبتوا نسبهم في بني مرة بن عوف . ومن أثبت نسبهم في بني مرة الحسن بن غريب الحرسى ، فإنه أوصل نسبهم إلى علي بن أحمد المرئى ، ممدوح ٦ المتنبي حين يقول :

مَرِّقَ الجَوِّ بالغيَارِ إذا سَا ر على بن أحمد القمقامُ

وأحضر هذا النسب إلى الملك المعظم صاحب دمشق فسمع النسب عليه ، وأسمعه ٩ ولده الناصر داود في سنة تسع عشرة وستمائة .

وكان في أيوب تمفل الأكراذ وبلههم . وكان [نور الدين]^(١) محمود يحبه لا يكاد يفارقه ، ويستظرف حديثه . وكان ديناً خيراً صادقاً . وكان محمود من صغره ١٢ ديناً فاضلاً ورعاً ، يحب الفقراء ويبر المساكين . وكان لا يرى مجالساً إلا فقيراً . وله دار برسم الورد من الفقراء المتجردين . وكان جميع ذلك في تكريت ، قبل تملك أتابك الشام . فلما كان نور الدين ملك الشام مع الشرق ، جعل أسد الدين شيركوه ١٥ - وهو أخو أيوب - أميراً وحاجباً على الأكراذ من جيشه ، وسلم لأيوب قصره ، فسكان صاحب الإذن عليه .

قلت : هكذا يقول الملك الكامل - رحمه الله - ولعله كان كما قيل بردداراً^(٢) ١٨ لنور الدين ، فحسن الملك الكامل العبارة في ذلك . قال : وكان نور الدين - رحمه الله - له نصيب وافر من الفقراء جدا .

وكان قد صار لأيوب عدة أولاد - يوسف وأبو بكر - والباقي تأتي أسماؤهم في ٢١

(١) ما بين حاصرتين إضافة لإيضاح المعنى .

(٢) البرددار : هو الذى يكون فى خدمة مباشرى الديوان فى الجملة ، متحدثاً على أعوانه والمتصرفين فيه (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٦٨) .

- أما كتبها . وكان يوسف يعرض لأبيه بباب القصر إذا عرض له عارض . وكان للملك العادل نور الدين ولده إسماعيل . قال أبو المظفر : كان لنور الدين محمود ، هذا الولد إسماعيل ، ولد له بتكرت ، وتوفي بدمشق في حياة والده . وولده الذي ملك بعده ، ولد بدمشق ، وسماه باسم أخيه إسماعيل ، ولقبه الملك الصالح . وكان فيه لعب واستمثار بالفقراء ، وينكر على أبيه خفية ، إذا خلا بين ندمائه وأصحابه . وكان يوسف بن أيوب من أكبر الخسيسين بمقادمة إسماعيل الملك الصالح ، فكان يقول له : « يا خوند استهمي منك لا تتمرض لهذا القول ، فالسلطان أخبر بأمره منا » . قال : وجاءت ليلة النصف من شعبان ، وكان الملك العادل [نور الدين محمود] ^(١) يحتفل بمواسم المسلمين ، ويفعل في كل موسم ما ينبغي فيه . فخرج إلى باب القصر بعد عشاء الآخرة ، فطلب أيوب فلم يجده ، وكان قد حصل له وجع في بطنه أعاقه تلك الليلة ، ووجد يوسف مكانه ، فقال : « يا يوسف خذ إسماعيل - يعني ولده - واطلع أنت وهو ، ولا يكن معكما ثالث ، إلى مغارة الجوع وباتا على بابها ، وأحييا قيام هذه الليلة العظيمة القدر . فإذا كان وقت الفجر الأول اصنعا ، ومهما سمعناه احفظاه وعرفاني به » . فطلعنا وقد أخذنا لكلام السلطان هيبة عظيمة أُرعدتني . يقول يوسف : فلما صرنا على باب المغارة المعروفة بمغارة الجوع بجبل الصالحية ، قال لي الملك الصالح « يا يوسف ! افعل ما أمرك به السلطان من إحياء الليلة ، وأما أنا فإني بأنام ^(٢) » ثم إنه انضجع على مافوش له ونام . قال يوسف : فقممت فأحييت تلك الليلة ، وقد داخلني لكلام السلطان وجل عظيم . فلما كان أول الفجر عند شمسعة العمود ، سمعت حس هفيف كأجنحة طائر كبير ، وأسمع من تلقائه قائلاً يقول : « الناصر للصليب كاسر ، والفرنج خاسر ، وللقدر طاهر . الظاهر للشام طاهر ، ولاسكفر قاهر ، قاتل كل كافر عاهر . الناصر بالشرق ظافر ، يطوؤها بالخف والحافر ، بعد ثلاث تواتر » . قال الملك الكامل - رحمه الله - فكان من السلطان صلاح الدين رحمه الله

(١) ما بين حاصرتين إضافة لإيضاح المعنى .

(٢) كذا في الأصل .

– وهو الملك الناصر – أن فتح البلاد من الفرنج ، وطهر بيت المقدس منهم ، وكان من أمره ما كان . ثم إن صلاح الدين الملك الناصر لقب ولده بالظاهر ، طعماً أن يكون ذلك الظاهر ، فأبى الله إلا حيث يشاء ، فكان بيبرس البندقدارى صاحب ذلك الرمز المذكور . ثم لقب داود بالناصر ويوسف بالناصر ، طعماً أن يكونا ذلك الناصر المذكور ، فأبى الله إلا أن يكون حيث يشاء ، وهو مولانا وسيدنا ومالك رقنا ، السلطان الأعظم الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، محمد بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون الألفى الصالحى . وذلك أن بني أيوب تحيروا في قوله : « بعد ثلاث تواتر » ما هن ؟ . فلما تردد مولانا السلطان – عز نصره – إلى الملك ثلاث مرار ، علم أنه صاحب ذلك الرمز المقدم ذكره .

وأما منام أيوب في حال صباه ، وهو يوم ذاك بتسكريت ، فإنه من غريب ما يسمع ، وذلك أنه رأى كأنه قعد للبول ، فمادت إراقته تطلع من إحليله كالفوارة ، إلى أن تعلقت بالسحاب ، ثم انعقدت سحابة وكأنها على بيت المقدس ، ثم مطرت تلك السحابة مطراً عاماً حتى غسلت القدس ، مع سائر تلك الأرض . ثم ظهر في تلك السحابة قر^(١) مع نجوم كثيرة ، حتى أضاءت الأرض كلها من نوره . ثم نبقت تلك الأراضي أنواع الحشائش . وكان في تلك الأراضي أبقار ترعى ، عدتهم دون المائة . ثم ظهرت من جهة البحر المالح خنازير حتى ملأت تلك الأرض . ثم عادوا يقتلون تلك الأبقار إلا بقرة واحدة ، هربت منهم إلى ناحية الشام . ثم ظهرت من جهة مصر أسود كالبحخاتي ، فقتلوا جميع تلك الخنازير ، حتى لم يبق منهم إلا من هرب وقطع البحر . ثم عاد ذلك الحشيش ، وحسن نصارته .

هذا ما نقله الملك الكامل – رحمه الله – قال : وكان بتسكريت في ذلك الوقت إنسان يعرف بابن المرزبان يعبر الرؤيا ، موصوف بمخذاقته ، فقص عليه أيوب تلك الرؤيا ،

(١) في المتن : « قرأ » .

(٢) في المتن : « ذلك الرؤيا » .

فتعجب لذلك ، وقال : ما يجب أن تكون هذه الرؤيا إلا ملك ، ولكن الله يعطى ملكه من يشاء . ثم قال : « سيكون من نسلك أيها الرجل ملوك بعدد تلك النجوم ، ويكون منهم ملك عظيم يظهر على الفرنج ، ويطهر بيت المقدس من أرجاسهم وأنجاسهم ، وتشرق الدنيا بملكه ، ثم يكون مدة تملكك تلك الملوك بمدة تلك الأبقار سنين . ثم يخرج عليهم الفرنج - وهم الخنازير - فيظهرون عليهم ، حتى يخرج من جهة مصر جيش كالسباع ، فيكون هلاك الخنازير على أيديهم . فهذا تأويل رؤياك ، والله أعلم » .

قلت : وإنما قدمت هذه المقدمة لفوائد فيها . أحدها أن يعلم أصول بني أيوب على الصحيح . والأخرى لما فيها من البشارة لكافة المسلمين بما هو مخبأ في الغيب من ملك مولانا السلطان الملك الناصر - عز نصره - لبلاد الشرق إن شاء الله تعالى . والثالثة لمروية هذا المنام الذي ما أكرم دقة . فله الأمر من قبل ومن بعد .

ولنعود إلى سياقة التاريخ بعون الله وحسن توفيقه . وذلك لما انتهى القول من العبد في آخر الجزء السادس^(١) إلى آخر سنة أربع وخمسين وخمسمائة . وذكرنا جميع ما وصلت إليه القدرة جهد الطاقة وحد الاستطاعة ، ما كان في جميع تلك السنين الماضية من أخبار الأمم الخالية ، والرمم البالية . فلنستفتح الآن هذا الجزء بذكر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، موفقا لذلك ، إن شاء الله تعالى .

ذكر سنة خمس وخمسين وخمسمائة^(١)

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا ٣
وأثنى عشر إصبعا^(٢) .

ما لخص من الحوادث

٦ الخليفة المقتدى لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى أن توفي ثاني ربيع الأول من هذه
السنة ، وله ست وستون سنة ، مدة خلافته أربع وعشرون سنة . وزيره شرف الدين
على ، ثم كان شديد الدولة إلى أن توفي .

٩	نقش خاتمه	صفته
	نقش خاتمه	ربع القامة ، مدور الوجه
	لقبه ، والله أعلم .	واللحية ، معتدل الجسم .

١٢ ذكر خلافة المستنجد بالله بن المقتدى لأمر الله

وما لخص من سيرته

هو أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتدى لأمر الله محمد ، وباقى نسبه تقدم
وقد علم . أمه أم ولد ، تسمى طاووس . مولده في ربيع الأول سنة ثمان عشرة
١٥ وخمسمائة . ببيع يوم وفاة والده ، فأقام خليفة إحدى عشرة سنة . قتل ثامن ربيع
الأول سنة ست وستين وخمسمائة^(٣) ، وله ثمان وأربعون سنة . كان حسن السيرة قطع

(١) في المتن : « سنة خمس وخمسين وأربعمائة » .

(٢) هذا الوصف لأمر النيل ينطبق على سنة ٤٥٥ هـ (النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ج ٥
ص ٧٤) ، أما حال النيل سنة ٥٥٥ هـ فهو « الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع ، مبلغ
الزيادة ثمان عشرة ذراعا وعشر أصابع » (النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٣٣) .

(٣) ذكر ابن الأثير أن الخليفة المستنجد بالله توفي تاسع ربيع الآخر سنة ٥٦٦ هـ (الكامل،
ج ١١ ص ١٤٥) وذكر أبو المحاسن أن وفاته كانت ثامن شهر ربيع الآخر (النجوم الزاهرة ،
ج ٥ ص ٣٨٦) .

المكوس ببغداد ، ونظر في المظالم وأزاحها . وقيل إنه مات بالنقرس ، والله أعلم .
 وفيها توفي الفائز بالله ، وهو أبو القسم عيسى الفائز بقصر الله ، ابن الظافر ،
 ٣ ابن الحافظ ، المقدم ذكره في الجزء الذي قبله . وكان له من العمر يوم توفي عشر
 سنين . وكانت ولايته عند قتلة أبيه الظافر ، حسبما سقناه من ذكر ذلك . وكان
 الفائز طفلاً هلهلاً لما عين من قتل أعمامه ، فكان ربما يقع ويخبط ، فلم يزل كذلك
 حتى توفي في هذه السنة :

٦ ودخل الصالح بن رزيك - واسمه طلائع - القاهرة ، يوم خروج تابوت الظافر
 من دار نصر بن امرأة^(١) عباس المقدم ذكره ، فشى الصالح بن رزيك تحت التابوت
 ٩ حافياً ، ثم خلع عليه الفائز خلع الوزارة . واستقل الصالح بن رزيك - حسبما سقنا^(٢)
 من أمره - في الجزء الذي قبله ، إلى أن قتل ، حسبما يأتي من ذكره في تاريخه
 إن شاء الله .

١٢ قضاة الفائز بنصر الله في مدة أيامه : الفقيه مجلي ؛ القاضي يونس الأطفيجي ،
 الولاية الثانية ؛ المفضل ضياء الدين أبو القاسم هبة الله بن كامل .
 وتولى الخلافة العاضد لدين الله ، وهو آخر العبيديين ، والله أعلم .

١٥ ذكر خلافة العاضد لدين الله - آخرهم -

وما لخص من سيرته

هو أبو محمد عبد الله بن الأمير أبي الحجاج يوسف بن الحافظ أبي الميمون عبد المجيد .
 ١٨ وباقى نسبه قد تقدم فيما قبله . أمه أم ولد ، تدعى ست المني^(٣) .

بويج بخلافة مصر والشام وما مهمما في تاريخ موت الفائز بنصر الله ، وذلك
 لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رجب الفرد من هذه السنة . مولده سنة أربع

(١) في المتن : « ابن مرة عباس » .

(٢) في المتن : « سقني » .

(٣) في المتن : « المنا » .

وأربعين وخمس مائة . وجلس للأمر وله يوم ذاك عشرة سنين وأشهر . وكانت خلافته إسماعله ، وجسما ورسمًا للصالح بن رزيك . ثم إنه أخرج المسجونين ، وسامح بالأموال والبواقي، فكانت^(١) جملة ذلك أحد عشر ألف ألف وستمائة ألف وثمانين ألف ٣ وأربعة عشر ديناراً . واستمر الصالح ، وقويت حرمة ، وزادت هيئته ، وعظم ، وتزوج العاضد ابنته ، فاغتر بطول السلامة . وكان العاضد تحت قبضته وفي أسره ، فلما طال عليه ذلك عمل على قتله ، فقتل كما يأتي ذكر ذلك في تاريخه إن شاء الله تعالى. ٦

نكتة

قيل إن هؤلاء القوم^(٢) في أوائل دولتهم ، قالوا لبعض العلماء في ذلك الوقت : « اكتب لنا ورقة تذكر فيها ألقاباً تصلح لألقاب الخلفاء ، حتى إذا ولي منا أحد ٩ لُقب ببعض تلك الألقاب » . فكتب لهم ألقاباً كثيرة ، وآخر ما كتب في الورقة « العاضد » ، فاتفق أن آخر من ولي منهم الملقب بالعاضد . وهذا من عجيب الاتفاق . والعاضد في اللغة القاطع ، يقال عضدت الشيء فأنا عاضد له إذا قطعته ، فكانه ١٢ قاطع لدولتهم .

وكان العاضد شديد الرفض ، متعالياً في سب الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وإذا رأى سنياً^(٣) أو سمع به أراق دمه . ١٥

نكتة أخرى

روى أن العاضد في آخر دولته رأى في منامه أن قد خرجت عليه عقرب^(٤) من مسجد من مساجد مصر معروفًا ، فلدغته . فلما استيقظ - وهو مرتاع لذلك - فطاب ١٨

(١) في المتن : « فكان » .

(٢) يقصد العبيدين .

(٣) في المتن : « سنياً » ولعل الصيغة الصحيحة هي المثبتة .

(٤) في المتن : « عقرباً » .

- معبري الرؤيا ، وقص عليهم المنام ، ف قيل : « ينالك مكروها من شخص هو مقيم في هذا المسجد » . وطلب متولى مصر فقال : « يكشف عن من هو مقيم بمسجد كذا وكذا » ٣
- وكان العاضد يعرف كل مسجد بمصر - فإذا رأيت به أحد ^(١) فاحضره إلى عندي .
- فرضى الوالى وأحضر رجلا صوفيا . فلما رآه العاضد سأله ، من أين هو ومتى قدم . وهو يجيب عن كل سؤال . فلما ظهر له منه الضعف والصدق والمعجز عن إيصال مكروه ^(٢) إليه ، أطلق سراحه ، وعاد الرجل إلى مسجده . فلما استولى السلطان صلاح الدين ، وعزم على القبض على العاضد ، واستفتى فيه الفقهاء ، وأفتوه بجواز ذلك ، لما كان عليه من انحلال العقيدة ، وفساد الاعتقاد ، وكثرة الوقوع في حق الصحابة ، والإشهار بذلك ، فكان أكثرهم مبالغة في الفتيا والتصميم على زوال أمر العاضد ذلك الشخص الصوفى الذى كان في ذلك المسجد ، وهو الشيخ نجم الدين الخبوشانى ، فإنه عدد مساوى القوم ، وسلب عنهم الإيمان جملة ، وأطال في ذلك . ٩
- وبنى الأمر على قوله وقتياه . فصحت بذلك رؤيا العاضد ، والله أعلم . ١٢

(١) كذا في الأصل بدون إعراب .

(٢) في المتن : « مكروها » .

ذكر سنة ست وخمسين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وعشرة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا ٣
وخمسة أصابع .

ما لخص من الحوادث

- ٦ الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين . والماضد خليفة مصر اسماً ، والأمور راجعة
إلى تصرف الصالح بن رزيك .
وفيها خرج الإفرنج ، ووصلوا إلى فاقوس . وحشد الصالح لهم سائر الأجناد ،
وخرج إلى ظاهر بلبيس ، فمادوا إلى بلادهم . ٩
وفيها هلك أبو الطاهر متولى ديوان الجيوش المنصورة ، وقلد مكانه ابن جراح .
وفيها أخذ طرخان - المنعوت بعز الدين - لما خرج بالإسكندرية طالباً للوزارة ،
وأحضر إلى القاهرة ، وطيف به على جبل ، وعلى رأسه طرطور من رصاص . ثم سُمِر ١٢
بظاهر باب زويلة . وقتل أخوه في اليوم الثاني وصُلب . وقبض الصالح ، على ،
ابن شاهان شاه ، وعلى الأسد غازي والحلواص ، وسجنهم في داره .

ذكر سنة سبع وخمسين وخمسمائة

الليل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم أربعة أذرع ، وعشرة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً ، وثمانية عشر أصبعاً .

ما تلخص من الحوادث

٦ الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين . والعاقد خليفة مصر .

وفيها قتل الصالح بن رزيك . وسبب ذلك أنه لما طال الحجر على العاقد من جهته ، اتفق مع قوم يقال لهم أولاد الراعي على قتله ، وتقرر بينهم ذلك ، وعين لهم موضعاً في القصر يجلسون فيه مستخفين ، فإذا مرَّ بهم الصالح ليلاً أو نهاراً قفزوا عليه فقتلوه . فقتلوا له ليلة ، وخرج من القصر ، فقاموا ليخرجوا إليه ، فأراد أحدهم أن يفتح القفل ، ففلقه ، ولم يعلم . فلم يحصل لهم تلك الليلة مقصودهم ، لأمر أَرادَه الله ، ٩ لتأخير الأجل . ثم إنهم جلسوا له ^(١) يوماً آخر ، فدخل القصر نهاراً ، فوثبوا عليه ، ١٢ وجرحوه جراحات عدة ، ووقع الصوت . وعاد ^(٢) أصحابه إليه ، فقتلوا الذين جرحوه ، وحُمِلَ إلى داره مجروحاً ، فأقام بعض يوم ، ومات يوم الاثنين تاسع عشر رمضان من ١٥ هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

ذكر نبذ من أخباره وزبد من أشعاره

كان الصالح بن رزيك - رحمه الله - رجلاً ملسكاً جواداً ، فاضلاً ، سمحاً في العطاء ، ١٨ سهلاً في اللقاء ، محباً لأهل العلم ، مقرّباً لأرباب الفضل . وكان جيد الشعر ، وقفت على شيء من شعره ، فن ذلك قوله :

(١) في المتن : « لهم » .

(٢) في المتن : « وعادوا » .

كم دابر بنا الدهر من أحداثه عبراً وفينا الصّد والإعراض
ننسى الممات وليس نجري ذكره فينا فتذكرنا به الأمراض

ومن قوله في النزول :

ومنهف عمل القوام سرت إلى أعطافه النشوات من عينيه
ماضى اللحاظ كأنما سلت يدي سيفى غداة الروع من جفنيه
قد قلت إذ خط العذار بمسكه في خده أُلّيه لا لاميه
ما الشعر دب بعارضيه وإنما أصداعه تفضت على خديه
الناس طوع يدي وأمرى نافذ فيهم وقلبي الآن طوع يديه
فأعجب لسلطان يعم بعمده ويجور سلطان الغرام عليه
والله لولا اسم الفرار وأنه مستقبح لفررت منه إليه

ومن شعره أيضاً ما رواه القاضي ابن خلكان - في تاريخه - من رواية ابن نجية :

الواعظ الدمشقي ، قال : أنشدني الصالح لنفسه يقول :

مشيبك قد نضى صبغ الشباب وحل الباز في وكر الغراب
تمام ومقلّة الحدثان تقضى وما ناب النوائب عنك ناب
وكيف بقاء عمرك وهو كنز وقد أنفقت منه بلا حساب

قلت : لو قال مكان « أنفقت » « أسرفت » لكان أحسن في باب التورية .

وكان المذهب عبد الله بن أسعد الموصلي المعروف بنزيل حمص قد قصد الصالح

ومدحه بقصيدة حسنة ، وهي الكافية التي أولها يقول :

أما كفاك تلافى في تلافيكما ولست تنقم إلا فرط حبكما

وهي من نخب القصائد ، وفيها طول ، ولذلك لم أثبتها بجملتها ، وخلصها يقول :

وفيم تغضب إن قال الوشاة سلا وأنت تعلم أنى لست أسلوكا
لا نلت وصلك إن كان الذي نقلوا ولا شفى ظمئى جود ابن رزيكا

ولما مات رثاه الفقيه عمارة اليمنى بقصيدته اللامية التي أولها يقول :

أفى أهل ذا النادى عليم أسأله فإنى لما بى ذاهب اللب ذاهله
دعوى فما هذا أوان بكائه سيأتىكم طل البكاء ووابله
فلا تنكروا حزنى عليه فإننى تقشع عنى وابل كنت آمله
ولم لانبكيه ونندب فقده وأولادنا أيتامه وأرامله
فيا ليت شعرى بعد حسن فعاله وقد غاب عنا ما بنا الله فاعله

ولما حمل على نعلبه قال فيه الفقيه عمارة أيضا :

وكأنه تابوت موسى أودعت فى جانبيه سكينه ووقار
وله فيه مرث كثيرة ، أضربت عنها .

وهذا الصالح الذى بنى هذا الجامع^(١) الذى ظاهر باب زويلة ، وقد ذكرته فى
كتابى المسمى « اللقط الباهرة » ، فى خطط القاهرة .

ثم إن الخلع خرجت لولده رزيك بن طلائع بن رزيك ، ولقب بالمادل . واستقر
بما كان لأبيه من ولاية الأمر ، لكن الأمور راجعة للمعاذ^(٢) ، بخلاف ما كان
فى أيام الصالح من استبداده بالأمر .

ذكر شاور ونسبه وبدء شأنه

كان الصالح بن رزيك قد ولى فى أيام وزارته أبا^(٣) شجاع شاور الصعيد بكاله .
وهو شاور بن مجير بن نزار بن عشائر بن شاس بن مغيث بن حبيب بن الحارث
ابن ربيعة بن مخيس^(٤) بن أبى ذؤيب ، وهو الحارث بن عبد الله بن شحنة بن جابر

(١) عن جامع الصالح طلائع بن رزيك انظر : المقرئى : المواعظ ج ٢ ص ٢٩٣ .

(٢) فى المتن : « للمعتضد » .

(٣) فى المتن : « أبو » .

(٤) فى المتن « محبس » دون تنقيط ، واعتمدنا فى ضبط الاسم على ترجمته فى وفيات الأعيان

لابن خلكان ج ١ ص ٢٢٠ .

ابن ناصرة ، [وهو والد حليلة مرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم]^(١) أرضعته بلبن ابتها الشياء بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعه بن ملان ، وهى التى حضنت^(٢) سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما كان عند حليلة السعدية ، ظئر^(٣) النبي صلى الله عليه وسلم . والشياء المذكورة كانت تحمل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيعضها حين تحمله . فلما وفدت عليه صلى الله عليه وسلم ، أرته الأثر ، فمرفها وأكرمها .

فلما ولاه الصعيد عاد ندم على ذلك . وكان الصالح يمد لنفسه - وهو فى جراحه - ثلاث غلطات ، أحدها استهتاره بأمر العاضد ، وقلة اكتراثه به ، حتى حصل له ما حصل . والأخرى الذى ما كان قبض عليه ، وعلى جميع الفاطميين ، ورد الدعوة عباسية ، إذ كان قادراً على ذلك . والثالثة توليته شاور المذكور الصعيد . وكان شاور ذا شهامة ، ونجابة ، وفروسية ، وشجاعة . وكان الصالح قد أوصى ولده العادل رزيك أن لا يتعرض لشاور بمساءة قط ، ولا يغير عليه ، وأن يتلافاه جهده ، فإنه لا يأمن عصيانه وخروجه . وكان الأمر كذلك كما يأتى فى تاريخه . وفيها قتل العادل رزيك أخته زوجة العاضد - وقيل عمته - لما توهم أنها باطننت على قتل أبيه . وقتل الأستاذ سعيد السعداء صاحب هذه الخانقاه التى بالقاهرة المعروفة به^(٤) . وقتل رفيقه الوجيه ، وابن قوام الدولة ؛ وقيل إن هؤلاء الذين كانوا متفقين على قتل أبيه . وأخرج ابن شاهان شاه ، وأسد الغازي ، والخلواص ، وأعادهم مكانهم .

(١) ما بين حاصرتين تـكـمـلـة من وفيات الأعيان لابن خلسكان ج ١ ص ٢٢٠ .
(٢) فى المتن « وهو الذى حضن » والصيغة المثبتة من وفيات الأعيان لابن خلسكان (ج ١ ص ٢٢٠) .

(٣) فى المتن « ضيرى النبي » وهو تحريف . والظئر: المرضعة لغبر ولدها (القاموس المحيط) وقد أطلق على حليلة بنت أبى ذؤيب السعدية ظئر النبي عليه الصلاة والسلام عندما أخذته إلى البادية وهو طفل يتيم ، وأقام فى البادية سنتين ترضعه حليلة وتحضنه ابتها الشياء ، حتى آن فصله ، عادت به حليلة إلى أمه فى مكة . (انظر سيرة ابن هشام - طبعة جنتنجن) .

(٤) هو الأستاذ قنبر - ويقال عنبر - أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر ، عتيق الخليفة المستنصر الفاطمى . عن هذه الخانقاه انظر المقرئى : المواعظ ، ج ٢ ص ٤١٥ .

ذكر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

الليل المبارك في هذه السنة

٣ . الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة عشر أصبعا . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وعشرة أصابع .

ما نلخص من الحوادث

٦ . الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين نافذ الحكم . وقد كانت الأمور راجعة لبني سلجوق ، فإنهم كانوا استولوا^(١) على جميع ممالك الشرق ، وعلت^(٢) كلمتهم على كلمة الخلفاء ، كأعظم مما كان بنو^(٣) بويه .

ذكر طرف من أخبار السلجوقية وملوكهم

١٢ . أعظم هؤلاء القوم تاريخا ، وأشدهم سلطانا ، وأول من ظهرت كلمته على كلمة الخلفاء العباسيين ، عضد الدولة أبو شجاع ألب رسلان ، فإنه فتح البلاد ، واستولى على العجم والشرق كله مع العراق ، ووصل ملكه إلى الصين والترك ، وإلى بلاد بلنار والروس والألكز^(٤) واللان^(٥) ، وكذلك إلى بلاد أخطا^(٦) ، وها المدينتان العظيمتان^(٧) كاشغور وبلاصغون^(٨) وها بالسند الأعلى . وملك إلى ما وراء النهر ،

(١) في المتن : « كانوا استولى » .

(٢) في المتن : « وعادت كلمتهم » .

(٣) في المتن : « بني بويه » .

(٤) ألكز بالفتح والسكون ، بليدة خلف الدربند تتاخم خزران ، أهلها مسلمون لهم قوة وشوكة ، وفيها نصارى أيضا ؛ والنسبة إليها الألكزى . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٥) اللان : بلاد واسعة في طرف أرمينية ، قرب باب الأبواب ، مجاورون للخزر ، وأهلها نصارى . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٦) ذكر المفريزى أن الخطا « بنواحي بلاد الصين » (المفريزى : السلوك ج ١ ص ٣٢) .

(٧) في المتن « وهى المدينتان العظيمتين » .

(٨) كاشغور أو كاشغر « هى مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي ، وهى في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون » . أما بلاصغون أو بلاساغون فهو بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر ، (ياقوت : معجم البلدان) .

واستولى على الخلفاء العباسيين ، وعمل له ببغداد دار سلطنة ، ونقض كلمة الخلفاء .
وهؤلاء القوم نسبهم فيه قولان^(١) ، وإن كان تقدم من ذكرهم طرف^(٢) . فمن
الناس من يدعى أنهم تركمان ، وأن سلجوق جدّهم كان في جملة عسكر بنى بويه البديلة .^٣
والصحيح أنهم من السامانية ، أصلهم يرجعون إلى الفرس من ملوك العجم . ولهم
تاريخ مستقل^(٣) بذاته ، إذ لو شرحناه لكان جزءا كاملا ، وإنما نذكر عدة ملوكهم
الذين ملكوا الدنيا ، ونؤخر^(٤) من ذلك كلاما يأتي في موضعه ، إن شاء الله تعالى .^٦

ذكر عدة ملوك بنى سلجوق

أولهم ميكائيل بن سلجوق وهو أجل ملوك السلجوقية ، كما كان إسماعيل أجل
ملوك السامانية . ثم محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، ثم أبو الحرب سجر سلطان ،^٩
ثم أبو القاسم محمد طبر ، ثم أبو عبد الله بن محمد بن محمد طبر ، ثم طغرل ملكشاه ،
ثم غياث الدين أبو الفتح ، ثم السلطان مسعود بن محمد طبر ، ثم ملكشاه
ابن محمد بن محمد طبر ، ثم عضد الدولة أبو شجاع ألب رسلان صاحب دار الملك^{١٢}
والسلطنة ببغداد . ثم كان السلطان علاء الدين بن تكش خوارزم شاه ، وهو ابن مملوك
طغرل بك السلجوقي ، ثم ولده السلطان جلال الدين منكبرتي خوارزم شاه ،
وسياتي ذكر هذين الملكين وأخبارهم مع التقار في تاريخهم إن شاء الله تعالى .^{١٥}
فهؤلاء عدة ملوك بنى سلجوق رحمهم الله . وهم الذين فتحوا البلاد ، وقادوا
الجيوش ، ونصروا الملة الحمديّة لما ظهوروا ، وامتنحت بدولتهم سائر الدول ،
وأعلوا منار هذه الملة الحمديّة على جميع الملل . وعلى ما كانوا عليه من اللغة التركية^{١٨}

(١) في المتن : « قولين » .

(٢) في المتن : « طرفا » .

(٣) في المتن : « تاريخا مستقلا » .

(٤) في المتن : « نأخر » .

والألجنة الأجمية كانوا فضلاء ، عقلاء ، أدباء ، نجباء ، يحبون أهل العلم والفضل ، ويسمعون المديح ، ويجيزون عليه الجوائز السنية . وكانت تلك الأيام مدة كالأحلام لذة . ٣

في هذه السنة توفي عبد المؤمن سلطان المغرب . ولذا ذكر هاهنا لما من أخباره ، ونسبه ، وآثاره .

٦ ذكر عبد المؤمن ونسبه وبدء شأنه

هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي السكومي ، ليس من أهل بيت ملك . كان أبوه وسطاً في قومه ، وكان صانعاً في الطين ، يعمل منه الآنية ، فيبيعها . وكان عاقلاً ، وقوراً في أهل بيته ، دينا صالحاً . فيحكى أن عبد المؤمن في صناعة أبيه إذ كان صبيا ، فنام إلى جانب أبيه ذات يوم ، وأبوه مشغول بعمله في الطين ، فسمع أبوه حساً له دوى^(١) ، نازلاً من السماء إلى أعلى الدار ، فرفع رأسه ، فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار ، فنزلت مجتمعة على عبد المؤمن وهو نائم ، فنطته حتى لم يظهر منه شيء^(٢) ، ولا استيقظ لها . فلما رأته أمه على ذلك الحال صاحت خوفاً على ولدها ، فسكتها أبوه . ثم إنه غسل يده ، ولبس أثوابه ، ووقف ينظر إليه ، وإلى ما يكون من ذلك النحل معه . ثم إن النحل طار عنه بأجمعه ، واستيقظ الفتى فرأته أمه وليس به أثر . وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر ، ففضى أبوه إليه ، فأخبره بما رآه من النحل مع ولده ، فقال الزاجر : « يوشك أن يكون له شأن ، تجتمع على طاعته خلق عظيم » . فكان من أمره ما كان . ١٨

ويقال إن محمد بن تومرت - المعروف بالمهدي - كان قد ظفر بكتاب الجفر^(٣) ،

(١) في المتن : « دويا » .

(٢) في المتن : « شيئا » .

(٣) علم الجفر هو العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر ، المحتوى على ما كان وما يكون كلياً وجبرئياً . والجفر عبارة عن لوح القضاء الذي هو عقل الكل . وقد ادعى طائفة أن الإمام علي =

ووجد فيه ما يكون على يده ، وقصة عبد المؤمن وحليته واسمه . وإن ابن تومرت أقام مدة يتطلبه ، حتى وجده وصحبه ، وهو إذ ذاك غلام . وكان يكرمه ويقدمه على أصحابه ، وأفضى إليه سره ، وانتهى به إلى مراكنش - وصاحبها يومئذ أبو الحسن ٣ على بن يوسف بن تاشفين ملك الملمين - وجرى له معه فصول يطول شرحها . وأخرجه منها ، وتوجه إلى الجبال ، وحشدوا واستمال المصامدة في حديث طويل ، آخره أنه لم يملك شيئا من البلاد في حياة ابن تومرت ، بل عبد المؤمن ملك بعده بالجيش التي ٦ جهزها ابن تومرت ، والترتيب الذي رتبته له . وكان ابن تومرت أبدأ يتفكر فيه النجاية ، وينشد إذا أبصره دائما :

- ٩ تكاملت فيك أوصاف خصصت بها فكلنا بك مسرور ومتعجب
فالسُّنُّ ضاحكة ، والكف مانحة والنفس ساححة ، والوجه منبسطة
وكان يقول : « صاحبكم هذا غلاب الدول » . ولم يصح عنه أنه استخلفه ، بل راعى أصحابه في تقديمه إشارته لهم فيه ، قتم له الأمر وكل . ١٢
- وأول ما أخذ من البلاد وهران وتلمسان ثم فاس ثم سبتة . وانتقل بعد ذلك إلى مراكنش وحاصرها أحد عشر شهرا ، ثم منسكها . وكان أخذه لها في أوائل سنة اثنين وأربعين وخمسمائة . واستوثق له الأمر ، وامتد ملكه إلى المغرب الأقصى ١٥ والأدنى ، وبلاد إفريقية ، وكثير من جزيرة الأندلس . وتسمى أمير المؤمنين ، وقصدته الشعراء وامتدحوه بأحسن المدائح . ذكر العماد الأصفهاني في الخريدة ، أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي لما أنشده يقول : ١٨
- ما هزَّ عطفه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

== ابن أبي طالب - رضى الله عنه - وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريق البسط الأعظم في جلد الجفر ، يستخرج منها بطرق مخصوصة وشرائط معينة ألفاظ مخصوصة ، ويستخرج منها ما في لوح القضاء والقدر . وهذا علم يتوارثه أهل البيت ومن ينتمى إليهم . ومن الكتب التي ألفت في علم الجفر كتاب « الجفر الجامع والنور اللامع » للشيخ كمال الدين أبي سالم محمد بن طلحة النصبيني المتوفى سنة ٦٥٢ هـ . انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ص ٥٩١ - ٥٩٢ .

- فأشار إليه أن اقتصر على هذا البيت ، وأمر له بألف دينار .
- ٣ ولما تمهدت له القواعد وانتهت أيامه ، خرج من مدينة مراکش إلى مدينة سلا^(١) ، فأصابه بها مرض شديد ، وتوفي في العشر الأخير من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وهى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وقيل : بل كانت وفاته سنة ستين وخمسمائة ، والله أعلم .
- ٦ وقيل : كانت ولادته سنة تسعين وأربعمائة ، وقيل غير ذلك . وإنما نسبته بالكومى ، فهى نسبة إلى كومية وهى قبيلة صغيرة تنزل البحر من أعمال تلمسان . ومولده بقرية هناك يقال لها تاجرة^(٢) . هذا ما ذكره القاضى شمس الدين بن خلكان فى تاريخه من نسبة عبد المؤمن . وذكر كتاب الجفر فقال : ذكره ابن قتيبة فى أوائل كتاب الاختلاف فى الحديث ، فقال بعد كلام طويل : وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض القرآن الكريم ، وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من كتاب الجفر الذى ذكره سعد بن هارون المعلى ، وكان رأس الزيدية ، فقال :
- ١٥ ألم تر أن الرافضين تفرقوا فسكلهم فى جعفر قال منكرها
فطائفة قالوا إمام ومنهم طوائف سمتهم النبی المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم برب إلى الرحمن ممن تجفرا
- والآبيات كثيرة ، وإنما المقصود ذكر كتاب الجفر . قال القاضى ابن خلكان : قال ابن قتيبة ، وهو جلد جفر ، ادّعوا أنه كتب لهم فيه الإمام كل ما يحتاجون إليه وإلى علمه إلى يوم القيامة . قال : وقولهم الإمام يريدون به جعفر الصادق ، رضى [الله] عنه . وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرى أيضا فى قوله :

(١) سلا : مدينة بأقصى المغرب (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) تاجرة ، بفتح الجيم والراء بلدة صغيرة بالمغرب من ناحية هنين من سواحل تلمسان .

(ياقوت : معجم البلدان) .

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرأة المتجهم وهي صغرى أرتة كل عامرة وقفر
ومسك جفر تقال بفتح الميم من مسك ، وفتح الجيم من جفر ، وهو من أولاد ٣
المز ، ما بلغ أربعة أشهر وجفر جنباه ، وفصل عن أمه . وكانت (١) عادتهم - في ذلك
الزمان - يكتبون في الجلود والعظام والخرق وما شا كل ذلك ، والله أعلم .

- ٦ ولنعود إلى سياقة التاريخ بمعونة الله وحسن توفيقه .
وفي هذه السنة وهي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، خرج شاور المقدم ذكره من
الصعيد بجموع كثيرة ، فحبر واحات ، واخترق تلك البرارى ، إلى أن خرج من عند
تروجه (٢) ، وتوجه إلى القاهرة في شرح طويل آخره أنه قهر العادل رزك بن الصالح ٩
طلائع ، وقتله في العشر الأول من صفر من هذه السنة ، وأخذ موضعه من الوزارة ،
واستولى على الأمر ، ونعت نفسه بأمير الجيوش ، وقتل عليا (٣) زمام القصر ، وولى
لؤلؤ الصقلي عوضه ، وأعاد الحكم إلى يونس القاضي . واحتوى على أموال ١٢
بنى رزيك . ولم يزل أمره مستقرا إلى العشر الأخير من رمضان من هذه السنة ،
نفرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار ، الملقب فارس المسلمين ، اللخمى
المذرى ، نائب الباب ، بجموع كثيرة ، وغلبه ، وأخرجه من القاهرة . وقتل ولده طيأ ، ١٥
وولى الوزارة ، كمادة المصريين . وتوجه شاور طالبا للشام ، مستجيرا بنور الدين
الملك العادل محمود بن أتابك زنكي . وأقام ضرغام وزيراً بالديار المصرية ، ولقب
بالمنصور إلى جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، حسبما يأتى من ذلك . ١٨

(١) في المتن : « وكان » .

(٢) تروجه ، قرية بمصر من كورة البحيرة (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) في المتن : « على » .

ذكر سنة تسع وخمسين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ثمانية أذرع وسبعة عشر أصبعا، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وثمانية أصابع .

ما تلخص من الحوادث

٦ الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين . والسلطان ببغداد عضد الدولة ألب رسلان السلجوقي .

والعاقد بمصر، وضرغام الوزير بها، إلى شهر جمادى الآخرة، قدم شاور بجيوش الشام يقدمهم أسد الدين شيركوه، وابن أخيه صلاح الدين يوسف، من قبل الملك العادل نور الدين محمود بن أتابك زنكي . وخرج إليهم هام بن سوار أخو^(١) ضرغام - الملقب ناصر المسلمين^(٢) - في جيوش كثيرة، فكانت الوقعة بينهما على بلبس، فانسكرت جيوش هام، وقتل هام ومعه أخوين له، وقتل أيضا ضرغام . وكان مقتله عند مشهد السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، صلوات الله عليهم، فكانت مدة وزارة ضرغام مصر تسعة أشهر وعشرة أيام . وعاد شاور إلى وزارته الثانية سلخ جمادى الآخرة من هذه السنة . ودخل أسد الدين شيركوه وصلاح الدين يوسف، وأنزلوها ظاهرا القاهرة في الخيم . وخرجت لهما الإقامة، والعلوفات، والخلع . وتأخر عنهما ما كان أثرطه لهما شاور من الأموال ونفقات الجيوش، فسير إليه أسد الدين يحثه على المال وإنقاذه، فسوف وماطل . ثم إنه نكث جميع ما كان بينه وبين أسد الدين من العهود والمواثيق .

(١) في المتن: « أخى » .

(٢) ذكره ابن واصل (مفرج الكروب، ج ١ ص ١٣٩) وابن الأثير (الكامل،

ج ١١ حوادث سنة ٥٥٩ هـ) باسم « ناصر الدين » .

وأخذ شاور إلى ملك الروم^(١) بالشام مستنصراً به على أسد الدين ، وطمعه في أخذه ، فجاءه الملك مري^(٢) - لعنه الله - في عالم عظيم . ولما تحقق أسد الدين ذلك من غدر شاور ، انتقل إلى بلبس وتحصن بها .
 واجتمع شاور وملك الروم على قتال أسد الدين ، وكانت بينهما وقائع عظيمة .
 وبني^(٣) الفرنج خذلهم الله برجا عظيما . وعاد أسد الدين في قبضتهم لولا لطف [الله] تعالى وحسن سياسة أسد الدين ، فإنه كتب إلى مري ملك الروم يقول له : « ليس لك فينا غرض ، ولا معنا مال يقنمك ، فإن شاور غدر بنا ، ولم يوفنا ما شرطه لنا من المال . ونحن قوم غرباء من هذه الديار ، أتينا لنصرة هذا الغادر ، والبتغي له مصرع . وأنت تعلم أن وراءنا مثل الملك العادل نور الدين . وكأنك به وقد أطل عليك بجيوش تعرفها ولا تنكرها . وأنت قصدك مال ، ومصر قدامك ، وهي أحب إليك من مطاولتنا بغير فائدة لك . وليس بمصر مانع يمنحك عنها . فإن تركت البنى ، وقنمت بما في أيدينا من فضلات نفقاتنا نفذناها إليك ، وتدعنا نرجع إلى بلادنا . وإن أبيت فنحن والله ما يقتل الواحد منا حتى يقتل عدة منكم . وبعد ذلك ، المدد واصل إلينا ، والسلام » .

قال ابن واصل رحمه الله : بينما الفرنج يجدون في حصار أسد الدين بلبس ، إذ ورد عليهم الخبر بكسرة الفرنج من نور الدين على حرم ، فخافوا على بلادهم ، فهذا كان سبب صلحهم مع أسد الدين . ولما خرج من بلبس ، جعلوا له في الطريق من يعارضه ليأخذه ، فخرج عن الطريق إلى طريق المدرية^(٤) ، وفي ذلك يقول عمارة

(١) المعروف أن شاور أرسل يستنجد بالصليبيين (الفرنج) لا بملك الروم ، انظر (مفرج الكروب ، لابن واصل ج ١ ص ١٣٩ ؛ السكامل ، لابن الأثير ، ج ١١ حوادث سنة ٥٥٩ هـ) .
 ويشير ابن أبيك بعد ذلك إلى ملك الصليبيين بملك « الروم » .

(٢) يقصد الملك عمورى الأول ملك مملكة بيت المقدس الصليبية (١١٦٢ - ١١٧٤ م) .

(٣) في المتن : « وبني » .

(٤) أرض مدراء - من المدر - وهو قطع الطين اليابس . ويبدو أن الطريق المدرية أحد الطرق السلوكية بين مصر والشام ، وربما كانت بعض أجزائه من الطين اليابس اقربها من وادي النيل .

اليمنى^(١) يمتدح أسد الدين من قصيدة منها :

- أَخَذْتُمْ عَلَى الْإِفْرِنجِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ وَقَلْتُمْ لَا يَدَى الْخَيْلُ مُرًى عَلَى مُرَى
لَنْ نَصْبُوا فِي الْبَرِّ جَسْرًا فَإِنْ كُمْ عَبَرْتُمْ بِجَسْرٍ مِنْ حَدِيدٍ عَلَى الْجَسْرِ ٣
- ثم اتفقا على مال أَخَذَهُ مَلِكُ الرُّومِ مِنْ أَسَدِ الدِّينِ ، وَفَسَّحَ لَهُمُ الطَّرِيقَ ، فَتَوَجَّهُوا
إِلَى الشَّامِ ، وَفِي قَلْبِ أَسَدِ الدِّينِ نَارٌ^(٢) لَا تَطْفِئُ مِنْ فَعْلٍ شَاوِر .
- ثم إنه قص على نور الدين جميع ما جرى^(٣) ، وعرفه أن مصر ليس بها من يمنع عنها .
ثم جهزه نور الدين بالجيش ، وعاد ودخل الديار المصرية من الطريق البدرية^(٤) ،
فلم يعلم به إلا وهو بناحية أطفيج . ثم عدى^(٥) إلى بر الجيزة ، وأقام بها ، وغاراته
تضرب في سائر تلك النواحي . فلما علم شاور أن لا قبل له بأسد الدين ، أنفذ إلى
الملك مري - لعنه الله - وأبذل له الأموال ، فوافاه الملعون بخيله ورجله ، وجرت
بينهم وقائع وأهوال تشيب الرءوس . واندفع أسد الدين إلى نحو الصعيد ، فلاحقوه
١٢ [عند]^(٦) منية بنى خصيب ، بمكان يعرف بالبايين ، فوقمت أيضا بينهما هناك وقائع
عظيمة ثلاثة أيام . فلما كان ثالث يوم ، كان أول النهار لشاور وملك الروم على
أسد الدين ، حتى ظن أنه سيؤخذ . ثم أتاه النصر من عند الله آخر ذلك اليوم ،

(١) هو الشاعر عمارة اليمنى (ت ٥٦٩ هـ = ١١٧٤ م) .

(٢) في المتن : « نارا » .

(٣) في المتن : « جرا » .

(٤) كانت الطريق البدرية - وتسمى أيضا الطريق القوقانية - إحدى الطرق الصحراوية
بين مصر والشام ، والتي تسلك جوف الصحراء بعيدا عن طريق الساحل المألوف . وقد غدت
هذه الطريق المسلك الرئيسي من الشام إلى الديار المصرية بعد أن استولى الصليبيون على بلاد الساحل ؛
فصارت القوافل تقطع هذا الطريق في ثمانية أيام في صحراء سيناء ، بعيدا عن تهديد الصليبيين .
وبعد انتصارات صلاح الدين وانحسار النفوذ الصليبي في جنوب فلسطين ، أعيد استخدام الطريق
الساحلي القديم المألوف ، ولم يعد يسلك الطريق البدرية سوى التجار الذين أرادوا التهرب من دفع
الحقوق السلطانية الواجب أدائها في قطيا - قرب الفرما . انظر ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر
وجامع الزهر ، ج ٩ (الدر الفخر) ص ١١٤ ، ١٩٨ ، ٣١٠ .

(٥) في المتن : « عدا » .

(٦) ما بين حاصرتين لإضافة لسياق المعنى .

- يقوم وافوه من عرب الصعيد ، كان قد نفذ إليهم أموالا ، فأتوه في تلك الساعة .
فانهزم الروم وشاور ، وكسرههم أسد الدين كسرة عظيمة ، وأخذ صاحب قيسارية
أسيراً مع جماعة من أصحابهم. وعاد شاور والملك مري إلى القاهرة في أنحس الأحوال. ٣
وسار أسد الدين إلى الإسكندرية ، فأقام بها مدة يسيرة . فجيش الملعون مري
الجيش ، وحزب الأحزاب ، وجاءوا إلى الإسكندرية . وكان أسد الدين قد ترك
صلاح الدين بإسكندرية ، في شزيمة يسيرة من الجيش ، وأصعد هو وعساكره إلى
الصعيد الأعلى ، فجي منه الأموال ، واستخدم الرجال ، واستجلب العربان .
وحضر شاور والملك مري بجيوشهما ، فنزلا على حصار صلاح الدين بالإسكندرية
براً وبحراً . وضيقوا عليه ضيقة عظيمة ، وأقاموا محاصرينه سبعة وخمسين يوماً . ٩
وإعان الله صلاح الدين ومن معه على تلك الجموع العظيمة ، وصبروا لهم مع ما كان
البلد فيه من قلة القوات والسلاح .
فلما كان بعد ذلك ، وصل أسد الدين من الصعيد ، ونازل القاهرة وحاصرها ، ١٢
وضيق على من بها وعلى العاضد صاحب القصر . فاتفق رأى كبار البلد مع رأى العاضد
أن يصالحوه ، على أن يسلم لهم صاحب قيسارية المأسور معه وجميع الأسارى الذين
معه ، ويرجع عن حصارهم وقتلهم ، ويأخذ ابن أخيه صلاح الدين ويتوجه إلى بلاده ١٥
بدمشق ، ويرتفع شاور والملك مري عنهم . فاتفق الحال على ذلك ، وعاد كل أحد
إلى بلاده ، وأقام شاور بعد ذلك أياماً^(١) يسيرة .
فما كان بعد قليل حتى عاد الملك مري - لعنه الله - على بدء ، لما حدثته نفسه ١٨
بأخذ ديار مصر ، وصحبته الإسبتار ، فنزل على بليس وفتحها ، وقتل جميع من كان بها ،
وسبى^(٢) النساء والأطفال ، وأبدع كل الإبداع . فلما سمع شاور ذلك نهب مصر
لنفسه ، وهتك أهلها ، وجع أموالا عظيمة من أموال الناس ، وقتل عدة من أهلها ، ٢١

(١) في المتن : « أيام » .

(٢) في المتن : « سبا » .

- ممن منع عن نفسه وماله . ووصل الملك مرتى - لعنه الله - وجيوشه إلى باب القاهرة،
وعول على فتحها، فبذل^(١) له أهلها مالا جزيلا . وقويت شوكة الفرنج - خذلهم الله -
٣ بالقاهرة ، وعادوا يعدوا أيديهم ، يأخذون الحریم والأولاد والأموال ، لا يمنهم
من ذلك مانع . وجرت على أهل مصر من الفرنج العظائم ، وحوصر^(٢) الناس في
بيوتهم ، ولا عاد أحد يقدر على الخروج من بيته . وتمت أحوال تقشعر لسماعها
٦ الأبدان ، وانتشر^(٣) الملاعين في سائر الأعمال ، وعادوا يأخذون حریم أهل مصر ،
وينزلون في الزوارق ما بين مصر والجزيرة ، ويشربون عليهم الخمر ، ويفسقون فيهم .
وقُتلت عالم كثير من كبار البيوت ، ونهبت أموالهم . هذا كله يجري^(٤) وشاور
٩ يصانهم ، ويركب إلى كبارهم وملوكهم ، وأظهر النصيحة لهم .
فلما علم^(٥) الفرنج أن لا دافع لهم عن تمليكهم مصر ، كتبوا إلى ملكهم
السكرير يحثونه على الحضور لملك مصر . فلما علم العاضد ذلك أيقن الهلاك ، وكذلك
١٢ كبار البلد ، فأجمعوا رأيهم ، وكتب العاضد إلى نور الدين الشهيد ، الملك العادل
صاحب الشام ، وهو يخبره فيه بما جرى على الإسلام . ثم قال في كتابه : « متى أنجدتنا
وخلصت الإسلام ، كان لك مع ثواب الله - عز وجل - ثلث خراج مصر ، يحمل إلى
١٥ خزانة في كل سنة ، بمهد من الله وميثاقه ، خارجا عن نفقة جيوشك في هذه
السكره » . ثم إن العاضد دخل إلى قصره ، وقطع شعور النساء والبنات والصبيان ،
وحمله في مخالي ، وسيره إلى نور الدين الشهيد ، وذلك لعظم ما جرى على الإسلام من
١٨ الملاعين الفرنج . ثم كتب في أثناء كتابه يقول : « واغوثاه ! واغوثاه !
إلحق دين الإسلام ! أدرك أمة محمد عليه السلام ! يا نور الدين ! يا نور الدين ! يا نور
الدين ! » قلت : هكذا رأيت نسخة هذا الكتاب إلى نور الدين ، لم أزد فيه حرفا .

(١) في المتن : « فبذلوا » .

(٢) في المتن : « وحوصروا » .

(٣) في المتن : « وانتشروا » .

(٤) في المتن : « يجرى » .

(٥) في المتن : « علموا » .

فلما وصل الكتاب إلى نور الدين بكى ، وكان عظيم النخوة للإسلام ، رحمه الله . وأرسل إلى أسد الدين شيركوه - وكان مقبلاً بمحمص - وفتح له الخزان ، وأطلق له الأموال ، وأمره بسرعة المسير . وتوجه [أسد الدين] إلى الديار المصرية ، ٣ وعبر من البرية على طريق البدرية إلى مصر ، وعدة جيشه عشرة آلاف فارس شجعان ، أقبال ، معتادين للحرب والطمع والنزال .

قال صاحب التاريخ : وأمره نور الدين أن يصحب معه صلاح الدين ، فكره ٦ صلاح الدين التوجه . قال صاحب التاريخ : قال صلاح الدين « لقد كان أمرنى نور الدين بالمسير إلى الديار المصرية ، وكنت كارها لذلك . فلما فتح الله على البلاد ، قلت صدق الله العظيم (وعسى أن تسكرها شيئاً وهو خير لكم^(١)) » . ٩

فلما قرب أسد الدين السويس ، بلغ الفرنج بحيتهم ، فرحلوا عن القاهرة . وقيل بل كانوا على بلبيس ، فرحل الملك مرعى ، ونزل على سمبود . وكانت ليلة رحيله ليلة وصول أسد الدين شيركوه إلى القاهرة ، فذقت لهم البشائر . وكان عند المسلمين ١٢ يوماً عظيماً^(٢) كونهم فكّوا من الأسر .

وأما الملك مرى - لعنه الله - فإنه جهز مائتي قنطارية^(٣) وخمسين قنطارية ، وألفى رجل ، ليأخذ قليوب ، فحشد المسلمون ، وخرجوا إليهم ، والتقوا بهم ١٥ على دجوة^(٤) ، فكشوهم من غير أن يجرى بينهم قتال . ثم إن الملعون جرد ثلاثمائة قنطارية وثلاثة آلاف رجل إلى جزيرة إيبار^(٥) ، فنهبوا وسبوا وقتلوا . وجاءت

(١) سورة البقرة آية ٢١٦ .

(٢) في المتن : « يوم عظيم » .

(٣) القنطارية : عصا الرمح أو الحربة .

(٤) ذكر ابن دقاق أن دجوى بلدة من أعمال القليوبية (الانتصار ، ج ٥ ص ٤٨) .

(٥) لمبار ، قرية بجزيرة بنى نصر بين مصر والاسكندرية وكانت هذه الجزيرة تشغل القسم الغربى من مراكز كفر الزيات وتلا ومنوف . (محرر رمى : القاموس الجغرافى ق ٢ ، ج ٢ ص

المسلمون إلى الطرانة^(١) ، وعملوا جسراً من الطرانة إلى الجزيرة ، وعدوا إليهم ، فانكسرت المسلمون . فلما كان بعد الظهر جاءت عرب من البحيرة وجماعة من القبائل وعرب من الفيوم ، ومن الصعيد ، وقالوا : « والإسلاماء » وحملوا حملة واحدة ، فانكسرت الملاحين ، وأخذهم السيف من الظهر إلى ثاني يوم الظهر ، وقتلت سائر خيالاتهم . ولم يعد منهم إلى الملك مرمى غير اثني عشر نفرا من الخيالة ؛ والرجال قتلوا عن بكرة أبيهم . ثم إن الملعون مرمى رحل من على سمند ، ونزل أسكندرية ، وقال لأهلها : « سلخوا إلى هذا البلد وأنا أحط عنكم المكوس ، وأوسعكم عدلا » . فقالوا : « معاذ الله أن نسلم الإسلام للكفر » .

٩ هذا وشاور يرأس مرمى ويهاديه ، ويظهر له الود والنصح ، ويقول : « الفرنج ولا أسد الدين شيركوه » . وعاد الملك مرمى نازل على الإسكندرية من الجانب الغربي ، والمراكب تحمل إليه جميع ما يحتاجه . وكان الوالى يوم ذاك بالإسكندرية نجم الدين ابن فضل ، والقاضى بها ابن الخشاب ، والمحاسب الضياء بن عوف ، والناظر الرشيد ابن الزبير ، فجمعوا القبائل ، وحصنوا البلد .

ثم إن أسد الدين شيركوه تجهز وطلب الإسكندرية ، ونزل عليها من الجانب الشرق . ثم التقى الجمعان على الإسكندرية ، ولم يجر بينهما قتال . ومشى^(٢) الرسل بينهم في الصلح ، فاصطلحوا . ورحل الملك مرمى إلى الشام في البر . وتوجه أسد الدين إلى القاهرة ، فأخلع عليه العاضد ، وعلى سائر من معه ، ونزل على ظاهر القاهرة بمسجد التين^(٣) .

١٨ وفيها كانت الوقعة بين نور الدين الشهيد وبين الفرنج على حارم ، وكسرهم

(١) الطرانة : بلدة من أعمال البحيرة على الشاطئ الغربي لليل في مواجهة جزيرة بني نصر . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، ج ٢ ، ص ٣٣٢) .

(٢) في المتن : « ومشوا » .

(٣) هو مسجد تبر ، موضعه خارج القاهرة قريبا من المطرية ، وتسميه العامة مسجد التين وهو خطأ (المقرئى : المواعظ ، ج ٢ ص ٤١٢) .

- نور الدين كسرة عظيمة ، وقتل منهم ما لا يحصى كثرة ، وأسر منهم ثلاثين ألف نفرًا ، وأخذ جميع ملوكهم ، وتسلم حارم وبانياس . وكانت الفرنج في خلق عظيم ، فيهم القمص صاحب أنطاكية^(١) ، والبرنس صاحب طرابلس^(٢) ، وابن جوسلين^(٣) .
- فلما التقى الجمعان ، صعد نور الدين على تل عال ، وشاهد من الفرنج ما هاله وأذهله من كثرتهم ، فترك القتال وانفرد عن العسكر ، وصلى ركعتين ، ومرغ وجهه على الأرض وهو يقول : « ياسيدى ! الجيش جيشك ! والدين دينك ! ومن هو محمود ! ٦ افعلى أنت ما تريد » . هذا والفرنج قد حملوا على المسلمين حملة منكرة . وكانت الحملة على الميمنة ، وفيها عسكر حلب ، فاندفعوا بين أيديهم ، فنزل إليهم نور الدين وقد كشف رأسه ، وصاح : « وإسلاماه ! العودة ! العودة ! بارك الله فيكم » . فكأنما ٩ أوقع الله تعالى صوته في آذان سائر الجيش ، فسكرّوا على الفرنج كرة رجل واحد ، فتقهقرت الفرنج لها الخيالة منهم ، فوقع السيف في الرجالة ، فحصدوهم حصدا . فلما رأى^(٤) الخيالة ذلك ، ولوا منهزمين ، فأخذهم السيف من كل مكان ، ولم ينبج^(٥) منهم ١٢ إلا صاحب الفرس السابق . واستأسر منهم عدة ماقد ذكرناه ، فأخذ عنهم الفداء ، فكان جملته ستمائة ألف وستون ألف ذهب عين . فكان نور الدين بعد ذلك يحلف أن جميع ما بناه من البيمارستان والمدارس وجميع وقوفاتهم من ذلك الفداء . ١٥

(١) يقصد بوهيموند الثالث أمير أنطاكية (١١٦٣ - ١٢٠١ م) .

(٢) يقصد ريموند الثالث أمير طرابلس (١١٥٢ - ١١٨٧ م) .

(٣) يقصد جوسلين دى كورتناى .

(٤) في المتن : « رأوا » .

(٥) في المتن : « لم ينبجا » .

ذكر سنة متين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم خمسة أذرع وخمسة عشر أصبعا ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وسبعة عشر أصبعا .

ماتلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين . وبنو سلجوق الحكام ، وأمرهم^(١) في هذه السنة راجع منهم إلى السلطان ألب رسلان السلجوق . والعاقد صاحب مصر ، والوزير شاور إلى أن قتل في هذه السنة ، على ما ذكر صاحب تاريخ سير النيل المصرى .
- ٩ وذلك أن أسد الدين شيركوه كان في قلبه من شاور دخول عظيمة ، لما كان قد أسلفه من الإساءات ، حسبا تقدم من ذكر ذلك . ونظر إلى ديار مصر فوجدها ليس بها مانع ولا دافع غير شاور ، فاستشار صلاح الدين واتفقا على تدبير الحيلة على قتل شاور . وكان
- ١٢ أسد الدين مبرزاً على مسجد التين ، وادعى أنه مريض وشارف^(٢) على الموت ، وأنه يقصد الاجتماع بشاور ليتفق معه على عود العساكر إلى الشام ، ويستوثق منه بالآيمان أن لا ينفرد بجيوش الإسلام ويكتب عليهم الفرنج كما فعل من قبل . فلم يثق شاور حتى نفذ
- ١٥ حكماً يثق به ليفطر صحة ما ادعاه أسد الدين . فلما أتى^(٣) الحكيمة خلا به صلاح الدين ، وقال له : « يا حكيمة ! أنت تعلم أن أهل مصر عادوا في قبضة الفرنج متى شاءوا ، مادام هذا الوزير شاور . وقد رأيتم يا أهل مصر ما حل بكم من الفرنج ، ونحن إن عدنا إلى الشام بعيد علينا أن نرجع إليكم ، والمصلحة أن تتفق معنا على صلاح أحوال أهل بلدك .
- ١٨ وهذه ألف دينار استعمن^(٤) بها . وعهد الله وميثاقه أن تكون عندنا العزيز المكرم ،

(١) في المتن : وأمر في هذه السنة .

(٢) في المتن : « مريضاً وشارفاً » .

(٣) في المتن : « أنا » .

(٤) « استعمن » .

بخلاف ما أنت عليه الآن ، وتحتمل معنا على حضور شاور إلينا . وههنا شخص
من أصحابنا على خطة الموت ، انظره وخبر عنه إذا حلفت » . قال : فلما عاد الحكيم ،
وعرف شاور بأنه عاينه على التلف ، وثق شاور ، وطمع في جيشه ، وركب وأتى إليه ،
فوثب عليه جرديك وبرغش^(١) - موليا نور الدين - فقتلاه بإشارة صلاح الدين
لها في ذلك . وقيل إن أول من بسط يده بالقبض عليه صلاح الدين ، وأن شاور
لم يقتل في الساعة الراحنة حتى حضر توقيع من العاضد على يد خادم خاص بقتل شاور ،
وإنفاذ رأسه ، ففعل به .

ثم خرجت الخلع بالوزارة لأسد الدين شيركوه ، ونعمته العاضد بالملك المنصور .
فسكانت مدة وزارته ثمانية أشهر ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى^(٢) . وولى صلاح الدين
الوزارة ، ونعمته العاضد بالملك الناصر .

وكان سبب موت أسد الدين أنه كان يحب أكل اللحوم الغليظة ، مثل لحوم
البقر والخيول والنعام وما أشبه ذلك ، فلحقه من ذلك خانوق حتى قتله .

وكان صلاح الدين في مبتداه قليل المال والرجال ، صاحب أكل وشرب وطرب ،
فلما فتح الله عليه بالملك تاب عن جميع ذلك . وظن العاضد أن الأمر لا يستقيم له بعد
أسد الدين ، لما كان يعلمه منه ، فأبى الله إلا أن يملكه الأرض ، ويفتح على يديه
الفتوحات . وكان ذلك في سنة أربع وستين وخمسمائة ، وإنما ذكر تلاوة على النسق .

(١) حقت الأسماء بالرجوع إلى وفيات الأعيان لابن خلكان ، ترجمة شاور (ج ١ ص

٢٢٠ - ٢٢١) .

(٢) جاء في الهامش أمام هذه العبارة « قال ابن واصل : توفى أسد الدين شيركوه يوم السبت
لثمان بقين من شهر ذي الحجة سنة أربع وستين وخمسمائة » . هذا وقد ذكر ابن الأثير (الكامل ،
ج ١٢ حوادث سنة ٥٦٤ هـ) أن وفاة شيركوه كانت في شهر جادى الآخرة من تلك السنة .
ويتفق هذا مع ما ذكره ابن واصل نقلا عن ابن شداد (مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٦٧ ؛ ابن
شداد : النوادر السلطانية ، ص ٦٩) . وأكد ابن أبيك صحة هذا التاريخ بعد أسطر قليلة .

وتوفي أسد الدين شيركوه يوم الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة
أربع وستين وخمسمائة ، كما يأتي من ذكر تملك صلاح الدين في تاريخه إن شاء الله تعالى . ٣

وفيها توفي الوزير عون الدين بن هبيرة ، رحمه الله (١) .

(١) هو يحيى بن محمد بن المظفر ، السمي عون الدين بن هبيرة ، وزير الخليفة المستنجد بالله
العباسي (ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ حوادث سنة ٥٦٠ هـ) .

ذكر سنة إحدى وستين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ستة أذرع ونصف أصبع ، ومبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا واثنان ٣ وعشرون أصبعا .

ما لخص من الحوادث

الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين ، وبنو ساجوق قد زال ملكهم من العراق ، ٦ والعاقد خليفة مصر ، وشاور الوزير .
وفيهما كانت ^(١) عودة أسد الدين شيركوه إلى مصر ، وخرج من طريق البدرية ، ونزل أطفيح بجيوشه سادس ربيع الآخر . ورحل من أطفيح وعدى ^(٢) ، وختم ٩ بالجيزة نيفا وخمسين يوما . واستنجد شاور بالفرننج حسبا ذكرناه . وتوجه أسد الدين عائدا إلى الشام . وقيل إن هذا جميعه كان في سنة اثنين وستين وخمسمائة ؛ وهو الصحيح .

١٢

(١) في المتن : « كان » .

(٢) في المتن : « عدا » .

ذكر سنتي اثني وثلاث وستين وخمسة

النيل المبارك في هاتين السنتين

- ٣ الماء القديم - سنة اثني - أربعة أذرع وأربعة وعشرون أصبعا ، والزيادة سبعة عشر ذراعا واثنتان وعشرون أصبعا . وفي سنة ثلاث - خمسة أذرع ونصف أصبع^(١) ، الزيادة ستة عشر ذراعا وثلاثة وعشرون أصبعا .
- ٦ وفي سنة ثلاث وستين خرج زين الدين على كوجك من نيابة الموصل . وكان هو صاحب الأمر بها من قبل سيف الدين غازي بن أتابك زنكي . وكانت مدينة إربل قاعدة بيته وأولاده . وكانت أيضا بيده شهرزور وجميع القلاع التي بها ، مثل العمادية ،
- ٩ ونسكرت وسنجار وحران ، فأصابه طرش في أذنيه ، وكف بصره ، ففارق الموصل ، وسلم جميع الممالك لقطب الدين مودود بن زنكي ، وانتقل إلى إربل ، فتوفي بها في بقية هذه السنة . وقام بالبیت ولده زين الدين ، حسبما يأتي من ذكره ، إن شاء الله تعالى .
- ١٢ ثم لم تزل مع زين الدين إلى أيام السلطان صلاح الدين ، فتوفي زين الدين ، وقام بالأمر مظفر الدين كوكبوري أخوه إلى سنة ثلاثين وستمئة .

(١) قارن هذا مع ما جاء في التجوّم الزاهرة لأبي المحاسن (ج ٥ ص ٣٨٠) .

ذكر سنة أربع وستين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ستة أذرع وثمانية أصابع ، مبالغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا فقط . ٣

ما لخص من الحوادث

الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين .

٦ وبنو سلجوق الحكام على بلاد المعجم والروم .

والعاضد صاحب القصر [في مصر]^(١) . وشاور الوزير ، إلى أن قتل في هذه

السنة على يد صلاح الدين بإشارة أسد الدين ، يوم الأربعاء سابع ربيع الآخر . ووُزر

٩ أسد الدين الديار المصرية ، حسبما تقدم من ذكر ذلك . قلت : وللفقيه عمارة اليمنى

ـ الشاعر الموصوف ـ في شاور عدة مدائح ، فن جملتها يقول :

خبر الحديد من الحديد وشاور من نصر دين محمد لم يضجر

١٢ حلف الزمان ليأتين بمثله حنث يمينك يا زمان فكفر

وفي هذه السنة كان الحريق بمصر ، وأحرق الجامع العتيق . وكان سببه

النصارى ، لما أنكى فيهم الحاكم من منعهم ركوب الخيل والبغال ، وتعليق الصليبان

١٥ الخشب الثقال في خلوقهم ، وبناء المساجد والمآذن على كنائسهم ، وهدم منها عدة .

فتجمعوا في الباطن ، واتفقوا على حريق الجامع ، والآدر السكبار المتعمنة ، والأرباع ،

فكان حريق عظيم ما شهد مثله . وقيل إن سبب تذكر^(٢) النصارى هذا الأمر بعد

١٨ طول هذه المدة ، أنه تولى عليهم في هذه السنة بطركا يعظمونه عندهم ، فحتمهم على ذلك

فعلوه ، حتى مُسك منهم جماعة ، وقُطعت أيديهم وأرجلهم . وقصد صلاح الدين

استئصال النصارى واليهود جملة كافية ، فلم يقدر على ذلك كونه كان في أول مبتدأ

(١) ما بين حاصرتين إضافة لإيضاح المعنى .

(٢) في المتن : « تذكر » .

أمره ووزارته ، ولكل قادم دهشة . وذلك أن أسد الدين لم يقم في الوزارة غير أربعة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر على اختلاف الرواة في ذلك ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى في تاريخ ما تقدم ، ووُزِر صلاح الدين ، حسبما تقدم أيضا ، واستمر حاله . ٣

ولما توفى أسد الدين وقام بالأمر صلاح الدين عمل عماد الدين الكاتب [قصيدة] رثى فيها أسد الدين ، وهنا بصلاح الدين ، أولها منها :

٦ ما بعد يَوْمِكَ للمَعْنَى الدُّنْفُ غير العويل وحسرة المتأسِّف
ما أجراً الحداث كيف عدا على الأ سد المصور عدا^(١) ، ولم يتوقف
لا نستطيع سوى الدعاء فكلنا إلا بما في الوُسْع غير مُسَكَّلَف

٩ وفي سنة أربع وستين ملك نور الدين قلعة جبر أخذها من صاحبها شهاب الدين مالك العقيلي . وكانت بنو كلب قد استأسروه ، وأتوا به نور الدين ، فلم يزل يلفظ به وعوضه عنها عدة بلاد ، حتى سلمها لنور الدين . وكانت قلعة جبر لم تزل في يد هؤلاء القوم من حين سلمها لهم جلال الدولة ملكشاه ، لما أخذها من صاحبها جبر ، ١٢ وكان شيخنا أعمى [من بني قشير يقال له جبر بن مالك]^(٢) ، وله ولدان كانا يقطعان الطريق ويخيفان^(٣) السبيل فقتلهما وسلم القلعة للعقيليين فلم تزل في أيديهم إلى هذه السنة ، فأخذها نور الدين من صاحبها المذكور حسبما ذكر . ١٥

(١) في ابن واصل (مفرج الكروب ج ١ ص ١٧١) : « على الأسد المخوف سطا ... » .

(٢) العبارة غير واضحة ، ومذكورة في هامش الصفحة في صورة مطموسة ، وما بين

حاصرتين لإضافة من معجم البلدان لياقوت الخوى (مادة جبر) .

(٣) في المتن : « يقطعون الطريق ويخيفون السبيل » ، واعتمدنا في تصحيح العبارة على

ابن الأثير (الكامل ، حوادث سنة ٥٧٩ هـ) .

ذكر سنة خمس وستين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وثمانية عشر إصبعا ، مبالغ الزيادة سبعة عشر ذراعا . ٣ .
وسبعة أصابع .

[ما لخص من الحوادث]

- ٦ الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين ، ونوابه ووزراء الحكماء في الأرض
بالممالك الخليفية . والعاقد صاحب القصر . والملك الناصر صلاح الدين يوسف
ابن أيوب مدبر الممالك بالديار المصرية وما معها .
٩ وفيها وصلت الفرنج - خذلهم الله - إلى ثغر دمياط ، مستهل صفر ، في عدد
عظيم ، فبادر إليهم صلاح الدين بتقى الدين عمر ابن أخيه ، وشهاب [الدين] خاله ،
في جماعة من الأمراء والجند والعساكر . وكانت الفرنج - لغنهم الله - قد ضايقوا
الثغر مضايقة عظيمة ، حتى أشرقوا على أخذه ، فخذلهم الله عز وجل ، ووقع فيهم وباء ١٢
ومرض ، حتى لا عاد منهم من يطبق يقف على قدميه . وبادرتهم العساكر مع الأمراء
والملوك المذكورين ، فرحل الملاعين صاغرين عن الثغر ، في الحادى والعشرين من ربيع
الأول من هذه السنة . ١٥

وفيها بنى صلاح الدين السور الدائر بالقاهرة ومصر المحروستين ، وذلك خوفا
من نور الدين الشهيد . ودور هذا السور تسعة عشر ^(١) ألف ذراع وثلاثمائة ذراع
وذراعين بالعمل ؛ فها هو بالساحل وقلعة المقسم ^(٢) التي كانت على شاطئ النيل ١٨
إلى الكوم الأحمر الذى بساحل مصر طول عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ؛

(١) ذكر ابن واصل (مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٥٢) أن هذا السور « دوره تسعة
وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وذراعان بذراع العمل ، وهو الذراع الهاشمي » .
(٢) يقصد بقلعة المقسم قلعة المقس ، وموقعها اليوم قرب جامع أولاد عنان بالقاهرة .
(محمد رمزي : القاموس الجغرافى ، ق ١ ، ص ١١٤ ، ١٢٨ - ١٢٩) .

- وما هو بين القلعة والمقسم وحائط القلعة بالجبل مجاور مسجد سعد الدولة ثمانية^(١) آلاف ذراعاً وثلاثمائة واثنان وتسعون ذراعاً ؛ ومن جانب القلعة من مسجد سعد الدولة مقبل إلى السكوم الأحمر سبعة آلاف ذراع ومائتا وعشرة أذرع . وذلك بشاد بهاء الدين قراقوش ، وهو الذى راك الديار المصرية ، وهو أول روك كان بها^(٢) .
- وسميت الدنانير القراقوشية كل دينار ثلاثة عشر وثلث . وذلك أنه قطع سعر القمح والشعير والفول في غالب الأزمان وجمعه ، فكانت جملة ثمن كل أردب ثلاثة عشر درهم وثلث ، فسمى ذلك دينار جيشى . وأقطع البلاد على هذه الدنانير ، فاستقرت إلى الآن .
- ٩ وفي أول هذه السنة جهز صلاح الدين أخاه الملك المعظم عيسى إلى اليمن ، ففتحها وحصل على أموالها وحواصلها . وسبب ذلك أن صلاح الدين وأخاه^(٣) المعظم كانا خائفين^(٤) من الملك العادل نور الدين الشهيد ، فاتفقا على أن يفتحا اليمن ، فتكون لهما معقلا وحصنا ، إن قوى عليهما نور الدين . وكانت إرادة الله لهما غير ذلك ، حتى ملكهما الأرض كلها . وكان صاحب اليمن قد قطع الخطبة عن ذكر الخلفاء وخطب لنفسه ، ففتحها المعظم في أول هذه السنة ، وأقام بها شهوراً يسيرة . واشتاق إلى أخيه صلاح الدين ، فنفذ رجلا من عقلاء قومه ، وقال : « إن وجدت السلطان صلاح الدين يوما منشرا فاطلب لى دستور له لزيارته » . فلما وصل الرسول ومعه هدايا اليمن وطُرفها عرف صلاح الدين ما قال أخوه ، فأعجبه منه ذلك ، وأنعم على الرسول ، ونفذ يطلب المعظم ، فحضر إليه .
- ١٨ وفيها أبطل نور الدين الشهيد سائر المسكوس بالشام ، فكانت جلته خمسمائة

(١) في المتن : « ثلاثة آلاف » ، والتصحيح من ابن واصل (مفرج الكروب، ج ٢ ص ٥٣) ومن خطط القرينى (ج ٢ ص ٢٠٨) .

(٢) عن الروك ، انظر ما كتبه محمد مصطفى زيادة في كتاب السلوك للقرينى (ج ١ ص ٨٤١-٨٤٢) .

(٣) في المتن : « وأخوه » .

(٤) في المتن : « خائفان » .

ألف دينار وستة وثمانين ألف دينار . وكان نور الدين قد بنى البيارستان بدمشق في سنة اثنين وستين وخمسمائة . وكان في سنة ثلاث قد قطع الفرات^(١) ، واستولى على الجزيرة والرها ، وعاد إلى منبج .
 وفي هذه السنة أوصى نور الدين - رحمه الله وبرّده - ضريحه ، وجعل الجنة مأواه - وعهد إلى ولده الملك الصالح إسماعيل .

٦ الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل محمود نور الدين الشهيد بن أتابك زنكي

وباقى نسبه قد تقدم .
 ولما مات نور الدين - رحمه الله - تحرك الفرنج بكل أرض ، وأقام الملك الصالح إسماعيل أياماً قلائل ، ثم رحل طالباً للحلب ، فدخلها وقبض على أولاد الداية . وكان^(٢) أولاد الداية أجلّ أصحاب الملك الناصر صلاح الدين . ونفذ قبل ذلك الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين إلى صلاح الدين يعزیه في والده الملك العادل ، ويأمره بالخطابة والسكّة له ، فامتنل ذلك على رغم منه . فلما قبض الصالح إسماعيل على أولاد الداية ، وجد صلاح الدين للشر بينهما سديلاً ، فغش وخرج طالباً للشام بسبب الفرنج وتحريكهم . فلما بلغ الفرنج خروج صلاح الدين في تلك المساكر الكشيفة ،^{١٥} سكنوا عما هموا عليه . ثم إن صلاح الدين نزل على دمشق وأخذها - والملك الصالح بحلب - وسلمها لأخيه الملك المعظم عيسى . ثم توجه إلى حلب فحاصر الصالح أياماً . ثم وقع الصالح أن تكون حلب خاصة وأعمالها للملك الصالح إسماعيل بن نور الدين ،^{١٨} ويخرج عن سائر الشام . فلما تقرر ذلك عاد صلاح الدين إلى الديار المصرية . وكان قد جعل أخاه الملك العادل سيف الدين أبو بكر نائباً بها ، فخرج وتلقاه بأهل مصر من خلف سويس ، على طريق قلعة صدر^(٣) ، خوفاً من الفرنج .^{٢١}

(١) في المتن : « الفراء » .

(٢) في المتن : « وكانوا » .

(٣) ذكر ياقوت (معجم البلدان) أن صدر قلعة بين القاهرة وأيلة .

وفيهما كانت زلزلة عظيمة بحلب وبعلبك ونواحيهما ، وهلك فيها عالم عظيم .
وانشق جبل لبنان المطل على بعلبك شقا لا يعرف له انتهاء . ودامت الزلازل شهرا ،
٣ وربما كانت تزلزل في اليوم واللييلة عدة دفعات .

وقيل إن جميع ما ذكرناه في هذه السنة من وفاة نور الدين ، وتعليك ولده الملك
الصالح إسماعيل ، وخروج السلطان صلاح الدين ، وأخذه الشام من الملك الصالح
٦ إسماعيل ، كان في سنة سبع وستين ، وهو الصحيح . وذلك أن نور الدين لم يموت
حتى توفي العاضد صاحب القصر ، وبوفاة العاضد كانت في سنة سبع وستين يوم
عاشوراء ، متفق على صحته .

٩ وفيها كانت فتنة السودان ، وكانت فتنة عظيمة . وكان كبيرهم يسمى مؤتمن
الدولة^(١) خصى . وكان متحكما في القصر . ولما ثقلت وطأة صلاح الدين أجمع أهل
القصر على مكاتبة الفرنج ، فسيروا إليهم حبة رجل جاء وجعلوه مخروزا في نعله ،
١٢ فقبض عليه . وأتى به إلى صلاح الدين ، فعمل الحيلة حتى قتل ذلك الخصى في قصر
كان له . ثم ثاروا السودان وكان عدتهم نيف وخمسة آلاف^(٢) نفر واصطلى بحربهم
الأمير ابن أبي الهيجاء . وكانت الحرب بينهم في بين القصرين يومين . وكانت لهم
١٥ محلة عظيمة على باب زويلة تعرف بالمنصورية ، فأرسل صلاح الدين إليها من أوقع فيها
النار والحريق في أموالهم وأولادهم . فلما بلنهم ذلك ولوا منهزمين ، ثم أمموا بعد أن
قتل منهم جماعة كثيرة .

١٨ وفيها توفي قطب الدين [مودود] بن [زنكي] صاحب الموصل إلى رحمة الله
تعالى . أوصى بالملك بعده لولده عماد الدين زنكي ، سماه على اسم جده ، فلم يتم أمره ،
واستقام الأمر لسيف الدين غازي أخوه ، بتدبير نحر الدين عبد المسيح ، فإنه كان
٢١ قام بأمر النيابة بعد [زين الدين] على كوجك ، فاتفق مع الخاتون ابنة حسام الدين

(١) في ابن واصل ، مفرج الكروب (ج ١ ص ١٧٤) : مؤتمن الخلافة .

(٢) في ابن واصل ، مفرج الكروب (ج ١ ص ١٧٦) : أن عدتهم زادت على خمسين ألفا .

- تمرتاش جدته ، وقرر الأمر لغازي . وتوجه زنكي إلى عمه نور الدين مستنصراً به .
 وكان عُمر قطب الدين لما توفي نحواً من أربعين سنة . ومدة ملكه الموصل
 إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر . ولما بلغ نور الدين استيلاء عبد المسيح على الأمور ٣
 كره ذلك لكره منه له ، فتوجه في سنة ست [وستين وخمسمائة] إلى نحو الرقة ،
 ثم نزل على سنجار وأخذها بعد حصار ، وأعطاه لابن أخيه عماد الدين زنكي الذي
 حضر إليه منتظراً مستنصراً به . ثم توجه ودخل الموصل ، واستقر غازي فيها نائباً ٦
 عنه ، وجعل بالقلمة سعد الدين كشتكين ، وقسم تركة قطب الدين بين يديه على
 الوجه الشرعي .

ذكر سنة ست وستين وخمسمائة

الفيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم سبعة أذرع فقط . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وتسعة عشر أصبعا .

ما لخص من الحوادث

٦ الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين ، إلى أن توفي في هذه السنة . قُتل ثامن ربيع الأول سنة ست وستين وخمسمائة - وهي هذه السنة - وله ثمان وأربعون سنة . وقيل إنه مات بالقرس . وكان حسن السيرة ، رفع المكوس في أيامه بينداد . وزيره شرف الدين أحمد بن محمد . والغالب على الأمور بنو^(١) سلجوق ، حسبها تقدم من ذكرهم . نقش خاتمه لقبه . ٩

ذكر خلافة المستضيء بنور الله بن المستنجد بالله،

وما لخص من سيرته

١٢ هو أبو محمد الحسن بن يوسف بن محمد المقتفى^(٢) لأمر الله ، وباقي نسبه قد تقدم . أمه أم ولد ، يقال لها بدور^(٣) . مولده [في] الحرم^(٤) سنة ست وثلاثين وخمسمائة . يبيع له عند موت أبيه ، وأقام خليفة تسع سنين وثمانية أشهر ، إلى أن توفي في تاريخ ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى . ١٥

(١) في المتن : « بنى » .

(٢) في المتن : « المتقى بالله » ، والتصحيح من الكامل لابن الأثير (حوادث سنة ٥٦٦ هـ) : البداية والنهاية لابن كثير (ج ١٢ ص ٢٦٢) .

(٣) ذكر ابن الأثير أن أم الخليفة المستضيء كانت أم ولد أرمنية تدعى غضة (الكامل ، ج ١٢ ، حوادث سنة ٥٧٥ هـ) ؛ وفي البداية والنهاية لابن كثير (ج ١٢ ص ٢٦٢) أن أمه « أرمنية تدعى عصمت » .

(٤) ذكر ابن واصل (مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٩٥) أن مولده كان في ثالث عشر شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

وفيها والعاقد صاحب القصر لم يكن له أمر ، وقد خلمه السلطان صلاح الدين
بفتاوى الأئمة والفقهاء ، حسبما تقدم من ذكر سببه .

وفيها وتلى السلطان صلاح الدين القاضي صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى^٣
ابن درباس الحكم والقضاء بالديار المصرية وسائر أعمالها ، وخلع عليه بما يليق بمثله .
وفيها كان أول تملك :

السلطان الأجلّ صلاح الدنيا والدين يوسف

٦

الملك الناصر

هو أبو المعالي السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، يوسف بن نجم الدين
أيوب بن شاذى بن مروان ، فاتح الفتوح ، وقاتل كل كافر لحوح ، معلى منار الإسلام ،
وحامى أمة النبي عليه السلام ، مذل عبدة الأوثان ، وخامد جمة الكفر والطغيان ،
ومطهر البيت المقدس من رجس الشيطان ، كاسر الصليبان ، وراغم البطرك والقسيس
والرهبان . متمه الله بالخور والولدان ، فى عرصات الجنان ، بكرمك يارحمن ! يارحمن !
يارحمن !

وفيها خرج السلطان صلاح الدين إلى الغزاة ، وغار على الرملة وعسقلان ، وعاد
إلى القاهرة .

١٥

وفيها خرج والتقى أهله لما قدموا من الشام ، خوفا عليهم من العدو المخذول ،
ودخلوا إلى القاهرة سالمين .

وفيها أخذ الأيلة وقلمتها ، ثم خرج إلى الإسكندرية لتدبير أحوالها .

١٨

ذكر سنة سبع وستين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السفنة

٣ الماء القديم خمسة أذرع وسبعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وعشرون أصبعا .

ماخلص من الحوادث

٦ الخليفة المستضى بنور الله أمير المؤمنين . وبنو سلاجوق قد اختل نظامهم ببنداد ، وعاد أمر الخلافة على ما كان عليه .

٩ وفيها توفي العاضد صاحب القصر ، واختلف في سبب وفاته اختلاف كثير ؛ فمنهم من ذكر أنه مات حتف أنفه ، ومنهم من ذكر أن السلطان صلاح الدين ضيق عليه حتى سم نفسه فات . ورأيت في مسوداتي أن العاضد كانت عنده جلية السلطان صلاح ، وأنه سبب زوال ملكهم . وكان عادة صلاح الدين أنه يأتي كل يوم إلى باب القصر ، ويقبل العتبة ، ويستأذن الزمام ، فيأذن له . فقال العاضد للزمام : « إذا رأيته قد حضر ولم يقبل العتبة وجاز بنسير إذن فعرني سرعة » . فلما خلع صلاح الدين العاضد أتى ذلك اليوم ولم يقبل العتبة ، وجاز بنير استئذان ، فدخل الزمام وعرف العاضد ذلك . وكان في يده خاتم بفص فامتصه ، فناصت نفسه ، والله أعلم .

١٥ وكان السلطان صلاح الدين - لما خلمه بمقتضى الفتاوى الشرعية المتقدم ذكرها - خطب لبني العباس في أول جمعة من هذه السنة ، بمصر . وفي الجمعة الثانية في القاهرة وسائر الأعمال المصرية . ثم نفذ بذلك إلى سائر البلاد الشامية ، والخليفة يومئذ المستضى بنور الله . وفيها خطب أيضا لنور الدين محمود صاحب دمشق .

٢١ واستولى السلطان صلاح الدين على جميع ما في القصر من الذخائر والأموال ، وحمل لنور الدين صاحب الشام حملا من أموال القصر وذاخره وجواهره وتحفه ، فسكران ذلك بجملة كبيرة . وفي جملة الهدية الحمار العتارية^(١) والفيل والزرافة .

(١) يقصد بالحمار العتارية حمارة مخططة من حمر الوحش التي تشبه في لونها القماش العتاي المخطط .

(Dozy, Supp. Dict. Ar.)

وفيها بطل الأذان بحى على خير العمل ، وعاد إلى ما كان عليه أولا ، واستمر إلى الآن ، أدامه الله إلى يوم الدين . وفى ذلك يقول عرقلة الدمشقي :

- أصبح الملك بعد آل على مشرقا بالملوك من آل شاذى ٣
وغدا الشرق يحسد الغرب للقو م ، ومصر تزهو على بندا
وما حووها إلا بعزم وحزم وصليل الفولاذ فى الفولاذ
لا كفرعون والعزير ، ومن كا ن بها كالحصيب والأستاذ ٦
وفيها وصل الريدكور صاحب صقلية^(١) إلى الإسكندرية وقصد أخذ الديار المصرية . وكان معه جمع عظيم ، وصحبته ستين طريدة تحمل الخيول ، ومائتي وخمسين شينى ، فى كل شينى ثلاثمائة مقاتل . وكان السلطان صلاح الدين قد خرج إلى الشام ، وهو على غزة ، فأخذ من غزة إلى الإسكندرية فى أربعة عشر مرحلة ، مغدى ، مشى . والتقى الجمعان على الإسكندرية ، وجاءت الأمداد من كل جهة . وكانت وقعة عظيمة ، نصر الله فيها الإسلام ، وأيد أمة النبي عليه السلام . وهرب الفرنج وملسكهم الريدكور ، وفى أرقابهم سيف كل بطل من المسلمين مذكور . وغنم^(٢) المسلمون غنيمة جليلة . وهذه^(٣) الوقعة تعرف بوقعة الريدكور . وفيها اختلاف بين سنتي سبع وتسع ، والله أعلم أيهما كانت . والذي يقارب الصحيح أن ذلك فى سنة تسع وستين ١٥ وخمسمائة^(٤) .

(١) كان صاحب صقلية عندئذ هو الملك وليم الثانى (ت ١١٨٩) وم يخرج على رأس هذه الحملة ؛ ولما أرسل حملته تحت قيادة تنكرد أمير لى (Tancred Count of Lecce) ، الذى وصفه ابن الأثير بأنه « ابن عم صاحب صقلية » (الكامل ، ج ١٢ ، حوادث سنة ٥٧٠ هـ) وتنكرد هذا هو الذى توج فى أوائل سنة ١١٩٠ م ملكا على صقلية . انظر :

Cam. Med. Hist., Vol. 5. p. 201

Runciman, A. Hist. of the Crusades, vol. 2, p. 403.

(٢) فى المتن : « وغنموا » .

(٣) فى المتن : « وهى الوقعة » .

(٤) حدد ابن واصل تاريخ هذه الحملة التى قام بها ملك صقلية على الاسكندرية بشهر ذى الحجة سنة تسع وستين وخمسمائة (مفرج الكروب ، ج ٢ ص ١١) . انظر أيضا الكامل فى التاريخ لابن الأثير (حوادث سنة ٥٧٠ هـ) وكتاب الروضتين لأبى شامة (ج ١ ص ٢٣٥) .

ذكر سنة ثمان وستين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم خمسة أذرع وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وأربعة أصابع .

مأخض من الحوادث

٦ الخليفة المستضيء بنور الله أمير المؤمنين ، والخطبة يومئذ له بسائر بلاد الإسلام . وانقطعت الدولة الفاطمية إلى الآن ، وعاد الحق إلى نصابه ، والأمر إلى صوابه . وقيل إن نور الدين الشهيد في هذه السنة صاحب دمشق بحاله ، وأن وفاته في سنة تسع وستين .

وفيها أمر السلطان بقتل جميع السودان بالديار المصرية وسائر أعمالها . وفيها توفي نجم الدين أيوب ، والد السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ، ثامن عشر ذي الحجة من هذه السنة .

١٢ وفيها وجه السلطان أخاه نحر الدين توران شاه إلى بلاد النوبة ، وفتح قلعة يقال لها بريم ، وعاد ومعه جماعة من أهلها . وفيها خرج السلطان صلاح الدين إلى غزاة الكرك .

ذكر منازلة الكرك وسببه

١٥ كان السلطان صلاح الدين - رحمه الله - قد اصطالح مع الإبريز صاحب الكرك^(١) . وكان يعطى الإفرنج شيئا كثيرا لا يعلم له قيمة ، ويصانهم فيما بينه وبينهم ، ويجتهد بكتمان ذلك ، لا يسمع عنه أنه يصانع عن نفسه وبلاده .

(١) يقصد أرناط - رينودي شاتيون - صاحب الكرك بمحكم زواجه من ورثتها سنة ١١٧٧م (٥٧٣ هـ) . وبلاحظ أن المؤلف خلط هنا ويبدو أن المقصود بهجوم صلاح الدين على الكرك ما حدث سنة ٥٨٣ هـ قبيل موقعة حطين ، انظر (ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ص ١٨٦) .

- ووقع الصلح بينهم إلى وقت معين ، بشرط أن المسافرين يسافروا والقنول لا تنقطع ، والتجار لا تتمتع من الشام إلى مصر ، وانحصر على الإفرنج . فاتفق أن صاحب الكرك شرب ذات ليلة وسكر ، وأمر الخيالة أن تنزل تقطع الطريق على المسافرين من المسلمين ، فركبت الخيالة ومعهم الرجال ، ونزلوا ، فأخذوا خلقا كثيرا من التجار والتركمان والفقراء والمسافرين . فلما بلغ السلطان صلاح الدين ذلك عظم عليه ، وأندر الله - عز وجل - إن ظفروا الله تعالى بصاحب الكرك ذبحه بيده ، تقرباً إلى الله بدمه ، وأن يجعل حجارة قلعة على الأرض . ثم نفذ إلى سائر ملوك الإسلام ، يحثهم على النزاة ، فجاء الناس من كل فج عميق . وقدر زند الحرب ، وانتدب للطن والضرب . وخرج بنية صادقة ، وقلوب على النزاة موافقة . ثم إنه نزل على الكرك ، وأمر بقطع الأشجار ، وأقام عليها شهرين متتابعين ، ورتب عليها النقوب والزخوف ، ونصب المناجنيق . وعبرت الناس تحت النقوب ، وخاسفهم^(١) الفرنج ، وقتل في ذلك اليوم خلق كثير من الفتيين . وكان الملك المعظم عيسى بدمشق ، حسباً سقناه من أخباره ، فحضر بمساكر الشام . وكذلك قدمت الجيوش من عند صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود . وجاءت سائر ملوك الإسلام . ثم إن السلطان صلاح الدين جدد من الجيوش على طبرية مع أخيه نحر الدين توران شاه . ثم قدم بنفسه ، وفتحها الله تعالى على يديه ، بعد ذلك مع قلعة حطين ، التي مجاورة الطور .
- فلما بلغ ملوك الفرنج اجتماع كلمة ملوك الإسلام ، اتتحوا للدين الذي لهم ، وقالوا : « لا بد من الموت ، فموتنا في هذه الأرض المقدسة خير لنا من غيرها » . وتكاتبوا ، وأتتهم النجدة من كل أرض وجزيرة ، واجتمعوا مائة ألف واثني عشر ألف ،

(١) في المتن : « وخاسفهم الفرنج » .

- ما بين فارس وراجل، ورفعوا صليب الصليبوت بزعمهم؛ وهي قطعة خشب يدعون أنها من الخشبة التي صلب عليها المشبه^(١) بعيسى بن مريم، صلوات الله على عيسى وسلامه. ثم توجهوا بجمعهم إلى نحو السلطان صلاح الدين لينعمونه عن طبرية وأخذها. فلما بلغ السلطان صلاح الدين ذلك جد في سيره، وقصم خيله^(٢)، حتى سبقهم إليها بيوم واحد، ونزل عليها. ثم التقى^(٣) الجمعان على السطح بطبرية، وذلك يوم الجمعة الرابع والعشرين من جمادى الآخر. وحاز بينهم الليل، فباتوا على مصافهم في سلاحهم، متوجهين إلى الله عز وجل، مستهلين له بالدعاء والتضرع، يسألوه - جل وعز - أن ينصرهم على أعدائه. فلما كان عند الصباح التقى الفريقان بأرض لوبيه^(٤). ولم يزل السيف يعمل، والرجال تقتل، ونار الحرب تشتعل، إلى الليل. ولم يحجز بينهم إلا الليل. وقد حازت المسلمون^(٥) الماء بأرض الجزيرة إلى الصباح. وثار الحرب بينهم، وقد اشتد بالملاعين العطش، وقوى عليهم الحر، وأوقع الله في قلوبهم الرعب، فاشتد خوفهم. فلما كان وقت الظهر انهزمت منهم طائفة ثم تبعها أخرى. وركب المسلمون ظهورهم قتلا وأسرا، فلم ينج منهم إلا من تعلق بجبل أو أدرك حصنا من حصونهم. وهرب القمص^(٦) ونجا، واحتاط المسلمون ببقية ملوكهم، وهم صاحب السكرك المقدم ذكره، وأرناط صاحب القدس الشريف^(٧).

(١) يقول المسيحيون إن المسيح - عليه السلام - صلب على هذا الصليب الخشبي المعروف باسم صليب الصليبوت. على أن المؤلف تحفظ وقال إن المشبه بعيسى هو الذي صلب عليها حتى لا يتعارض قوله مع ما جاء في القرآن الكريم « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » (النساء ، ١٥٧) .

(٢) قصم المفاوز : طواها (القاموس المحيط) .

(٣) في المتن : « التقا » .

(٤) يفهم من المتن أن اللوبية اسم منطقة قرب طبرية. وقد ذكر ابن واصل « فركب العسكران وتصادما وذلك بأرض تسمى اللوبيا » (مفرج الكروب ، ج ٢ ص ١٨٩) .

(٥) في المتن : « المسلمون » .

(٦) يقصد بالقمص ريموند الثالث أمير طرابلس وقد لقب بالقمص أو القومص في المراجع العربية؛ انظر (ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٢٢) .

(٧) يلاحظ أن المؤلف خلط في هذه العبارة، إذ كان أرناط هو صاحب السكرك، في حين كان ملك بيت القدس هو جاي لوزجنان .

- وجفرى صاحب صقلية^(١) ، وأولى^(٢) صاحب جبيل ، وابن^(٣) صاحب اسكندرونه ،
 واجبل صاحب مرقية ، وفروخ صاحب بيروت . وهؤلاء الذين ذكرناهم كان كل
 واحد منهم عسكريه نظير عسكر السلطان صلاح الدين وأزيد ، وإنما نصره الله تعالى ٣
 عليهم ، لما علم صدق نيته في محبة جهاد أعدائه . وأسر من الديوية والاستبار
 والبنادقة والبارومية خلق عظيم . وقتل من الفرنج ما لا يحصى كثرة . وهذه الواقعة
 التي ذلت بها ملوك الفرنج لصلاح الدين . ٦
- قال ابن واصل وهو القاضي جمال الدين قاضي قضاة حماه في تاريخه ، المسمى
 « مفرج الكروب في أخبار ملوك بني أيوب » : إن هذه الواقعة كانت في سنة ثلاث
 وثمانين وخمس مائة ، بعد رجوع السلطان من بلاد الشرق . وأقول إنه الصحيح ؛ ٩
 فإن صاحب التاريخ - أعني أبو المظفر جمال الدين يوسف - الذي نقلت منه هذا التاريخ
 في أخبار بني أيوب ، كان إذا ذكر واقعة ، استمر على ذكرها هل يكون في سنها
 أو غير سنها . والقاضي جمال الدين بن واصل حرر تاريخ السنين ، فالرجوع إليه ١٢
 في وقائع السنين أولى من غيره . والمهدة في جميع ما ذكره على نسخ الأصل . ولعل
 ما آفة الأخبار إلا رواها .
- ثم ضرب الدهليز السلطاني الصلاحي ، وجلس السلطان صلاح الدين ، وأجلس ١٥
 بين يديه ملوك الفرنج على مراتبهم وأقدارهم ، وأجلس صاحب السكرك أسفلهم ، وكان
 أكبرهم قدرا . وسبب إهانته غدره ونكثه ، حسبا تقدم من ذكر ذلك . ثم قال له
 السلطان صلاح الدين : « كيف رأيت صنع الله تعالى وعاقبة الغدر والنكث ؟ » ١٨

(١) المقصود بجفرى هذا الكوند اسطبل أمالريك (Constable Amalric) ،
 وهو أخو الملك جاي لوز جنان ملك بيت المقدس .

(٢) هكذا جاء الاسم في المتن ، وذكره ابن واصل (مفرج الكروب ، ج ٢ ص ١٩٢)
 «أوك» والمقصود به هيو الثاني Hugh II صاحب جبيل .

(٣) في المتن : « وهند » ، والتصحيح من ابن واصل (ج ٢ ص ١٩٢) .

فأطرق إلى الأرض . ثم أمر به فكبل ، ووثب السلطان فنحره بيده بين الملوك لوفاء نذره ، فصلب^(١) الجميع بأيديهم على وجوههم . ثم إنه أنقذهم إلى دمشق في قيودهم ، فاعتقلهم بها . ٣

قال ابن واصل في تاريخه : سبب قتل البرنس صاحب الكرك وكيفيته أنه لما منَّ الله تعالى بالنصر على الإسلام ، أمر السلطان بالملوك ، فأجلسهم في الدهليز السلطاني ، وجلس السلطان في سرادقه ، وأمر بإحضار البرنس ، وأوقفه على غدره وقوله . وكان الملعون لما غدر بالقافلة التي أخذها ، قال لهم : « قولوا لمحمدكم يخلصكم » . فقال له السلطان : « ها أنا أنتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم » . ثم عرض عليه الإسلام ، فأبى ، فسلَّ السلطان النجاء وضربه فخل كتفه ، وتم عليه من حضر من المالك ، وسحب . فلما رآه الملك هنفري^(٢) ارتاع ، وظن أنه سيكون ثانيه ، فأحضره السلطان ، وطيب قلبه ، وقال : « إنما فعلت بهذا ما تراه لأنه تعدى طوره . وإنما الملوك لا تقتل الملوك » . ثم إن السلطان أمر بقتل سائر الداوية والاسبطار ، فقتلوا عن آخرهم . ١٢

ثم إنه رحل إلى عسقلان ، لما كان على المسلمين منها من الأذى ومنع الطرق بسببها ، فإذا أخذت أمنت الطرق ، وسافرت القوافل والتجار . وكانت هذه عسقلان أم تلك الديار ، ومعقل عظيم من معاقل الفرنج . واجتمعت الفرنج عليها ، وحاصروهم السلطان صلاح الدين ، فلم يلتفتوا إلى ذلك لحصانة المكان ، وكثرة رجاله ، والمراكب تأتيهم بما يمتارون ، فسير صلاح الدين أحضر ملوك الفرنج من دمشق ، ونفذ إلى من بعسقلان يقول : « متى لم تسلمونا الحصن قتلتم ملوككم » . فلم يسمعوا ذلك ، ولا رجعوا إليه ، وردوا أنحس جواب . فأتسكل على الله - عز وجل - وجدَّ في حصارهم ، ونصب المناجنيق . فلما تحقق^(٣) الملاعين أن لا بد له من الحصن وفتحه ،

(١) في المتن : « فصلبوا » .

(٢) صحتها « جاي » أو « كي » كما كتبه ابن واصل . أما هنفري ، فالمقصود به هنفري

الرابع صاحب تبنين ، وكان من جملة أسرى موقعة حطين .

(٣) في المتن : « تحققوا » .

أرسلوا يقولوا: « سلم إلينا ملوكنا ونحن نسلم الحصن إليك ». فاتفق الحال على ذلك ، وأن يسلموا إليه عسقلان وجميع حصونها ، وهي ^(١) : الزعقة ، والمريش ، والداروم ، وغزة ، والرملة ، والفطرون ، وبيت جبريل . فسلموا جميع ذلك بالأمان ، وأطلق ^٣ السلطان ملوكهم .

وقيل إن في هذه السنة كانت وقعة الريدكور صاحب صقلية المقدم ذكرها ، والله أعلم . ^٦

وفيها كسفت الشمس بعقدة الرأس ، واستُعرف منها النصف والثلث .
وفيها قبض على جماعة من كبار المصريين ، وهم : زين الدولة شبرام ، والأعز الموريس ^(٢) ، وضياء الدين بن كامل ، والقاضي عبد الصمد ، وعمارة اليمى الشاعر ، ^٩ ومصطفي الملك ، وقاضي القضاة ابن عبد القوى ^(٣) . وفيهم منجم نصراني قال لهم : « أنتم تملكون من صلاح الدين بعد تسعين يوما » . ونقل للسلطان ما اتفقوا عليه من مكاتبة الفرنج بالحضور ، وأن يعيدوها فاطمية . فشنعوا بأجمعهم في سوق الخيل . ^{١٢}
وفيها توفي نحر الدين داود صاحب حصن كيفا ، وولى ولده نور الدين محمود .

(١) في المتن : « وهم » .

(٢) كان الموريس قاضي القضاة (ابن واصل ، مفرج السكروب ، ج ١ ص ٢٤٧) .

(٣) ذكره ابن تغرى بردى « داعى الدعاة لإسماعيل بن عبد القوى » (النجوم الزاهرة ،

ج ٦ ص ٧٠) .

ذكر سنة تسع وستين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ستة أذرع وعشرون أصبعاً . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرة أصابع .

ما تلخص من الحوادث

٦ الخليفة المستضيء بنور الله أمير المؤمنين . والسلطان صلاح الدين بالديار المصرية . ويقال إن في هذه السنة مات نور الدين الشهيد ، وأخذ السلطان صلاح الدين الشام ، وملكها لأخيه الملك العظيم عيسى ، حسبما سقناه .

٩ وأن فيها كان القبض على الجماعة المذكورين وشنقهم . وفيها وصل أسطول صقلية إلى ثغر الإسكندرية ، وأقاموا عليه أربعة أيام ، وأقلعوا عنه مستهل المحرم سنة سبعمائة وخمسمائة .

١٢ وفيها ظهر رجل مغربي بضيمعة من أعمال دمشق - يقال لها مشغرى^(١) - ادعى النبوة - لعنه الله - وقلب رؤوس خلق من الناس ، وعصوا على أهل دمشق ، فأرسل إليهم العظيم عسكراً ، فلم يقدروا عليه - لوعارة بلدهم - وعادوا مجروحين .

١٥ وفيها خرج السلطان صلاح الدين ، وكسر عساكر الموصل على تل السلطان . وكان المواصل أحد وعشرين ألف مقاتل .

١٨ وفيها نزل الملك المظفر^(٢) تقي الدين [عمر] بن شاهنشاه على طرابلس ، والتقى مع البرنر صاحب طرابلس ، وكانت وقعة عظيمة ، قتل فيها من المسلمين شمس الدين ابن المقدم ، وسيف الدين غازي بن المشطوب ، وكانا من كبار الأمراء الناصرية .

(١) في المتن : « مشغرا » ، ومشغرى بالفتح ثم السكون ، قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع (ياقوت ، معجم البلدان) .
(٢) في المتن : « المنصور » .

- قال ابن واصل : إن توجه الملك المعظم شمس الدولة أخو السلطان صلاح الدين إلى اليمن وفتحها ، كان في هذه السنة ، أعنى سنة تسع وستين . وكان صاحب مدينة زبيد يسمى عبد النبي ، فاستأسره المعظم ، ومات في أسره . وكذلك صاحب عدن ، يسمى ٣ ياسر فأخذ أيضا ومات في الأسر . واستناب بمدن الأمير عز الدين عثمان ، وزبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ . وحصل المعظم على أموال عظيمة ، ودقائق جليلة أظهرها لهم صاحبها عبد النبي بن محمد . ٦
- وفيها توفي نور الدين - رحمه الله - يوم الأربعاء حادى عشر شوال من هذه السنة وهو الصحيح ، بمرض الخوانيق في مدة سبعة أيام . وكان عمره ثمان وخمسون سنة ، مولده سنة أحد عشر وخمسة ، حليته أسمر طويل ، في وجهه شعرات يسيرة ، ٩ سيرته لا يدرك لها غاية في الجودة .

ذكر سنة سبعين وخمسمائة

الدليل المبارك في هذه السنة

- ٣ الماء القديم ستة أذرع وأحد وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا ،
وسبعة عشر أصبعا .

ما لخص من الحوادث

- ٦ الخليفة المستضيء بنور الله أمير المؤمنين . والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام
بالديار المصرية والبلاد الشامية ، والحجاز ، واليمن ، وبعض أطراف المغرب . وأخوه
المعظم بدمشق . والصالح إسماعيل بن نور الدين الشهيد يومئذ صاحب حلب . والعالل
٩ سيف الدين أبو بكر ينوب عن أخيه السلطان بالديار المصرية ، إذا غاب السلطان
في أسفاره .

- وفيها نافق السكندر بالصعيد ، وقتل بعض أمراء السلطان ، فتوجه الملك العادل
١٢ نحوه إلى أسوان ، وصحبته الأمير عز الدين موسك ، والأمير حسام الدين أبو الهيجاء
المعروف بالسمين مع جماعة من الأمراء ، فلحقوه وقتلوه مع جماعة من أتباعه السودان .
وفيها خرج السلطان إلى الشام ، ونزل على حلب ، وحاصرها ، ورحل عنها ،
١٥ ولم يتسلمها .

ووصل إلى السلطان الخالع من الإمام المستضيء بنور الله ، وتقليد عظيم^(١) بمصر
والشام .

- ١٨ وفيها كان جراد عظيم ، وغلاء ووباء ، وهلك فيه عالم عظيم في الشرق وأعماله .
وفيها ادعى رجل النبوة ، فطلبه السلطان ، فهرب منه .

- وفي هذه السنة - أعني سنة سبعين وخمسمائة - كانت الوقعة بين السلطان
٢١ صلاح الدين وبين عسكر الموصل والحلبين ، وكسرهم كسرة شنيعة . وفيها ملك حماة

(١) في المتن : « وتقليدا عظيما » .

وولاهما خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمى . وكذلك ملك حمص ، وملكها
 لابن عمه الملك القاهر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه . وكانت قبل ذلك
 إقطاعا لأبيه شيركوه من أيام نورالدين رحمه الله ، فملكها ناصر الدين [محمد] ثم ذريته ٣
 من بعده ، حسب ما تذكر منهم .

ذكر سنة إحدى وسبعين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ستة أذرع وستة عشر أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وعشرة أصابع .

ما لخص من الحوادث

٦ الخليفة المستضى بنور الله أمير المؤمنين ، والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام بالديار المصرية ، وما معها .

٩ وفيها وقعت الهدنة بينه وبين الفرنج - خذلهم الله تعالى - مدة ؛ وكانوا قبل ذلك قد وصلوا إلى داريا^(١) بظاهر دمشق ، وأحرقوا الجامع ، ورحلوا من يومهم . ثم وقعت الهدنة بعد ذلك .

١٢ وفيها كسر السلطان صلاح الدين سيف الدين غازي بن مودود - صاحب الموصل - كسرة ثانية ، ونهب عسكره .

وفيها خرج صاحب خراسان الملقب بالثؤيد يريد خوارزم ليحاصرها ، فظفر به وقتل ، وطيف برأسه على رمح في سائر تلك الأقاليم .

١٥ وفيها فتح السلطان صلاح الدين حصن أعزاز ، وحصن بزاغة .

وفيها قفزت عليه وهو راكب الفداوية ، وجرحوه ، وسلم . فلما عوفي عاود النزول على حلب ، فإنه بلغه أن صاحبها [هو] الذي أرسل إليه الفداوية .

١٨ وفيها فتح صيدا .

(١) داريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة (ياقوت ، معجم البلدان) .

ذكر سنة اثنتين وسبعين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

- الماء القديم ستة أذرع وإحدى وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا ٣ وإحدى وعشرون أصبعا .

ملخص من الحوادث

- ٦ الخليفة المستضىء بنور الله أمير المؤمنين .
والسلطان صلاح الدين على حلب يحاصر صاحبها . ووقع في هذه السنة الصلح مع صاحبها الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين الشهيد ، وكذلك مع جماعة ملوك الموصل وديار بكر . وكان الصلح عاما .
٩ وعاد السلطان إلى ديار مصر ، ودخل القاهرة يوم السبت السادس والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة . ثم خرج إلى ثغر الإسكندرية .
١٢ وفيها توفي أتابك ساطان . وتوفي السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد ابن ملكشاه^(١) .

- وفيها نزل الفرنج على حارم وحاصروها ، وأقاموا عليها أربعة أشهر . فلما بلغ السلطان صلاح الدين ، خرج إليهم ، فاعترضه نهر الصافية ، فزدهمت عليه العساكر والجمال والأتقال ، فلم يشعروا إلا وقد دارت بهمم الفرنج بالخليل والرجل . وكان الجيش متفرقا^(٢) فلم يلو^(٣) أحد على أحد ، وقتل من المسلمين خلق كثير ، وأسر خلق ، وتفرقوا في الضياع . وكان مُقدّم الفرنج البرنز أرناط [صاحب السكرك]^(٤) ، ١٨

(١) في المتن : « توفي السلطان تغريل بن مسعود » ، والتصحيح المثبت من النجوم الزاهرة لأبي المحاسن (ج ٦ ص ٧٤) . وقد ذكر وفاته سنة ٥٧٠ هـ ؛ انظر أيضا الكامل لابن الأثير - حوادث سنة ٥٧٣ هـ .

(٢) في المتن : « متفرق » .

(٣) في المتن : « يلوى » .

(٤) مابين حاصرتين من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٥٩) .

- وكان قبل ذلك أسيرا عند المسلمين في حلب ، فأطلقه الحلبيون^(١) غيظا منهم على صلاح الدين. [ولم] ينكسر المسلمون قط كسرة أنحس من هذه الكسرة . وانهمزم السلطان صلاح الدين على طريق البرية إلى مصر في نفر قليل . ٣
- قال ابن واصل^(٢) : في هذه السنة كان قدوم الملك المعظم شمس الدولة نجر الدين توران شاه من اليمن . واجتمع بالسلطان صلاح الدين على حماه وهو عائد إلى دمشق من حصار حلب . وأنه ملكه دمشق في هذه السنة ، أعنى سنة اثنتين وسبعين وخمسة . وعاد السلطان إلى مصر . ٦

(١) في المتن : « فأطلقوه الحلبيين » .

(٢) انظر مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٤٨ - ٤٩ .

ذكر سنة ثلاث وسبعين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأحد ٣ عشر أصبعا .

ما لخص من الحوادث

الخليفة المستضيء بنور الله أمير المؤمنين . والسلطان صلاح الدين بمصر وقد خيم ٦ بفاقوس ، ثم عاد من الخيم إلى القاهرة ، ثم خرج طالبا للغزاة . وفيها كانت نوبة الرملة ، وكسر السلطان ، ورجع مكسورا . وفُقد من المعسكر خلق كثير ، وقُتل [شهاب الدين أحمد]^(١) ولد الملك المظفر تقي الدين ، وفقد^(٢) الفقيه عيسى وأخوه الظهير .

ثم خرج السلطان بعد مدة شهرين إلى الشام . وترك العادل سيف الدين أبو بكر نائبا عنه بمصر . ١٢

وفيها هبت ريح سوداء شديدة ببلاد القفجق^(٣) ، ووصلت إلى بلاد تفلّيس ، ثم إلى همدان وأصبهان وأكثر بلاد كرمان ، فأخربت البيوت ، وقتلت البقر والغنم والخيول . وروى رجل في دهستان^(٤) زعم أنه كان بارحة ذلك اليوم في بلاد الخزر ، ومعه خيل يربعاها ، فهبت الريح واحتملته ، ورمت به في دهستان ، ولا يعلم أمره . ومن المسافرين خمسة عشر يوما . ذكر ذلك صاحب تاريخ بغداد .

(١) ما بين حاصرتين تكملة من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٦٠) .

(٢) في المتن : « وابني » والتصحيح من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٦١) .

(٣) بلاد القفجاق : شمالى البحر الأسود .

(٤) دهستان : مدينة بكرمان (ياقوت ، معجم البلدان) .

ذكر سنة أربع وسبعين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

- ٣ الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر أصبعا . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وتسعة عشر أصابع .

ماخلص من الحوادث

- ٦ الخليفة المستضيء بنور الله أمير المؤمنين . والسلطان صلاح الدين بمصر . وقيل في هذه السنة كانت نوبة الرملة المقدم ذكرها^(١) .
٩ وفيها كان قران زحل والمريخ في السرطان ، وكانت فتن عظيمة بالشرق بين الملوك .

- وفيها فتح قصر يعقوب^(٢) بالسيف عنوة .
وفيها انكسرت الفرنج كسرة عظيمة ، وأخذت أبطالهم أسرى^(٣) . وقيل بل في سنة خمس وسبعين وخمسمائة كانت كسرة الفرنج .
١٢ وفيها توفي [سيف الدين] غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل^(٤) . وكانت مدته في ملك الموصل ثلاث عشرة سنة .

(١) ذكر ابن واصل أن وقعة الرملة المشار إليها كانت سنة ٥٧٣ هـ (مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٥٨) .

(٢) يقصد الحصن الذي كان الصليبيون قد أقاموه عند بيت يعقوب عليه السلام . يمكن يعرف بخضاعة الأحزان (ابن الأثير ، الكامل - حوادث سنة ٥٧٥ هـ) . وقد سمي هذا الحصن في نهاية القرن الثالث عشر الميلاد « حصن جسر بنات يعقوب » ؛ وكان يتمتع بأهمية كبيرة لوقوعه على الطريق بين طبرية وصفد من ناحية ودمشق من ناحية أخرى ، انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٥٩ .

(٣) تعرف هذه الوقعة بوقعة المنفرى ، حيث أنه أصيب فيها همفرى الثاني صاحب بانياس ، ولم يلبث أن مات متأثرا بإصابته (ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٧٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل - حوادث سنة ٥٧٤ هـ) .

(٤) ذكر ابن الأثير (الكامل - حوادث سنة ٥٧٦ هـ) أن وفاة سيف الدين غازي كانت سنة ٥٧٦ هـ .

وفيها بُني باب البحر الذي بالقدس^(١) والسور المحاذي له .

(١) يشير المؤلف هنا إلى السور الذي بناه صلاح الدين حول مصر والقاهرة (ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٥٢ وما بعدها) .

ذكر سنة خمس وسبعين وخمسة

الفيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم خمسة أذرع وستة أصابع . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وسبعة أصابع .

مانخلص من الحوادث

٦ الخليفة المستضيء بنور الله أمير المؤمنين ، إلى أن توفي في هذه السنة ، مستهل شهر ذى القعدة . وزيره عضد الدين^(١) أبو الفرج . مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر . صفته أسمر بحمرة ، تام القامة .

٩ ذكر خلافة الإمام الناصر لدين الله

ابن المستضيء بنور الله ، وخبره

١٢ هو أبو العباس بن أحمد الناصر لدين الله بن أبي محمد الحسن المستضيء بنور الله^(٢) ، وباقى نسبه قد تقدم . أمه أم ولد تدعى رجبس . بوسع له يوم وفاة أبيه ، رحمه الله . ولم يزل نافذ الأمر في خلافته ، مُطاعا في جميع أقطار الأرض بالممالك الإسلامية .

١٥ وفي أيامه كان بدء خروج التتار على بلاد العجم . وجرى لهم مع السلجوقية ملوك العجم حروب ووقائع ، وأهوال وعجائب ، يشيب لهولها الأطفال . وسأذكر أول بدء شأن هؤلاء القوم وأصولهم الأصلية ، وبلادهم الأولية . وأذكر أول أب لهم ، المتولدين عنه ، المسمى بقرا جكون برجكي باللسان الفلّ ، معناه بالعربي « فرخ السبع الأسود » . وهو جد جد ، جكز كان ترجى ، ولعله لم يذكر في تاريخ غيره .

(١) في المتن: « عضد الدولة » ، والتصحيح من السكامل في التاريخ لابن الأثير (حوادث سنة ٥٧٥ هـ) ، انظر أيضا زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ١٠ .
(٢) ذكره ابن الأثير « المستضيء » بأمر الله « (السكامل ، حوادث سنة ٥٧٥ هـ) ، وكذلك زامباور : المرجع السابق ، ص ٤ .

وسأذكر الكتاب الذى نسخته منه وسبب تحصيله . وجميع ذلك أذكره عند أخذهم لبغداد ، واستيلائهم على البلاد ، ليسكون الكلام سياقه يتلو بعضه بعضا ، إن شاء الله تعالى .

٣

وكانت مدة خلافة الإمام الناصر سبع وأربعون سنة وأشهر . وهو الذى امتدحه كمال الدين بن النبیه بقصيدته ، التى هى أول ديوانه ، وأولها :

٦

بغداد مكنتنا وأحمد أحمد حجوا إلى تلك المناسك واسجدوا

وهذا من التنالى الذى يخرج إلى الكفر . وكمال الدين - عفا الله عنه - من الشعراء المجدين ، لو سلم فى شعره من التجاسر الذى لا يليق أن يذكر ، كقوله أيضا فى قصيدته التى أولها :

٩

قت ليل الصدود إلا قليلا ثم رتل ذكركم ترتيبا

فهذا فيه إقدام على القرآن العظيم ، ولا يجوز البتة ، لما فيه من المعارضة .

وابن النبیه المذكور مادم الملك الأشرف موسى ، وله فيه نخب القصائد ، فلو سلم مما ذكرناه لذكرناه . وديوانه أشهر من أن يذكر .

وفى هذه السنة أنعم السلطان صلاح الدين بعمليك على ابن أخيه عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب ، ولقب الملك المنصور . ولم يزل مالمسكها إلى أن توفى فى حياة السلطان صلاح الدين ، فصارت لولده الملك الأجد مجد الدين بهرام شاه . فلم يزل مالمسكها حتى أخذها منه الملك الأشرف [مظفر الدين] موسى بن العادل الكبير سنة سبع وعشرين وستمائة^(١) . وفيها توجه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بمرسوم السلطان من دمشق إلى الديار المصرية ، وأنعم عليه السلطان بإسكندرية ، فأقام بمصر إلى أن توفى فى تاريخ ما ذكره إن شاء الله تعالى .

١٥

١٨

(١) انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٨٦ .

ذكر سنة ست وسبعين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ثلاثة أذرع وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وستة عشر أصبعا .

ماخلص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، مدبر الأمور بنفسه ، والأمور راجعة إلى حكمه ، ليس عليه حجير من ملك من الملوك ، ولا وزير من الوزراء .
٩ وبنو سلجوق يومئذ ملوك الشرق بكماله ، وملكهم قد اتصل بالهند والصين وصحراء القفجاق ، كما يأتي ذكرهم في مكانه ، مع ما تقدم من ذكر بدء شأنهم في الجزء الذي قبله .

والسلطان صلاح الدين ملك الديار المصرية ، والحجازية ، واليمنية ، والشامية ، وبلاد برقة . وبنو عبس المؤمن ملوك المغرب بكماله . وجزيرة الأندلس متفرقة الأجزاء والممالك ، مع عدة ملوك ، من حين انقطعت دولة الأمويين ، حسبما ذكرناه في الجزء المختص بذكر بني أمية ، وهو الجزء الثالث من هذا التاريخ .

١٥ وفيها خرج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية بنية الفزاة ، وخلف أخاه الملك العادل نائبا عنه بالديار المصرية ، وتوجه إلى ديار بكر وبلاد الأرمين ، وفتح حصن المناكير^(١) من بلادهم .

١٨ وفيها توفي الملك المعظم [شمس الدين توران شاه] أخو السلطان بثمر الإسكندرية ، رحمه الله تعالى .

٢١ وفيها وصلت رسل الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين من بغداد ، وهما الإمام صدر الدين بن شميخ الشيوخ أبو القاسم عبد الرحيم ، والأمير شهاب الدين

(١) في المتن : « المانوين » ، وفي ابن واصل « المايغير » ، والصيغة المثبتة من كتاب الروضتين (ج ٢ ص ١٦) : انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٩٩ .

- ابن بشير الخادم الناصري ، بالخلع والتقليد بمصر والشام ، وما معها ؛ وذلك في شعبان من هذه السنة .
- ٣ وفيها عاد السلطان صلاح الدين إلى الديار المصرية ، وسلم الشام لابن أخيه الملك المنصور عز الدين^(١) فرخشاه .
- وفيها نافقت عرب سليم بالبحيرة ، نخرج إليهم الأمير أبو الهيجاء ، فكسروهم .
- ٦ وكان^(٢) العرب في ستين ألفاً ، وأبو الهيجاء في ألفي فارس . وغنموا أموالهم وجمالهم ، حتى أبيع كل خمس جمال بدينار ، وكل خمسين رأس غنم بدينار .
- وفيها بنيت قلعة الجبل بالقاهرة المعزية .
- ٩ وفيها توفي الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين الشهيد^(٣) .
- وفيها ولدت امرأة بمصر غراباً ، وأحضر بين يدي السلطان صلاح الدين بحضرة القضاة . وكان من عجائب الدنيا ، والله أعلم .
- ١٢ قال ابن واصل : في هذه السنة كانت وفاة سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي . واستولى على ملك الموصل أخوه عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آقسنقر . وكانت وفاة غازي ثالث صفر من سنة ست وسبعين وخمسمائة^(٤) .

(١) في المتن : « معز الدين » .

(٢) في المتن : « وكانوا » .

(٣) جاء في هامش المخطوطة أمام هذه العبارة مانصه : « وأوصى [الملك الصالح إسماعيل] بملك حلب لابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل خوفاً من صلاح الدين أن يملكها ، وتخرج عن البيت الأتابكي . فخصر [مسعود] وتسلمها في سنة سبع وسبعين وخمسمائة » .

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٩٢ .

ذكر سنة سبع وسبعين وخمسمائة

الفيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم خمسة أذرع وعشرة أصابع . مبلغ الزيادة ثمانية عشرة ذراعا وخمسة أصابع .

ماخلص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين .

والسلطان صلاح الدين قد توجه إلى ثغر^(١) الإسكندرية .

وفيها بلغ السلطان عن نواب الملك المعظم باليمن ، وها ابن الزنجبيلي^(٢) وإلى عدن ، وحنطان^(٣) بن منقذ وإلى زبيد ، أن وقع بينهما اختلاف كبير ، أحدث إلى حرب ، نفشى أن يفسد الأمر بينهما ، فتخرج المملكة . فسير نائبا عنه إلى اليمن ، وهو الأمير صارم الدين خطيبا^(٤) ، وكان وإلى مصر . ثم توجه سيف الإسلام ظهير الدين طفتكين بن أيوب إلى بلاد اليمن ، بعد سير الصارم وإلى مصر لقطع الفتن التي حدثت باليمن . وكان توجهه في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . ووصل إلى زبيد وملكها ، وقبض على حطان ، وأخذ منه أموالا عظيمة . وقال ابن واصل : إن من جملة ما أخذ له سبعين غلافا^(٥) من غلاف الزرد مملوءة ذهباً ، وقوم المأخوذ منه بألف ألف دينار عين مصرية .

(١) في المتن : « الثغر الإسكندرية » .

(٢) في المتن : « ابن الريحاني » ، وفي مفرج الكروب لابن واصل : « ابن الزنجبيلي » . وفي السكامل لابن الأثير (حوادث سنة ٥٦٩ هـ) ورد الاسم « عز الدين عثمان بن الزنجبيلي » . (٣) في المتن : « حطام » والصيغة المثبتة من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ١٠٤ - ١٠٥) .

(٤) صارم الدين خطيبا - كذا في المتن ، وكذلك في كتاب الروضتين (ج ٢ ص ٢٦) ، وفي كتاب تاريخ ثغر عدن لباعخرمه (ج ٢ ص ٣٨) . أما في مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ١٠٤) ، وفي السكامل في التاريخ لابن الأثير (حوادث سنة ٥٧٧ هـ) فقد جاء الاسم « قتلغ أبه » .

(٥) في المتن : « غلاف » .

وفيهما تسلم عز الدين مسعود بن مودود قلعة حلب ، بوصية من [الملك الصالح إسماعيل] بن نور الدين له .

- ٣ وفيها خرج الملك محمد التورى إلى الهند ، وعدة عسكره ثلاثمائة ألف وتسعون ألف سوى الرجال ، وكان في صحبته أربعائة فيل ، ففتح الهند من السكفر .
- قال ابن واصل^(١) : لما خرج السلطان إلى الشام ، وبرز من القاهرة ، وخرجت الناس إلى وداعه ، بينما هو في سرادقه ، والعلماء والفضلاء بين يديه ، وكل منهم ينفش بيتاً أو بيتين في الوداع ، إذ أخرج أحد مؤدبى أولاده رأسه ، وأنشد مظهراً بذلك فضيلته لهذا البيت :
- ٩ تمتع من شميم عرار نجدٍ فما بعد المشية من عرار
- قال : فحمد نشاط السلطان ، واتقبض انبساطه ، وجعل الجماعة ينظرون بعضهم إلى بعض متعجبين ، من سوء أدب المؤدب . وكأنه والله نطق بما هو كائن في النيب ،
- ١٢ فإن السلطان فارق الديار المصرية هذه النبوة ، واشتغل بما سنذكره من الفتوحات والغزوات ، وتمادى الحال إلى أن قضيت منيته بدمشق ، ولم يعد بعدها إلى الديار المصرية . فكان الفال موكل بالمنطق . ثم سار السلطان متوجهاً إلى الشام خمس ماضين من المحرم سنة ثمان وسبعين وخمسمائة .
- ١٥ وفيها طلع الفرنج إلى أيلة ، وعمرؤا مراكب وشوانى ، وركبوا بحر القلزم ، وقطعوا البحر ، ونزلوا على عيذاب ، وأخذوا عدة مراكب الكارم ، وهى موسوقة بهاراً وبضائع ، وقتلوا من أهل عيذاب جماعة كثيرة ، فإنهم لم يتحققوا أنهم فرنج ، لأنهم لم يعمدوا هذا قط ، ولا دخلت إليهم فرنج من طول الأعمار ، سوى هذه النبوة . والفرنج الذين فعلوا هذه الفعلة من أصحاب البرنز [أرناط] صاحب الكرك .
- ٢١ فلما بلغ السلطان ذلك أحضر أسطول المراكب من السويس ، وعمر بها مراكب حربية في أسرع وقت وأقربه ، وشحنها بالرجال والعدد ، وجعل المقدم عليهم

٣ حسام الدين فولتو . ثم رموا المراكب البحر من السويس ، وقصدوا الملاعين الفرنج ، فصادفهم في أرض الحوراء^(١) ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، واحتاطت بهم المسلمون ، وأخذوهم ، وعادوا بأموالهم إلى عيذاب ، ودخلوا بهم قوص ، ثم إلى مصر . وكان دخولهم يوما عظيما .

٦ وفيها ظهر بالتربية من عمل المحلة بالديار المصرية ، بقرية تسمى الكنيسة ، عين ماء . وذكر بعض النصارى أنه رأى في المنام أن هذه العين تبرى من سائر الملل ، فقصدوها^(٢) الناس من جميع الأقطار ، وأقاموا عليها أياما ، ولم يظهر لهم من ذلك أثر .

٩ وفيها سير السلطان صلاح الدين إلى اليمن سيف الإسلام طفتكين ، وأن يكون نائبا بها ، فاستقر بها حتى توفي ، رحمه الله تعالى ، فيما يأتي من خبره ، إن شاء الله تعالى .

(١) الحوراء : موضع على ساحل الحجاز قرب ينبع في مقابلة المدينة المنورة ؛ انظر سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٨٧ .
(٢) في المتن : « فقصدوها » .

ذكر سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ستة أذرع وأحد وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة مبعة عشر ٣ ذراعا وأصبعا .

ما نلخص من الحوادث

الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، قائم الأمر ، مستمر السلطان ، ٦ نافذ الحكم في أقطار الأرض .

والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام بالديار المصرية وما معها .

وفيها غزا السلطان طبرية، وبيسان، ثم توجه إلى الفرات، واجتمع بمظفر الدين. ٩ ودخل مظفر الدين تحت الطاعة . وكذلك وصل إليه رسول صاحب حصن كيفا - وهو نور الدين محمود بن قرا أرسلان - يسأل أن يكون تحت الطاعة ، ويصير من الحاشية . ١٢

وفيها توجه السلطان صلاح الدين إلى الرها وحران والرقّة والخابور ونصيبين ، وملكهم . وتوجه إلى الموصل وحاصرها ، ولم يزل عليها حتى وصل إليه رسل الخليفة شافعين إليه بالإعفاء عنهم ، فرحل عنهم . ثم توجه إلى سنجار وملكها . ١٥ وفيها ملك سيف الإسلام [ظهير الدين طغتكين] اليمن ، وقتل حطان^(١) ابن مفقذ وأخذ جميع ماله ، فكان من جملة ما وجد في سلاح خاناته أربعمائة زردية ذهب عين أبريز . وهرب ابن الزنجبيلي^(٢) بجميع ماله ، ولحق بالسلطان ١٨ صلاح الدين .

(١) في المتن : « حطام بن مفقذ » والصيغة الثبوتية من ابن واصل (مفرج الكروب ،

ج ٢ ص ١٠٤) .

(٢) في المتن : « ابن الریحاني » . انظر ما سبق ص ٧٠ حاشية ٢ .

وفيهما عدى^(١) أبو يعقوب بن عبد المؤمن ملك المغرب إلى جزيرة الأندلس ،
 فنزل على شنترين^(٢) يحاصرها ، وكان عدة عسكره مائتي ألف وستين ألف ، فخامر
 عليه وزيره ابن المالحى ، فرحل عنها ، ولم يبلغ أربابها منها . ٣

(١) فى المتن : « عدا » .

(٢) فى المتن : « مشويه بها » والصيغة المثبتة من الكامل فى التاريخ لابن الأثير (حوادث
 سنة ٥٨٠ هـ) ، وشنترين مدينة متصلة بالأعمال بأعمال باجه فى غرب الأندلس ؛ انظر (ياقوت ،
 معجم البلدان ؛ أبو الفدا ، تقويم البلدان) .

ذكر سنة تسع وسبعين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ستة أذرع ، وأحد وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا ٣
وأحد وعشرون أصبعا .

ما لخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين مستمر الملك ، نافذ الأحكام .
والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام بالديار المصرية وما معها ، وهو
بلاد الشرق .
- ٩ فيها فتح [السلطان صلاح الدين] آمد وملوكها لنور الدين محمد بن قرا أرسلان
صاحب حصن كيفا .
- ثم عاود [صلاح الدين] النزول على حلب ، وفتحها ، وملكها في صفر . وكان
القاضي محيي الدين بن زكي الدين قاضي القضاة بدمشق ، فكتب إلى السلطان ١٢
صلاح الدين يهنئه بالفتح ، بقصيدة من جملتها يقول :
- وفتحكم حلباً بالسيف في صفرٍ مبشر بفتوح القدس في رجب
فكان الأمر كذلك . ومدح السلطان صلاح الدين القاضي السعيد بن سناء الملك ، ١٥
بقصيدة يقول في أولها :

- | | | |
|----|--|---|
| ١٨ | وبابن أيوب ذلت شيعَةُ الصُلبِ
من أرض مصر وعادت مصرُ من حَلَبِ
بالصفح والصلح أو بالحرب والحرب
إلى العزائم مدلولٌ على التلب | بدولة الترك عزَّت مِلَّةُ العرب
وفي زمان ابن أيوب غدت حلب
ولابن أيوب دانت كل مملكةٍ
مُظَفَّرُ النصر مبعوث بهيمته |
| ٢١ | والأرضُ بالخلق والأفلاكُ بالشَّهْبِ
مُبَيَّضَةُ النصرِ مُصْفَرَّةُ العذب | والدهرُ بالقدر المحتوم يخدمُه
وتجتلي الخلقُ من رايانه همماً |

ومنها :

- ٣ بك العواصم طابت بعد ما خبثت بمالكها ولولا أنت لم تطب
فليت كل صباح در شارقة فذا ليل^(١) فتي الفتيان في حلب
ولما فتح السلطان حلب طلبها منه أخوه^(٢) الملك العادل، فأحضره من ديار مصر،
وسلمها له ، فلم تزل في يده إلى سنة ثمانين ، نخرج عنها وسلمها للملك الظاهر ،
٦ حسبا نذكر .
- ٩ وملك السلطان في هذه السنة حارم ، وعاد إلى دمشق مؤيداً بالنصر ، وقد عاد
ملك مصر . واستدعى الملك العادل سيف الدين أبو بكر من الديار المصرية ، وملكه
حلب . ونفذ الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخيه إلى مصر نائباً بها عنه .
- ١٢ وفيها ظهر بقرية من قرى ديار مصر تعرف ببوصير الصدر^(٣) بيت هرمس
الثاني^(٤) ، ووجدوا فيه أشياء كثيرة ، من جملتها كباش وضفادع معادن مصنوعة ،
وقوارير دهنج ، وفلوس نحاس فيها فضة ، وأصنام من نحاس ، وموتى عدة خمسة
آلاف نفر - رجال ونساء - وأكفانهم سالمة لم تبلى . وسقى الساقى^(٥) على الباقي
فلم يصلوا^(٦) إليه .
- ١٥ وفيها عزم السلطان على فتح القدس الشريف ، فإنه لم يبق بالوجه القبلى^(٧) من
البلاد بأيدي الفرنج غيره وعكا وصيدا ، وقليل من بلاد الساحل ، فاهتم لفتحهم
غاية الاهتمام ، كما يأتى من شرح ذلك .

(١) في المتن : « فذالك » والتصحيح من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ١٤٦) .

(٢) في المتن : « أخاه » .

(٣) بوصير الصدر أو أبو صير الصدر من القرى القديمة من أعمال الجيزة . ويبدو أن هذه
الناحية كان بها كثير من شجر الصدر - وهو النبق - فاشتهرت به . (محمد رمزي ، القاموس
الجغرافى ، ج ٣ ق ٢ ص ٣) .

(٤) يعنى أحد فراعنة مصر .

(٥) سفت الريح التراب أذرتة فهو سقى (القاموس المحيط) .

(٦) في المتن : « فلم يصلوا إليه » .

(٧) يعنى الشطر الجنوبي من بلاد الشام .

وفيهما توفي تاج الملوك بوري بن أيوب ، أخى السلطان صلاح الدين . وكان جرح على حلب فتوفي منه فى ثالث وعشرين صفر من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .
 وكان عمره اثنتين وعشرين سنة . وكان فاضلا ، أدبيا ، شاعرا ، وله ديوان شعر ،
 فمن ذلك فى ذكر الصوم على سبيل المداعبة ، يقول :

رمضان بل رمضان ، إلا أنهم أخطوا إذا فى قولهم وأساءوا
 رمضان فيه تخالفا ، فتهاره سلّ ، ولسكن ليله استسقاء^(١)

٦

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ١٤٤ ؛ والنجوم الزاهرة لأبى المحاسن ،

ج ٦ ص ٩٦ .

ذكر سنة ثمانين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم سبعة أذرع وثلاثة عشر أصبعا . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا
وثلاثة عشر أصبعا .

ما تلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، نافذ الأحكام ، مطاع الأوامر .
والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام بالديار المصرية وما معها .
وفيها غزا السلطان السكرك من دمشق . وخرج إلى خدمته الملك المظفر تقي الدين
بالمسافر المصرية . وعاد إلى دمشق ، ثم رجع المظفر إلى مصر بجيشه .
- ٩ وفيها فتح سيف الإسلام أكثر معاقل اليمن ، وقوى بها سلطانه .
وفيها وقع خلاف بين الأتراك والأكراد ، وقتل بينهم خلق كثير .
- ١٣ وفيها عدى ^(١) السلطان صلاح الدين الفرات ، ونزل الموصل وحاصرها ، ووقع
الصلح بينه وبين عز الدين صاحبها .
- وفيها توفي شاه أرمن صاحب أخلاط ، ولم يخلف غير بنت واحدة ، فقام بمملكة
أخلاط مملوكه سيف الدين بكتمر .
- ١٥ وتوفي قطب الدين صاحب ماردین ، وكذلك توفي نور الدين بن نحر الدين
صاحب آمد ، رحمهم الله أجمعين .
- ١٨ وفيها كان الخلاف من أهل ديار بكر والجزيرة . وكذلك كان الخلاف بين كثير
من ملوك الدنيا في هذه السنة من سائر الأجناس ، وقتل خلائق لا تحصى .
وفيها فتح السلطان صلاح الدين ميفارقين ، وقتل عليها خلق كثير .

(١) في المتن : « عدا » .

وفيهما حكم^(١) المنجمون بأن يأتي هواء عظيم ، ويهلك منه عالم عظيم ، إلا من دخل المنائر ، حتى أن قليج أرسلان صنع منائر وسروب تحت الأرض ، وسقفها بالأخشاب ، وجعل فيها ما يحتاج إليه . وخرج هو وعياله وأهله وباتوا تلك الليلة التي^٣ زعم^(٢) المنجمون أن يكون فيها ذلك الريح ، فلم يجر شيء من ذلك .

وفيهما تسلم السلطان صلاح الدين شهرزور .

- ٦ وفيها خرج الملك العادل سيف الدين أبو بكر عن حلب ، وتسلمها الملك الظاهر ابن أخيه ، وتوجه العادل إلى مصر . وفيها فتح السلطان صلاح الدين صفد في مدة أحد عشر يوما ، ودكها دكا إلى الأرض ، وامتدح بهذه القصيدة التي منها يقول^(٣) :
- ٩ يجذك أعطاف القنصا تتمطف وطرف الأعادي دون مجذك تطرف
شهاب غدا في ظلة الشرك ثاقب وسيف إذا ماهزه الله مرهف^(٤)
- وقفت على حصن المخاض وإنه لموقف صدق لا يوازيه موقف
- ١٢ وما أشرقت أعلامك الصفر سحرة إلى أن عادت أعلامها السود تكسف
ولا ضربت كوسات نصرك ساعة إلى أن غدت أكباد أعدائك ترجف
- كبا من أعاليها صليب وبيعة وساد بها دين حنيف ومصحف
- ١٥ نصحتكم يا أمة الكفر فاسموا نصيحة من قد جاء بالله يخاف
لقد قلت أنا مالكم لا مسمتموا دعوا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

(١) في المتن : « حكموا » .

(٢) في المتن : « التي زعمون » .

(٣) من الواضح أن هذا خلط في ذكر الأحداث ، ذلك أن صلاح الدين لم يفتح صفد إلا في شوال سنة ٥٨٤ هـ (ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٢٧٢ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ١٤٨) . أما أبيات الشعر المذكورة هنا فهي من قصيدة للشاعر بهاء الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن رستم الساعاتي الخراساني ، هنا فيها السلطان صلاح الدين باستيلائه على حصن بيت الأحزان عند جسر بنات يعقوب وتخريبه سنة ٥٧٥ هـ (ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٨٣-٨٤) .

(٤) في مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٨٤) جاء هذا البيت على النحو التالي :

شهاب هدى في ظلة الشرك ثاقب وسيف هدى في طاعة الله مرهف

ذكر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم سبعة أذرع وتسعة عشر أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا فقط .

ما لخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، بحاله . والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام بالديار المصرية وما معها .

٩ وفيها توجه إلى الموصل ووصل إليه معين الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة ، ودخل تحت الطاعة . ثم توجه إلى ديار بكر ، وتمسكن من ذلك الجانب ، ثم عاد إلى الموصل . وحصل الصلح بينه وبين الموصلة ، وخطبوا له بالموصل . وفيها مرض السلطان مرضة خطيرة ، وعوفي ولله الحمد . وفيها وصل إليه رسل الخلافة بالخلع العظيمة ، وتوقيع بإضافة ماردن مع حصن كيفا إليه . وأزيد في التوقيع ألقابا تليق بمثل سلطانه .

وفيها توفي الملك القاهر ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص ، ليلة عيد الأضحى من سنة إحدى وثمانين وخمسمائة . وقام بمملكة حمص الملك المجاهد أسد الدين شيركوه ولد ناصر الدين محمد المتوفى ، وذلك بإنعام السلطان صلاح الدين عليه بذلك . وعمره يومئذ اثني عشر سنة . فلم يزل مالهكا حمص وأعمالها إلى أن مات في سنة سبع وثلاثين وستائة . وكانت مدة ملكه نحواً من ست وخمسين سنة . وملك بعده ولده الملك المنصور إبراهيم ، وتوفي في دمشق سنة أربع وأربعين وستائة . وملك بعده الملك الأشرف موسى بن إبراهيم ، فأخذها منه الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي - صاحب حلب - في سنة ست وأربعين

وستمائة . ولم يزل مالكمها حتى [وطئت التتر البلاد وملكوها سنة ثمان وخمسين
وستمائة ، فأعادوا حصص إلى الملك الأشرف موسى بن الملك المنصور . ثم لما رجعت
البلاد إلى المسلمين أقره عليها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس . ثم توفي الملك الأشرف ٣
في سنة اثنتين وستين وستمائة ، وهو آخر من ملك حصص منهم] (١) .

(١) ما بين حاصرتين تكملة من مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٢ ص ١٧٥ .

ذكر سنة اثنين وثمانين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ستة أذرع واثني عشر أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأحد وعشرين أصبعا .

ما نلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الفاصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله .

والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام بالديار المصرية وما معها . وقد رجع إلى دمشق مظفراً منصوباً . واستدعى ولده الأفضل - وهو الأكبر من ولده - وملكه دمشق . واستدعى تقي الدين الملك المظفر من مصر . وملك مصر لولده الملك العزيز ، ونفذ معه عمه العادل لتبديل أحواله بها . وملك حلب لولده الظاهر .

قال ابن الأثير^(١) في تاريخه: إن السبب الذي فعله السلطان في سنة اثنين وثمانين وخمسمائة من نقل الملك العادل أخيه عن حلب وتوليها لولده الملك الظاهر ، ونقل الملك المظفر عن مصر وتوليها لولده الملك العزيز ، أن السلطان لما مرض وعوفي ، وسار إلى الشام ، سار به يوماً علم الدين سليمان بن جنسدر ، فجرى بينهما حديث ، فقال له سليمان : « يا خوند بأي رأى كنت تظن أن وصيتك تمضي وأن أمرك يقبل ، كأنك كنت تظن أنك تمضي إلى الصيد ، وترجع فلا يخالفوك . بالله أما تستحي أن يكون الطائر أهدى منك إلى المصلحة » . فقال صلاح الدين وهو يتبسم من كلامه : « كيف ذلك ؟ » . قال : « إذا أراد الطائر بعمل عشاءً لفراخه قصد أعالي الشجر ليحوى فراخه . وأنت سلمت الحصون إلى أهلِكَ ، وجملت أولادك على الأرض . هذه حلب مع أخيك العادل ، وحماه بيد المظفر ، وحمص بيد المجاهد . وأحد بذك بك مصر تحت حجر تقي الدين ، يخرج منه متى أحب » . فقال : « والله صدقت فاكم ما معك » . ثم اهتم في تملك بيته ، وكان أمر الله غير إرادته .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، حوادث سنة ٥٨٢ هـ .

وفيهما توجه قراقوش - مملوك تقي الدين - إلى بلاد المغرب ، واستولى على بلاد القيروان ، فالتقاء أبو يعقوب بن عبد المؤمن بظاهر مدينة تونس ، فكسره قراقوش في يوم الجمعة سادس عشر ربيع الأول ، واستولى على البلاد ، وخطب في تونس مع سائر تلك النواحي للسلطان صلاح الدين . ثم إن أبا^(١) يعقوب حشد عالما عظيما وكرّ على قراقوش فكسره ، ومضى هاربا إلى أشبيلية .

(١) في المتن : « أبو يعقوب » .

ذكر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ المساء القديم ستة أذرع وثمانية أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثلاثة عشر أصبعا .

ماخلص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله .
والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام .
وفيهما كان فتح القدس الشريف وغيره .

٩ ذكر فتح القدس الشريف

وذلك أن السلطان صلاح الدين لما تفرغ وجهه من بلاد الشرق كله ، وأطاعته سائر ملوكه ، أفرغ همته العلية ، وفكرته الصالحة ، إلى تطهير البيت المقدس من أرجاس الكفر ، وخبث الفرنج . وكان ذلك إلهاما من الله عز وجل ، وتأيدا للإسلام . وكان يومئذ بالقدس الشريف البطرك الكبير ، الذي جمع أهل الصليب يعظمونه ويعتقدونه . وكان بها الباب ابن بارزان^(١) صاحب الرملة . وكان فيه خلق عظيم ، لا يحصيهم إلا الله تعالى . فلما بانهم قصد السلطان إليهم حشدوا وتجمعوا من كل فج عميق . وسير البطرك يستصرخ بملوك الإفرنج ، ويحرم عليهم ، ويقول لهم : « الموت عليكم بهذه الأرض المقدسة أخير لكم مما تسلمون بيت معبودكم » . وبلغ السلطان ذلك فقال : « نعم نأخذهم منهم بحول^(٢) الله وقوته ، ونخرب بيوتهم ، ونكسر لاهوتهم ، ونهدم القيامة^(٣) التي يدعون أنها القيامة ، محل صلاتهم وقبلة ضلالهم » .

(١) ابن بارزان ، هو الاسم الذي أطلقه العرب على الأمير باليان الثاني دى لابان ، زوج الملكة ماريا كومنين ، أرملة عموري الأول ملك بيت المقدس ، انظر (سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٨١٢) .

(٢) في المتن : « بحيل » .

(٣) يعني كنيسة القيامة .

- ثم نزل السلطان صلاح الدين بجيوشه ، والنصر قد حقه ، والملائكة ترفرف بأجنحتها عليه ، في العشر الأول من شهر رجب الفرد من هذه السنة . ونصب عليها المناجنيق والمرادات ، ووقع الزحف والقتال ، واقتتلوا قتالا شديدا لم يعهد بمثله من قبله . فلما تعين للفرنج قلة النجاح ، وأن المسلمين مستظهريين بالنصر والفلاح ، وأن لا بد أن يكون عوض ناقدوسهم «حى على الصلاة حى على الفلاح» ، وأن أمائر النصر قد لاحت ، وروائح الفتوح قد فاحت ، أجمعوا رأيهم في طلب الأمان ، وتقذوا بذلك رسولاً إلى السلطان صلاح الدين ، فامتنع من ذلك . وكان الفرنج لما ملكوا القدس الشريف من المسلمين قتلوا جميع من كان فيه من المسلمين ، ولم يبقوا على رجل منهم ، وكان ذلك في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة^(١) ، ونحروا^(٢) أولاد المسلمين ونساءهم ، ولم يبقوا في حق المسلمين مجهوداً من كل شر . فقال السلطان صلاح الدين : « ما تفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله لما ملكتموه » . فأيقن الفرنج بالهلاك ، فاجتمعوا وضربوا بينهم رأياً أجمعوا عليه . ثم إن الباب ابن بارزان سائر طلب من السلطان أماناً لنفسه ، وطلب الحضور بين يدي السلطان ، فأنعم له بذلك ، وأحضره ، وأكرمه ، وأجلسه بين يديه . فلما رأى للمؤمن إكرام السلطان له ، طمعتة نفسه في طلب الأمان لأهل الحصن ، فصعب على السلطان ذلك ، وقال : « ما بقى أمان لآل ولا لهم - ونهره - . ولا عدت أفعل بكم جميعكم إلا كما فعلتموه بأهله عند فتحكم له » . فقال الباب : « حفظ الله السلطان ، عندي جواب إن أمنتني من العطب ذكرته بين يديك » . فقال : « قل وأنت آمن » . قال : « إن السلطان يعلم أن في هذا الحصن خلق عظيم . وإننا لا نطلب الأمان خوفاً من الموت ، فإن الموت لنا في هذه الأرض المقدسة خير من الحياة . وإنما شفقة منا على الأطفال والعيال . وقد اتفقنا على رأى ، فمن إذن السلطان أقوله » . قال :

(١) كذا في المتن ، وصحته سنة ٤٩٢ هـ ، انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان (حوادث سنة ٤٩٢ هـ) .
(٢) في المتن : « ونصروا » وهو تحريف .

- « قل » . قال: « يعلم السلطان - حفظه الله - إن اجتمع في هذا الحصن من الفرسان والأبطال ما لم يجتمع في غيره ، وأنهم لا يفرون من الموت ، ولا يرغبون في الحياة .
- ٣ وأنا إذا حققنا الموت والله والله والله - كذا يحلف الملعون - لنقتلن كل أسير عندنا من المسلمين ، ويكون ذلك في ذمة السلطان . ثم نقتل بعد ذلك أولادنا ونساءنا ، ونحرق جميع أموالنا وأمتعتنا ، ولا نترك لنا درهم ولا دينار ، ولا ندعكم تأسروا منا
- ٦ رجلاً واحداً ، ولا صبي واحد ، ولا امرأة واحدة . وإذا فرغنا من ذلك أحرقنا الصخرة والمسجد الأنصى وغيرها من الأماكن الشريفة عندكم . ولا نترك لنا دابة ولا مركوباً إلا أتلفناه . ثم نخرج إليكم عن يد واحدة ، فنقاتلكم قتال الموت ، وهو من يموت كريماً ، فلا يقتل الرجل منا حتى يقتل أمثاله . ولا نزال كذلك حتى نموت عن آخرنا ، أو يفعل الله فينا حكمه . وأما قول السلطان إن الذين أخذوا
- ٩ القدس من الفرنج من قديم فعلوا ما فعلوا بالإسلام ، فالقاتل والمقتول ، والظالم والمظلوم ، لهم إله يختصمون بين يديه . ولا يحل للسلطان أن يأخذنا نحن بذنوب غيرنا ممن سلف . وإن الذين كانوا فيه من المسلمين لو صبروا لكان خيراً لهم . وأما نحن فسكأنهيت من الحال بين يدي السلطان حفظه الله . فأمر السلطان صلاح الدين
- ١٥ بخيمة فضربت له ، وأُنزل فيها ، ثم طلب أكبر دولته ، واستشارهم فيما قاله الباب ، فقالوا : « بل الرأي أن يعطيهم السلطان الأمان ، فهو خير مما ذكره » . فأمّنهم السلطان ، وتسلم البيت المقدس يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر رجب من هذه السنة .
- ١٨ وكان يوماً مشهوداً . ودخل السلطان صلاح الدين إلى الصخرة الشريفة المقدسة وهو في غاية الفرح والسرور ، إذ جعله الله تعالى في هذا الفتح ثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وسُيرت البشائر إلى سائر البلاد الإسلامية . وفي ذلك اليوم طلع القاضي محيي الدين بن القاضي زكي الدين ، وخطب .
- ٢١

ذكر خطبة القاضي محي الدين

- « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ^(١) » .
- الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين ^٣
كفروا بربهم يعدلون ^(٢) » .
- « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى
من الذل وكبره تكبيراً ^(٣) » .
- « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، قيماً ... ^(٤) الآية » .
- « قل الحمد لله ، وسلاماً على عباده الذين اصطفى ^(٥) » .
- « الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ^(٦) » الآية .
- « الحمد لله فاطر السموات والأرض ^(٧) » الآية .
- الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومذل الشرك بكفره ، ومصرف الأمور بأمره ،
ومديم النعم بشكره ، ومستدرج ^(٨) الكافر بكفره . الذى قدر الأيام دولاً ، وجعل
- العاقة للمتقين تفضلاً ، ورفض عبادة من ضله ، وأظهر دينه على الدين كله . القاهر
فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليفته فلا ينازع ، والأمر بما يشاء فلا يراجع ،
والحاكم بما يريد فلا يدافع . أحمده على إظهاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ، ونصرته
- لأنصاره ، وتطهيره لبيت المقدس من أنجاس الشرك وأوضاره ، حمده من استشعر
الحمد باطن سره ، وظاهر شكره .

(١) فاتحة الكتاب .

(٢) سورة الأنعام ، ١ .

(٣) سورة الاسراء ، ١١١ .

(٤) سورة الكهف ، ١ .

(٥) سورة النمل ، ٥٩ .

(٦) سورة سبأ ، ١ .

(٧) سورة فاطر ، ١ .

(٨) فى المتن : « ومستبيح » والتصويب من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٢٢٠) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، الواحد الأحد الفرد الصمد ،
الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، ورضى
به ربه . ٣

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، دافع الشرك ، ورافع الإفك ، الذى أسرى
به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السموات العلى ،
إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، ما زاعج البصر وما طنى . ٦

صلى الله عليه وعلى خليفته أبى بكر الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى عمر
ابن الخطاب الذى أول من رفع عن هذا البيت شعائر الصليبان ، وعلى عثمان بن عفان
ذى النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب مزيل الشرك ومكسر
الأوثان ، وعلى آله والتابعين لهم بإحسان . . . » . ٩

ثم ذكر الإمام الناصر لدين الله ، ودعائه والسلطان صلاح الدين . وكانت صلاة
جمعة ما رأى الناس مثلاً ، لما حصل للناس فيها من الخشوع الزائد ، والسرور المتزايد . ١٢
ومما لخص من الخطبة فصل فى الدعاء للسلطان :

« اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك ، الشاكر لنعمتك ، المعترف بموهبتك ،

سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والمحامى عن دينك الدافع ، والذاب عن حرمك ١٥

وحرم رسولك المانع ، السيد الأجل ، والكهف الأطل ، الملك الناصر ، جامع كلمة

الإيمان ، وقامع عبدة الصليبان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ،

مظهر بيت المقدس ، أبى المظفر يوسف صلاح الدين بن أبوب ، محب دولة أمير ١٨

المؤمنين . اللهم عمّ بدوامه البسيطة ، واجعل ملائكتك المقربين براياته محيطة ،

وأحسن عن الدين الحنيفى جزاءه ، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه . اللهم

أبق للإسلام والمسلمين مهجته ، ووف للإيمان حوزته ، وانشر فى المشارق والمغارب ٢١

دعوته . اللهم كما فتحت به البيت المقدس ، بعد ما ظنت به الظنون ، وابتلى المؤمنين ،

فافتح على يديه داني الأرض وأقاصيها ، وملسكه بكرمك وفضلك صياصى الكفر

ونواصيها ، ولا يلتقي منهم كتيبة بقوتك إلا مزقها ، ولا جماعة بعزتك إلا فرقها ، ولا طائفة بقهرك إلا ألحقها بمن سبقها .

٣ اللهم اشكره عن محمد - صلى الله عليه وسلم - سعيه ، وأنقذ في المشارق والمغارب أمره ونهيه ، وأصلح به اللهم برحمتك أوساط البلاد وأطرافها ، وأرجاء الممالك وأكنافها . اللهم ذل به معاطس آثاف الكفار ، وأرغم به أنوف الفجار ، وانشر ذوائب ملكه برحمتك على الأمصار ، وأثبت سرايا جنوده في سبيل الأقطار .

٦ اللهم ثبت الملك فيه وفي عقبه إلى يوم الدين ، واحفظه في بنيه وبني أبيه الملوك الكرام الميامين ، واشدد عضده ببقائهم ، واقض بإعزاز أوليائه وأوليائهم . اللهم وكما أجريت على يديه في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام ، وتتخذ على مرور الشهور والأعوام ، فارزقه الملك الأبدى الذي لا ينفد في دار المتقين ، وأجب دعوته ودعائه في قوله : « رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ ، وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين » (١) .

١٢ ونقل السلطان إلى البيت المقدس المنبر من حلب . وكان هذا المنبر قد أمر بعمله الملك العادل نور الدين الشهيد ، لما كانت نفسه الزكية تحذره أنه سيفتح القدس الشريف ، فعمل هذا المنبر قبل فتح القدس الشريف بنيف وعشرين سنة .

١٥ قال صاحب هذا النقل : وكانت الفرنج - لعنهم الله - قد بنوا على الصخرة المقدسة كنيسة ، وقطعوا منها جملة كبيرة ، وغيروا أوضاعها ، وبنوا على حيطانها أشباه الخنازير ، وعملوا بها مذبحاً ، وعينوا بها مواضع الرهبان ، ومحط الإنجيل ، وأفردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة ، مدهونة ، ما بين الأعمدة الرخام . فلما نظر السلطان صلاح الدين إلى ذلك عظم عليه ، وأمر أن تمحى جميع تلك الآثار . وأزال عن الصخرة ذلك البغاء ، وأبرزها حتى ينظر إليها . ولم تكن قبل ذلك يظهر منها إلا قطعة يسيرة .

وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعة كبيرة ، وسيروها إلى القسطنطينية ،

- وكذلك إلى صقلية ، فكانوا يبيعون منها ملوك الفرنج وزنا بوزن من الذهب . وقيل إن بعض ملوك الفرنج خرج عن ملكه ، وتولى خدمة ستارة الصخرة ، إشفاقا عليها .
- ٣ وكان كل ملك يأتي إلى زيارة القدس يتقصد أن يأخذ منها قطعة ، بحسب البركة . فلما بلغ السلطان صلاح الدين ذلك أمر الفقيه ضياء الدين الهكاري أن يكون أمينا عليها . ثم أدار عليها صفائح من حديد . ثم حضر الملك المظفر تقي الدين عمر ، وأحضر محبته أحمالا من دمشق مملوءة ماء ورد ، وتولى غسل قبة الصخرة^(١) بنفسه . ثم أتى الملك الأفضل ، وفعل كذلك .
- ثم رتب السلطان صلاح الدين في جامع الأقصى من يقوم بوظائفه ، ورتب في قبة الصخرة إماما حسنا ، وأوقف عليه وقفا جيدا . وحمل إلى الجامع الأقصى مصاحف وخبثات وربعات منصوبة على كراسي ، ورتب له أوقافا جليلة ، وعمل دار البطرك رباطا للفقراء .
- ١٢ وكانت قبور الفرنج من الديوية^(٢) وغيرها مجاورة للصخرة ، ونحو باب الرحمة ، ولهم قباب معقودة ، فأزالها السلطان صلاح الدين ، ومحا آثارها ، وأمر بخلق كنيسة قامة .
- ١٥ ثم إن بعض الملوك قال : « نعم الرأي هدمها ، ونحرب القبور التي بجوارها » . فقال بعض سرة الناس من العلماء - أظنه ابن شداد أو العماد الأصفهاني - : « إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لما فتح بيت المقدس استقر بهذه الأماكن على ما كانت عليه ، ولو شاء لفعل ذلك » . فقال السلطان : « نحن متبعين لا مبتدعين » .
- ١٨ واستقر بالأشياء على حالها . وأن لا يغير إلا ما كان مستجدا . فلما استقر الأمر كذلك ، وردت عليه اللطائف التهامي^(٣) بالقصائد من الفضلاء والأدباء والشعراء . فكان أول ذلك قصيدة الملك المظفر تقي الدين عمر :

(١) في المتن : « بيت المقدس » ، والتصحيح من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٢٣٠) .

(٢) يقصد فرسان طائفة الداوية Templers .

(٣) كذا في المتن .

دع مهجة المشتاق مع أهوائها يا لائى ما أنت من نصحاءها
جاءتك أرض القدس تخطب ناكها يا كفؤها ما العذر من عذرائها
زُفت إليك عروس خدر تنجلي ما بين أعبدها وبين إيمانها ٣
إيه تغذها عاتق بكر فقد أضحت ملوك الأرض من رقبائها
كم طالبٍ لجمالها قد رده عن نيلها أن ليس من أكفائها
وهى طويلة ، وهذا ملخصها . ٦

ومن شعر المظفر أيضا يخاطب عمه :

أصلاح دين الله أمرُك طاعة فرُّ الزمان بما تشاء فيفعلا
فكأنما الدنيا بهجة حسنها تحلا على إذا رأيتك مقبلا ٩
وكان - رحمه الله - فاضلا ، متأديبا ، حسن الشعر . وكان أخوه عز الدين فرخشاه نظيره
في ذلك . وأتى بيت الملك المظفر جميعهم كذلك . وناهيك بولده الملك المنصور ، وسيأتي
من ذكره ما يؤيد القول بإنشاء الله تعالى . وكان السلطان صلاح الدين يحب الملك ١٢
المظفر تقى الدين أكثر من محبته لسائر أهله ، لما كان قد خص به من الشهامة والنجابة
والإقدام العظيم ، ولفرط طاعته لعمه صلاح الدين . ولأنه كان ألصقهم إليه قرابة ،
لأن والد المظفر ، ركن الدين شاهنشاه - رحمه الله - كان أخا صلاح الدين لأمه ١٥
وأبيه ؛ والملك العادل ، وتاج الملوك ، وسيف الإسلام ، كانوا إخوته لأبيه فقط .
وقتل ركن الدين شاهنشاه شهيدا على باب دمشق لما حاصرها الفرنج ، ولم يدرك
الدولة الأيوبية . ١٨

ثم وردت قصيدة القاضي هبة الله بن سناء الملك ، يقول :

لست أدري بأى فتح هُنا يا منيل الإسلام ما قد تمنا
أنهنَّيك إذ تملكك شاما أم نهنيك إذ تملكك عدنا ٢١
قد ملكك الجنان قصرا فقصرنا إذ فتحت الشام حصنا فحصنا
قت في ظلمة الكريهة شمسا فالبدر لا شك يطلع وهنا

- لم تقف قط في المارك إلا كفت يابوسف كيوسف حسنا
 قصدوا نحوك الأعادي فردا الله ما أملاه عنك وعنا
 حملوا كالجبال عظاما ولكن جعلتها حملات خيلك عهنا
 جمعوا كيدهم وجاءوك أركانا فن هدا فارسا هدا ركننا
 فكل من يجعل الحديد له ثو با وتاجا وطيلسانا ورددنا
 خاتمهم ذلك السلاح فلا رم ح ثنى ولا الهند ظنا
 وتولت تلك الخيول ولم يتأني عليها أنها لا تتأني (١)
 وتصيبتهم بحلقة صيد تجمع الليث والنزال الأغنا
 صنعت فيهم وليمة عرس لعب الشرف فيها وغنى
 وحوى الأسر كل ملك يظن الدهري في مملكة ليس يفنى
 والمليك العظيم فيهم أسير يتنى في أدهم يتنى
 كم تمنى الليالي حتى رآها فتعنى أنه لا تمنى
 ظن ظنا وكنت أصدق في الله يقينا وكان أكذب ظنا
 رق من رحمة له القيد والنل عليه فكلما إن أنما
 واللعين الإبرز (٢) أصبح مذبوحا يهني أنه مات منا
 وتهادت عرائس المدن نخلا وثمار الآمال منهن تجنى
 لا يخص الشام منك سرور كل ربع وكل أرض تهنا
 قد ملكت البلاد شرقا وغربا وحويت الآفاق سهلا وحزنا
 وتفردت بالذى هو أسمى وتوحدت بالذى هو أسنى
 فاعتدى الوصف في علاك حسيرا أى لفظ يقال أو أى معنى
 هذا ربنا الإله قال أطيموه سمعنا لربنا وأطعنا ٢١

(١) كذا في المتن وورد الشطر الثاني في ابن واصل (مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٣٥) :
 يثنى عليها بأنها ليس ثنى .

(٢) يقصد الأمير أرنط صاحب حصن السكر .

وفيه وصل إليه رسل الخليفة يهنئون به بما فتح الله على يديه .
 وفيها فتح عدة حصون ، وهي : طبرية ، والناصرية ، وقيسارية ، وصفورية ،
 والطور ، ونابلس ، وحيفا ، وصيدا ، وبيروت ، وعسقلان . ولم يبق في هذه السنة ٣
 بالساحل من حصون الفرنج غير عكا ، فأخذها في سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، كما يأتي
 من ذكرها في تاريخها .

ذكر سنة أربع وثمانين وخمسمائة

الذيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ستة أذرع واثني عشر أصبعا . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وثلاثة وعشرون أصبعا .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين . والسلطان صلاح الدين ، مشمر الذيل في إخماد جرة الكفر ، وقد نازل عكا . فلما وصل إلى تل الفضول^(١) مضمرا على الزحف عليها ، إذ خرج إليه كبير من كبرائهم ، وطالب الأمان من السلطان ، وتضرع بين يديه ، والناس قيام ينظرون . فرَّق السلطان ورحمهم ، وأمنهم على أنفسهم وأهاليهم وجميع أموالهم . وخيرهم بين الإقامة فيها تحت أمانه وسلطانه أو الخروج عنها ، فاختاروا الرحيل عنها ، فخرجوا .
- ١٢ ودخل المسلمون إلى عكا يوم الجمعة ثاني جمادى الأولى من هذه السنة . وأخرج الأسرى من المسلمين ، فسكان عدتهم أربعة آلاف أسير . وسلم عكا لولده الملك الأفضل ، وأنعم عليه بجميع ما فيها من أموال الفرنج وغلالهم ، وحواصلهم .
- ١٥ وكتب له بذلك توقيعا متوجا بعلامته الكريمة ، يتضمن تملكها لولده بجميع نواحيها . وجعل الفقيه الهسكاري أمينا بها من قبل الملك الأفضل .
- وكتب السلطان إلى أخيه الملك العادل بمصر يبشره بما فتح الله عز وجل عليه ، ويأمره أن يخرج بالمساكر المصرية إلى بلاد الفرنج بالساحل من جهة الديار المصرية .
- ١٨ تخرج الملك العادل ، ونزل على مجدليايا ، وفتحها ، وغنم ما فيها .
- وأحضر السلطان بهاء الدين قراقوش ، وسلمه عكا نيابة عن ولده الملك الأفضل .
- ٢١ وخرج السلطان صلاح الدين وتوجه إلى حصن كوكب .

(١) في مرجع السكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٢٠١) : « التل » .

وفيهما فتح البلاد الشمالية ، وهي : جبلة ، واللاذقية ، وصهيون ، وحصن بكاس ،
وسرمانية ، وحصن بُرْزِيَّة ، ودرب ساك ، وبفراس .

٣ وفيها هادن السلطان لصاحب أنطاكية .

وفيهما فتح الكرك ، وصفد ، وكوكب ، وسبسطية^(١) ، ونابلس ، وصفورية .
وكان بنابلس خلق كثير فسألوا الإقامة بها في مملكة السلطان ، فأقرهم على أماكنهم
وأملأهم . ثم إنه كتب إلى الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، يبشره بما فتح الله
عز وجل على الإسلام ، كتاباً أوله يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر . . .)^(٢) »
الآية (وإن الأرض ..)^(٣) الآية . » ثم كتب : « الحمد لله الذي أنجز لنا هذا الوعد ،
وعلى نصرته لهذا الدين من قبل ومن بعد ، فجعل من بعد ذلك العسر يسراً ، وقد أحدث
الله من بعد ذلك أمراً ، وهو الأمر الذي ما كان الإسلام يستطيع عليه صبرا ، فأتاني
الله ما جرى في زمن الصحابة والأخرى ، وأعق الله ما كان من الأسارى بأيدي
١٢ الكفار الأشرار ، وأصبح جوار الإسلام وقد استمدار ، ورد من الكفر ما كان
قد أشار . والحمد لله الذي أعاد ثوب الإسلام جديداً أبيضاً نظره مُحَضَّراً ، بعد ما كان
قد غلب عليه الكفر بهذه الديار حتى أعاده مغبراً . والحمد لله كما هو أهله ، على اتساع
١٥ ملك الإسلام واجتماع شمله . والمملوك يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم ، للنظر الكريم ،
ما يشرح به صدور المسلمين ، وينتج الجبور لأمير المؤمنين . ويورد البشرى على
ما أنعم الله به يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر إلى يوم الخميس الآخر ،
١٨ فذلك سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما ، سخرها الله على الكافرين ، فترى القوم فيها
صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية ، فإذا رأيت ثم رأيت والبلاد

(١) في المتن : « سبسطية » .

(٢) سورة الأنبياء ، ١٠٥ .

(٣) سورة الأعراف ، ١٢٨ .

- ٣ خاوية على عروشها ، ورايات الكفر خاشعة ، ورايات الإسلام طالمة ، وسناجق المؤمنين ببركات أميرهم عالية كاسية ، وقد كانت من الكفر ناكية باكية . وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهى ظالمة . وفى ذلك اليوم فتحت عكا بالأمان ، ورُفعت عليها أعلام الإيمان . وهى أم البلاد ، وأحب إلى الكفر من إرم ذات المهاد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد . وقد أصدر المملوك هذه المطالمة و صليب الصليب مكسور ، وقلب البرنز مرجوف مكسور ، والفارس مجدول ، والراجل مقتول ، والمملوك مسوكة ، والدعاء مسفوك . والذى كان يظن أن عكا حصينة ، فقد خيب الله عز وجل ظنه ، والذى كان بماء المعمودية معموداً يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا . وعاد كل من كان فى الحرب منهم ذاهمة ويقظة ، لا يقبل منه عن نفسه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة . وطيرية فقد هُدمت أعلام الشرك من عليها ، وعكا فقد خاب وخسر من التيجاء إليها ، وقد سببت نساؤها الأحرار ، وعادوا للنساء الإسلام خداما وجوار ، وكذلك عادوا مماليكاً أولادهم الصغار ؛ بعد من قتل من آبائهم من كل فاجر وكافر ، وصارت الكنائس مساجدا يعمرها من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . وعادت البيع مواقفاً لخطباء الإسلام على المنابر . وعمرها الله بالتوحيد وأهله ، مسكان كل مشرك وكافر .
- ١٥ وأما فرسان الديوية والإستبار ، فقد عجل الله تعالى بأرواحهم إلى النار ، وقد نزل بهم إلى أسفل الجحيم ، مصفدين مقرنين مع الشيطان الرجيم ، فليأخذ حظه من هذه البشرى مولانا أمير المؤمنين ، فقد قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .
- ١٨ وفيها وردت قصيدة الشريف النسابة محمد بن أسعد بن علي بن معمر الحسيني^(١) نقيب الأشراف على السلطان صلاح الدين ، يهنيه بما فتح الله على يديه يقول :
- أترى مناما ما بعينى أبصر والقدس يفتح والصليب يُكسر
وقامة قُمت من الرجس الذى بزواله وزوالها يتطهر

(١) فى المتن : « قصيدة القاضى تاج الدين » والصيغة المثبتة هى الصحيحة ، انظر :

ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٢٣٣ .

- ومليكك في القيد مأسورا ولم
قد جاء نصر الله والفتح الذي
فُتِحَ الشَّامُ وطُهرَ القدس الذي
من كان فتحه لنصرة أحمد
يا يوسف الصديق أنت لفتيحها
ولأنت عثمان الشريعة بعده
- يُرى قبل ذلك ملوك تُؤسر
وُعد الرسول فسبحوا واستغفروا
هو في القيامة حيث قام المحشر
ماذا يقال له وماذا يُذكر
فاروقها عمرُ الإمام الأظهر
ولأنت في نصر النبوة حَيِّدَر
- ٣
٦

ذكر سنة خمس وثمانين وخمسمائة

الليل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم خمسة أذرع وخمسة عشر أصبعا. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا واثنان وعشرون أصبعا .

ما تلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين . والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام بالديار المصرية وما معها .

٩ وفيها خطب لولى العهد - عدة الدنيا والدين - أبى نصر محمد بن الإمام الناصر لدين الله ، بأمر والده ، فخطب له في سائر الممالك الإسلامية .

وفيها كانت الوقعة العظمى مع الفرنج ، وأخذت عكا ، وقتل من كان بها في سبيل الله تعالى . وهذه الوقعة التى لم يعهد بمثلها في جاهلية ولا إسلام .

ذكر الوقعة الكبرى على عكا

١٢

وذلك أن السلطان صلاح الدين ، لما فتح هذه الفتوحات العظام ، وأذل الكفرة اللثام ، وطهر القدس من الأرجاس والآثام ، وفتح عكا وهي كرسى مملكة الملاعين ، وأخلاها من كل كافر لعين ، أمر بتجديد سورها ، وبناء ما تشعث من ديورها ،

وعماره قصورها ودورها . وأمر الملك المظفر أن ينظف الساحل من جميع الفرنج ، ففعل ذلك ، ولم يبق في الساحل حصن ولا معقل إلا وقد علاه الأذان ، وسكنته

١٨ حملة القرآن ، وخلا من عبدة الصليبان . فعند ذلك تسكبت ملوك الفرنج فيما بينهم ، لما قد جرى على الكفر وأهله ، والصليب وذله ، فاتفقوا لدينهم ، وأجمعوا ذات بينهم ،

على اجتماع كلمتهم ، والقيام في نصره ملتهم ، فاجتمعوا برأ وبجراً ، وسهلاً ووعراً ، واستصحبوا القساوسة^(١) والرهبان ، والبطرك الكبير والديان ، بعد ما طاف جميع

٢١

(١) في المتن : « القساوسة » .

الجزائر والبلدان ، على عبدة الصليبان ، وصوروا بكفرهم صورة على أنها صورة المسيح عليه السلام ، وأسألوا على وجه الصورة الدماء ، وأقاموا صورة إعرابي ، وقالوا هذا نبي المسلمين قد جرح المسيح ، وأجرى دمه على وجهه ، فأنهضوا لنصرته ، وخذلوا ٣ بثأره . فلم يبق منهم ملك من الملوك ، ولا غنى فيهم ولا صعلوك ، إلا انتخى لمصائبهم ، وسمع لهم وأجابهم .

٦ أجمع أهل التاريخ من عنى بجمع أخبار العالم - رحمة الله عليهم - أن هذه الواقعة لم يُسمع بمثليها من أول زمان وإلى ذلك التاريخ ، فإن بلاد الروم خرجت عن بكرة أبيها ، من سائر قلاعها ومدنها وحصونها ، وأبدلوا الأموال للفرسان والرجال ، وابعأوا أنفسهم للمسيح . ووردوا من البر والبحر بالخيول والرجل ، يقدمهم القسوس ٩ والرهبان ، وقد لبسوا السواد . وبالطرك قد حرم عليهم ، وقالوا موتوا في هذه الأرض المقدسة ، فهو خير لكم .

١٢ وكان السلطان صلاح الدين غنيا^(١) على شقيق أرنون ، فلما بلغه ذلك من قصد الفرنج عكا في هذه الجموع العظيمة ، خشى عليها ، وتوجه يقحم خيله ليسبق بالنزول عليها ، وتبعته المساكر أولا فأولا ، فلم يدرك عكا حتى سبقته الفرنج ، ونزلوا عليها براً وبحرا في عدد لا يحصى ، كأنهم الجراد المنتشر ، وذلك لما أراده الله تعالى من سعادة ١٥ المحصورين بها ، وأن يكونوا من الشهداء الفائزين بجنات النعيم ، وهو النعيم المقيم . وكان وصول الفرنج إلى عكا ونزولهم عليها رابع عشر شهر رجب من هذه السنة . ووصل السلطان خامس عشرة ، فسبقوه بيوم واحد ، لما يريد الله عز وجل . وتلاحق ١٨ به المساكر ونزلوا يوم الجمعة على الخروبة . ونزلت الفرنج على عكا من كل جهة برا وبحرا . ونزل جيش السلطان صلاح الدين أول ميمنته بالنواقر والبحر ، وآخر ميسرته القيمون . وأمر الناس أن يثبوا للقتال وإشغال الفرنج عن لجاجة الحصار على عكا ، ٢١ فتقدمت الميسرة إلى طريق النهر الحلو ، وآخر الميمنة مقابل تل العياضية ، واحتاطت

(١) في المتن : « غني » .

عساكر الإسلام بالعدو المخدول ، والفرنج الملاحين لا يشغلهم عن حصار عكا شاغل ، بل مجتهدين غاية الاجتهاد . والمسلمون بمكا لم يفلقوا لها بابا ، والسلطان صلاح الدين يناوشهم القتال من جهة القلب . ٣

ووصلت ملوك الإسلام ، ووصل من الشرق مظفر الدين [كوكبورى] ابن زين الدين على كوجك . ووصل حسام الدين سنقر الأخلطى . ولم يزل القتال كذلك بين الفتيين مناوشة إلى يوم الأربعاء ، لتسع بقين من شهر شعبان ، خرجوا الفرنج - خذلهم الله - فارسهم وراجلهم ، وتحركوا حركة عظيمة ، ارتجت لها الأرض ، وبين أيديهم الإنجيل محمولا على يد البطرك ، مستورا بثياب الأطلس . وركب السلطان صلاح الدين ، في جيوش الموحدين ، ونادى مناديهم : « هيا يأمة محمد المختار ! عليكم بالكفرة الفجار ! فهذا يوم وعد الله فيه الصابرين بالخور العين . أما ترضوا أن تبيعوا أنفسكم بالجنان ، ومجاورة الرحمن ، في دار لا يحزن مقيمها ، ولا يفنى نعيمها ، ولا ينفد سرورها ، ولا يبرح حبورها . يا خيل الله اركبي ، وبالجنة أبشرى » . قال : ٦

فركب الناس وقد أباعوا أنفسهم لله ، وقد وثقوا بما وعدهم به الله في كتابه العزيز العظيم ، على لسان نبيه الكريم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . ٩

وكان السلطان صلاح الدين في القلب ، وولده الملك الأفضل في الميمنة ، وولده الظافر في الميسرة . وكان مما يلي القلب سيف الدين على بن أحمد المشطوب^(١) ملك الأكراد ، في خلق عظيم من المهرانية والهسكارية وغيرهم . ومحاذيه مجاهد الدين برنقش مقدم عساكر سنجان ، وخلق كثير من المماليك الترك . ولم يكن عليهم مقدما ، فيذكر عن الفقيه الهسكارى - أمين القدس المقدم ذكره - قال : « إن السلطان صلاح الدين شاهده به معنى وهو يدور بنفسه على جيوش المسلمين ، ويحرضهم على القتال ، ويقول لهم إني كأحدكم ، فلا يطالب اليوم أحد منكم غير رضى ربه » . ١٥

١٨

٢١

(١) في المتن : « سيف الدين غازى بن المشطوب » والتصحيح من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٢٩٦) ؛ والنوادر السلطانية لابن شداد (ص ١٧١) .

- ثم التقى الجمعان ، فبدرهم الملك المظفر بالجاليش ^(١) ، فتكاثروا عليه ، وكان في طرف الميعة على البحر . فلما رأى السلطان ذلك خاف عليه ، فحرك بنفسه نحوه . وكان المظفر قد تهقر إلى ورائه قليلا ، لما رأى من كثرتهم عليه . فلما رأى السلطان ٣ صلاح الدين ذلك حرك نحوه . فلما عين الجيوش تأخر المظفر وتحريك صلاح الدين شوقا إليه ، ظنوا أنها كسرة ، فانهزم المسلمون . وكانت أهل الديار البكرية ليس لهم خبرة بقتال الفرنج ، فولوا هارين لايأووا على شيء . ووصات طائفة من الفرنج إلى ٦ تخيم السلطان ، وجالوا حوله ساعة .
- وأما ميسرة المسلمين ، فإنها ثبتت قليلا ، وصار السلطان دائر بين العسكرين ، ومعه القضاة ، والفقهاء ، والخطباء ، وأكابر الأشراف ، وهو يستوقف الناس ، ٩ ويحضهم وهم لا يلبون . قال الفقيه الهكاري يحلف بالله أنه لم يبق مع السلطان سوى خمس نفر . وأما المنهزمون ^(٢) من المسلمين فإنهم وصلوا دمشق ، وهم الميعة . والميسرة وصلت طبرية . ثم اجتمع على السلطان الناس أرباب المروءات ، فحمل على العدو ١٢ بنفسه في شزيمة يسيرة ، فطرحوا من الفرنج جماعة جيدة . وجاء نصر الله والفتح ، وأيد الله الإسلام على عوائده الجميلة ، فكان كما قال عز وجل : « كم من فئة قليلة غلبت ١٥ فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ^(٣) » . فولى الفرنج منهزمين ، فظنوا أن الجيوش تراجعت عليهم . وركبت تلك الفئة القليلة أكتافهم قتلا بالسيف ، وضربا بالدبوس . وعاد الملك المظفر وكذلك جناح الميسرة . وتداعت ^(٤) الناس ، وتراجعوا من كل مكان .

(١) في المتن : « بالجمة » والتصحيح من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٢٩٦) .

(٢) في المتن : « وأما المنهزمين » .

(٣) سورة البقرة ، ٢٤٩ .

(٤) في المتن : « وتحابت » والصيغة المثبتة من النوادر السلطانية لابن شداد (ص ١٧٤) .

- قال الفقيه الهكاري : إن السلطان لما رد على الفرنج ، لم يكن معه من الناس ما يلحق الألفين فارس ، وكان الفرنج في أربعمائة ألف أو يزيدون . ولقد ذكر جماعة من المسلمين الكبار ، ممن كان مع السلطان عند رجوعه على الفرنج ؛ منهم الأمير سيف الدين غازي ، وعز الدين القيمري ، وحسام الدين المهراني المعروف بابن كردم قالوا وحلفوا - وهم أمناء القول صادقين اللهجة - أن كل واحد من كان مع السلطان قتل من الفرنج الثلاثين والأربعين والخمسين وأكثر ، وأن الواحد منا كان إذا قرب مع مطلوبه من خيالة الفرنج ويرفع يده بسيقه ويريد ضرب عنقه ينظر إلى رأسه وقد طارت عن بدنه من قبل أن يصل إليه السيف . وهذا تأييد من الله عز وجل ، ومما يدل على صحة القول أن الملائكة تقاتل مع الإسلام .
- قال : ولم يزل المسلمون^(١) في أكتاف المشركين إلى أن تحصنوا بالأسوار التي كانوا صنعوها لهم ، وعادوا يقاتلون من ورأىها ، فعند ذلك قال السلطان صلاح الدين : « الحمد لله الذي نصرنا حتى عادوا متحصنين بالأسوار » . ثم رجع إلى دهليزه ونخيمه ، ووقف أصحابه بين يديه وهم بالدماء مخضبين ، فرحين بما من الله عز وجل عليهم ، وبما يسره من نصرهم ، وتذاكروا من استشهد منهم ، وأخرجوهم من بين قتلى الفرنج ، وصلوا عليهم ، وواروهم بدمائهم التراب . ثم أمر السلطان بالانتقال من تلك المنزلة إلى منزلة تعرف بالخروبة ، وكان ليس برأى جيد ، فلو كان أقام مع مشيئة الله عز وجل - لكان أصلح . وحسب السلطان حساب أن جيشه ضعف حاله ، لما نهب لهم عند هزيمتهم ، وأنهم تشتتوا في البلاد . وخشى لأن^(٢) تكبسهم الفرنج ، فلا تقوم لهم بعدها قائمة ، فتحول لهذا السبب ، ليجتمع إليه المساكر ويعود المنهزم ، ويتكامل الجيش . وكان ملك الفرنج الكبير يسمى الآنكتير مريضاً على حظه ، واشتغل الفرنج بمرضه ، واشتغل السلطان صلاح الدين بتدبير أحوال جيوشه . هذا ، والرسل تتردد منهم طول بقية هذه السنة .

(١) في المتن : « المسلمين » .

(٢) في المتن : « وخشى لا تكبسهم الفرنج » .

- وفيهما توفي زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك صاحب إدبل ، في الثامن والعشرين من شهر رمضان^(١) . وسير أخوه^(٢) مظفر الدين يسأل السلطان أن يكون عوضاً عن أخيه^(٣) في الخدمة ، وأنه ينزل عن حراف والرها وسميساط والموزر ،^٣ وخدم بخمسين ألف دينار تقدماً ، فأجيب إلى ذلك ، وأضيفت هذه البلاد - التي استرجعت - إلى الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماه . وكتب لمظفر الدين بما سأل ، وكتب إلى صاحب الموصل كتاب الوصية بمظفر الدين . واستقرت بيد الملك^٦ [المظفر] تقي الدين من البلاد ما نزل عنها مظفر الدين ، مع ما بيده من ميافاقرين . هذا ببلاد الشرق . وأما [ما كان بيد الملك المظفر في] بلاد الشام ، فحماه والمهرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجيلة واللاذقية وبلاطنس وغيرها .^٩
- وفي هذه السنة ولد الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين . ووصل إلى السلطان كتاب فاضل بالبشارة ضمنه : « يقبل الأرض بين يدي مولانا الملك الناصر ، دام رشاده وإرشاده ، وزاد سعده وإسماعده ، وكثرت أولياؤه^{١٢} وعبيده وأعداده ، واشتد بأعضاده فيهم إعتماده ، وأنعم الله عدده حتى يقال هذا آدم الملوك وهذه أولاده . وينهى أن الله - وله الحمد - رزق الملك العزيز عز نصره ولداً ، ذكراً ، برّاً ، مباركاً ، زكياً ، سوياً ، تقياً ، نقياً ، ذرية كريمة بعضها من بعض ،^{١٥} من بيت شريف كادت ولاته تسكون ولاية في السماء ، وممالك تسكون ملوكاً في الأرض . وكان مقدمه الميمون ليلة الأحد ، وهي من الجمعة أولى العدد ، وبه وبآله يعز الله أهل الجمعة ، ويذل أهل الأحد »^(٤) .^{١٨}

(١) كانت وفاته في الثامن والعشرين من رمضان في العام التالي (سنة ٥٨٦ هـ) . وسيذكر المؤلف في حوادث العام التالي وصول زين الدين هذا نجدة للسلطان . انظر ابن شداد ، النوادر السلطانية (ص ١٩٠) .

(٢) في المتن : « ولده » وهو خطأ ، والتصحيح من النجوم الزاهرة لأبي المحاسن (ج ٦ ص ١١١ - ١١٢) ، ومفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٣٣٩) .

(٣) في المتن : « أبيه » .

(٤) انظر ابن واصل (مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٣٠٩) .

ذكر سنة ست وثمانين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم خمسة أذرع وخمسة وعشرون أصبعاً . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وأربعة أصابع .

ما نلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين مستمراً بالحكم ، مطاع الأمر في أقطار الأرض . والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام بالديار المصرية وما معها ، وهو في حرب الفرنج على عكا حسباً تقدم من الكلام في السنة الخالية . وحصار عكا باقٍ من جهة الملاعين . وكانوا قد بنوا أبرجة عظيمة بظاهر عكا ، وعادوا يقاتلون أهلها من عليها . فلما كان ظهر يوم السبت ثامن عشر ربيع الأول من هذه السنة أحرقت أهل عكا تلك الأبرجة بالنفط . وعظم ذلك على الفرنج ، كأنهم كانوا استظفروا عليهم بها . ١٢

وفيها وصل إلى خدمة السلطان صلاح الدين جماعة من ملوك الإسلام ، وهم : الملك العادل عماد الدين زنكي بن مودود ، وابن أخيه معين الدين سنجر شاه ، والملك السعيد علاء الدين صاحب الموصل ، [وزين الدين يوسف] صاحب إربل . وكان في ذلك حروب ومناوشات بين الفريقين ، وقتل من الطائفتين خلق عظيم . وهذا والرسل تتردد بينهم ، وكل من الجمع خائف من الآخر . وكان السلطان صلاح الدين رجلاً مسلماً^(١) ، ساذج الباطن ، مستسلم النية ، كثير الدين ، خال من السكر والخداع ، صادق القول ، عديم الكذب والسفه . وكان الفرنج يتحققون^(٢) منه ذلك ، فعادوا يشغلونه بالمراسلات والمواعيد الكاذبة ، ويسوفوا به الأوقات إلى حين^(٣) تعافى

(١) في المتن : « رجل مسلم » .

(٢) في المتن : « يتحققوا » .

(٣) في المتن : « إلى حيث » .

- ملكهم من علقته ، فعادوا وغدروا في جميع ما قرروه بينهم ، وجدّوا في حصار عكا .
 وكان ذلك بعد مضي سنة ست وثمانين ، ودخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة .
 وفيها وصل إلى أنطاكية^(١) ابن ملك ألمان نجدة للفرنج . وكان أبوه قد خرج^٣
 من بلاده في مائتي ألف مقاتل من أول سنة ست وثمانين^(٢) . ووصلت الأخبار إلى
 السلطان بذلك ، فضاق صدره لذلك . وعبروا على قسطنطينية ، ولم يقدر ملك الروم
 على دفعهم . وكذلك دخلوا في بلاد الروم بقونية ، وحصل بين صاحب الروم وبينهم^٦
 مصافاة ، فكسروه ، وقتلوا شيخه مانه ، وقالوا له : « لسنا نريد بلادك » ، فهادنهم .
 وآخر الأمر ، أن الله تعالى كفى شرهم ، ورمى فيهم المرض والموت ، وهلك طاغيتهم .
 وأوصى لولده ، ولم يصل إلى أنطاكية^(٣) إلا في دون الخمسة آلاف من مائتي ألف ،^٩
 فهذا تأييد إلهي لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) في المتن : « دمياط » وهو خطأ .

(٢) ذكرها ابن واصل « خمس وثمانين » (ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٣١٧) .

(٣) في المتن : « دمياط » وهو خطأ . ويشير المؤلف هنا إلى الشطر الألمانى من الحملة الصليبية الثالثة ، وقد سلك هذا الفريق طريق البر عبر آسيا الصغرى ، ولسكن الأمبراطور فردريك ببروسا قائد الحملة غرق في أحد أنهار إقليم قيليقية وتشتت رجاله ؛ انظر (سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٨٤٥ وما بعدها) .

ذكر سنة سبع وثمانين وخمسمائة

الفيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ستة أذرع وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وأربعة عشر أصبعا .

ما تلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين . وبنو سلجوق بحالهم ببلاد العجم .
والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام بالديار المصرية وما معها ، وهو في قتال الفرنج على عكا . والحصار باق ، وقد ضعف حال المسلمين الذين بمكا ، وقتل جلدهم ،
٩ وتقد صبرهم . فلما كان يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة من هذه السنة نفذ أهل عكا من المسلمين يقولون للسلطان : « نحن والله قد عجزنا عن القتال ، وقد بلغت غاية لا بعدها غاية ، ولم يكن بق لنا غير التسليم . ونحن نهار الغد نسلم إليهم ونطلب الأمان إذا لم تفعلوا معنا شيئا يخلصنا مما نحن فيه » . فكان ذلك أصعب شيء جرى على السلطان .
١٢ قال الفقيه الهكاري راوى هذا الحديث : « والله لم يستطع السلطان بطعام ذلك اليوم مع تلك الليلة » . فلما كان صبيحة ذلك اليوم ، ركب السلطان صلاح الدين في سائر الجيوش ، وقصد الفرنج ، ووصل إلى حيث وقف بخنادقهم ، وزحف حتى دخل بعضها ، وهو كالوالدة الشكلى على ولدها ، ويسير بين العساكر ويحثهم على القتال ، ويفادى : « يا للإسلام ! يا لدين محمد عليه السلام ! » وعينه تذرفن بالدموع . ودام
١٨ ذلك اليوم ولم يقدر المسلمون^(١) على شيء يفعلوه مع الفرنج . وسبب ذلك أن الرجال من الفرنج لبسوا العدد ، ووقفوا في سائر السور من خارجه ومن داخله ، بالشروع والزنارات^(٢) ، والنشاب . ثم إن الملاحين جدوا في الحصار ، وتمسكوا من الخنادق

(١) في المتن : « ولم يقدروا المسلمين » .

(٢) في مفرج الكروب لابن واصل : « بالسلاح والزنبورك » ، والزنبورك نوع من السهام في طول الذراع ، له أربعة أوجه ورأسه من الحديد المدب ، صنع بطريقة تجعله أكثر فاعلية من السهام العادية ، انظر : Dozy : Suppl. Dict. Ar.

فمكسوها ، وتقربوا أسوار البلد وحشوه خشباً وأحرقوه ، فوقعت الباشورة وهى بدنة السور ، فدخل الفرنج إليها وقتلوا من المسلمين جماعة ، وقيل^(١) المسلمون من الفرنج خلقاً عظيماً من جلتهم ست مائتين ، وقبضوا على أحد ملوكهم الكبار فى بعض الثقب ، ٣ فقال لهم : « لا تقتلوني وأبقوني أرحل عنكم الفرنج » . فلم يرجعوا له وقتلوه . فلما بلغ الملاعين قتل ملكهم التزموا أنهم لا يبقوا فى عكا من يقول « لا إله إلا الله » . ثم جدوا فى الزحف ثلاثة أيام جداً عظيماً . كل ذلك حزنا على ملكهم . ٦ ثم إن السلطان صلاح الدين بعث إليهم سيف الدين المشطوب يطلب الصلح منهم . وفى جملة كلامه : « إنا نحن أخذنا منكم بلاداً كثيرة وحصونا كثيرة وإنا لم نزل على بلد ولا قلعة وطلبوا منا الأمان والصلح إلا أجبناهم لذلك . فافعلوا أنتم أيضاً ٩ كذلك » . فأكروا السلطان ، وسيروا يطلبوا منه القاضى نجيب الدين المالكي ليقرر أمر الصلح بينهم ، وكان ذلك كله مكر منهم وخديعة ، حتى يشغلوا السلطان عنهم ، ويتمكنوا من أخذ البلد . فلما كان يوم الجمعة ، وصل عوام من البلد بكتاب ١٢ من أهل عكا يقولون : « أن قد ضاق الأمر ، ولا بقى لنا خلاص ، وقد طلب منا الفرنج مائتى ألف دينار ، وألفى وخمسمائة أسير ، وثلاثة آلاف ثوب أطلس ، وصيلب الصليب ، على أننا نخرج بنفوسنا ، لاسواها » . فلما وقف السلطان على ذلك أنكره ، ١٥ وعظم عليه . فبينما هو كذلك إذ وقعت الضجة ، ورفعت أعلام الشرك على أبراج البلد ، وصرخ الملاعين صرخة واحدة تزلزلت لها الأرض . وكان ذلك يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من هذه السنة . فعظم ذلك على المسلمين ، وكثر قول : « لاحول ١٨ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

وعن القاضى بهاء الدين بن شداد - صاحب سيرة السلطان صلاح الدين - قال : وصلت إلى السلطان صلاح الدين فى ذلك الوقت الذى أخذت فيه عكا ، فوجدته ٢١ يبكي بكاء عظيماً ، فجلست إليه ، ثم ذكرته بما فتح الله عز وجل على يديه من بلاد

(١) فى المتن : « وقتلوا » .

السكفر، وما قُتل من رجالهم، فغُظِر إلى وهو مخنوق بعبرته، وقال: « كيف لي بخلاص الأسورين من أيدي المشركين ؟ » .

٣ . ثم أمر بالرحيل من تلك المنزلة إلى المنزلة الأولى [بشفرعم]^(١) . وجرد ألفي فارس في مكانه لينظروا ما يكون من أمر البلد والمسلمين الأسورين . وكان في جملة الأسورين بهاء الدين قراقوش الأسدي ، الذي بنى سور القاهرة ، وعمل الروك بالديار المصرية ، فأفدى نفسه بجملة كبيرة . ثم إن الملاحين قتلوا سائر من كان بها من المسلمين ، إلا من كان في أجله تأخير .

٩ فلما كان نهار الخميس سلخ جمادى الآخرة، ركبوا الملاحين، خيلاً ورجلاً، واصطفوا ميمنة وميسرة ، وتواقفوا مع يزك المسلمين ، فأردف السلطان اليك بعشرة آلاف فارس ، فكسروا الملاحين ، وتبعوهم إلى خندقهم . فلما كان ثامن رجب الفرد، حضر صحبة حسام الدين حسين بن باريك المهراني فارساني الفرنج من عند الملك الكبير ١٢ ملك الفرنج ، فقدموا بين يدي السلطان ، وسألوه عن صليب الصليبوت الذي أخذه من بيت المقدس ، وقالوا : « إن وجدناه تحدثنا فيما يعود نفعه على الطائفتين ، ويكون فيه المصلحة » فأمر السلطان بإحضاره . فلما عاينوه ، خروا له ساجدين على وجوههم ، ومرغوا خدودهم على الأرض ، ثم عادوا إلى ملكهم .

ولما كان الحادى والعشرين من رجب ، خرج الملك الأنكثير - لعنه الله - ومعه جماعة من الخيالة ، وساروا نحو تل العياضية^(٢) ، ثم أحضروا جماعة من أسرى المسلمين ، ممن كانوا بمسكا وسلموا ذلك اليوم من القتل . فأراد الله لهم بالشهادة، وختم لهم بالسعادة ، وأوقفهم ، وأرموا فيهم السيف . فلما نظر المسلمون بوارق السيوف ، ساقوا نحوهم ، ثم أعلموا السلطان بذلك ، فركب ، وركبت المساكر ، وركب الفرنج ١٨ بأجمعهم من عكا . والتقى الجمعان ، وقتل بينهم خلق كثير . وكانت وقعة شديدة ،

(١) ما بين الحاصرتين من النوادر السلطانية لابن شداد (ص ٢٧٨) .

(٢) في المتن : « تل العياضة » .

انكسرت الفرنج فيها كسرة عظيمة . وذكر أن عدة من كان بمكا من المسلمين ممن قتل سوى من نجا خمسة آلاف نفر وسبعمائة نفر. ولما كان نهار الأحد ثالث ذى القعدة رحل الفرنج إلى الرملة ، وتوجهوا لبيت المقدس . ثم كان بينهم وبين المسلمين وقائع ٣ وحروب يشيب لها لولها الطفل الوليد .

ودخل الشتاء وقويت الأمطار إلى سبع بقين من ذى الحجة وصل السلطان صلاح الدين إلى القدس الشريف . ونزل بدار الأقساء مجاور كنيسة قامة . وكان ٦ قد وصل في ثالث ذى الحجة عسكري مصر مع أبي الهيجاء . فلما بلغ الفرنج ذلك تحولوا إلى النطرون . ثم كان بينهم وبين المسلمين - وهم اليزكية - وقعة . ثم كان بينهم وبين الأمير سابق الدين صاحب شيزر وقعة عظيمة ، انكسرت فيها الفرنج ٩ كسرة شنيعة ، وتسلقوا في الجبال ، وأخذت خيولهم . وحاصرهم المسلمون في قلعة النطرون . ثم وصل عدة من الحجارين من عند صاحب الموصل بسبب تحصين خندق بيت المقدس . وعمل السلطان صلاح الدين بنفسه فيه ، وكذلك سائر الملوك مع كافة ١٢ الجيوش .

وفي هذه السنة توفي القاضي شرف الدين بن عصرون^(١) قاضي القضاة بدمشق ،

وكان أوحد أهل زمانه في الأربع مذاهب . ١٥

وفيها ظهر بمصر رجل منجم يقال له ابن السنباطي ، فأقلب رؤوس السودان وقوم من المغاربة يقال لهم « المصامدة » ، وقال لهم : « أنتم تملكوا الديار المصرية في الليلة الفلانية بمد المغرب » . فاستعدوا بقوارير نפט ، واجتمعوا بمحارة بر المدينة ، وهي الهلالية ، ١٨ وشربوا الزور إلى بعد العشاء ، دخلوا حمية واحدة من باب زويلة ، وأخذوا ما قدروا عليه من العدد ، وأتوا إلى خزانة البنود ليخرجوا من كان بها من المسجونين ، وهم مع ذلك يصيحون : « يا آل علي » . وأتوا إلى السيوفيين ، وكسروا الدكاكين ، ٢١

(١) هو قاضي القضاة شرف الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون التيمي الموصل.

ذكر أبو المحاسن أن وفاته كانت في رمضان سنة ٥٨٥ هـ (النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ١١٠) .

- وأخذوا السيوف والعدد . ثم ركب الأمير بدر الدين بن موسك بعسكره ، فسك الجميع ، والنجم ، وقتلوا عن آخرهم^(١) .
- ٣ وفيها أخرب السلطان صلاح الدين عسقلان .
- وفيها توفى الملك المظفر تقى الدين عمر ، وهو محاصر للملاذكرد ، وذلك يوم الجمعة لإحدى عشر ليلة بقيت من شهر رمضان المعظم . وكان ولده الملك المنصور في صحبته ، فأخفى موته ، وعاد به إلى مدينة حماه ، فدفن بها . واستقر [الملك المنصور] بملكه - حماه وما معها . وخرج عنه ما كان بيد أبيه من بلاد الشرق ، واستقر بها الملك العادل سيف الدين أبو بكر ، حسبما نذكر من ذلك . وفيها توفى الشيخ نجم الدين الخُبُوشاني الشافعي ، رحمة الله عليهما .
- ٩

(١) يلاحظ أن هذه الواقعة حدثت سنة ٥٨٤ هـ ؛ انظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ - حوادث سنة ٥٨٤ هـ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٢٧٦ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ١ ص ١٠١ .

ذكر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

- الماء القديم ستة أذرع وثلاثة وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا ٣
وأحد عشر أصبعا .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين نافذ الحكم ، مطاع الأمر .
والسلطان صلاح الدين سلطان الإسلام . واستولت الفرنج - خذلهم الله - على قلعة
الداروم وهدموها ، ورحلوا عنها .
- ٩ وفيها حصلت المهادنة والصلح بين السلطان صلاح الدين وبين الفرنج على شروط
اشتروطها بينهم ، وقطعوا المدة ثلاثة أشهر بعد ثلاث سنين ، وقيل ثمانية أشهر .
- وفيها توفي الفقيه نجم الدين بن شرف الإسلام رحمه الله تعالى ، وكان أوجد أهل
زمانه في الفتيا والفتنة ، وكان حنبلي المذهب . وتوفي موفق الدين خاله ابن القيسراني ١٢
وزير نور الدين بحلب . وتوفي قطب الدين بن المعجمي بحلب ، رحمهما الله تعالى .
- وفيها توفي السلطان عز الدين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان
ابن قطامش بن أرسلان السليجوقي سلطان الروم ، وكان له نحو عشر بنين . وقد ولى ١٥
كل واحد منهم قطرا ، وأكبرهم قطب الدين ملكشاه ، وكانت له سيواس ، فعمل
على أبيه حتى خلعه من ملك قونية وملكها لنفسه ، واعتقل أباه . ثم خلص من
الاعتقال وتوصل إلى ابنه نور الدين سلطان شاه ، فأكرمه ، وعاد إلى ملكه ، وتوفي ١٨
في هذا التاريخ . وملك بعده ولده غياث كيتخسرو في حديث طويل . ثم [غلب على
غياث الدين أخوه]^(١) ركن الدين سليمان ، وهرب غياث الدين إلى الشام مستجيرا

(١) العبارة غير واضحة بالمتن والتكملة بين حاصرتين من مفرج الكروب لابن واصل

بالمملك الظاهر صاحب حلب. ثم مات ركن الدين سنة ستمائة ومملك ولده قلعج أرسلان.
ورجع غياث الدين فملك قونية ، واستقرت السلطنة له حتى توفى ، ومملك بعده ابنه
٣ عز الدين كيكافوس ، وكانت له حروب مع الملك الأشرف موسى بن العادل . ثم توفى
[كيكافوس] وولى أخوه علاء الدين كيقباز . ثم توفى [كيقباز] سنة أربع وثلاثين
وستمائة ، وولى بعده ولده غياث الدين كيكافوس الذى كسره التتار كسرة عظيمة
٦ سنة إحدى وأربعين وستمائة ، وتضعضع حيفئذ ملك السلاطين الساجوقية ببلاد الروم
وأعمالها ، حسبما نذكر بعد ذلك إن شاء الله .

ذكر سنة تسع وثمانين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ستة أذرع وثلاثة وعشرون أصبعاً . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً ٣
وثمانية أصابع .

مانخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين مستمراً الأحكام ، مطاع الأوامر ،
في سائر أقطار الأرض . والسلطان صلاح الدين إلى أن توفي في هذه السنة إلى
رحمة الله ، ورحيب جنانه ، بكرة يوم الأربعاء سابع عشرين شهر صفر من هذه السنة ،
٩ بمدينة دمشق المحروسة .

ذكر وفاة السلطان صلاح الدين رحمه الله

كان السلطان صلاح الدين لما تفرغ قلبه من جهة الفرنج - خذلهم الله تعالى -
١٢ قد عاد إلى دمشق وهو في أسر الأحوال وأحسن الأمور ، ورُسل الملوك واردة عليه
من كل جهة بالهدايا والتحف والمراسلات الحسان ، وهو يجلس كل يوم للمظالم ،
وإسداء المكارم ^(١) ، وإنصاف المظلوم من الظالم . ثم خرج إلى الصيد شرقي دمشق
فغاب خمسة أيام . وكان معه أخوه ^(٢) الملك العادل ، فودعه من البرية وأمره بالسير
١٥ إلى الديار المصرية ، وأوصاه بالملك العزيز . وعاد السلطان إلى دمشق ، فحصل له
توعدك ، ثم قوى .

١٨ وعن القاضي بهاء الدين بن شداد قال : حضرت من القدس ^(٣) لما طلبني
السلطان على البريد . فلما مثلت بين يديه قربني وأجلسني ، ثم قال لي : « من الباب

(١) في المتن : « دفع المكارم » والتصحيح من مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٢ ص ١٣٤ .

(٢) في المتن : « أخاه » .

(٣) في المتن : « حضرت من الديار المصرية » والتصحيح من النوادر السلطانية لابن شداد

جالساً؟» . قلت: « الملك الأفضل ولدك ، والناس وقوف بين يديه » . فنهت ودمعت عيناه وقال : « أف للدنيا ماذا تنير من الأحباب على الأحباب » . ثم قال : « اخرج إليهم وعرفهم بعض ما أنا فيه » . ٣

وعن القاضي الفاضل قال : حضرت عند السلطان صلاح الدين في مرضه ، فأمر بطعام ، فقدم وقد جلس الملك الأفضل في دست أبيه ، فقال لي : « يا قاضي اخرج وانظر الناس كيف هم بعدى » . قال ، فخرجت ، فلما رأيت ولده مكانه ، رجعت وقد عميت من البكاء ، وكذلك بكى كل من حضر . وكان أشد يوم على الناس . ٦

ثم إن السلطان صلاح الدين ثقل في المرض . وعن إمام الكلاسة^(١) قال : حضرت عند السلطان صلاح الدين لما أمرني ولده الملك الأفضل أن ألقنه الشهادة ، فوجدته قد غاب ذهنه ، فقرأت « هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم^(٢) » . قال فسمعه يقول : « نعم هو كذلك » . قال الشيخ: فقلت في نفسي هذه عناية من الله تعالى بهذا الرجل في دنياه وآخرته . قال الشيخ: ثم قرأت - وقد غاب ذهنه أيضاً - إلى أن انتهيت إلى قوله تعالى « لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم^(٣) » . قال الشيخ: فرأيت أنه قد تبسم وتهلل وجهه ، وفاضت نفسه ، رحمه الله تعالى . ١٥

وعن القاضي الفاضل قال : لما مات السلطان صلاح الدين - رحمه الله تعالى - حصرتنا تركته ، فوجدنا في خزائنه أحد وأربعين درهم ، ودينار واحد صورى . هذا كان ملكيته لنفسه في ذلك الوقت . ١٨

وتوفى وله من العمر سبع وخمسين سنة . وكان مولده سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة بتسكريت . وكانت مدة مملكته بالديار المصرية نحو أربع وعشرين^(٤) سنة . وملك الشام بعد نور الدين وولده الصالح نحواً من تسع عشرة سنة . ٢١

(١) الكلاسة : شمالى جامع دمشق .

(٢) سورة الحشر ، ٢٢ .

(٣) سورة التوبة ، ١٢٩ .

(٤) في المتن : « نحو أربع وعشرون سنة » .

أجمع الرواة أنهم لم يسمعوا ولا رويوا عن ملك أسمع ولا أجود من السلطان صلاح الدين - رحمه الله - ولا أشجع نفساً ، ولا أنصر للملة محمد صلى الله عليه وسلم .
وفي ذلك يقول ابن أسعد الفقيه الشافعي من قصيدة امتدح بها السلطان صلاح الدين ٣
رحمه الله :

وأبلج يستهين الموت يلقى بصفحة وجهه بيض الصفاح
جواد بالبلاد وما حوته إذا جادوا بربات القحاح ٦
من نفر الذين إذا تجلوا أعادوا الليل أجلى من صباح
فن حاتم وكعب وابن سمدي رعاة الشاة والنعم المراح
فلاّحين والراجين منه أعزّ حمي وأكرم مستباح ٩
يفيض بطون راحهم نوالاً وتستلم الملوكة ظهور راح

ذكر عدة أولاده الملوكة

خلف سبع عشر ولداً ذكراً وبنت واحدة ، وهم : الملك الأفضل نور الدين ١٢
علي ، وكان أكبر ولده ، ووليّ عهده ، مولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس وستين
وخمسةائة . وكان يوم مات أبوه وولي الملك بدمشق عمره أربع وعشرين سنة وأشهر ،
والله أعلم . ١٥

الملك العزيز

عماد الدين عثمان صاحب مصر ، مولده بالقاهرة ، ثامن جمادى الأولى سنة سبع
وستين ، وكان أصغر من أخيه الأفضل بسنتين وشهرين . ١٨

الملك الظاهر

غياث الدين غازي صاحب حلب ، مولده بالقاهرة نصف شهر رمضان سنة ثمان
وستين وخمسةائة . وكان أصغر من العزيز بسنة وأشهر . ٢١

- والمملك الفضل قطب الدين موسى . والمملك الزاهر مجير الدين داود . والمملك الظافر مظفر الدين خضر . والمملك المؤيد نجم الدين مسعود . والمملك الأغر شرف الدين يعقوب .
 ٣ والمملك المعز فتح الدين إسحاق . والمملك الجواد ركن^(١) الدين أيوب . والمملك الموفق نصرة الدين إبراهيم . والمملك الأشرف نصير الدين محمد . والمملك المعظم توران^(٢) شاه . والمملك الغالب ملكشاه^(٣) . والمملك المحسن^(٤) يمين الدين أحمد . والمملك المنتصور سيف الدين أبو بكر . والمملك الأجد عماد الدين شاذى .
 ٦ ومات - رحمه الله - عن اثنين صفار ذكور . والبنت تزوجها بعد ذلك السلطان الملك الكامل ابن عمها ، حسبما يأتى من ذكر ذلك فى موضعه .
 ٩ وعن القاضى بهاء الدين بن شداد قال : والله مات السلطان صلاح الدين - رحمه الله - ولم يترك دارا ولا عقارا ولا ملكا ولا ضيعة ولا فضة ولا ذهباً إلا ما ذكر أنه وجد بخزائنه ، ولا رغب فى زخرف الدنيا ولا فى أعراضها
 ١٢ - رحمه الله عليه - وعوضه النعيم المقيم ، بجوار الرحمن الرحيم .

ذكر بعض محاسنه رضى الله عنه

- قال العبد المؤلف لهذا التاريخ أبو بكر بن عبد الله الدوادارى - عفا الله عنه - :
 ١٥ أما ذكر محاسن السلطان الشهيد صلاح الدين وبعض مناقبه ، فقد افترد بذلك مصنف سيرته ، والمطلع على أخباره ، والحاضر لماثره وآثاره ، القاضى المرحوم بهاء الدين ابن شداد ، وذكر ذلك بلسان أنطقه فرح العطاء ، فأخرس بنطقه فصيح القطاء ، حتى لم يترك لقائل مقال ، ولا لحصّار قريحة من مجال . وأما ما ذكره أبو المظفر

(١) فى المتن : « نجم الدين » والتصحيح من ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٤٢٥ .
 (٢) فى المتن : « الماجد توران شاه » والتصحيح من النجوم الزاهرة لأبى الحسن (ج ٦ ص ٦٢) ، ومفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٤٢٥) ، والروستين لأبى شامة (ج ١ ص ٢٧٧) .
 (٣) فى المتن : « المحسن فروخ شاه » والتصحيح من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٤٢٥) والنجوم الزاهرة لأبى الحسن (ج ٦ ص ٦٢) .
 (٤) فى المتن : « المجاهد » ، والتصحيح من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٢ ص ٤٢٥) .

- الذى هذا التاريخ من أساس تاريخه نشئ* ، ومن حشو حلاوة لوزينجه^(١) حشى ،
فقال : كان السلطان صلاح الدين ملكا شجاعا مقداما ، سمحا معطاء ، كريما جوادا ،
حسن الملتقى ، صاحب بشاشة وهمة ويقظة وتفكير في مصالح المسلمين ، شريف النفس ،
على الهمة ، عزيز المروءة ، واسع الصدر ، كثير الحياء ، قليل السفه ، عظيم الحرمة ،
شديد الهيبة ، متزهداً عن أعراض الدنيا ، غير متطلع لما في أيدي الناس ، يُحِبُّ
أهل الفضل والعلم والأدب ، متواضع لأهل العلم والشرع ، حسن التدبير ، ليس له
همة في لذات الدنيا وزخارفها ، مشغول لما استعمله الله - عز وجل - فيه من سائر الأمور
الدينية ، أكبر همه الجهاد في سبيل الله ، وقيام منار الإسلام ، وإخماد جرة الكفر.
يرى نفسه كأحد من الناس .
ورأيت في مسوداتي أن لما فتح السلطان صلاح الدين بيت المقدس ، واستنقذه
من يد الكفر ، في شهر رجب - حسبما تقدم من تاريخه - كان هذا الفتح خامس
وعشرين مرة له قد استنقذ من يد المشركين بأيدي المسلمين .
قال ابن واصل : حدثني بعض من أثق به أنه كان جالسا^(٢) بحضرة السلطان
صلاح الدين - رحمه الله - وقد دخل عليه ولده عثمان الملك العزيز - وهو إذ ذاك صغير -
فطلب من أبيه السلطان دينارا^(٣) ، فقال لمملوك قائم بين يديه : « أعطه » - أظنه
خزنداره - فقال : « ما هو عندي » . فأتى إلى الأرض ساعة ، وإذا بحمل من
الإسكندرية وقد دخل عليه ، وحمل آخر من الصعيد ، وآخر من الغربية ، فأمر
بإفراغ المال بين يديه ، ثم قسمه وفرقه [على]^(٤) الجميع ، حتى لم يبق منه شيء . قال
الراوى كذلك : فداخلى حنق ، وكنت ممن أدل عليه ، فقلت : « يامولانا كل الأمور

(١) لوزينج = القطائف ، نوع من الملوى يحشى باللوز وما شابهه

(Dozy : Supp. Dict. Ar.)

(٢) في المتن : « كان جالس » .

(٣) في المتن : « دينار » .

(٤) ما بين حاصرتين ساقط من المتن .

صبرت عليها إلا هذه . قال : « وما هي ؟ » ، قلت : « ولدك يطلب منك ديناراً فلم تجده مع خازنك تعطيه ، وتفرق هذه الأموال العظيمة ولا تبقى منها لولدك ما طلبه منك » . فقال : « يافلان ترى هذه الأموال والله إنما شُريت بها رؤوسهم ومهجهم » .
 قال الراوى : فوالله لقد شاهدت تلك الرؤوس تتطاير بين يديه فى مواقف الحروب كالأكبر ، فعلمت عند ذلك جميل مقاصده ، رحمه الله .

٦ وروى أن السلطان صلاح الدين لما كان بدمشق - بعد مهادنة الفرنج - حضرت إليه عدة من الرسل ، ومنهم رسول الفتن الكبير صاحب رومية ، وكان السلطان فى طارمة^(١) له تطل على اصطبله ، وخيله قدامه ما لا تبلغ ثلاثين فرساً^(٢) ، فنظر الرسول إلى ذلك فاستقله ، فقال للترجمان : « قل للسلطان أنت ملك الأرض ، وصاحب العصر ، وهذه جميع خيلك ؟ فنحن أى فارس مسكنة منا كان عنده أضعاف هؤلاء » . فأعاد الترجمان على السلطان ، فقال : « قل له جوابك غدا إن شاء الله تعالى » . ثم إن السلطان رسم للحجّاب أن يكون الجيش جميعه بكرة النهار مُطلب ، ويدخل طلباً طلباً^(٣) بجميع خيولهم وجنائبهم وأتقاهم ، من تحت تلك الطارمة . فلما أصبح ، وجلس السلطان ، وكذلك الرسول ، ودخلت الأطلاب فى أحسن زى ، وأعظم هيئة ، رأى الرسول ما أذهله ، فقال السلطان للترجمان : « قل له هؤلاء هم خيلي وعدنى » . فقال الرسول : « والله ملبح . لكن يجب أن يكون للسلطان مال حاصل ، فإن المال مثل العسل ، والرجال مثل الذباب ، متى رأى العسل اجتمع عليه » . فأعاد الترجمان على السلطان ذلك ، فقال قل له : « جوابك الليلة إن شاء الله تعالى » . ثم أمر السلطان أن يمد الخوان جميعه عسل فى زبادى على الخافى^(٤) ، وأوقد الشموع . وأحضر

(١) الطارمة ، وجمعها طارمات : بنت يشيد من الحشب ، يشكل سقفه على هيئة قبة ، ويخصص لجلس السلطان ، انظر (Dozy: Supp. Dict. Ar.) .

(٢) فى المتن : « فرس » .

(٣) الطلب : الكتبية من الجيش ، وهو لفظ كردى (Dozy: Supp. Dict. Ar.) .

(٤) الخافى ، ومفردها مخفية ، وهى طبق واسع كبير العمق كانت توضع به كميات كبيرة من اللحم والطعام فى المواثد الكبرى (كتاب السلوك للمقرئى ، ج ٢ ق ٢ ص ٦٨ حاشية ٣) .

الرَّسُولُ ، فمد يده إلى جميع ما رآه فوجده عسلاً^(١) ، فسأل من الترجمان فقال : « قل للسلطان هذا جميعه عسل إيش سببه؟ » . فقال السلطان: « قل له هذا جوابك ، وهذا العسل ، أين الذباب الذى أتى إليه ؟ » . فقال الرَّسُولُ: « هذا ليل ما فيه ذباب » فقال ٣ السلطان: « فإذا طرأ لى شغل^(٢) فى ليلٍ ، والأموال فى الخزائن ، أين أجد الرجال؟ » . قال: فصكَّب الرَّسُولُ على وجهه ، وقال باللسان العربى : « أنت صاحب الوقت ، وفتح الأرض » . وقد كان قبل ذلك لا يتكلم إلا بترجمان ، ويدعى أنه لا يعرف اللسان العربى .

قال ابن واصل صاحب التاريخ : إن الحصون التى فتحها السلطان صلاح الدين رحمه الله ؛ عن القاضي الإمام بهاء الدين أبى المحاسن يوسف بن رافع ، وهم : طبرية ، ٩ عكا ، حيفا ، قيسارية ، الناصرة ، أرسوف ، يافا ، عسقلان ، غزة ، الدارون ، صيدا ، بيروت ، جبيل ، هونين ، جبيلية ، تبنين ، أنطربوس ، جبلة ، اللاذقية ، السرفند ، القدس ، نابلس ، البشير ، بيت لحم ، بيت جبريل ، صفورية ، الطور ، حصن ١٢ دُبُورِيَّة ، جينين ، سبسطية^(٣) ، كوكب ، حصن عفرا ، الصافية ، مجدليا ، لُد ، الحب فوقاني ، الحب التحتاني ، القطارون ، الرملة ، حصن العازرة ، عرا وعرعرا ، البرج الأحمر ، حصن الجليل ، بيت حبرون^(٤) ، قلنسوة ، قاقون ، قلعة الطفيلة^(٥) ، ١٥ قلعة المهرمُز ، صفد ، حصن يازور^(٦) ، شقيق ، أرنون ، شقيف تيرون ، حصن سكندرونة ، بانياس ، صهيون ، بلاطنس ، حصن الحاضرية ، قلعة العندقر ، قصور عكا ، قلعة أبو الحسن ، صيدا الصغيرة ، حصن بلدة الرقيم ، الكهف ، حصن ١٨

(١) فى المتن : « عسل » .

(٢) فى المتن : « شغلا » .

(٣) فى المتن : « سبسطية » بالفاء .

(٤) فى المتن : « بيت حرون » .

(٥) فى المتن : « قلعة البطلة » ؛ ذكر ياقوت أن قلعة الطفيل قرب بيت المقدس ، انظر أيضا ، سيرة صلاح الدين ، لابن شداد .

(٦) فى المتن : « يازر » .

- ٣ يحمود^(١)، الشّرمانية، درب ساك، بنراس، الدانور الشرقية، بكاس، الشجر، بكسراثيل. عدة أربعة وسبعون فتوحًا استنقذه من أيدي المشركين. وأما ما اقتلمه من الممالك الإسلامية فثلاث أو ينقص عن ذلك قليلًا، والله أعلم.
- قال ابن واصل: ما استقر عليه الحال بعد وفاة السلطان صلاح الدين - رحمه الله. استقر بدمشق وما معها الملك الأفضل نور الدين على، وبالديار المصرية وما معها الملك العزيز عماد الدين عثمان، وبحلب وما ينسب إليها الملك الظاهر غياث الدين غازي، وبالحلب وأعمالها عنهم الملك العزيز ظهير الدين طغتكين بن أيوب، وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية عنهم الملك العادل سيف الدين أبو بكر، وبجها وسلمية والمرة ومنبج وقلمة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر، وبحمص والرحبة وتدمر الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه، وببعلبك وأعمالها الملك الأجدد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب. وييسد الملك الظافر [خضر] حصن بصرى، وهو في خدمة أخيه الأفضل صاحب دمشق.
- وييد جماعة من أمراء دولته بلاد وحصون، منهم: سابق الدين عثمان بن الداية، بيده شيزر وقلمة أبي قبيس؛ وناصر الدين منكورس بن خمارتكين بيده صهيون وحصن برزية؛ وكذلك بدر الدين دلدرد بن بهاء الدين ياروق بيده تل باهر؛ وعز الدين أسامة بيده كوكب وعجلون؛ وعز الدين إبراهيم بن شمس الدين بن المقدم بيده بمرين وكفر طاب وحصن أقامية؛ والملك الأفضل مرجوع السكل إليه، لكونه كان ولي العهد والأكبر من أولاد السلطان، وبقيّة إخوته في خدمته^(٢).
- وفيها توفي سنان رئيس الإسماعيلية - صاحب التموهيات والخزعات العجيبة، حتى أخذ بمقول أهل تلك الديار وملك بواطنهم وظواهرهم. فن جملة ذلك أنه خفر في مجلسه حفيرة يكون مقدارها إذا جلس الإنسان فيها جاءت إلى رقبته، وجعل عليها

(١) في المتن: «محود».

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣ ص ٣ - ٥.

- طابق من خشبٍ ، ونقب فيه بمقدار ما يطلع منه رأس الإنسان . ثم صنع طبق نحاس ، ونقب فيه بمقدار رقبة الرجل ، وجعله بمصرعين ملتقيات متداخلات في بعضها البعض ، لا يميزه أحد ، ولا اطلع عليه أحد . فكان إذا أراد أن يفعل تمويهاً^٣ يأخذ رجلاً يختار عدمه ، ويقربه أولاً ، ويُحسن إليه ، ولا يعلم ما المراد به ، ثم يُجزل صلته ويوصيه بما يريد أن يقوله ، ويتقن أمره معه . ثم ينزله تلك الحفيرة ، ويخرج رأسه من ذلك الخرق الذي في الطابق الخشب ، ثم يطبق على عنقه ذلك الطبق^٦ الفحاس المصنوع ، ويضع في الطبق حول عنق ذلك الإنسان دماغيطاً^(١) ، ثم يغطيه بمنديل ، ويوهم أصحابه أنه ضرب رقبتهم ، وأنه نقله من الدار الثانية إلى الدار الباقية ، مع الحور والولدان ، في جناتٍ نعيم . ويجلس ويأمر بحضور أصحابه ، فإذا استقر بهم^٩ الجلوس ، يأمر من يكشف عن تلك الرأس ، فلا يشك من رآها أنها رأساً مقطوعة موضوعة في الطبق ، فيقول له : « تحدث يا فلان بما أنت فيه من الخير لأصحابك ، وما وصلت إليه من النعيم » . فيحدثهم بما قرره معه من الوصية له ، فيقول له : « أيما أحب^{١٢} إليك ترجع إلى أهلك إلى ما كنت فيه ، أو تسكن الجنة حسبما رأيت » . فيقول : « وما حاجتي بالرجوع إلى الدنيا ، والله إن خردلة مما رأيت خير لي من تلك الدنيا سبع مرار . وأنتم يا أصحابي عليكم سلام الله ، وأوصيكم ، الله ! الله ! الحذر ! الحذر !^{١٥} من مخالفة هذا صاحب الإمام ، فهو حجة الله في أرضه ، والسلام » .
- وفيها ظهر بحمص من داخلها عُيون ماء ، حتى امتلأ الخندق ، فشرب أهل حمص منه ، فوخموا جميعهم ، وظهر عقيب ذلك طاعون أهلك خلقاً كثيراً^(٢) من أهلها .^{١٨} وفيها ورد الخبر أن ذئباً كُلب^(٣) ، فهجم مدينة دنيسر^(٤) ، فأتلف اثنين وسبعين نفراً من الناس حتى قُتل .

(١) أى سائلا ، وفي المتن : « دم غبيط » .

(٢) في المتن : « خلق كثير » .

(٣) أى أصيب بمرض الكلب .

(٤) دنيسر ، بضم أوله بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة ، قرب ماردين ، بينها فرسخان (ياقوت ، معجم البلدان) .

وفيها خرج السلطان ملك شاه من همدان قاصداً الرّبيّ ، فهدمها حجراً حجراً ، وقتل جماعة من أمرائها .

٣ وفيها - في سابع صفر - ظهر بظاهر بغداد عمود نار من الأرض إلى السماء ، عرضه تقدير ثلاثة أرماع ، ونظره الخليفة الإمام الناصر لدين الله ، وجميع أهل بغداد .

٦ وفيها وقع بنابلس برّد ، زنة كل حجرٍ منها مائة وخمسين درهم .
وفيها نزلت صاعقة بسيخ الحديد من عمل حلب ، فقتلت جماعة ، وبقي مكانها خلوا أربعين ذراعاً . وكذلك سقط يجبل الملوّان من عمل حلب برّد تقدير كوز الفقاع .
٩ ونزلت صاعقة بالياروقية من حلب ، وسقطت في اصطبل الحاجب ، فقتلت له تسع أروس خيل .

ذكر سنة تسعين وخمسمائة

النيل المبارك في هذه السنة

- الماء القديم ستة أذرع وخمسة أصابع . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً واثنيان ٣
وعشرون أصباً .

ماخلص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، نافذ الأمر ، ومستمر الأحكام ،
مطاع في سائر الأرض .
- والمملك العزيز بمصر حسباً تقرر . والمملك الأفضل بدمشق ، وسائر الملوك من
إخوته في خدمته ، خلا المملك الظاهر بحلب . ٩
- وفيها عزل القاضي صدر الدين أبو القاسم عبد الملك المقدم ذكره . وكان في طول
أيام السلطان صلاح الدين مستمر القضاء بمصر ، فعزل في هذه السنة . وولى القاضي
زين الدين أبو الحسن علي بن الشيخ شرف الدين يوسف الدمشقي . وكان المذكور ١٢
نائباً عن القاضي صدر الدين بالقاهرة سنين كثيرة ، فاستقر بالقضاء .
- وكان السلطان صلاح الدين قد جعل لأولاده لكل واحد إقليم مملكة في أيامه .
وجعل من الفرات ^(١) إلى الشرق كله داخلًا في سلطان أخيه المملك العادل سيف الدين ١٥
أبو بكر ، وذلك خوفاً على أولاده منه . فكان المملك الأفضل بدمشق ، والمملك الظاهر
بحلب ، والمملك المنصور بجماه والمرة وقاعة نجم ، والمملك الأجد بعلمبك ، والمملك المجاهد
حمص والرحبة وتدمر ، والمملك العزيز مصر ، وباقي الملوك في خدمة الأفضل بدمشق . ١٨
والشرق جميعه للعادل .

(١) في المتن : « الفرات » .

ذكر سبب انتقاض ملك الأفضل

صاحب دمشق

- ٣ وذلك أنه استوزر الصاحب ضياء الدين بن الأثير صاحب الترسل والفضيلة الحسنة . وكان له أيضاً صاحبان؛ أحدهما عز الدين ابن الأثير صاحب الغاريخ المشهور، والآخر مجد الدين أبو السعادات صاحب كتاب جامع الأصول في علم الحديث . وكان هذا الرجل فاضلاً ، متقدماً عند الملوك أصحاب الموصل من بني زنكي . وكانوا هؤلاء
- ٦ الثلاث أصحاب حله وعقده ، فأشاروا عليه أن يُبعد ممالك أبيه ، وينشئ ممالكاً من جهته . وأوحوا إليه أن ممالك أبيه لا يرونها ^(١) إلا بعين الصغر ، ففعل الأفضل ذلك ، وكان من سوء التدبير . فلما تباین للأمراء ذلك مالوا إلى الملك العزيز بمصر ، ورحلوا إليه ، فلتقاهم العزيز أحسن ملتقى ^(٢) ، وأكرمهم ، وأحسن إليهم . ورأى أمره أنه قد قوى بهم ، فأشاروا عليه أن يتحرك إلى الشام ، ويأخذ دمشق من أخيه
- ١٢ الأفضل . فأراد أن يقيم له ذنباً يأخذه به فطلب منه بيت المقدس - وكان مضافاً إلى مملكة دمشق - فاستشار هؤلاء ، فقالوا : « لا تفعل بطمع في سلطانك » ، فامتنع . وتجهز العزيز إلى الشام . وكانت ^(٣) أسماء الأمراء الذين حضروا من الشام إلى خدمة
- ١٥ العزيز : ميمون القصرى وسنقر الكبير ، مع جماعة من ملوك الأكراد ، والأمير نحر الدين جهار كس . ثم تبعهم بعد ذلك الأمير صارم الدين قايماز النجمي ، وكان من أكبر الأمراء الأيوبية ؛ فإنه مملوك نجم الدين أيوب بن شاذى والد المملوك بنى أيوب فحضر
- ١٨ إلى الملك العزيز بمصر . فلما علم الأفضل بتحريك العزيز إلى الشام ، كتب كتاباً إلى عمه الملك العادل يستنجد به ويستجير به ، فعندها توجه العادل من الشرق إلى نحو الشام ، فوصل إلى دمشق في اثني عشر يوماً ، ووجد العزيز أيضاً قد وصل دمشق ،

(١) في المتن : « ممالك أبوه لا يروها » .

(٢) في المتن : « ملتقى » .

(٣) في المتن : « وكان » .

فشى بينهما بالصلح ، فاصطلحا صلح العامرية ، على فساد . ولما رأى العادل اختلاف الإخوة ، طمع في الملك بالشام ومصر وغيرها .

- وكان لما بلغ سيف الدين بكتمر صاحب خلاط موت السلطان صلاح الدين فرح ٣ فرحا عظيما ، وأمر أن تضرب البشائر في سائر قلاع وحصونه ، ولقب نفسه الملك الناصر ، وكتب كتباً إلى سائر ملوك الشرق ، مثل عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي ابن أفسنقر صاحب الموصل وحسام الدين [يولق] (١) أرسلان بن إيلغازي ، وكذلك إلى صاحب سنجار ، وصاحب ماردين ، وغيرهم ، يستدعيهم إلى قتال الملك العادل ، وأن يأخذ البلاد منه ، فأجابوه إلى ذلك . وكان أول من قدم منهم صاحب ماردين وصاحب الموصل ، إلا عماد الدين زنكي فإنه لم يوافقهم على ذلك . وكان اجتماعهم في سنة ٩ إحدى وتسعين وخمسة .

- وأما ما جرى (٢) للعزیز فإنه لما خرج إلى الشام جعل ولده المنصور ولي عهده - وكان صغيراً - فأقام بهاء الدين قراقوش نائباً عنه بالديار المصرية . ولما أصرح العادل بينه وبين أخيه الأفضل حصل الخلاف بين العزيز وبين أمراءه الأسدية والأكراد ، ففارقوا خدمته ، ومضوا إلى عمه العادل وأخيه الأفضل . وانقلب الدست عليه ، فتوجه من دمشق هارباً لايلاوى على شيء . وركبوا خلفه ولحقوه ببليس ، وحاصروه بها أياماً . ١٥ ثم اصطالح مع عمه العادل وأخيه الأفضل على مال دفعه . وعاد الأفضل إلى الشام ودخل العادل إلى القاهرة ، وأخلى (٣) له العزيز القصر الكبير .

- وفيها عزل القاضي زين الدين . ١٨
وفيها ولي القاضي محيي الدين بن عصرون (٤) .

(١) ما بين حاصرتين من مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٣ ص ١٦ .

(٢) في المتن : « ماجرا » .

(٣) في المتن : « وأخلا » .

(٤) هذه العبارة فيها خلط وخطأ ، وبمقارنتها بما ذكره ابن واصل (مفرج الكروب) ج ٣ ص ٣٩ ، ٥٤) يتضح أن القاضي محيي الدين بن أبي عصرون ولي قضاء الديار المصرية سنة ٥٩٠ هـ ، وفي سنة ٥٩١ هـ عزل ابن أبي عصرون وولى بدله القضاء زين الدين يوسف الدمشقي . وقد استدرك ابن أبيك هذا في أحداث السنوات المقبلة . ويلاحظ أن المقرئ يزي أرخ عزل ابن أبي عصرون وتولية زين الدين يوسف بدله بسنة ٥٩٢ هـ .

ذكر سنة إحدى وتسعين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ستة أذرع وأصبعان . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وعشرة أصابع .

ماخلص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الفاصر لدين الله أمير المؤمنين ، نافذ الحكم ، مستمر السلطان .
والملك العزيز بمصر [ومعه] عمه العادل .

وفيها توجه العزيز والعادل عمه إلى دمشق وحاصروا الأنضل ، واقتلوا^(١)
دمشق منه ، وملكها العزيز لعمه الملك العادل ، وذلك في شعبان . وعاد العزيز
٩ إلى مصر .

وتوجه العادل إلى الشرق ، فبلغه أخبار بكتمر صاحب خلاط ، فكثب
[العادل] إلى أولاد أخيه يستنجدهم ، فكان أول من وصل إليه العزيز صاحب
١٢ مصر ، وجد في سيره حتى وافاه . وركب طريق المفازة . ثم وصل^(٢) إليه الملوك
أولا فأولاً . فلما تكاملوا رحل الملك العادل إلى حران ، ونزل بها . ثم إن عز الدين
صاحب الموصل توفي^(٣) . وتفلت جموع بكتمر ، ورجع كل عسكري إلى بلاده .
١٥ وأرسل عز الدين صاحب ماردين يعتذر من فعله للملك العادل . ثم إن بكتمر صاحب

(١) في المتن : « واقتل » .

(٢) في المتن : « وصلوا » .

(٣) جاء في حاشية في هامش الورقة أمام وفاة عز الدين صاحب الموصل ما نصه :

قال ابن واصل : كانت وفاة عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل ، السابع والعشرين من شعبان سنة تسع وتسعين وخمس مائة ، فكان بينه وبين وفاة السلطان صلاح الدين سنة أشهر ، وهو الصحيح . وكانت مدة ملكه الموصل ثلاث عشرة سنة وستة أشهر . وقام بملك الموصل نور الدين أرسلان شاه ولده ، وهو أستاذ بدر الدين لؤلؤ النوري ، وبه عرف . وقام بتدبير المملكة الأمير مجاهد الدين قايمازلي أن كبر نور الدين واستعجم أمره ، حسبا يأتي من ذكره إن شاء الله تعالى .

هذه الفتنة وثب عليه فداوى فقتله ، وسُلم الفداوى لبعض حاشيته له^(١) . وتمسك
الملك العادل من الشرق ، وملك الخابور ونصيبين وسائر تلك الأعمال . وعادت
الملوك إلى بلادهم . وعاد العادل إلى دمشق ، وخلف بعض أولاده بالشرق ، لا أعلم
أيهم كان .

وفيهما وردت الأخبار أن [يعقوب بن يوسف بن]^(٢) عبد المؤمن صاحب الغرب
كسر ألفنش^(٣) ملك الفرنج على مدينة طليطلة بالأندلس ، وأسر من الفرنج ستين
ألف أسير ، وقتل مائتي ألف وستة عشر ألف ، وكسب من السلاح والعدد
ما لا يحصى كثرة ، من جملة ستين ألف زردية . وكان عدة خيام الملاعين أربع مائة
ألف خيمة وستة عشر ألف خيمة ، وعدد البغال التي كسبتهم عسكر [ابن] عبد المؤمن
مائة ألف وخمسة وعشرون ألف بغل ، وعدد الخيل ستون ألف حصان ، ومائة ألف
حجرة^(٤) . وإن ألفنش بعد هذه الكسرة دخل طليطلة في سبع نفر .
قال ابن واصل : في هذه السنة كان دخول العادل إلى الديار المصرية ورجوع
الأفضل إلى دمشق .

وفيهما - أعني سنة إحدى وتسعين وخمس مائة - عزل القاضي ابن عسرون .
وولى القضاء بالديار المصرية القاضي زين الدين يوسف الدمشقي .

(١) كذا في المتن ، ولعل صحتها : « لبعض حاشيته فقتله » . وجاء أمامها في هامش الورقة :
قال ابن واصل : وفيها قتل بكنتمر صاحب أخلاط ، قفز عليه باطن فقتله . انظر (مفرج الكروب ،
ج ٣ ص ١٩) .

(٢) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ، ج ٦ ص ١٣٧ . ويعقوب بن يوسف
هذا هو ثالث الحلفاء الموحدين بالمغرب (٥٨٠ هـ - ٥٩٥ هـ) .

(٣) يقصد الفونس التاسع ملك قشتالة ، وهذه الموقعة هي موقعة الأرك (Alarcos)
سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) ، انظر (Cam. Med. Hist. vol 6, p. 409) .

(٤) الحجرة : الأثني من الخيل (القاموس المحيط) .

ذكر سنة اثنين وتسعين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ستة أذرع وسبعة وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا
وثمانية عشر أصبعا .

ما لخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الفاضل لدين الله أمير المؤمنين، نافذ الأمر، مستمر الأحكام في أقطار
ممالك الإسلام ، خلا الغرب فإن [يعقوب بن يوسف بن] عبد المؤمن فيه ، يدعى
بأمير المؤمنين . .

٩ وفي أول هذه السنة عزل القاضي ابن عصرون .

وفيها استعملت كلمة الملك العزيز ، واجتمعت عليه الأمراء الكبار .

١٢ وقيل في هذه السنة كان أخذ دمشق من الملك الأفضل، وتسليمها للملك العادل،
وهو الصحيح .

١٥ وذلك أن الأمراء لما أقروا عزم العزيز على أخذ دمشق ، وتوجه لأخذها من
الأفضل ، وعلم الأفضل أن لا قبل له بالعزيز ، سار إليه ببذل له الأموال ، ويقول :
« أنا أخطب باسمك ، وكذلك السكة ، وأكون نائبك » . فلم يقبل العزيز شيئا^(١)

١٨ من ذلك . فكتب الأفضل إلى عمه العادل وإلى إخوته الملوك يستجير بهم من العزيز .
وتوجه الأفضل ونزل القصير لما بلغه قدوم العزيز . ثم ضاق ذرعه عن الملتقى^(٢) ،
فولى^(٣) هاربا إلى رأس العين^(٤) فلم يشعر إلا بالعساكر المصرية وقد أدركوه ،

(١) في المتن : « شىء » .

(٢) في المتن : « الملتقى » .

(٣) في المتن : « فولا » .

(٤) رأس العين ، مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين وديسر ،
(ياقوت ، معجم البلدان) .

- فانهزم ، ودخل دمشق ، وتبعه العزيز . وكان ذلك يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الآخر . ولم يزل حتى حصره [العزيز] في دمشق يوم وليلة ، فعندها وصل الملك العادل من الشرق في اثني عشر يوماً^(١) ، ودخل دمشق ، وكذلك الملك الظاهر صاحب حلب ، والملك المنصور صاحب حماه ، والملك المجاهد صاحب حمص ، والملك الأتحد صاحب بعلبك . ثم دخل الجميع دمشق إلى الأفضل . ثم كتبوا إلى العزيز يقصدوا الاجتماع به ، فاجتمعوا على سطح المزة وشفع العادل في الأفضل عند العزيز ، فقبل ذلك ، وقال : « يا عم أنت الوالد بعد الوالد ، ولا نخرج عن ما ترسم به » . فلما رأى العادل حسن سياسة العزيز وغزارة عقله خطبه لابنته ، وقدمها له ، فكان الملك العادل الخاطب والملك العزيز المخطوب . ثم أصلحوا بين المملوكين الأخوين ، وعاد كل ملك إلى بلاده . ثم تحرك أيضا الملك العزيز على الأفضل ، وعاد إليه قبل دخوله إلى الديار المصرية ، فإنه بلغه ممن يثق به أنه جهز عليه فداوية لقتله ، فبلغ الأفضل عودة العزيز إليه بخافه ، فركب بنفسه ، ولحق عمه العادل ، وسأله أن يقيم عنده بدمشق ، فعاد معه ، ونزل بدمشق . فلما بلغ الأمراء السكبار استقرار العادل بدمشق - وكان قد حصل لهم وحشة من العزيز - مالوا بأجمعهم إلى العادل . فلما حصل ذلك خشي العزيز على نفسه ، فعاد إلى مصر ، وأخذ بقلوب من بقى من الأمراء الأسدية ، وأحسن إلى الجند ، وأنعم إنعاماً كثيراً ، واستقر حاله .
- واتفق العادل والأفضل على طلب العزيز ، فتوجهوا ، وإلى مصر قصدوا ، فلقىهم الأمير حسام الدين بن أبي الهيجاء ، وقال : « حثوا المسير فإن الأمراء المصريين كلها معكم » . ثم ورد من العادل رسول على العزيز يستدعي القاضي الفاضل . وكان القاضي الفاضل قد انفراد بنفسه ذلك الوقت ، وانقطع في داره ، لما رأى ما حصل من الخلف بين الإخوة . فلما وصل القاضي الفاضل تلقاه الملك العادل ملتحقاً حسناً ، وقال : ٢١ « يا قاضي إنما جئت لأوفق بين الإخوة » . ثم وفق بينهما في حديث طويل ، آخره أنه أخذ الأفضل وعاد إلى دمشق .

(١) في المتن : « يوم » .

- وقيل إنه دخل مصر ، ونزل في القصر عند العزيز ، حتى اتفق معه ، وخرجا جميعا ، واستقلما دمشق من الأفضل ، وإنما عليه بصرخد . ومَلِكُ العزيز لعمه العادل دمشق ، حسبما تقدم من الكلام في هذا المعنى ؛ والله أعلم . ٣
- قال ابن واصل إن في هذه السنة - أعني سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة - كان أخذ دمشق من الملك الأفضل بسوء تدبير وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزرى . ولما وصل الملكان^(١) العادل والعزيز لحصار دمشق ، كتب إليهما جميع الأمراء الذين كانوا بها بالتسليم كرهاً للوزير المذكور ، فلم يحتاجا لمدة حصار . ولم يقاتل في ذلك اليوم غير الملك الظافر مع عسكرٍ بعثهم نجدة الملك الظاهر صاحب حلب . وجرح في ذلك اليوم الظافر جراحا كثيرة . ولم تقم البلد إلا ساعة من نهار ، ودخلها الملكان المذكوران^(٢) ، وخرج الملك الأفضل صبيحة ذلك اليوم بأهله وأمواله ، وكانت ليست بشيء . واختفى الوزير ضياء الدين في بعض صناديق الأفضل ، ثم هرب إلى الموصل بأموالٍ همة . ٦
- وتوجه الأفضل وصحبته أخوه الملك المفضل قطب الدين إلى صرخد ، واستقرا بها . وكان دخول العزيز إلى دمشق رابع شعبان . وأخذت أيضا بصرى من الظافر ، وتوجه إلى أخيه الظاهر بحلب . ٩
- وسلم الملك العزيز دمشق لعمه الملك العادل ، ورحل من دمشق عشية الاثنين تاسع عشر شعبان ، فسكانت مدة إقامته بها أربع عشر يوما . ١٥
- وكانت مدة ملك الملك الأفضل دمشق ثلاث سنين وأشهرًا . واستقرت الخطبة والسكة بدمشق وأعمالها للملك العزيز ، والملك العادل يظهر أنه نائب^(٣) له بها إلى أن استقام له الأمر ، حسبما ما يأتي من ذلك^(٤) . ١٨

(١) في المتن : « الملكين » .

(٢) في المتن : « ودخلها الملكين المذكورين » .

(٣) في المتن : « أنه نائبا » .

(٤) انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٥٠ - ٦٧ .

ذكر سنة ثلاث وتسعين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وخمسة وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا ٣ وأصبعا .

ما لخص من الحوادث

الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، نافذ الأوامر ، مستمر الأحكام ، ٦ مطاع في سائر الممالك الخليفية الناصرية بالأرض . والملك العزيز بمصر .

وفيهما سير [العزيز] إلى جميع الملوك من إخوانه ، بالممالك الشامية ، القاضي ناصح الدين الطالقاني - قاضي العساكر - وصحبته الأمير علم الدين - غلامه - وأمرهم أن ٩ يخطبوا له في منابر ممالكهم وبلادهم ، وأن يُنقش اسمه على الدينار والدرهم ، فامتثلوا ذلك . وسير عسكر مصر إلى خدمة عمه الملك العادل .

١٢ وفتح قلعة يافا واستعادها من الفرنج^(١) .
وفيهما أنشأ الأمير نحر الدين أياز جهاركس الناصري الصلاحي القيسارية^(٢) بالشرابشين^(٣) بالقاهرة المعزية .

قال ابن واصل : وفي سنة ثلاث وتسعين توفي سيف الإسلام صاحب اليمن ، ١٥ في شهر شوال منها . وكان يلقب بالملك العزيز ، ومدحه في حياته [شرف الدين] ابن عُثَيْن بقصيدة منها^(٤) :

دمشق وبى شوق إليها مبرحُ وإن لام واشي أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء دُرٌّ وتربها عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل

(١) ذكر ابن واصل (مفرج الكروب ج ٣ ص ٧٥) أن العادل هو الذى فتح يافا، وأن العزيز خرج من مصر إلى الشام بعد فتحها .

(٢) عن هذه القيسارية وتاريخها ، انظر : المقرئى ، المواعظ ، ج ٢ ص ٨٧ وما بعدها .

(٣) فى المتن : « انشرابشين » .

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٧٢ .

ومنها:

- ٣ وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأى ظهير الدين في جيل؟
 بنى المجد أمّا جاره فممنع عزيز، وأما جنده فذليل
 وأما عطايا ماله فبأحبة عذاب، وأما ظله فظليل
 وقام بعده بمملكة اليمن ولده إسماعيل ، ولقب المعز لدين الله ، آخر وقت ،
 ٦ وخطب لنفسه بالخلافة ، وادعى أنهم من بنى أمية . وكان في عقله ضعف ،
 وقد تقدم ذكر ذلك .
 وفيها توفي عماد الدين [زنكي بن مودود] صاحب سنجار ، وقام ولده
 ٩ قطب الدين محمد مكانه ^(١) .

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٧٨ .

ذكر سنة أربع وتسعين وخمسمائة

الذيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم أربعة أذرع وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وستة ٣ عشر أصبعا .

ما لخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، مستمر الأحكام ، مطاع الأمر ،
والملك العزيز صاحب مصر ، وكذلك بقية الملوك .
وفيها نزلت الفرنج - خذلهم الله تعالى - على تبين^(١) ، وحاصروها^(٢) . فلما بلغ
الملك العزيز ذلك ، خرج بالجيوش لدفعهم عنها . فعندما أطلت أعلامه عليهم رحلوا ٩
عن البلد صاغرين . وكان الملك العادل عنده ، قد أتاه زائراً لابنته زوجة العزيز .
وفي هذه السنة كانت الوقعة العظيمة بين السلطان غياث الدين محمد بن سام
وأخوه شهاب الدين الغوري ، وبين ملك الهند . وذلك أن شهاب الدين الغوري كان ١٢
قد كسر قبل ذلك من ملك الهند . ثم إنه اتفق مع أخيه صاحب الغور وسارا
طالبين^(٣) ملك الهند ، فلما قاربا ، قال رجل شيخ لشهاب الدين الغوري : « لا ينبغي
أن تقدم عليهم في بلادهم مع كثرتهم ؛ وقد جرى لك معهم ما جرى^(٤) » . فقال : ١٥
« والله إني منذ كسروني ما نمت مع زوجتي ، ولا غيرت ثياب البياض ، وها أنا سائر
إليهم ومعتدداً على الله عز وجل ، وإن نصرني نصر دينه ، وكان ذلك من فضله ،
وإن هزموني فلا تطلبوني فإني لا أنهزم بل أموت كريماً » . فلما قاربهم خرجوا إليه ، ١٨
فأظهر الهزيمة ، وهم في أثره إلى أن قاربوا بلاد الإسلام . ثم عبأ أصحابه في بعض الليالي ،

(١) في المتن : « تنيس » وهو تحريف .

(٢) في المتن : « وحاصروا » وهو تحريف .

(٣) في المتن : « طالبان » .

(٤) في المتن : « جرا » .

وكتبهم بقتة ، فقتلهم قتلاً ذريعاً ، إلا من هرب منهم . وكانت نصرة عظيمة .
 وهذه الوقعة لم يكن ملك الهند فيها . فلما بلغه ما جرى ^(١) على أصحابه جمع جيوشه ،
 وكان في جملتها سبع مائة فيل حربية ، وعدة جيشه ألف ألف مقاتل . وقصد بلاد
 الإسلام ، فسار شهاب الدين الفوري من غزنة للالتقاء ، وكان في مائة ألف وعشرين
 ألفاً ، والتقى . وصبر المسلمون على قتال المشركين ، ونصر الله دينه ، وخذل الكفرة
 عبّاد النار والأحجار . وكثر القتل فيهم حتى امتلأت تلك الصحارى والفلوات .
 وأما الأفيلة فقتل بعضها ، وأهزم بعضها . وقتل ملك الهند في تلك الوقعة . ثم إن
 شهاب الدين دخل إلى عظيم بلاد الهند وملسكها ، وحمل من خزائنها ألف وأربع مائة
 حملاً ذهباً ، وعاد إلى غزنة وصحبته الأفيلة برجالها ، وفيهم فيل أبيض . وحكى
 ابن واصل في تاريخه عن الشيخ تاج الدين بن الساعى أن هذا الفتح كان في سنة
 تسعين وخمسمائة .

١٢ ولما اتفق الملك العزيز والملك العادل على إخراج الملك الأفضل من دمشق ، ونفيه
 إلى صرخد ، كتب [الأفضل] إلى الإمام الناصر يتظلم منهما ، ويقول :
 مولاي : إن أبا بكر وصاحبه عثمان أحاطا بالسيف إرث على
 ١٥ فانظر لصاحب هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأولى ^(٢)
 وهذان البيتان ضمنهما آخر مطالعته للإمام الناصر فأجابه في آخر مكاتبتة :
 وافى ^(٣) كتابك يا بن يوسف معلناً بالودّ يخبر أن أصلك طاهر

(١) في المتن : « ماجرا » .

(٢) جاء في الهامش أمام هذه الأبيات ما يلي : « ومن شعر الأفضل في المعنى :

أما آن للسعد الذي أنا طالب لإدراكه يوماً يرى وهو طالب

ترى يرى الدهر أبداً شيعتي بتمكين يوماً من نواصي النواصب

قلت : يريد بقوله الشيعة أصحابه ، لأن اسمه على ، والنواصب أصحاب العادل - لأن اسمه

أبو بكر - والملك العزيز عثمان » .

(٣) في المتن : « وافا » .

غضبوا علياً حقه إذ لم يكن بعد النبي له يثرب ناصرُ
 فاصبر فإن غدا عليه حسابهم وابشر فناصرك الإمام الناصرُ
 ثم لم يزل الأفضل مُهْجِجاً من كل مكان حتى ملك في آخر وقت مدينة مميساط^(١). ٣
 ومات بها في تاريخ ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) في المتن : شيمسات .

ذكر سنة خمس وتسعين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

- ٣ الماء القديم أربعة أذرع وعشرون أصبعاً . مبلغ الزيادة اثنا عشر ذراعاً وأحد وعشرون أصبعاً .

ما لخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، نافذ الأمر ، مستمر الحكم .
وفيها توفي الملك العزيز - رحمه الله - ليلة الحادى والعشرين من المحرم .

ذكر تملك المنصور بن الملك العزيز

- ٩ هو ناصر الدين محمد الملك المنصور بن عماد الدين عثمان الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين . وباقي نسبه قد تقدم .

- كان ولي عهد أبيه^(١) في حياته . فلما توفي والده ، جلس بمملكة الديار المصرية في تاريخ وفاة أبيه ، وعمره يومئذ تسع سنين وشهوراً .

- ١٢ وكان سبب وفاة الملك العزيز أنه خرج إلى الصيد بفاحية الإسكندرية ، وأمن في البرية لصيد الغزال ، فساق ، فتقنطر من على جواده . ثم عاد إلى منزلة الأهرام ، فأقام بها ثلاثة أيام ، وتوفي إلى رحمة الله تعالى . وكان ملكاً جواداً ، سخيّاً ، شجاعاً ، مقداماً ، صاحب رياسة وسياسة وعقل وافر ، وتدير حسن ، كثير الحياء والعدل ، والإنصاف والرفق ، والإحسان إلى الرعية . وكانت الرعايا يحبونه محبة عظيمة .

- ١٨ وكان قبل وفاته قد تحركت الفرنج حركة عظيمة ، وعزموا على أخذ الساحل من المسلمين ، مع الشام كله . وخرج الملك العادل إلى مقابلتهم . ونفذ يطلب النجدة من العزيز ، فسير إليه العساكر في جمع كبير . ووصل إلى خدمته سنقر الكبير صاحب القدس ، وميمون القصرى صاحب نابلس ، وعدة أمراء ملوك . واجتمعوا ونزلوا

(١) في المتن : « أبوه » .

- على تل العجول^(١) . ثم إن العادل نزل على ياقا وحاصرها ، وأخذها بالسيف عنوة ، وقتل كل من كان بها ، وغنم منها غنائم كثيرة . ثم إن الفرنج - خذلهم الله - نزلوا على تبنين فبادرهم^(٢) حسام الدين سامه^(٣) وتبعهم الجيوش الإسلامية . فلما كان ٣ نصف الليل هربت الملاعين . ثم لم يزل الملك العادل يغزو فيهم حتى أفلقهم ، وسألوا المهادنة ، ووقعت الهدنة بينهم إلى مدة ثلاثة شهور بعد ثلاث سنين . ثم رحل العادل إلى الشرق ، ونزل على ماردین ، وأخذ ربضها ، وكان بها نائبا يقال له نظام الدين^(٤) . ٦ وكان قد كتب إلى العادل يستدعيه لأخذها بعد موت عز الدين صاحبها ، كما تقدم من الكلام في ذلك . ثم إنه ندم على مكاتبة العادل ، وسوف ، وظهر محاله وكذبه . وسير العادل ، وطلب المساكر من الملوك أولاد أخيه ، فحضروا إليه وجدّ في حصار ٩ ماردین . ثم وقع في الخيل مرض الطابق^(٥) . ولم يزل يجد في أمر الحصار حتى فتحها وعاد إلى الشام .
- وفيها توفي الملك العزيز^(٦) سيف الإسلام [ظهير الدين] طغتكين ١٢ صاحب اليمن .

- وفيها توفي الأمير نجم الدين النورى صاحب شغربكاس^(٧) والشقيف ، وهذه الحصون كان أنعم عليه بها السلطان صلاح الدين - أستاذه - في حال حياته . ١٥

(١) قرب غزة .

(٢) في مفرج الكروب لابن واصل (ج ٣ ص ٧٥) : « وكانت بيد حسام الدين » .

(٣) كذا في المتن ، وفي مفرج الكروب لابن واصل : « بشارة » .

(٤) كان صاحب ماردین هو حسام الدين يولق أرسلان بن بلغازى بن ألبى الأرتقى ، ومدير مملكته هو نظام الدين الذى كتب إلى الملك العادل يستدعيه ليسلم إليه ماردین ويأخذ منه عوضا عنها .

انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٨٠ .

(٥) يقال جل طباق أى عاجز عن الضراب (تاج العروس ولسان العرب) وطابق الفرس في مشيه أو جريه مطابقة وطباقا أى وضع رجله موضع يديه .

(٦) في المتن : « الملك المز » والتصحيح من وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٢٣٧) .

(٧) الشجر بضم أوله وسكون ثانيه ، قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس ، على رأس جبلين بينهما واد كالخندق ، وهما قرب أنطاكية ، (ياقوت ، معجم البلدان) .

ولما استقر الملك المنصور بن العزيز بالملسكة - وهو إذ ذاك طفل - نفذ إلى عمه الملك الأفضل فأحضره من صرخد ، وجعله أتابك جيوشه ، خوفاً من العادل عم أبيه .
٣ وقيل إن ذلك كان بوصية من العزيز له .

وكان دخول الأفضل القاهرة في شهر ربيع الأول . وفي يوم وصوله إلى بلبيس ورحيله متوجهاً إلى القاهرة انفصل أياز جهاركس ، وسرا سنقر ، وقراجا الكبير ، من الخدمة بديار مصر ، وتوجهوا إلى القدس ، وأقاموا به عاصين على الأفضل ، وكاتبوا الملك العادل .

وفيهما عزل القاضي زين الدين عن الحكم .
٩ وفيها توجه أطنبا الجحاف مع جماعة من الأمراء المصريين إلى الشام ، ولحقوا بمن تقدمهم .

وفيهما تجهز الأفضل ، وخرج بالمسافر المصرية إلى الشام ، لمحاصرة عمه العادل .
١٢ وفيها قبض [الأفضل]^(١) على أخيه المؤيد [مسعود]^(٢) مع جماعة من الأمراء المصريين ، وأودعهم الاعتقال .

وقيل إن العادل كان بالشرق ، وولده الكامل بدمشق . فلما بلغ العادل توجهه الأفضل من الديار المصرية إلى نحو الشام ، خشى على ولده ، وأن تؤخذ دمشق ، فساق في خيل يسيرة جريئة ، فوصل في إحدى عشر يوماً^(٣) . ودخل دمشق قبل وصول أحد إليهما ، وأمر الكامل أن يتوجه إلى الشرق ، ويكون على يقظة من أمره ، وذلك في ثالث شعبان من هذه السنة . ثم إن الأفضل زحف إلى دمشق ، وجرى^(٤)

بينهما قتال عظيم ، وحرب شديد ، وقتل من الفئتين خلق كثير . واستظهر الأفضل ، ولم يبق إلا أخذ دمشق ، وتحصن العادل بالقلمة . ثم إن عسكر الأفضل تفرق ، ودخلوا دمشق من عدة أماكن ، وتفرقوا للنهب ، فنزلت الأمراء العادلية ،

(١-٢) ما بين حاصرتين تكلمة من مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٣ ص ٩٤ .

(٣) في المتن : « يوم » .

(٤) في المتن : « جرا » .

والملك العادل بنفسه، وغلقوا أبواب دمشق. ووقع السيف في جماعة عسكر الأفضل
 ممن دخل دمشق، فقتل جماعة كبيرة، وعرثوا الباقي وأطلقوهم، فعند ذلك تأخر
 الأفضل ونزل الكسوة^(١)، وعاد العادل محصوراً^(٢) طول بقية هذه السنة. ٣
 وفيها كان بمصر غلاء شديد، بلغ القمح فيها ثمانين درهما^(٣) الأردب، والشعير
 والفلول أربعين درهما^(٤).

(١) الكسوة، بضم الكاف، قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى
 مصر، (ياقوت، معجم البلدان).
 (٢) في المتن: «محصور».
 (٣ - ٤) في المتن: «درهم».

ذكر سنة ست وتسعين وخمسة

الليل المبارك في هذه السفرة

٣ الماء القديم ثلاثة أذرع وأربعة وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة اثنا عشر ذراعا وعشرون أصبعا .

ما لخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، مستمر الأمر ، فأنفذ الحكم .
والملك المنصور بن العزيز صاحب مصر . وأتابك جيوشه الأفضل عمه . والملوك من أولاد السلطان صلاح الدين على ممالكهم ، وهم في معونة الأفضل على حصار العادل عنهم بدمشق . ٩

وفيها وصل الملك الكامل من الشرق بجيوش كثيفة ، لنجدة أبيه العادل .
وكان سبب وصوله وقدمه بمكاتبة أبيه له ، يحثه على حشد الجيوش ، وسرعة قدومه إليه ، ليستنقذه مما هو فيه من الأفضل وإخوته . وذلك أن العادل ضاق ذرعه من الحصار وعدم القوت بدمشق ، وفارقه جماعة من أصحابه . فلما ضاق به الأمر طلب الأسرى^(١) الذين كانوا عنده من الفرنج ، وقال : « أسلم إليكم هذه البلد وتمطوني السكرك بجميع ما فيها » ، فلم يوافقوه على ذلك . ثم شاور كبار خاصته ، فقالوا :
« ابعث إلى ولدك يأتيك بالأموال والرجال » . فسكتب إلى ولده الكامل أن يحصل جميع ما أمكنه من الأموال والرجال ، ويسرع في الحضور . وكتب إلى النائب بقلعة جعبر^(٢) أن يسلم للكامل جميع ما في الحصن من الأموال والسلاح . ١٨

ولما وصل الكامل بتلك الأموال والجيوش ، اطمان قلب الملك العادل ، وعلم أنه قد استقر حاله . ثم حصل الخاف بين الأفضل وأخيه^(٣) الظاهر صاحب حلب ،

(١) في المتن : « الأسرا » .

(٢) جعبر ، بالفتح ثم السكون ، قلعة على الفرات بين البالس والركة قرب صفين ، كانت قديما

تسمى دوسر (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٣) في المتن : « وأخوه » .

- وانتقد الحال على الأفضل ، ورحلت الملوك من عنده ، وطلب كل أحدٍ بلاده
ورحل الأفضل خائباً ، هارباً ، طالباً للديار المصرية . وخرج العادل في أثره بالجيوش .
وكان الأفضل قد وصل إلى القاهرة وأصلح حاله ، وخرج للفتى^(١) العادل ، ٣
فالتقى على الصالحية ، وانكسر الأفضل كسرة عظيمة لا جبر لها . ودخل القاهرة
في ثمر قليل . وأقام العادل على الصالحية ، وسير إلى الأفضل رسول يقول له : « أنت
تعلم أن مصر إقليم عظيم ، وله في أنفس الناس ناموساً عظيماً ، فإله الله لا تحوجني ٦
أخذها منك بالسيف ، فيكون ذلك نقصاً في حق هذا الإقليم ، فارحل عنها إلى مكانك
بصرخد ، وأنت آمن على نفسك ومالك وحرملك » . فقبل الأفضل ذلك ، ورحل
إلى صرخد ، بالرغم منه . ٩
وكان [أن] أعطاه العادل في الصلح ميفارقين وعدة بلادٍ ، وقع اليمين عليها .
ثم انتقض الحال في أمر البلاد المذكورة ، ولم يستقر للأفضل غير صرخد فقط .
ودخل الملك العادل إلى مصر سلطاناً مستقلاً ، وهو السلطان الملك العادل ١٢
سيف الدين أبو بكر بن أيوب ، وبقي نسبه قد علم . استبد بالملك بالديار المصرية والبلاد
الشامية بدمشق وإعمالها ، وممالك الشرق التي كانت في يده قبل ذلك من حياة أخيه
السلطان صلاح الدين ، رحمه الله . وملك جميع ذلك في هذه السنة المذكورة ، وقام ١٥
بالمك أحسن قيام ، ونظم الأحوال أحسن نظام ، ومشى على ما كان عليه أخوه السلطان
صلاح الدين ، رحمه الله . وأقام بالديار المصرية بقية هذه السنة ، ثم أقام بها الملك الكامل ،
وتوجه [العادل] إلى بلاد الشرق حسبما يأتي من ذكره . ١٨
قال ابن واصل : إنما كان دخول العادل إلى الديار المصرية أولاً أتابكاً للملك
النصور . ثم استقبح ذلك فاستبد بالأمر ، وقام بأمر السلطنة ، فلذلك حصلت الوحشة
من الأمراء الصلاحية ، وخرجوا عن طاعة الملك العادل خيفاً من ذلك^(٢) . ٢١
وفيهما توفي القاضي الفاضل ، رحمه الله تعالى .

(١) في المتن : « للفتى » .

(٢) انظر مفرج الكروب ، ج ٣ ص ١١٠ .

ذكر القاضى الفاضل وفقير من ترسله

- هو القاضى الفاضل عند اسمه ، الآخذ من درجة السبق فى الفضيلة بأوفر
- ٣ من نصيبه وقسمه ، عبد الرحيم بن على البيسانى . قال : « أتقضى والدى من عسقلان إلى الديار المصرية أيام الفتنة بوزارة شاور ، وكتب على يدى كتاب إلى صاحب ديوان الترسل ، وكان يعرف بابن الخلال^(١) . فلما مثلت بين يديه ، وقرأ الكتاب ، وفهم أنى من طلبة علمه قال لى : « يا ولدى ما الذى اعتدته وحصلته لهذه الصناعة ؟ » قلت : « حفظ كتاب الله العزيز وكتاب الحماسة » . قال : « إن فيهما لكفاية ، مع ما أرى من نجابتك » . ثم ترفت به الأحوال إلى أن صار منه ما شاع وذاع ، وشغف بذكر محاسنه الأشماع .
- ٦ وإن كان آخر فقد تقدم بفضل على الأوائل ، وعبر على وجهه قس وسحبان وائل . لا أعلم بالشرق والمغرب مثله ، وعنوان عجائبه مثل قوله : ووافينا قلعة نجم وهى نجم فى سحاب ، وعقاب فى عقاب ، وهامة لها النمامة عمامة ، وأنملة إذا خضبها الأصيل .
- ١٢ كان الهلال لها قلامة . قلت : ما أحسن هذا الحل بالمعنى . وبعض اللفظ من قول ابن المعتز :

ولاح ضوء هلال كاد يفضحننا مثل القلامة قد قدت من الظفر

- ١٥ فإن جل المنظوم على ثلاثة أضرب ؛ الأول - وهو أقلهم رتبة - وذلك أن تحله بمعناه ولفظه ؛ والثانى أعلى منه رتبة أن تحل ببعض لفظه ومعناه ؛ والثالث أن تحل بالمعنى دون اللفظ ، وهو أفضل الثلاث ، والله أعلم .

- ١٨ نقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر - رحمه الله - يقول : نقلت من خط الأشرف بن الفاضل - رحمه الله - قال : اختار الله لجدى - رحمه الله - جواره ليلة الأحد الحادى عشر من شهر ربيع الأول ، سنة ست وأربعين وخمسمائة . واختار الله

(١) فى المتن جاء الاسم غير منقوط . وهو يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال الملقب بالموفق صاحب ديوان الإنشاء بمصر فى دولة الحافظ الفاطمى . وتوفى ابن الخلال بعد تملك الناصر صلاح الدين مصر بثلاث أو أربع سنين ، انظر : ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ج ٢ ص ٤٠٧ - ٤٠٩ .

- لعمى السعيد أبى الحسن جواره ليلة الجمعة الثانى والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة تسع وخمسين وخمسمائة بالقاهرة ، ودفن بسارية^(١) ، واختار الله لعمى الفتح جواره بالإسكندرية ليلة الثلاثاء تاسع وعشرين شعبان سنة أربع وتسعين وخمسمائة . واختار ٣ الله لسيدى والدى رحمه الله - يعنى الفاضل - جواره ليلة الأربعاء السابع من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين بالقاهرة ، ودفن بسارية .
- ومن فقرَ القاضى الفاضل رحمه الله - وهو من باب المرقص فى النثر - « لبد الماء ٦ فى اللبايد فتقل وزنها ، وانعكس فيها التشبيه فصار كالجبال عنها » .
- وقوله فى فتح طبرية : فلما نظر إليها مالمسكها ، وقد جعلنا عاليها سافلها ، وأيقظنا بصياح السيف نائمها ، وأنبهنا غافلها ... ٩
- وقوله : وافى الأصطول الميموث فى خمسين غرابا طائراً من القلوع بأجنحته ، كاسيراً بمخالب أسلحته ، فما وافى شملًا إلا دعاه إلى الحين ، وحق ما يُعزى إلى غراب البين . ١٢
- وقوله : وأخذنا بالحزم ، فسرنا إليهم سُرَى الطيف ، واختطفناهم قبل بكور الغراب بمنشر الرمح ، وخناج^(٢) السيف .
- وقوله : من حمل السنين ثقلت على ظهره ، ومن قصرت خطاه اتسعت إلى قبره . ١٥
- وقوله : وقد أثر هذا البيكار فى استطاعتهم لا فى طاعتهم . وقوله فى التوسط بين الإخوة الملوك - وهما العزيز والأفضل - حسبما تقدم من ذكرهم : وما أدخل بينكم إلا كدخول الميل بين الأجناف يرُد إليها ما ذهب من الغمض ، وكالمنسيم بين الأغصان يميلها ويعطف بعضها على بعض . ١٨
- وقوله فى ملك الاستتار^(٣) : جهول ، عجول ، ما أدبه الوالدان ، ولا أخلقته
-
- (١) سرى يسرى بالكسر ، أى سار ليلا وفى القرآن الكريم « سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا » ، والمقصود بعبارة « دفن بسارية » أى دفن ليلا .
- (٢) كذا فى المتن .
- (٣) يقصد الاستيرارية Hospitallers وهم طائفة من الرهبان الفرسان الذين لعبوا دورا خطيرا فى تاريخ الحركة الصليبية بوجه خاص وتاريخ العصور الوسطى بوجه عام ، انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية (جزءان) .

الجديدان ، أرعن من سكر الحداثة ، مقسم الرأى ، وكيف لا يكون مقسمه وهو
عابد الثلاثة .

٣ . وقوله فى الدعاء للسلطان : جعل الله الأرض التى يملكها منقلة ، والأرض التى
يطؤها مقبلة ، والأرض التى يجر عليها عسكره مثقلة ، والأرض التى يلتقى^(١) فيها
أعداءه^(٢) مقتلة .

٦ . وقوله فى أمثاله : عضة الحب ولا قبلة الجانى !

وقوله : الركوب على الخنافس ، ولا المشى على الطنافس !

وكتب إلى السلطان صلاح الدين من مصر فى أثناء مكاتبة ، وذَكَر النيل ،
٩ وعَرَضَ بما أظهره الملك العزيز ولده من تأمين السبل فقال : وأما النيل ، فسكما قال
جميل ، قد امتدت أصابعه ، وتكسرت بالموج أضالعه ، واحمرَّ صفحه الحاكى مذاقه
جنى^(٣) النحل ، فسكانه سيف ظل به دم المحل . وحيثما توجه المسافر يلقاه ، وليس
١٢ بمصر قاطع طريق سواه .

وكتب إلى عامل تُشكَّي منه : وقد وصل أهل عملك ، يشكون سوء عملك ،
فإن كان الاختيار صدقك فإن الاختبار صرفك .

١٥ وله فى جملة رسالة يقول : ولو كانت سيدنا بمقدار شوق إليه لأشجرتة ، ولو
أغيبته بقدر ثقتى به لهجرتة .

ومن ملبح شعره وقد أعرقته الحمى^(٤) يقول :

١٨ لا تنكروا عرق المريض فإنه لضرورة أمست إليه داعية
فلكل عضو مقلّة من حقها طول البكاء على فراق العافية

(١) فى المتن : « يلقا » .

(٢) فى المتن : « أعداؤه » .

(٣) فى المتن : « جنى » .

(٤) فى المتن : « الحماء » .

وقوله في النزول :

- ولما بدا خط بجد معذبى كظلمة ليلٍ في ضياء نهار
 خلعت عذارى في هواه ولم أزل خليع عذارٍ في جديد عذار ٣
 قلت : وقفت على ترسل ابن الصيرفي المصري - وكان إمام الكتاب بالديار
 المصرية في المائة الخامسة - ولعل الحاذق الفطن إذا أمعن النظر في ترسل هذا الرجل
 المذكور ، يجد القاضي الفاضل مستمداً منه . ٦
 ومن ملح ترسله قوله : وجاءت غريبان الماء تحكي قطع السحاب في أديم السماء ،
 يحسب الناظر أنها ركائب قد طفت في بحر السراب ، أوجفون محدقة والمجاديف
 لها أهذاب . ٩

ونظرت في مجموع بيتين في غاية الرقة . يقول جامعه : هو ^(١) لابن الصيرفي - فما أعلم
 هو هذا ابن الصيرفي أم غيره - وهما :

- توهمه قلبي فأصبح خده وفيه مكان الوهم من نظري أثر ١٢
 ومرّ بقلبي خاطراً فجرحته ولم أرَ جسماً قط يجرحه الفكرُ
 ومن المحفوظ في المعنى :
 نظرت إليه نظرة فتحيّرت دقائق فكري في بديع صفاته ١٥
 فأوحى إليه القلب أني أحبه فأثر ذاك الوهم في وجناته
 ومن المحفوظ أيضاً :
 دعوت بماء في إناء فجاءني غلام به خمر فأوسعته زجراً ١٨
 فقال هو الماء القراح وإنما تجلّى ^(٢) له خدي فأوهمك الخمر
 ومن المحفوظ أيضاً :
 وقد كنت مستمناً بلحظك وحده فكيف وفيه سبعة خيرها شرّ ٢١
 سقام وأسد ضاربات وأسهم وسُمر القنى والسحر والسيف والخمرُ

(١) في المتن : ولاين .

(٢) في المتن : « تجلا » .

فإذا تقل فيمن حوى فيك أربع بواحدةٍ منهم ينفطر الصخرُ
فأيامه سُود وبيض لحاظه وأضله صفر وأدمعهُ حمرُ
ومن المحفوظ أيضاً : ٣

كأن في فيه خماراً ولألاً وبين جففيه ثنائاً ونبالاً
منوع الحسن يُبدى من محاسنه لأعين الناس أصنافاً وأشكالاً
٦ فلاح بدرًا ووافى دُميةً ورنا سيفاً وماج نقاً واهتز عبيلاً^(١)
وافترّ درًا وغنى^(٢) بلبلاً وذكا مسكاً وعن طلاً وازورّ ريبلاً^(٣)

ومن المحفوظ أيضاً في ساقٍ لسيف الدين المشدّ :

٩ ساقٍ تجلّ^(٤) كأنه قر على قوامٍ أفديه من ساقٍ
لما رآنى وقد فتنت به من عظم وجدى وفرط أشواقٍ
شمرّ عن ساقه غلائله قتلت مهلاً واكفف عن الباقي
١٢ غنى^(٥) وكأس المدام في يده قامت حروب الهوى على ساقٍ
ومن ذلك في المعنى :

لم أنسه إذ قام يكشف عامداً عن ساقه كالجوهر البراق
١٥ لا تعجبوا أن قام فيه قيامتى إن القيامة يوم كشف الساق

ولنعود الآن إلى سياقة التاريخ بعون الله تعالى ، وحسن توفيقه . وإنما قصدنا
١٨ بإثبات هذه المقطعات لتنشيط القارئ ، ولا يمل ويسأم من فنٍّ واحدٍ ، فإذا خرج
به شجون الحديث من فنٍّ إلى فنٍّ ، كان لزناد فسكرته أقدم ، ولطير نظرتة أصدق .

(١) العبيلة : الغليظة (الفاموس المحيط) .

(٢) في المتن : « غنا » .

(٣) الرهيل : الناعمة من النساء (لسان العرب) .

(٤) في المتن : « تجلا » .

(٥) في المتن : « غنا » .

قال الإمام عليّ - كرم الله وجهه - : « إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد ، فابتغوا لجلالها طرائف الحكم » .

وقال سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من الشعر لحكمة ، وإن ٣ من البيان لسحراً » .

٦ وفي هذه السنة اشتد الغلاء بمصر ، وبلغ الأردب القمح مائة درهم ، والشعير والبول من خمسين إلى ستين ، فعموذ بالله من أمثالها .

وفيهما خُطب باسم الملك الكامل ناصر الدين محمد مع اسم أبيه الملك العادل سيف الدين أبو بكر بالديار المصرية ؛ وتُش ذلك على الدينار والدرهم . ٩

وفيهما عزل القاضي زين الدين ، وأعيد إلى الحكم القاضي صدر الدين المقدم ذكره ، وكان وجيهاً عند الملك الكامل .

ذكر سنة سبع وتسعين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ذراعان فقط . مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وستة عشر أصبعا .

ما نلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، مستمر الأمر ، نافذ الحكم .
والسلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر وولده الملك الكامل ، ملوك مصر
والشام بأعمال دمشق وما معها مع الشرق ، وما بأيديهما منه . وبقية الملوك أولاد
السلطان صلاح الدين في بلادهم مستمرين المهالك بها . والغلاء مستمر بمصر .
٩ وفيها احترق البحر احتراقاً عظيماً ، حتى نشف قدام المقياس ، وحُفر قدامه ،
وارتدمت طاقات الماء ، وجدد حفره ، وكان ارتدم من بحر مصر شرق الجزيرة .
وفيها قبض السلطان الملك العادل على أولاد أخيه ؛ المؤيد والعز ، واعتقلهما
١٢ في دار بهاء الدين قراقوش .

وفيها كثرت الفقراء والصماليك بمصر والقاهرة ؛ وخلت الأرياف والضياح ،
واشتد بالناس الجوع ، وأكل بعضهم بعضاً ، وأكلوا الميتة ، وفرق بعضهم على الأغنياء .
١٥ والتزم الملك العادل بمؤنة ستة آلاف نفراً . وكان يموت بمصر والقاهرة كل يوم
ما يزيد عن الستمائة والسبعمائة من الجوع .

وفيها لحق الملك الكامل جدري ، وعوفي منه .

١٨ وفيها خرج السلطان الملك العادل إلى البركة وخيم بها ، لمسا ببلغه خروج الملك
الظاهر صاحب حلب إلى منبج وملسكها . وتوجه إلى قلعة نجم وحاصرها . واختلفت
الناصرية على الملك العادل . وبلغه أن الظاهر نزل على دمشق ، فتوجه العادل من البركة ،
٢١ ووصل نابلس ، وخيم بها . فلما بلغ الظاهر ذلك عاد إلى حلب . فنفذ السلطان ولده
الملك المعظم عيسى وقلده مملكة دمشق . ثم توجه العادل ودخل الشرق ، واستولى
على عدة ممالك ، وهم : حرّان ، والرها ، وسرّوج ، وجبل عوف ، وميفارقين ،

- وسميساط^(١) . ومَلِك ميفارقين لولده الملك الأوحى نجم الدين ، وعاد السلطان إلى مصر .
 وفيها اشتد بالناس الغلاء ، وهرب أكثر أهل مصر إلى الغرب وإلى الحجاز
 واليمن والشام وتفرقوا أيدي سبا . وكان ذلك أعظم مما جرى في زمان المستنصر ٣ .
 في سنة عشر السبعين والأربعمائة^(٢) حسبما ذكرناه في سنيه .
 وروى الناس من الثقة ، أن في هذه السنة كان يقوم الرجل فيذبح ولده الصغير ،
 وتساعد أمه على طبخه ، ويأكلونه . ولما اطلع السلطان على ذلك ، مسك منهم جماعة ٦
 فعلاه ، فأمر بحرقهم ، فأحرقوا بمشاهدة جميع الناس . وعادوا يفعاون ذلك ،
 مع من يقدرون عليه وعلى تحصيله ، مثل طبيب يُدعى لينظر إلى مريض ، فعندما
 يحصل في الدار يثبوا عليه فيقتلونه ويأكلونه . وكذلك مثل مزين ، وجرائحي ، ٩
 وسائر أرباب الصنائع ، الذين يستدعون إلى المنازل ليصنعوا شيئاً من صنائعهم ،
 فيفعلون به كذلك ، وعادوا يختطفون الصغار والصبيان من الحارات والأزقة . وحُصر
 من كَفَّه السلطان في مدة عشرة أيام فكانوا مائة ألف وعشرين ألف . وصلى خطيب ١٢
 الإسكندرية في يومٍ واحدٍ على سبعمائة جفازة من أعيان الناس ، خارج عمن لا يُعْبَأُ به .
 وكان أشد الغلاء والوباء بالديار المصرية في شهر رمضان ، بلغ فيه القمح سبعة دنانير
 مصرية الأردب ، والشعير والفول خمسة . ولا عاد يوجد شيء من سائر الحبوب ، ١٥
 وآلت مصر إلى الخراب السكلى ، لولا لطف الله بعباده . وطلع نيلها فاطمأنت نفوس
 الناس قليلاً .
 وفيها كانت الزلزلة العظيمة في شهر شعبان ، أتت من نحو الصعيد ، فعمت الدنيا ١٨
 في ساعةٍ واحدة ، وهدمت بنيان مصر ، حتى عدم تحت الهدم عالم عظيم . ثم وصلت
 بالشام والساحل ، وهدمت نابلس ، حتى لم يبق بها جدار قائم إلا حارة السُّمرة .

(١) في المتن : وشميصات .

(٢) يقصد الشدة العظمى أيام الخليفة المستنصر الفاطمي ، وقد استمرت من سنة سبع وخمسين
 وأربعمائة إلى سنة أربع وستين وأربعمائة (أبو الحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٣) .
 (١١ - ٧)

- وهلك تحت الردم ثلاثون ألف إنسان. وكذلك هُدمت عكا وصُور، مع قلاع الساحل. وامتدت إلى دمشق، فهُدمت بعض المزارع بجامع بني أمية، وأكثر الكلاسة، والبيارستان النوري. وهرب الناس إلى الميادين. وسقط من الجامع سبعة عشر شرافة، وانشقت قبة النسر^(١). وامتدت إلى بانياس وهونين. وخرج قوم من أهل بعلبك سائرين في طريقهم، فسقط عليهم جبلاً، فهلكوا تحته. وهدمت أكثر قلعة بعلبك مع عظيم بنائها. وامتدت إلى حصص وحماة وحلب. وقطعت البحر إلى قبرص، وانفرد البحر فصار أطوآداً، وقذف بالمرآكب إلى الساحل، وتسكست منه عدة مرآكب. ثم وصلت إلى أخلاط وأرمينية وأذربيجان والجزيرة. ووصلت إلى العجم، فأحصى من هلك في بلادها تحت الردوم، فقليل كان ألف ألف ومائة ألف. وكان قوة الزلزلة في مبتدأ أمرها أقامت بقدر ما يقرأ الإنسان سورة^(٢) الكهف، ثم عاودت بعد ذلك أياماً.
- ١٢ وفيها توفي الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن حماد ابن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النظر بن القاسم بن محمد ابن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه. وهو ابن الجوزي الواعظ المشهور. وقيل إن أباه توفي وتركه وهو ابن ثلاث سنين. وكان له عمّة صالحة، وكان أهله تجاراً في النحاس. فلما كبر، حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل، وأسمته الحديث، وقرأ القرآن، وعنى بأمره شيتم ابن الزعفراني، وعلمه الوعظ. واشتغل بفنون العلم، وأخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي. وصنف الكتب في فنون شتى، وقيل بلغت مصنفاته نحواً من ثلثمائة كتاب. وحضر مجلسه الخلفاء والوزراء والعلماء والأئمة والساووك والأمراء. وأقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف تفرج. وأوقع الله له في قلوب الناس المحبة والقبول

(١) قبة النسر: تقع قبلي جامع دمشق، لها ثلاث منائر (محمد كرد علي، خطط الشام،

ج ٥ ص ٢٧٥).

(٢) في المتن: «صورة».

والهبة . وكان زاهداً في الدنيا . وقال صاحب هذا النقل عنه أنه سمعه يقول : « كتبت بأصمى هاتين ألفي مجلد » . وتاب على يده ما يزيد عن مائة ألف إنسان . وأسلم على يده نيف وعشرة آلاف يهودى ونصرانى . وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام .^٣ ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع الجمعة ، أو عند ما يحضر مجلسه للوعظ . ولا رآه أحداً مازحاً قط ، ولا رُئى في صباه يلعب قط . وهو صاحب كتاب التاريخ الكبير المسمى بمرآة الزمان ، جمع فيه من العجائب والنرائب ما نثرت منه جملة في هذا التاريخ . رحمه الله تعالى ، وسائر علماء المسلمين .

وفيهما توفى الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى ، وكان خادم أسد الدين شيركوه ، عم السلطان صلاح الدين . وجعله السلطان صلاح الدين زمام قصره . وكان رجلاً^٩ مسؤوداً ذوهمة ، وهو الذى بنى^(١) السور المحيط بمصر والقاهرة ، حسبما تقدم من ذكر ذلك . وبني^(٢) القناطر بالجيزة التى على طريق الأهرام . وعمر بالمقسم رباط ، وبظاهر باب الفتوح خان سبيل . وله وقف كثير لا يعرف الآن . وكان حسن المقاصد ، جميل النية . وكان كما تقدم من الكلام أنه أخذ أسيراً من عكا لما أخذها الفرنج ، فاشترى نفسه منهم بعشرة آلاف دينار . وقال القاضى بهاء الدين بن شداد في سيرة السلطان صلاح الدين : أنه انفق من الأسر يوم الثلاثاء حادى عشر شوال سنة ثمان^{١٥} وثمانين وخمسمائة . قلت : والناس ينسبون إليه أحكاماً عجبية في ولايته ، وهى بالعكس مما يروونه عنه ، حتى أن الأسعد بن مماتى^(٣) صنع جزءاً لطيفاً وسمّاه « الفاشوش في أحكام قراقوش » .

وفيهما توفى سقمان الملقب قطب الدين بن محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان ؛ صاحب آمد وحصن كيفا . سقط من سطح جوسق^(٤) فمات . وملك أخوه محمود ، وكان شديد الكراهية له والنفور منه ، فملكه الله مكانه .

(١-٢) في المتن : « بنا » .

(٣) هو القاضى الأسعد أبوالمكارم المعروف بابن مماتى ، كان ناظر الدواوين بالديار المصرية ، وتوفى سنة ٦٠٦ هـ (ابن خلكان ، وفيات الأعيان) .

(٤) جوسق - وجهه جواسق - القصر والقصور (سعيد عاشور ، العصر المملوكى ، ص ٤٠٦) .

وفيهما توفي القاضي عماد الدين الكاتب رحمه الله . وكان جامعا لفنون
 كثيرة من الأدب والفقه والخلاف والتاريخ . وله النظم البديع والنثر الفائق .
 ٣ وكتب لنور الدين الشهيد وللملك الناصر صلاح الدين ، ونال عندهما المنزلة المالية .
 وله التصانيف البديعة كالبرق الشامى ، وخريدة القصر ، والتبصرة فى أخبار وزراء
 الدولة السلجوقية ، وغير ذلك . وكان مولده سنة تسع عشرة وخمائة ، فكان عمره
 ٦ تسع وسبعين سنة .

ذكر سنة ثمان وتسعين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ذراع واحد وأربعة عشر أصبعا. مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وثلاثة ٣ وعشرون أصبعا.

ما نلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، مستمر الأمر ، نافذ الحكم .
والسلطان الملك العادل سلطان الإسلام بالديار المصرية ، والبلاد الشامية ، وما بيده
من بلاد الشرق . والملك الكامل ولي عهده .
والغلاء بمصر موجود ، لم يتناقص إلى جمادى الآخرة لما ظهرت زيادة ٩
النيل المبارك .

١٢ وفي شعبان منها عادت الزلزلة ، وهدمت ما كان تبقى من نابلس ، وشقت قلعة
حمص ، وأخربت حصن الأكراد ، وامتدت إلى قبرص .
وفي هذه السنة انتظم الملك بسائر الممالك الأيوبية للسلطان الملك العادل، وضربت
له السكة وأقيمت له الخطبة .

١٥ وفيها - أعنى سنة ثمان وتسعين - توفي القاضي محيي الدين بن زكي الدين قاضي القضاة
بدمشق وأعمالها . وكان إليه قضاء حلب وبلادها من الإمام العاصر . وكان - رحمه الله -
فاضلاً مترسلاً ، وله النظم والنثر البديعان . ولما توفي ولي السلطان الملك العادل قضاء
دمشق لولده زكي الدين ، وهو الذي لما أراد الملك المعظم عزله والإخراق به بعث إليه ١٨
قباء وكمة ، وتقدم إليه بلبس ذلك ، فلبسه فلهقه غم وهم بسبب ذلك ، فمات بعد
أيام فلائل .

٢١ وفيها أخرج الملك العادل المنصور بن العزيز من الديار المصرية ، لما خيف من
الأمراء الصلاحية ، وذلك في الخامس والعشرين من ربيع الآخر ، ومعه والدته
وإخوته . وسُيروا إلى الرّها ، ثم انتقلوا إلى حلب فأقاموا عند الملك الظاهر ،
وأحسن إليهم . ٢٣

ذكر سنة تسع وتسعين وخمسة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ذراعان وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا واثني عشر أصبعا .

ماتلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل كذلك . وولده الملك الكامل ، وبقية الملوك على ما هم عليه . -

٩ وفيها وردت الأخبار أن الفرنج وصلت إلى عكا في عالمٍ عظيمٍ ، لا يحصى عدتهم إلا الله عز وجل ، وأنهم طالبن الديار المصرية ، وسيروا أصطولهم إلى ثغر الإسكندرية .

١٢ وفيها ماجت السكواكب والنجوم في السماء شرقاً وغرباً ، وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً ، ولم يعهد بمثل ذلك إلا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم .

ذكر سنة ستمائة هجرية

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ثلاثة أذرع وستة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأحد . ٣
وعشرون أصبعا .

ماخلص من الحوادث

الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل ٦
كذلك .

ودخل أصطول الفرنج - خذلهم الله - إلى فوة يوم عيد الفطر ، من قم رشيد ،
ونهبوها ، وقتلوا من كان بها ، وأقاموا يومين . وكانوا عشرين^(١) قطعة . ولم يكن ٩
قبل ذلك جسرت الفرنج على مثل هذا . والفرنج على عكا ، والملك العادل مرابط لهم ،
والرسل تتردد بينهم في أمر الصلح . ثم اتفقوا على رأى بينهم .

وفيهما نزل الملك العادل دار الوزارة بالقاهرة المعزية^(٢) ، ونزل الكامل ولده ١٢
بالقلمة ، وهو أول من نزل بها من الملوك .

وفيهما غارت الفرنج - خذلهم الله - وهم طائفة الاسبتار ، على حماة^(٣) ، ونهبوا
وقتلوا من التركان خلقا كثيرا ، ووصلوا إلى باب حماة . وخرج إليهم عامة حماة ، ١٥
فقتل منهم خلق عظيم^(٤) ، والذي تبقى عادوا هارين إلى حماة ، فازدحموا في الباب ، فأت
منهم أناس عدة ، ورمى^(٥) منهم جماعة بأنفسهم إلى الخندق . ورجعت الفرنج
وقد أسروا جماعة كبيرة ، وفيهم رجل يُعرف بالشهاب بن التلاحي^(٦) كان والياً ١٨

(١) في المتن : « وكانوا عشرون قطعة » .

(٢) ذكر ابن واصل رحيل العادل إلى مصر وإقامته بدار الوزارة ضمن حوادث سنة ٦٠١ هـ ،
وكذلك ما أعقب هذا من لغارة الفرنج على حماة (مفرج الكروب ، ج ٣ ص ١٦٢) .

(٣) ذكر ابن واصل هذه الواقعة في حوادث سنة ٦٠١ هـ . وقد أعاد ابن أبيك الإشارة
إلى لغارة الفرنج على حماة في حوادث سنة ٦٠١ هـ (مفرج الكروب ، ج ٣ ص ١٦٢) .

(٤) في المتن : عظيمة .

(٥) في المتن : « ورما » .

(٦) كذا في المتن ، وفي مفرج الكروب لابن واصل (ج ٣ ، ص ١٦٣) : « شهاب الدين

ابن البلاعي » .

- بجهاة . وكان قد حمل على الفرنج وأرى من فرسانهم جماعة ، ثم تقنطر به جواده ، فمסקوه وأتوا به إلى طرابلس . ثم إنه بعد ذلك هرب منهم ، ورمى نفسه إلى البحر المالح ، وتسلق في جبال بعلبك ، ووصل إلى أهله . وكتب صاحب حماة إلى عمه الملك المعظم - وهو بدمشق - فأنجده . ولم تفده^(١) النجدة لكثرة الفرنج ، قلقهم الله ، وخذلهم .
- ٦ وفيها توفي أبو القاسم هبة الله بن أبي الرداد ، متولى مقياس النيل المبارك بمصر ، وكان يومئذ خطيب الجامع بالجزيرة .
- ٩ قال ابن واصل : إن في سنة تسع وتسعين^(٢) قتل الملك المزمع إسماعيل بن الملك العزيز ظهير الدين طمتمكين بن أيوب ، صاحب اليمن . وسبب قتله قلة عقله ، وما كان ادعاه من الدعاوى الكاذبة . وقيل إنه ادعى أيضاً الربوبية ، وأمر كاتبه أن يكتب : « من مقر الإلهية » ، إلى غير ذلك . فاجتمعت عليه مماليك أبيه وغيرهم ، وضربوا معه مصافاً . وآخر الأمر أنه قتل في حديث طويل ، ونصبوا رأسه على رمح ، وداروا به . ورتبوا في الملك أخ له صغير يلقب بالناصر ، فجعلوا [له]^(٣) اسم الملك . وأقاموا [أتاكبا له]^(٤) مملوك لجده يسمى سنقر ، وتزوج أم الناصر ، ثم توفي بعد حروب كثيرة .
- ١٥ وعصت زوجته بالقلمة ، وقالت : « لا أسلمها إلا لرجل من بني أيوب » . ثم تزوجها آخر ، يقال له غازي بن جبريل . ثم سم [الملك الناصر]^(٥) ومات ، وقتل غازي بعد ذلك [^(٦)] . ثم حضر إليها بعد مدة سليمان شاه بن سعد الدين شاهنشاه بن الملك المظفر تقي الدين عمر ، وكان لابساً بالفقير [لباس الفقراء]^(٧) فتزوجته ، وملك اليمن ، واستمر إلى حين توجه الملك السعود بن الملك الكامل إلى اليمن وملسكها . وسير سليمان شاه إلى الديار المصرية ، فأقام بها مكرماً ، وقتل شهيداً على المنصورة نوبة الفرنج . واستمر الملك السعود ملك اليمن والحجاز ، حسبما يأتي من خبره .

(١) في المتن : « ولم تفديه » .

(٢) ورد هذا الحادث في هامش المخطوطة في المكان المثبت فيه .

(٣-٧) التكملة من مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٣ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

- وفيهما أعنى سنة ستمائة كان المصاف بين الملك الأشرف مظفر الدين موسى
ابن السلطان الملك العادل وبين عسكر الموصل ، وكسرهم كسرة شنيعة . وكان ذلك
أول مظهر من ميامنة حروبه . وعاد بعدها ما حارب جيشا قط إلا كسره ، فإنه كان ٣
ميمون الحروب ، سعيد الحركة ، ما كسرت له راية قط .
- وفيهما ولد الملك الناصر قليج أرسلان بن الملك المنصور صاحب حمه ، وهو شقيق
الملك المظفر ، أمهما ملكة خاتون ، ابنة السلطان الملك العادل . ٦
- قال ابن واصل^(١) : وفي هذه السنة كانت الزلزلة العظيمة التي عمّت مصر والشام
وبلاد الروم إلى صقلية ، ووصلت إلى سبتة من الغرب .

(١) مفرج الكروب ، ج ٣ ص ١٦١ .

ذكر سنة إحدى وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم أربعة أذرع وستة أصابع . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثمانية أصابع .

ما نلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، مستمر الأوامر ، نافذ الأحكام في سائر الممالك الإسلامية ، كثرها الله تعالى ، وأعلى كلمة سلطانها . والسلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بحاله ، وولى عهده الملك الكامل . وبقيت الملوك الإسلامية على ما هم عليه .

١٢ وفيها فتح الفرنج - خذلهم الله تعالى - قسطنطينية العظمى ^(١) ، استقلعوها من الروم ، ونهبوا أموالها . ووصلوا إلى الإسكندرية بأموالها وجواهرها ، وما كان في كنيساتها من عجائب المصاغات وغرائب الصناعات . وأبيع عليهم - في هذه السنة - الشب بمشرة دنانير القنطار .

١٥ وفيها غاروا ^(٢) الملاحين أيضاً على مدينة حماة ، وأخذوا النساء الفسالات من على نهر العاصي . وخرج إليهم الملك المنصور تقي الدين وقاتلهم بنفسه أشد قتال ، وكشفهم ، واسترد النساء وجميع ما أخذوه .

١٨ قال ابن واصل : وفي هذه السنة - أعنى سنة إحدى وستمائة - خلع الإمام الناصر ولده عمدة ^(٣) الدين أبا نصر محمد من ولاية العهد ، وولى ذلك أخاه الصغير أبي الحسن ولقبه الملك المعظم ، ليلته إليه دون ولده الكبير محمد . وكان الوزير يومئذ الشريف نصير الدين بن ناصر الدين مهدي الحسني ، فأخرج خطأ ذكر أنه خط عمدة الدين يذكر فيه أنه عاجز عن ولاية العهد ، وشهد [عدلان] ^(٤) بصحته ، فقطعت السكة والخطبة باسمه في سائر الآفاق .

(١) في المتن : « العظما » .

(٢) كذا في المتن .

(٣) كذا في المتن ، وفي مفرج الكروب لابن واصل (ج ٣ ص ١٦٨) : « عدة الدين » .

(٤) ما بين حاصرتين من مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٣ ص ١٦٩ .

ذكر سنة اثنين وستمئة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم سبعة أذرع وأربعة عشر أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا ٣
واثنا عشرة أصبعا .

ما لخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل كذلك .
وبقية الملوك حسبما سقناه من ذكرهم .
وفيها كان السلطان بشفر الإسكندرية وعاد إلى القاهرة المحروسة . وكان قد جهز
أصطول عدتهم خمسة عشر شينيا وشحنهم بالرجال ، وخرجوا ، فلحقهم هواء مزعج ٩
رمى بهم في طرف بلاد العدو قريبا من مدينة طرابلس الشام ، فكسر أكثرهم ،
وعدم خلق كثير من الأصطول والمقاتلة ما بين أسرى وغرق^(١) . ولم يسلم
من الشوانى غير ستة . ١٢
وفيها خرجت الأرمن ومعهم ملكهم ابن لاون^(٢) وغاروا على تركان كانوا
نزولا^(٣) على النهر الأسود ، فأخذوا منهم خلقا كثيرا ، وساقوا دوابهم إلى درب ساك ،
وأحرقوا ربضها ، وغاروا على بعض ضياع حلب . ثم إنه تقرر الصلح بين الملك الظاهر ١٥
صاحب حلب وبينهم .
وفيها وصل الملك المعظم عيسى من دمشق إلى مصر لزيارة السلطان العادل .

(١) في المتن : « أسرا وغرقا » .

(٢) في المتن : « ومعهم ابن ملكهم لاون » .

(٣) في المتن : « نزول » .

ذكر سنة ثلاث وستمئة

الفيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم خمسة أذرع فقط . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع .

ما تلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله. والسلطان الملك العادل كذلك. وقد خرج بجميع العساكر المصرية بنية الغزاة ، وجعل الملك الكامل بالديار المصرية . وكان سبب حركة السلطان أنه بلغه أن الملاحين - أهل حصن الأكراد - خرجوا وغاروا على البلاد الإسلامية من الشامية، ونهبوا وقتلوا، فحلف [العادل] أنه لا يبقى بالساحل من الفرنج رجلا يكفر بالله ، إن شاء الله تعالى . ووصل إلى دمشق . وكانت الملوكة قدمت عليه بالعساكر من كل فج عميق على كل ضامر . ونزل على بحيرة قدس^(١) . ثم صام شهر رمضان حتى تكملت العساكر من جميع النواحي ، وسار إلى حصن الأكراد . ووقع^(٢) مع الفرنج وقعة عظيمة ، قتل بينهما خلق كثير . ثم كسرهم وضيق عليهم ، وفتح حيفا وأعزاز ، وهو حصن قريب^(٣) من الرقب . ثم نزل على طرابلس ، ونصب عليها المناجيق ، وضيق على أهلها . وغارت العساكر على ضياعها ، وأخذوا أهلها من النساء والرجال ، وقطعوا أشجارها ، والعين الواصلة إليها . ولم يزل الأمر كذلك إلا أيام في هذه السنة . ثم رحل السلطان وعاد ، ونزل على منزلته الأولى في ذي الحجة من هذه السنة . وبعت صاحب طرابلس يسأل الصلح ، وسير هدايا جيدة ، وثمناثة أسير من المسلمين ، فتقرر الصلح بينهم . وكان الرسول الريدكور أخو صاحب طرابلس .

(١) قدس بالتحرريك : بلد بالشام قرب حمص ، وإليه تضاف بحيرة قدس .

(٢) كذا في المتن ، ويعنى أنه التحم معهم في وقعة عظيمة .

(٣) في المتن : « وهو حصنا قريبا » .

ذكر سنة أربع وستمائة

الفيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وسبعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وسبعة أصابع .

ماخلص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل كذلك . وكان له ثلاثة عشر ولداً ذكوراً^(١) ثلثي أسماءهم^(٢) في مكانها ، إن شاء الله . وكان منهم الملك الأوحده نجم الدين ، وكان قصيراً آدمياً ، حقيراً في العين ، نخرج مع والده وإخوته إلى الصيد ، فأرسل السلطان بازاً على طائر ، فخط الباز على رأس
- ٩ الملك الأوحده ، فضحك السلطان وقال : « قد اصطاد بازنا اليوم بومة » . فانسكسر قلب الأوحده . وقيل : إن الباز كان أهدها للسلطان صاحب أخلاط ، في جملة هدايا . وهذه الواقعة تعد من الفكك القريبة . فلما صار الأوحده صاحب ميفارقين ، وقدر
- ١٢ الله تعالى أنه ملك أخلاط - لما استدعوه أهلها ، وسلموه البلد من غير كيد ولا تمب - فكتب إلى أبيه يبشره ، ويقول له في جملة مكاتبتة : « يا مولانا ؛ البومة التي صادها باز مولانا السلطان في اليوم الأول من شهر كذا فتحت مدينة أخلاط ، وإنما كان
- ١٥ الباز من صاحب أخلاط ، فبشر المملوك بأن يكون ملكها » . فلما قرأ السلطان كتابه تعجب منه كيف أسرها في نفسه ، وعظم أمره في قلبه^(٣) .

(١) في المتن « ولد ذكور » .

(٢) في المتن : « أسماءهم » .

(٣) ورد أمام المتن هذه الحاشية :

« وكانت هذه أخلاط مملكة عظيمة يقال إنها نظير الديار المصرية . وكانت قد صارت في يد بكتر مملوك صاحبها شاه أرمن بن سكران . ولما قتل بكتر - حسبنا ذكرنا من خبره في سنة تسع وثمانين وخمسمائة - ملكها بعده ولده . ثم ثقل عليه سيف الدين بلبان ، أحد ممالك شاه أرمن . وكان الأوحده ملكه أبوه ميفارقين ، فقصد مدينة موش وملكها . وطمع بعد ذلك في أخلاط ،

وفيهما على ما ذكر ابن الأثير - رحمه الله - صاحب التاريخ الكبير الجامع ، إن خوارزم شاه عبر بلاد الخطا بجميع عساكره ، وذلك باتفاق من صاحب سمرقند وبخارى وهم الخطا^(١) الذين يلقبون ملوكهم « خان الخان » يعنى ملك الملوك ، وأنهم حشدوا والتقوا معه ، وجرى^(٢) بينهم قتال عظيم في عدة وقعات ، فتارة له وتارة عليه . فلما كان في هذه السنة ، اقتتلوا أشد قتال ، فوقعت الكسرة على خوارزم شاه ، وانهزم جيشه هزيمة قبيحة ، وأسِر كثير من المسلمين ، وأسِر خوارزم شاه ، وأسِر معه بعض أمرائه الكبار - يقال له شهاب الدين بن مسعود^(٣) - ، أسرهم جميعاً رجل من الخطائيين وهو لا يعرفهما . ووصل النهمزون من جيوش السلطان ، وفقدوا خوارزم شاه ، فمظم عليهم ، واشتاشت^(٤) العساكر ، واختببت البلاد . ثم إن شهاب الدين بن مسعود^(٥) قال للسلطان : « يجب عليك في هذا الوقت أن تدع السلطنة ونقش الملك ، وتصير خادماً لى ، لعل احتمال في خلاصك » . فشرع خوارزم شاه يخدمه ، ويقدم له الطعام ، ويقوم في قضاء حوائجه^(٦) . فقال الرجل الخطائي الذى

== فقصدها . فخرج إليه بلبان وكسره ، فرجع هارباً إلى ميفارقين ، واستنجد . وعاود فكسر بلبان ، وتمكن من البلاد . ثم إن بلبان استنجد بغيث الدين صاحب أرزن الروم ، فحضر إليه ، وضربا مع الأوحده مصافا ، فكسرها الأوحده . ثم إن مغيث الدين غدر بلبان ، فقتله طمعاً في بلاده ، فلم يمكنه أهلها ، وكاتبوا الملك الأوحده فسلموه القلعة من غير تعب ولا قتال . ثم جرت له بعدها حروب كثيرة حتى استقرت قاعدته بها حتى توفى .

(١) الخطا ، قبائل آسيوية من الأتراك ، موطنها الأصلي في شمال الصين ، نزحت في النصف الأول من القرن السادس الهجرى واستقروا غرب إقليم التركستان حيث كونوا دولة عرفت باسم « القراخطائيين » . وقره لفظ تركى معناه أسود ، ويبدو أن المغول هم الذين أضافوا هذا اللفظ إلى قبائل الخطا للتعبير عن عدائهم وكراهيتهم لهم . ولم تلبث دولة القراخطائيين أن امتدت إلى نهر سيحون الذى فصل بينهم وبين الخوارزمية المسلمين . وكان القراخطائيين يدينون بالبوذية . انظر : فتاوى عبد المعطى الصياد ، المغول في التاريخ ، ص ٥ ، ٢٩ .

(٢) في المتن : « جرى » .

(٣) في السكامل لابن الأثير (حوادث سنة ٦٠٤) : « يقال له فلان بن شهاب الدين مسعود » .

(٤) يقال بينهم شواش أى اختلاف (القاموس المحيط) .

(٥) في السكامل لابن الأثير (حوادث سنة ٦٠٤ هـ) : « ابن شهاب الدين مسعود » .

(٦) في المتن : « في قضى حوائجه » .

- أسرها لابن مسعود : « إن هذا الرجل يكثر من تعظيمك » . فقال له ابن مسعود :
« أنا رجل كبير في قومي ، وهذا غلامى » . فعاد ذاك الرجل الخطائى يكرر لابن
مسعود ، ويقوم بحقه ، وقال له : « لولا إن قومي عرفوا مكانك عندي وإلا كنت
أطلقتك » . ثم تركه أياماً ، فقال له ابن مسعود : « إن المهزمين^(١) يرجعون
ولا رأوني ، فيظنون أهلى أنى قد قتلت ، فيعملون مأتمى ، ويتفرقون أموالى
ويقتسمونها ، فأهلك ولا أعود أجد ما أستفك به نفسى . فملك أن تقرر على شئ »
من المال فأحمله إليك » . فقرر عليه مالا جيداً ، وقال : « أريد أن تأمر رجلاً عاقلاً
يذهب بكتابى إلى أهلى ، ويأتيك بما طلبت ، وإن كنت تأمر أن تنفذ غلامى هذا
فهم يعرفونه ويثقون به ، فإن أصحابكم لا يعرفون أهلى » . فأذن له ذلك الرجل فى إنقاذ
غلامه . فمعه سائر ابن مسعود السلطان خوارزم شاه ، والخطائى يظن أنه غلامه .
ثم جهزه الخطائى بفرس وجنيب ، وأنفذ معه جماعة من أهله وأقاربه ، ووصّاه إلى
قريب من خوارزم ، وعادوا وتركوه . ثم وصل السلطان إلى قريب من محل ملكه ،
فعرّف بنفسه ، والتأمت عليه نواب بلاده ، واستبشروا به أهل مملكته ، وضربت
البشائر بسائر ممالكه ، وزينوا المدن والحصون .
- وأما ابن مسعود فإنه أقام عند ذلك الرجل ، فدخل عليه يوماً فقال لابن مسعود :
« قد وردت الأخبار على ملكنا أن السلطان خوارزم شاه قد عدم فأيش عندك من
خبره » . فقال ابن مسعود : « أو ما تعرف خوارزم شاه ؟ » . قال : « لا ، والله » . قال :
« هو والله أسيرك الذى سفرته وجعلته غلامى » . فهت الرجل وقال : « ولم لا عرفتنى
حتى كنت خدمته وسرت بين يديه ؟ » . فقال ابن مسعود : « قم الآن بنا نسير إليه ،
فإنه يحسن مكافأتك أضعاف ما أملتة عندي » . فسارا إليه ، وقدا عليه ، فجعل
ابن مسعود حاجباً كبيراً ، وجعل ذلك الخطائى أميراً ، وأحسن إليهما غاية الإحسان ،
والله أعلم .

(١) فى المتن : « إن المهزمون » .

وفيهما وصلت رسل الخليفة الإمام الناصر لدين الله ، بالخلع العظيمة ، وتقليد^(١) بجميع البلاد الشامية والديار المصرية والممالك بالشرق ، والخلع إلى سائر الملوك أولاده ،
 ٣ صحبة شهاب الدين شيخ الشيوخ السهروردى^(٢) ، والأمير نور الدين السلحدار الناصرى . قلت : وهذا الشيخ شهاب الدين السهروردى القائل هذين البيتين ، وذلك لما أشفق من طول العمر ، فقال :

٦ يا رب لا تبقي إلى زمنٍ أكون فيه كلاً على أحد
 خذي بيدي قبل أقول لمن ألقاه عند القيام خذ بيدي
 وقيل في هذه السنة سكن الملك الكامل القلعة^(٣) ، وجدد بها الآدور والمناظر والمستنزهات والحمامات وغير ذلك .
 ٩

قال ابن واصل^(٤) : في هذه السنة عزل الخليفة [الناصر لدين الله] وزيره نصير الدين ناصر بن مهدي العلوى الحسنى ، وذلك لما خيأه منه الأعداء ، وأغروه به ،
 ١٢ فمن ذلك ما قيل :

١٥ ألا مبلغ عنى الخليفة أحمددا
 وزيرك هذا بين أمرين فيهما
 فإن كان حقاً من سلالة أحمد
 وإن كان فيما يدعى غير صادق
 توقّ - وقيتّ السوء - ما أنت صانع
 فعالك - يا خير البرية - ضائع
 فهذا وزير في الخلافة طامع
 فأضيع ما كانت إليه^(٥) الصنائع

(١) في المتن : « وتقليداً » .

(٢) في المتن : « الشهروروى » وهو تحريف ، انظر مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٣ ص ١٨٠ ، وكتاب السلوك للمقرئى ، ج ١ ص ١٦٧ . والسهروردى نسبة إلى سهرورد ، وهو بلد جنوبى السلطانية بين همدان وزنجان .

(٣) يقصد قلعة الجبل ، على جبل المقطم ؛ وهى القلعة التى شرع فى بنائها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٧٦م (٥٥٧٢ هـ) ، والتي يرجح أنها صارت مقراً رسمياً لحكام مصر منذ عهد السلطان الكامل الأيوبي حتى أيام الحديوى إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) عندما شيد قصر عابدين ليصبح مقراً رسمياً للحكام ، انظر : نظير خسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين الأيوبي ص ٩١ وما بعدها .

(٤) مفرج الكروب ، ج ٣ ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٥) فى مفرج الكروب (ج ٣ ، ص ١٧٩) : « لديه » .

ذكر سنة خمس وستائة

الذيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وعشرون أصبعاً . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً ٣
ونصف أصبع .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل كذلك ، وهو بدمشق . وتوجه إلى خدمته الملك الكامل ولده ، وأقامت^(١) مصر والقاهرة خاليتان من سلطان إلى حين عودته .
- ٩ وفيها وصل إلى السلطان الملك العادل ، وإلى جميع أولاده ، سراويلات الفتوة ، صلبة رسل الخلافة ، وصحبته خلع عظيمة . فلبسوا ، ولبس كل أحدٍ من يلوذ به من أمرائه وخاصته . وشاع لبس ذلك في الناس^(٢) .
- ١٢ وفي شهر رجب توفي القاضي صدر الدين عبد الملك بن عيسى ، وكان صالحاً . وولى الحكم بعده القاضي عماد الدين عبد الرحمن بن عبد العلي . وجُمع له ما لم يُجمع لغيره من تدريس وخطابة وغيرها .
- ١٥ وكان السلطان العادل قد نزل على عكا في سنة أربع ، وهي السنة الخالية ، وأقام عليها ثلاثة أيام . ثم اتفق الحال على [إطلاق] ألف وثمانمائة أسير من المسلمين^(٣) ، فاستنقذوا من الأسر ، ورحل عنها .

(١) في المتن : « وأقاما » .

(٢) عن الفتوة في الإسلام ، انظر : ابن عمار البغدادي ، الفتوة (نشره الدكتور فؤاد حسنين) ؛ محمد فهمي عبد اللطيف ، الفتوة الإسلامية . انظر أيضاً كتاب مفرج الكروب لابن واصل ، ج ٣ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ حاشية ٢ للدكتور الشيال .

(٣) في تاريخ الكامل لابن الأثير (حوادث سنة ٦٠٤ هـ) : « فصالحه صاحبها الفرنجي على قاعدة استقرت من إطلاق أسرى من المسلمين وغير ذلك » .

- وفي سنة خمس خرجت الكرج إلى ولاية أخلاط ، وقصدوا مدينة أرجيش^(١)
فحاصروها ، وملكوها عنوة بالسيف ، ونهبوا جميع ما فيها ، وأسروا وسبوا جميع
أهلها ، وأصبحت خاوية على عروشها . ٣
- وفي آخر هذه السنة عاد الشيخ شهاب الدين السهروردي^(٢) من عند الإمام
الناصر إلى السلطان الملك العادل ، وصحبته خلعة عظيمة مكللة ، وطوق ذهب مرصع
بالجواهر ، وتقليداً عظيماً يتضمن نعوتاً لم يفت بها إلا الملوك من بني بويه وبني سلجوق ، ٦
لما كان الحكم لهم في البلاد . ويتضمن التقليد مصر ، والشام ، والشرق كله ،
والعراق ، وبعض المعجم الذي لم يكن داخل في ملك خوارزم شاه . وكذلك الخلع
العظيمة إلى سائر الملوك أولاده . وكان ذلك يوماً مشهوداً . ٩
- وفيها كانت الزلزلة ببغداد ، فدامت عشرة أيام وهي تعاودهم . وهلك تحت
الردم عالم عظيم ، والله أعلم .

(١) أرجيش ، بالفتح ثم السكون وكسر الجيم ، مدينة قديمة من نواحي أرمينية الكبرى ،
قرب خلاط ، أكثر أهلها أرمن نصارى (ياقوت : معجم البلدان) .
(٢) في المتن : « الشهرزوري » وهو تحريف .

ذكر سنة ست وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وعشرون أصبماً . مبلغ الزيادة لم يتحرر في هذه السنة ، ٣
كونه أخذ القاع من الماء القديم في شهر ذى الحجة . وكانت الزيادة في سنة سبع
وستمائة ستة عشر ذراعاً^(١) فقط .

٦ مانخلص من الحوادث

الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل
قد توجه إلى غزاة الكرج ، لما بلغه ما فعلوه ، وخروجهم على ولده الملك الأوحده
صاحب أخلاط . فعندما سمع الكرج بتوجه السلطان إليهم ، ولوا منهزمين . فنزل ٩
السلطان على سنجار محاصراً لها ، لينزعها من يد مالكيها ، فوصل إليه رسول الإمام
الناصر ، وهو ابن الضحاك استأدار الخلافة المعظمة ، وفي خدمته أربعمئة فارس .
ولم يُسمع بمثله أنه سُير إلى ملكٍ من الملوك من جهة الخلافة . وشفع في صاحب ١٢
سنجار ، فامتثل ذلك ، ورحل عنها .

وفيهما توفي سنجر شاه صاحب الجزيرة . وكان هذا الملك سيء الأخلاق ، قبيح
السيرة ، ظلوماً ، غشوماً ، سفاكاً للدماء بحقٍ وبغير حقٍ . وكان له عدة أولاد ، ١٥
فحبس كل واحد في قلعة ، وذلك خوفاً على نفسه منهم . ثم إنه اعتقل ولدين منهم
في قلعة تعرف بقلعة فرح^(٢) وهي قلعة عظيمة لا تُرام . وكان أحدهما يسمى محمود
والآخر مودود . واعتقل ولداً آخراً - يسمى غازي - بالمدينة ، ووكّل به من يمنعه ١٨
من الخروج والدخول . وكان في جانب تلك المدينة - محاذي الدار التي فيها غازي -

(١) في المتن : « ذراع » .

(٢) ذكر ابن الأثير (الكامل ، حوادث سنة ٦٠٥ هـ) أن قلعة فرح هذه من بلدان الزوزان .
وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي أن الزوزان ناحية واسعة في شرقي دجلة من جزيرة ابن عمر ،
وأنها كورة حسنة بين جبال أرمينية وبين أخلاط وأذربيجان وديار بكر والموصل ، وأهلها أرمن ،
وفيهما طوائف من الأكرد ، وفيها قلاع كثيرة حصينة .

- ٣ بستان خراب ، فتحليل الصبي حتى مسك ثعبانا عظيما ، وسيره إلى أبيه ، وقال له : « ارحني ، والله مالي مجاور غير هذا وأنظاره » . وظن أنه يرق له ، فلم يزد عليه إلا قساوة . فاحتال الصبي وهرب من تلك الدار واختفى . فلما بلغ أبوه ، شقق البواب على باب الدار ، ثم نفذ البريد يتطلب الصبي في سائر ممالكه ، فلم يجبره أحد به .
- ٦ وكان الصبي يعيش في الأسواق وتحت قلمة أبيه ، والناس يعرفونه ويدعون له ويحسنون إليه ، محبة فيه وبغضا في أبيه . وكان الصبي متولما بإحدى حظايا أبيه ، فكان يسكتها وتسكتها . فكتبت إليه أن يأتيها الليلة . فأتاها ، وأقام معها في القصر . ثم إن الملك شرب تلك الليلة ، وأحضرت الملاحى والأغاني ، فأمعن في شربه ، ورسم أنه ينفوا له في الفراق وما أشبه ذلك . ثم ذكر ذنوباً فعلها مع الناس ، وظلمه لأولاده .
- ٩ هذا وغازى ولده على أعلى القصر يسمع وينتظر غفلته ليقنتله . فلما ثل من الشرب ، وخرج الأغاني ، وخلا بنفسه ، قام إلى الخلاء ، فوثب عليه غازى فقتله ، وضربه بالسكين
- ١٢ أحد عشر ضرباً^(١) ، ثم لم يقنعه حتى ذبحه . ولو كان - مع مشيئة الله عز وجل - جلس في ذلك الوقت كان استقر أمره في الملك ، وإنما انتهى مع تلك الجارية بالأكل والشرب ، ورأس أبيه بين يديه ، فخرجت جارية صغيرة إلى الدهليز ، وعرفت لأستادار أبيه الصورة ، فسير ذلك الأستاذار من وقته ، وأخرج بقية الأولاد المحبسين ، وأخبرهم بقتل أبيهم ، فجلسوا على البساب ، وأحضروا الحجاب وكبراء الدولة ، ومسكوا غازى واعتقلوه . وجلس ابنه مودود في دست الملك ، والله أعلم .
- ١٨ وفيها وصل إلى بورة أربعة عشر مركبا من مراكب الفرنج ، فنهبها وأسروا من فيها ، فخرج إليهم الملك الكامل في الشواني الإسلامية . فلما بنهم ذلك هربوا . وبورة هذه بالقرب من دمياط .
- ٢١ قال ابن واصل^(٢) : في هذه السنة كانت وفاة الملك المؤيد نجم الدين مسعود ابن السلطان صلاح الدين ، بالسبب الآتي ذكره في تاريخه .

(١) كذا في المتن .

(٢) مفرج الكروب ، ج ٣ ص ١٩٨ حوادث سنة ٦٠٦ هـ .

ذكر سنة سبع وستمائة

الفيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم لم يؤخذ له في هذه السنة قاع جملة كافية ، وسببه أن زيادة سنة ست ٣ في سنة سبع ، وقد تقدم ذكر الزيادة في سنة ست .

ما لخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل كذلك . وفيها كانت وقعة الكرج مع الملك الأوحده . وذلك لما اتفقت الملوكة في هذه السنة على السلطان الملك العادل ، وهم صاحب الروم خسرو شاه بن قليج أرسلان ، وصاحب الموصل ، وصاحب إربل ، وصاحب الجزيرة ، وصاحب ماردين ، وصاحب سنجان . ٩
- واتفقوا أن تكون السكة والخطبة لصاحب الروم خسرو شاه . وخرج كل واحد من صوبه ، وقصدوا أن يدهموا الملك العادل بكثرتهم ، وكان يومئذ نازلا^(١) على حران ، وعنده صهره صاحب آمد . ونزل الكرج على أخلاط سابع عشر ربيع الآخر وحاصروها ، فسير الملك العادل وطلب الملوكة أولاده وأولاد أخيه . ثم إن الله تعالى نصر الملك الأوحده على الكرج ، وتفرقت كلمة الملوكة المجتمعة على السلطان الملك العادل . وحضرت إليه الملوكة بعساكرهم ، وقصد الكرج . ثم جهز الملك الأشرف والملك المنصور ففتحوا نصيبين وسنجان . واستقرت السكة والخطبة باسم السلطان الملك العادل على عادته ، والله أعلم .
- ١٢ قال ابن واصل^(٢) : في هذه السنة كانت وفاة نور الدين صاحب الموصل ، بالسبب الآتي ذكره في تاريخ أبي المظفر . والخلف في هذه الأحوال في مدد السفين على صاحب النسخة الأصل عهدته ، وإنما العبد ذكر كل^(٣) من التاريخين وما اختلفا فيه .
- وقال ابن^(٤) واصل : إن في هذه السنة توفي الملك الأوحده صاحب أخلاط ، وهو غلط منه ، وإنما الصحيح ما ذكرناه في سنة عشرة وستمائة .

(١) في المتن : « نازل » .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٣ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ حوادث سنة ٦٠٧ هـ .

(٣) كذا في المتن .

(٤) مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢٠٨ حوادث سنة ٦٠٧ هـ .

ذكر سنة ثمان وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم أربعة أذرع وستة أصابع أخذ تقديره في سادس المحرم . مبلغ الزيادة في هذه السنة سبعة عشر ذراعاً وعشرة أصابع .

ما تلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل كذلك ، وقد عاد من بلاد الشرق في هذه السنة ، ودخل الديار المصرية ، ونزل دار الوزارة .

٩ وفيها توفيت والددة الملك الكامل ، ودفنت بجوار ضريح الإمام الشافعي ، رضي الله عنه . وبني^(١) عليها القبة العظيمة التي أجمعت الناس أنهم لم يروا مثلاً . وحُمل الماء إليها من بركة الحبش على قناطر معقودة إلى التربة . وعمرت القرافة الصغرى بسبب ذلك . واستجبت الناس في القرافة الآمار الحسنة .

١٢ وفيها توفي أبو الحسن علي بن محمد أبو سعد ، الملقب بتاج الدين بن حمدان ، صاحب كتاب التذكرة الحمدونية ، الذي سقنا في هذا التاريخ جملة منها ، لما وجدنا صحة ما أثبتته هذا الفاضل فيها من الأخبار ، ونثره من جواهر الآثار ، رحمه الله تعالى ، وسائر علماء المسلمين ، مع كافة أمة محمد أجمعين .

١٥ وفيها توفي نحر الدين إياز جهار كس ، صاحب القيسارية بالقاهرة المحروسة^(٢) ، رحمه الله .

١٨ وفيها توفي الملك المؤيد مسعود بن السلطان صلاح الدين ، رحمهما الله تعالى^(٣) . وكان لما قدم إلى رأس العين^(٤) تلقاه الوالي بها ، وأحضر له فاكهة ، فأكل منها هو

(١) في المتن : « وبنا » .

(٢) عن هذه القيسارية ، انظر : المقرئ ، المواعظ ، ج ٢ ص ٨٦ .

(٣) انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ص ١٩٨ .

(٤) رأس العين - أو رأس عين - ، مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة ، بين حران ونصيبين ودنيسر (ياقوت : معجم البلدان) .

وجماعة من خواصه . فلم تستقر الفاكية في معاه سوى ربع ساعة ، وصاح : « النار » .
وتوفي بعد ثلاث ساعات من تلك الساعة ، بعد الظهر ، وكذلك سائر من أكل معه
منها . ثم حملوه إلى حلب إلى عند أخيه الملك الظاهر ، ودفن بها . ولما بلغ العادل ٣
موت المؤيد لبس عليه الأزرق .

قال ابن واصل^(١) : وفيها كانت الفتنة بالحجاز ، ونهب الركب العراق . ولولا
التجأ الباقر إلى الركب الشامي - وكان فيه ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان
الملك العادل - لكان^(٢) الحجازيون قد أتوا عليهم . وسبب ذلك أن باطنيا^(٣) وثب
على الشريف أبي عزيز قتادة صاحب مكة فقتله . وكانت أم صاحب [حصن]
« الأملوت » قد قدمت حاجة ، فادعوا أن الباطني من جهةهم . ٩

(١) مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢١٠ حوادث سنة ٦٠٨ هـ .

(٢) في المتن : « لكانوا » .

(٣) في المتن : « باطنى » .

ذكر سنة تسع وستمائة

الفيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم أربعة أذرع وعشرة أصابع . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع .

ما نلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل كذلك ، وقد توجه من مصر إلى دمشق . وهرب عز الدين أسامة ، ولحقه الملك المعظم بنفسه ، وقبض عليه [واعتقله بالكرك]^(١) ، وتسلم من نوابه ما كان بيدهم من القلاع ، بعد حصار كوكب ، وأخذ وخرب . وتقلت ذخائره إلى الطور . واستقر السلطان بدمشق .

وفيها كانت الوقعة العظيمة المعروفة بالمعقاب ، بين الأمين محمد بن يعقوب ابن عبد المؤمن صاحب المغرب ، وبين الفرنج ، على مدينة طليطلة من الأندلس . وكان النصر للمسلمين على المشركين .

وفيها نزل صاحب الكرج على أخلاط وحاصرها ، وأشرف على أخذها . ثم إنه شرب خمرًا و عمل سكرًا ، فخذته سكره أن يركب ويأخذ البلد ، فركب [في عشرين فارساً]^(٢) وساق ، فتقطر به الفرس ، فأخذ أسيراً مع عدة من أصحابه ، وأحضروا للملك الأوحده .

١٨ وفيها تحركت الفرنج حركة عظيمة ، وخرج لهم السلطان ، ثم وقع الصلح والهدنة .

وفيها توفي نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل . وكان مدة ملكه بالموصل سبع عشرة سنة وأحد عشر شهراً . وكان

(١) في المتن « واعتقل » وما بين حاصرتين من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٣ ص ٢٠٩) .

(٢) ما بين حاصرتين من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٣ ص ٢٠١) .

- لما قوى مرضه ، تولى الأمور وتدير الأحوال بدر الدين لؤلؤ - وكان أستاذاره والحاكم في مملكته . فلما مات الملك قال الأكبر من الدولة : « لا يفوه أحد بموته » .
- ٣ وخرج بدر الدين لؤلؤ وجلس للناس ، وقضى حوائجهم . ثم طلب الأمراء والناس ، وأشاع بموته ، بعد أن أتقن أمره . وأخرج الملك ودفنه في مدرسته التي كان أنشأها مقابل داره . وكان نور الدين صاحب الموصل - رحمه الله - ملكاً جميلاً ، جواداً ، شجاعاً ، حسن الوجه ، كريم الحيا ، كثير البشاشة ، كثير الهيبة على أهل مملكته ، زائد
- ٦ العدل ، لا يستحسن الظلم ، يكون مع الضعيف بخلاف القوى ، جيد الحيلة والتصرف في أمور المملكة . وحكى عنه أنه لما توجه إلى نجدة صاحب ماردين حين حاصره الملك الكامل بن العادل وملك الرض منه ، فحضر نور الدين إلى نجدته ، وضرب
- ٩ مصافاً مع الملك الكامل ، وكسره . واستقرت قلعة ماردين شاغرة بلا ملك ولا مانع ، فقبل له : « املك القلعة ، فإنه لم يكن بها من يمنعك » . فقال : « أعوذ بالله أن أغدر بضاحبها ، وأكون قد أنجدته من عدوه وأخونه في ملكه ، فيكون مثلي
- ١٢ كمثل الرجل مع أبي زريق ، وذلك أن رجلاً حاز بشعراء^(١) فسمع قائلاً يقول : بالله عليك أدركني وخلص فراخي . فنظر وإذا هو الطائر المعروف بأبي زريق ، وحية التفت على شجرة ، طالعة إلى عُشِّ له في تلك الشجرة ، تريد فراخه ، فرمى الرجل الحية بسهم فقتلها . ثم قال : والله إنك طائر حسن ذكي ، لآخذن فراخه . فتسلق في الشجرة يريد أخذ الفراخ . فلما نظر إليه ذلك الطائر وعلم أنه يريد أخذ فراخه .
- ١٥ قال له : يا إنسان قد عملت خيراً فقمه . فتمجب منه ، ورجع على نفسه باللاماة . وأنا كذلك إن أخذت هذه القلعة فأكون عملت خيراً^(٢) وما تميته » . ثم إنه نفذ كتاباً إلى صاحبها يبشره بالفتح والنصرة على الملك الكامل ، ويستقدمه ، فقدم ، وسلمه قلعته .

(١) في المتن : « شعري » والشعراء الأرض أو الروضة الكثيرة الشجر (القاموس المحيط) .

وحاز حوزاً أي سار سيرا لينا .

(٢) في المتن : « خير » .

- ومن مناقبه - رحمه الله - عن مجد الدين ابن الأثير كاتبه قال : « كنت مع نور الدين صاحب الموصل ، وكان له سُرّادار ، وكانت مفاتيح القلعة مع ولد السرادار ، ففتح وسرق دراهم لها صورة ، فباغ السلطان ذلك ، فسير إلى ليلاً مع الدوادار أن أكتب كتاباً بأن تقطع يد ابن السرادار » . قال القاضي مجد الدين بن الأثير : « قُلت للدوادار إنني لا أكتب كتاباً إلا بين يديه . فرادني ، فامتنعت واعتذرت . فأحضرني بين يديه وقال : لم لا كتبت بقطع يد ابن السرادار ؟ . فقلت : ياخوند ، ولم ذلك ؟ . قال : لأنه سارق . فقلت : مولانا - أحسن الله إليه - عودني أني لا أكتب إلا بما يجوز في الشرع . فقال : فسكيف السارق ما تُقطع يده في الشرع ؟ . قلت : هذا سرق من غير حرز . قال : وكيف ؟ . قلت لأن المفاتيح معه . قال : فإن كان هكذا فجزاك الله عن صحبتك خيراً ، منعتنا عن الإثم » . ثم لم يذكره بعدها .
- قال ابن واصل^(١) : وفي هذه السنة قبض السلطان كيكافوس على أخيه كيقباز . وكان قد ذكر استيلاء السلطان غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقي على بلاد الروم . ثم هلك غياث الدين ، فقام بالملك بعده ولده الملك الناب كيكافوس . وفي هذه السنة قصده عمه طغرل شاه وحاصره ، فاستنجد بالملك الأشرف ، نجف طغرل شاه ، ورحل عن سيواس إلى بلاده . واستقر كيكافوس .

(١) مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢١٧ حوادث سنة ٦٠٩ هـ .

ذكر سنة عشرة وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم أربعة أذرع وعشرة أصابع . مبلغ الزيادة ست عشر ذراعا ٣
وثلاثة أصابع .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل كذلك ، وهو بدمشق .
وفيها استقرّ ملك الموصل لعز الدين مسعود بن نور الدين المقدم ذكره . ومدير مملكته بدر الدين لؤلؤ ، أستاذار أبيه .
- ٩ وفيها وردت كتب الخليفة الإمام الناصر لسائر ملوك الإسلام ، بأن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا السراويلات . وسير لكل ملك خلعاً تليق به ، وتقليداً بماله ، فامتثل^(١) جميع الملوك ما رسم لهم به .
- ١٢ وفيها عاد السلطان الملك العادل من الشام إلى ديار مصر .
وفيها توفي الملك الأوحّد نجم الدين صاحب أخلط ، واستولى على ممالكه الملك الأشرف مظفر الدين موسى . ثم إنه قدم إلى خدمة السلطان بالديار المصرية . ثم إن السلطان أنعم على ولده الملك المنصور شهاب الدين غازي بتمليك الرّها وأعمالها .
وفيها هدم السلطان حصن كوكب ، وأبقى عجلون .
- ١٨ وفيها ظفر السلطان علاء الدين كيكاوس - صاحب الروم - بمعه طغرل شاه ، وأخذ بلاده ، وقتله ، وذبح أكثر الأمراء . وأراد قتل أخيه ، فشنع فيه ، فعفى عنه ، واعتقه . قلت : وهذه رذيلة في البيت الساجق ، وإن كانوا غير رذيلين . لكن أنفسهم أنفس قوية ملوكية ، لا يروا الضيم من بعضهم بعض ، والمُلك لاشك عقيم .

(١) في المتن : « فامتثلوا » .

- وفيهما أظهر جلال الدين حسن - ملك الإسماعيلية^(١) - الإسلام ، وكان قبل ذلك زنديقاً ، هو وجميع طوائفه . وهم أيضاً فرقة من فرق القرامطة المقدم ذكرهم .
- ٣ فأظهر في هذه السنة الإسلام والتوحيد ، وقام بجميع الشعائر الإسلامية ، وأمر رعيته بذلك ، ولم يكونوا يعرفون ذلك من قبل هذا . واستمسك بذهب الإمام الشافعي - رضى الله عنه - واستقر كذلك حالهم إلى الآن .
- ٦ وفيها وصل القاضي بهاء الدين بن شداد ، من عند الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين صاحب حلب ، رسولا من أمته إلى ابن عمها الملك العادل ، تستعطفه ، وتطلب منه ضيفة خاتون شقيقة الملك الكامل - وكانت آخر بنات الملك العادل - وخطبتها لولدها الملك الظاهر ، فأنعم لها بذلك ، وحصل الاتفاق .
- ٩ قال ابن واصل^(٢) : إن في سنة عشرة كان مولد الملك العزيز بن الظاهر صاحب حلب . وأرخ ذلك بيوم الخميس خامس ذى الحجة من هذه السنة المذكورة . وقال
- ١٢ أبو المظفر بل في سنة إحدى عشر . وكانت ضيفة خاتون توجهت إليه في أول السنة ، وولدت له الملك العزيز آخرها . وقد ذكرنا ذلك . والتفاوت بين التقاين سنة كاملة ، والله أعلم بالصحيح في ذلك . ولم يذكر ابن واصل توجه ضيفة خاتون إلى الملك الظاهر .
- ١٥ وذكر ذلك الشيخ جمال الدين أبو المظفر يوسف بن الجوزي^(٣) ، رحمه الله .

(١) في مفرج الكروب لابن واصل (ج ٣ ص ٢١١) : «إمام الباطنية ، صاحب الألو» .

(٢) انظر مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٣) هو أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي صاحب كتاب مراة الزمان ، والمتوفى سنة ٦٥٤ هـ .

ذكر سنة إحدى عشرة وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ثلاثة أذرع وأربعة عشر أصبعاً . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً ٣
وثمانية عشر أصبعاً .

ماخلص من الحوادث

الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل ٦
كذلك .

وفيهما جهز الملك الكامل جيشاً ثقيلاً، ووجهه إلى اليمن صحبة ولده الملك المسعود
صلاح الدين يوسف أقيس . وجعل أتابكه الفارس فليت^(١) . وذلك أن سيف الإسلام ٩
صاحب اليمن كان قد توفي إلى رحمة الله عز وجل ، واستولى على اليمن سليمان شاه
ابن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، باتفاق من أجدانها . وتزوج أم سيف
الإسلام المتوفى . ووصل الخبر إلى الملك الكامل ، فاستأذن والده السلطان الملك ١٢
العادل في إنفاذ ولده أقيس ، فأذن له في ذلك، فنفته في هذا العسكر الثقيل، فلكها
الملك المسعود المذكور سِلماً من غير حرب ولا قتال . وكان ملكاً جباراً فاتكاً ،
قتل خلقاً كثيراً من الأشراف من نسل الهادي المقدم ذكره، وخلقاً من أكابر أهلها . ١٥
وفيهما كانت المعاملة بالقرطيس السوداء العادلية بدمشق ، نسبة الدراهم السود
بمصر .

وفيهما أعطى وأنعم الملك المعظم على مملوكه وأستاداره جدنا الأمير عز الدين أيبك ١٨
المعظمى صرخد وسائر أعمالها، ومَلَّكها له تملكاً . فلم تزل في يده إلى أن استعاده^(٢)
الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة أربع وأربعين وستمائة ، حسبما يأتي من ذكر ذلك
في تاريخه إن شاء الله تعالى . ٢١

(١) انظر : يحيى بن الحسين ، غاية الأمان في أخبار الفطر اليماني ، ص ٤٠٢ (تحقيق سعيد
عبد الفتاح عاشور) .

(٢) في المتن : « إلى أن سقاه الملك الصالح نجم الدين أيوب » ، انظر مايلي من هذا الكتاب،
حوادث سنة ٦٤٤ هـ

وفيها ملك السلطان علاء الدين خوارزم شاه بن تكش كerman ومكران^(١) .
ثم ملك في هذه السنة السند واتصل ملكه إلى أطراف الصين .

٣ وفيها سیر الملك الظاهر صاحب حلب يطلب زوجته ضيفة خاتون من عمه الملك العادل ، وتقرير العقد . وسير في قبول ذلك القاضي بهاء الدين بن شداد . وسير معه أشياء كثيرة من الخلع والإنعامات على سائر الأمراء والأعيان . ولما وصل إلى دمشق خرج إليه الأمراء الكبار وحكام الدولة ، وتلقوه مع جميع العساكر ، وأحضروه^(٢) إلى القلعة . وكان يوماً عظيماً ما شهد مثله . وكان النائب عن الملك العادل في قبول العقد شمس الدين التتقي ، وعُقد العقد على مهر مبلغه خمسون^(٣) ألف دينارٍ ولحوقاتها .
٩ ثم نثر الذهب على رءوس الناس . وجهز السلطان بعد ذلك ضيفة خاتون . ثم وصلت إلى زوجها الملك الظاهر ، وخرج تلقاها بنفسه - من أول أعمال حلب - بسائر جيشه . وكان عبورها إلى قلعة حلب يوماً مشهوداً .

١٢ قال ابن الأثير في تاريخه: إن من جملة ما وصل معها من التحف والقماش والمصاغ ما حملة مائة وخمسون بنلاً . وقال أبو المظفر صاحب التاريخ: كان في جملة الجهاز ثمانون هاون ذهب برسم المطبخ ، ومائة هجين قماش ملبوس وغيره ، وثلاثمائة حمل حمل فرش وطرح ، وأنظاره زركش وغيرها . ومن الجوار الصغار أربعائة وصيفة ترك وقفيجاق ، ومن الجوار الكبار في المحامل والكجاوات ما يحمله ألف رجل . وكان في خدمتها مائة جارية مطربة ، يلعبون بأنواع الملاهي ، ومائة جارية للتطريز . ولما دخلت على الملك الظاهر قام لها قائماً إحدى عشر دفعة . ثم قدّم لها خمسة^(٤) عقود جوهر ليس لها قيمة فنذكرها ، خارجاً عن قلائد العنبر المفصلة بالؤلؤ الكبار ، والياقوت البهرمان ، ومائتي وسبعون ثوب أطلس معدني قرمزى ، ومثلها

(١) في المتن: « كerman وتكرت » والصيغة المثبتة من الكامل لابن الأثير - حوادث

سنة ٦١١ هـ .

(٢) كذا في المتن .

(٣) في المتن: « خمسين » .

(٤) في المتن: « خمس » .

- من المعاجر المسكلة ، ومائتي قطعة من الذهب والفضة من صناعة الفرنج العجيبة ،
وعشرين هجيناً مؤسقة من الثياب المختلفة الألوان . وكان وصولها إليه أول شهر ربيع
الأول من هذه السنة . وفي آخرها ولدت له الملك العزيز ، واحتفل له الملك الظاهر^٣
في ولادته احتفالاً عظيماً . ثم أمر الصناع أن يقترحوا من سائر الأنواع والصنوف ،
فعملوا من ذلك أشياء بالقطاير المقنطرة من الذهب والفضة . وكذلك تماثيل من سائر
الأنواع ، مثل فهود من عود وعنبر وصندل ، ووحوش من جميع الأجناس مطعمة^٦
بالذهب والفضة . وفتح للمولود بيتاً ، وعبر الناس ، وأرموا عليه من الجواهر
واليواقيت والبلخش واللؤلؤ والأموال ما حسبت قيمته مائة ألف دينار عين . ثم
صنعوا له درعين في كل درع أربعين جوهرة كقدر بيض الحمام ، مفصلاً بالياقوت^٩
البحرمان . وصنعوا له بركتوان^(١) جميعه لؤلؤ كبار ، وستة سرّوج بجوهرة ، وستة
سيوف محلاة مرصعة بملائق ذهب مكلفة ، ورماح ذهب وأسنحتها بلكخش . وفي يوم
سبوعه ختن الملك الظاهر ولده الملك الصالح صلاح الدين أحمد ، وكان يوماً عظيماً^{١٢}
ما شهد مثله . وختن معه أربعائة غلام من أولاد كبار الدولة . وختن ألف يتيم
وأكساهم أنحف ملبوس . وعملت ولية ما شاهد الناس مثلها ، والله أعلم .
- وقال ابن واصل^(٢) : لما ولد الملك العزيز امتدحت الشعراء وصنعوا القصائد المنتخبة^{١٥}
في التهنائي . فمن ذلك قول راجح الحلّي من قصيدة مطلعها ، يخاطب الملك الظاهر :
- نعم جادت الدنيا بما أنت آمله فحسبك من آمالها ما تُقَالُلهُ
إذا ماهنأ قال قوم: قد انقضت أواخره كرت عليه أوائله^{١٨}
فياحبذا دهرًا بملكك أشرق على أهله أسحاره وأصائله
فلسنا نرى إلا نعيمًا يديعه صنيعك فينا أو سرورًا يواصله

(١) بركتوان، أو برك أسطوان ، غاشية الحصان أو الفيل المزركشة (المقريزي ، السلوك،

ج ١ ص ١٧٧ ، حاشية ٥) .

(٢) مفرج الكروب، ج ٣ ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

ومنها :

٣ فله مرلود أنار به الهدى وأسفروجه المملك واشتد كاهله
تبأشرت الدنيا بفرّة وجهه فبورك من نجل وبورك ناجله

ومنها :

٦ وتحمد منه سيرة ظاهرية بها تشمل الآفاق طرّاً شمائله
عليه خلال من أبيه وجدّه تدل على أن البلاد معاقله

ومنها في تطهير ولده الآخر [يعنى ولده الصالح] :

١٢ ورقت خليل الله منصبه الذى سما والنجوم الزاهرات تطاوله
فأحييت بالتطهير سنّته وكم تبعّت نبياً فى الذى هو فاعله

آخرها يقول :

فدّم ياغيث الدين للخلق رحمة تعمهم كالنيث طبق وابله

ذكر سنة اثنتى عشرة وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم أربعة أذرع فقط . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا، وثمانية أصابع . ٣

ما لخص من الحوادث

الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل

كذلك ، وقد توجه من دمشق ، ودخل القاهرة المحروسة في شوال من هذه السنة . ٦
وفيها كان ابتداء النيابة في المدرسة العادلية بدمشق المحروسة .

وفي النصف من شعبان توفي سيدى الشيخ نور الدين أبي الحسن على بن حميد

المعروف بالصباغ رضى الله عنه ، ودفن بجبانة ناحية قضا، من عمل صعيد مصر ، بجوار ٩
قبر شيخه سيدى الشيخ عبد الرحيم الهامى^(١) الحسينى ، رضى الله عنه . وصحب الشيخ
أبا الحسن - رضى الله عنه - جماعة من الأولياء والصديقين والنجباء والصالحين ، فكان
يقول رضى الله عنه : « أصحابى ستمائة رجل ، وما نال أحد بالديار المصرية ما ناله ١٢
أصحابى ، سوى رجلين الشيخ مفرج بدمامن^(٢) ، والشيخ أبو كريم ، بكورة
الهنساوية ، رحمة الله عليهم أجمعين » .

وفيها توفي الشيخ الهروى ، وكان له عند الملك الظاهر صاحب حلب صورة ١٥
كبيرة . وكان من كبار الصالحين ، رحمة الله عليه .

(١) كذا في المتن ، والمقصود هنا شيخه سيدى عبد الرحيم القناوى ، انظر (حسن المحاضرة
للبيوطى ، ج ١ ص ٥١٦) ؛ وكذلك ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج ٥
ص ٥٢ ، وفيات سنة ٦١٢ هـ) .

(٢) ربما يعنى أن الشيخ مفرج من بلدة دما من . وجاء في معجم البلدان لياقوت ، وكذلك في
التحفة السنية لابن الجيعان (ص ١٩٣) أن دما من قرية كبيرة بالصعيد شرق النيل على شاطئيه ،
شمالى قوص .

- قال ابن واصل^(١) : في هذه السنة كان استيلاء الملك المسعود أقسيس بن الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبو بكر على اليمين . وقبض على سليمان شاه وزوجته ، وسيرها مكرمين إلى الديار المصرية ، حسبما ذكرناه . ٣
- وفيهما كانت وفاة علي بن الإمام الناصر ، الذي كان نقل إليه العهد من أخيه واستقر العهد فيه .
- قال ابن واصل أيضاً : إن في هذه السنة ملك^(٢) الرُّوم من الإفرنج مدينة أنطاكية ، وصاحبها السلطان عز الدين كيكاوس ، وقتلوا من بها من المسلمين ، ثم استنقذها واستعادها منهم . ٦
- قال : وفيها ملك ابن لاون الأرمني مدينة أنطاكية من الشام ، وأحسن إلى أهلها ، فأحببه^(٣) أهلها لظلم صاحبها الأبرنس ، وأطلق جماعة من أسرى^(٤) المسلمين كانوا بها . ٩

(١) مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢٢٧ وما بعدها .

(٢) في المتن : « ملكوا » .

(٣) في المتن : « فحبوه » .

(٤) في المتن : « أسرا » .

ذكر سنة ثلاث عشرة وستمئة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم أربعة أذرع وأربعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا ٣ وعشرة أصابع .

ما نلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل كذلك . والملك الكامل - ولده - ملك الديار المصرية .

وفيها عزل القاضي عماد الدين بن عبد العلى من الحكم والخطابة ، وتولى الحكم بالقاهرة - مع الجانب الغربى والبحرى - القاضي شرف الدين محمد بن عز الدولة . ٩ وتولى مصر مع الوجه القبلى القاضي تاج الدين عبد السلام الدمياطى ، المعروف بابن الخياط . وتولى الخطابة بالقاهرة الفقيه بهاء الدين بن الحميدى ، وبمصر الفقيه طاهر الحلى . ١٢

وفيها تحركت الملكة صاحبة عكا^(١) ، لما قدم عليها أخوها فى البحر، يسمى الملك نقرى ، وكان فى خلق عظيم ، ونزل بمكا . وصار يركب ويسير إلى القيمون^(٢) وغيره . نخشيه الملك العادل ، فجرد له إسماعيلى فضربه خمسة سكاكين ، فمات ، ١٥ وقتل الإسماعيلى .

وفيها توفى الملك المعظم أبو الحسن على بن الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين . وفيها وقع بالبصرة بَرَدٌ كثير - قدر كوز الفقاع - حتى كسر رؤوس الفحل ، ١٨ وقتل كثيراً من الناس والحيوان .

(١) كانت ملكة الصليبيين فى عكا عندئذ (سنة ١٢١٦ م) تحكمها الملكة إيزابلا أويولاند، وهى طفلة صغيرة ، فقام بالوصاية عليها أبوها حنا دى برين (سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٩٥٢) .

(٢) قيمون، بالفتح ثم السكون، حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين (ياقوت، معجم البلدان).

وفيها اتفق الملك الغلاب عز الدين كيكائوس بن كيخسرو السلاجوق مع الملك الظاهر صاحب حلب ، على لاون ملك الأرمن . ودخل عز الدين كيكائوس من مرعش ودخل الملك الظاهر من درب ساك ، فأحرقوا سيس ونهبوا منها شيئاً كثيراً^(١) .

قال ابن واصل^(٢) : إنه لم ينتظم للملك الظاهر وصاحب الروم أمر ولا كان بينهما اتفاق . وإن الملك الظاهر سير استشار السلطان في ذلك فمنعه . وأن ابن لاون هادى الملك الظاهر وراسله ، فحصل الصلح بينهما . ولم يتوجه الظاهر ولا [أرسل] جيشاً من حلب إلى معونة كيكائوس صاحب الروم . وذَكَرَ ما ذَكَرناه في التوجه أبوالمظفر ، والله أعلم كيف كان .

وفيها أرسل الملك الظاهر القاضي بهاء الدين بن شداد إلى السلطان الملك العادل يسأله أن يكون المُلْك بعده لولده الملك العزيز ابن بنت السلطان ، ولا يغير عليه شيئاً بعد وفاته . وطلب بنت الملك الكامل لولده الملك العزيز . فلما قدم بهذه الرسالة قال السلطان : « أما المُلْك فهو لولده ولا أغير عليه حسبما سأله . وأما الزواج فما هو لي ، ولكن امض إلى أبيها الملك الكامل » . فمضى إلى الملك الكامل وتحدث معه ، فتبسم معه وقال : « مَنْ لي بابن عمي وابن أختي ، لمحي ودعي » . وأنعم له بذلك . وفي آخر هذه السنة توفي الملك الظاهر صاحب حلب ، رحمه الله تعالى . واستقر الملك العزيز صاحب حلب مكان أبيه ، ولم يغير عليه شيئاً .

قال ابن واصل^(٣) : كانت وفاة الملك الظاهر ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة وستمائة . وكان كعقب وصية أن يكون ولده

(١) في المتن : « شيء كثير » . وقد ذكر ابن واصل (مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢٣٦) أن الملك الظاهر أعرض عن الحركة لنصرة عز الدين وذلك بناء على نصيحة عمه العادل .

(٢) مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٣) مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢٤١ ، ويلاحظ أن ابن واصل قال إن وفاة الملك الظاهر كانت ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة .

الملك العزيز بعده ، ثم يكون والده الملك الصالح أحمد بعد العزيز ، ثم يكون الملك المنصور بن العزيز بن السلطان صلاح الدين بعده ؛ وهو الذى أخرجه الملك العادل من ملك مصر .

٣

قال : وزوج الملك المنصور المذكور بابنته قبل وفاته بيوم واحد ، وأوصى له بشيء كثير ، وجعل أتابكية ولده للأمر شهاب الدين طغرل ، فقام بخدمة هذا البيت أتم قيام ، ووفى من الأمانة ما لا وُقِّ به غيره . ولم يعتمد ما اعتمده بدر الدين ٦ لؤلؤ صاحب الموصل فى حق بيت مخدومه من إزالة الأمر عنهم ، وتخصيصه إياه . فكان لؤلؤ بالضد من الأتابك شهاب الدين ، رحمه الله . وأحضر الملك الظاهر - قبل وفاته - الرئيس جمال الدين على بن صفى الدين بن الطرية ، وأخلع عليه ، وقلده رياسة حلب ، ٩ وكانت لأبيه من قبله .

قال : وبث فى ذلك اليوم لكل واحدٍ من إخوته جملة مال ، وأعتق مائة مملوك ومائة جارية ، وأزوجهم بهن ، ورتب لهم كفائتهم ، وفعل من الخير ما يضيّق عنه الوصف ، رحمه الله تعالى (١) .

بقية ذكر الظاهر : وكان الملك الظاهر صاحب حلب ، رحمه الله ، ملسكاً جواداً سمحاً أديباً فاضلاً . قيل إن أبا المحاسن ماجد بن محمد كتب إليه أبياتاً منها (٢) :
 أما وضجيج قهقهة الفنانى وأصوات المثلث والمثنائى
 لقد أضحى الشأم يتيه عجياً بملكٍ ما له فى الأرض ثنائى
 فكتب جوابه يقول :

١٨

طلبنا الدرّ من بحر الممانى وعذب اللفظ من عضب اللسان
 وهل تجنى ثمار الفضل إلا فروع أصلها حلو الجمانى
 فلا عجب أن استسقيت غيثاً أو استسقيت منطلق العنان
 وأنت السابق النيات فضلاً إذا ما قصرت خيل الرّهان ٢١

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢٤٥ .

- فأهلاً، ثم أهلاً، ثم أهلاً بما أرسلت من سحر البيان
قلت : لعل هذا الشعر يعتد به في طبقة المطرب من طبقات الشعر ، لجودته ،
٣ وسلاسته ، وحسن توصيفه ، وبراعة معانيه ، رحم الله قائله .
- وكان عمر الملك العزيز بن الظاهر لما جلس في الملك عند وفاة أبيه - سنتين وأشهر ،
وعمر أخيه الملك الصالح أحمد ولي عهده نحو اثنتي عشرة سنة . ووقع في ذلك منازعات
٦ كثيرة من أعمامه أولاد السلطان صلاح الدين ، مثل الملك الزاهر ، والملك الظافر
وغيرهم . وآخر الأمر استقر الحال خشية من جده الملك العادل الكبير .
- ولما مات الملك الظاهر المذكور رثاه شرف الدين بن راجح الحلي يقول :
٩ سَلَّ الْخُطْبَ إِن أَصْنَى إِلَى مَنْ يَخَاطِبُهُ بِمَنْ عَلَقَتْ أُنْيَابُهُ وَمَخَالِبُهُ
أَرَى الْيَوْمَ دَسَتْ الْمَلِكُ أَصْبَحَ خَالِيًّا أَمَا فَيْكُمْ مِنْ مُخْبِرٍ أَيْنَ صَاحِبِهِ؟
ومنها :
- ١٢ فَإِنْ يَكُنُ نَوْرٌ مِنْ شَمَاهُكَ قَدْ خَفَا فَيَا طَالَمَا جَلَّى دُجَى اللَّيْلِ ثَاقِبُهُ
وقد لاح بالملك العزيز محمد صباح هُدًى كُنَّا قَدِيمًا نَر_اقِبُهُ
فَتَى لَمْ يَفْتَهُ مِنْ أَبِيهِ وَجَدَّهُ أَبٌ ثُمَّ جَدُّ غَالِبٌ مِنْ يَنْقَالِبُهُ
١٥ ومنها يخاطب الملك العزيز وأخاه الملك الصالح بقوله :
- أَيْمَكْتُ بِالشَّهْبَاءِ عَبْدُ أَبِيكُمْ وَمَادَحُهُ أُمُ تَسْتَقِلُّ رِكَابُهُ
فلما سمع شهاب الدين أتابك هذا البيت قال : « قولوا له يُرحل فلا حاجة بنا إليه ،
١٨ فَإِنَا لَا نَعْطِي الشَّعْرَاءَ شَيْئًا » .
- قال : ثم امتدح شهاب الدين - بعد عدة مرثي عمالها في الظاهر - فلم يميزه عليها
شئاً . وأمر شهاب الدين بقطع ما كان له مرتباً ، فقارق حلب ، وصار إلى الملك
٢١ الأشراف ، فخطى عنده . وبقية ما لخصناه في الصفحة الأخرى (١) .

ذكر سنة أربع عشرة وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم أربعة أذرع وأربعة عشر أصبعا . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا ، ٣
واثنان وعشرون أصبعا .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك العادل كذلك . وبقية الملوك في محل ممالكهم على ما هم عليه .
وفيها توجه السلطان الملك العادل من الديار المصرية إلى الشام ، وخيم بنابلس ،
وانتقل إلى بيسان . وكان الفرنج - خذلهم الله - محاصرين الطور ، فلما بلغهم توجه ٩
السلطان إليهم رحلوا عنها خاسرين ، بعد ما قتل من كبارهم عدة . ثم إنهم تجمعوا
وخرجوا على العساكر السلطانية بمنزلة بيسان ، فرحل السلطان عنها ، ونزل على مرج
الصفير . ثم غاروا على تبنين وبانياس ، ولم يحصلوا على شيء ورجعوا خائبين خاسرين . ١٢
وأخذ ابن ملكهم أسيراً ، مع عدة جيدة من خيالتهم .
وفيها وردت على السلطان عيونه أن الفرنج - خذلهم الله - في تجهيز عظيم ،
وأنهم طالبين جميع بلاد الإسلام ، فاهتم السلطان الملك العادل في تحصين سائر الثغور ١٥
الإسلامية وعمارتها ، وإزاحة جميع أعدارها ^(١) .
وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة ، وغرقت بندا بآسرها ، وانهدمت قصورها
ودورها . وركب الإمام المسترشد بالله في شبارية ^(٢) وخاطب الناس ، واعتذر لهم ، ١٨
وجعل يتأوه ويقول : « لو كان هذا الماء بُرْدًا بِمَالٍ أَوْ بِرَجَالٍ لَدَفَعْتُهُ عَنْكُمْ ، وَلَكِنْ
أَمَرَ اللَّهُ لَامِرْدَ لَهُ » . وزاد الماء أمراً عظيماً ^(٣) إلى أن وصل السور ، وأيقن الناس

(١) العذر: المطر الشديد ، واعتذر المسكان كثير ماؤه وابتل من المطر (القاموس المحيط) .
وربما كان المقصود بالأعداد المستنقعات ونحوها .
(٢) الشبار والشبارة نوع من السفن عرف في العراق وهي عندهم الحراقة عند أهل مصر .
(Dozy: Supp. Dict. Ar.)
(٣) في المتن : « أمر عظيم » .

بالهلاك . ودامت كذلك سبعة أيام ، ثم نقص الماء ، وعادت بغداد تلال خراب من الجانبين . وهذه غرفة أخرى غير الأولى^(١) المقدم ذكرها .

ذكر توجه السلطان خوارزم شاه

٣

إلى نحو بغداد

- في هذه السنة قدم السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش السلجوقي إلى همدان طالبا ببغداد ، في أربعمائة ألف عنان - وقيل في خمسمائة ألف عنان - واستعد له الإمام الناصر لدين الله ، وفرّق الأموال والسلاح . وسير إليه الشيخ شهاب الدين السهروردي^(٢) - المقدم ذكره - رسولا ، فأهاناه ، واستدعاه ، وأوقفه إلى جانب تخته ، ولم يأمره بالجلوس . وعن أبي المظفر قال : حدثني الشيخ شهاب الدين السهروردي^(٣) قال : استدعاني السلطان علاء الدين خوارزم شاه ، فأتيته ، فدخلت إلى خيمة عظيمة ، فيها دهليز لم أر في الدنيا مثله . وتلك الخيمة والشقة والدهليز أطلس معدني قرمزي . والأطناب حرير أبريسم^(٤) . وفي ذلك الدهليز ملوك عراق المعجم على اختلاف طبقاتهم ، مثل صاحب همدان ، وصاحب أصفهان ، وصاحب الري ، وغيرهم . ثم دخلتُ إلى خيمة أخرى أعظم من الأولى أطلس معدني قرمزي ، بنوارات زركش ، وأطناب حرير . وفي دهليزها ملوك خراسان مثل صاحب مرو ، وصاحب نيسابور ، وصاحب بلخ ، وغيرهم . ثم دخلتُ إلى خيمة أعظم من الأولتين ، وملوك ما وراء النهر في دهليزها . ثم دخلتُ إلى خرقة عظيمة ، أضلاعها ذهب عين ، وعليها سجاجف مرصع بالجواهر ، يأخذ بالبصر . ثم دخلنا عليه ، فوجدناه في خرقة حسب العادة ، منشفة بلبد أبيض ، وهو جالس على تحت ساذج . وهو شاب بوجه كالترس ، ورأسه

(١) في المتن : « الأوله » .

(٢-٣) في المتن : « الشهرزوري » وقد سبق تصحيح الاسم .

(٤) ذكر دوزي أن « أبريسم » هو خيط الحرير ونسجه (Dozy: Supp. Dict. Ar.) .

كرأس البغل، وله شعرات يسيرة في وجهه، وعليه قباء بخاري يساوي خمس دراهم^(١)،
وعلى رأسه قطعة من جلد تساوي درهمين . قال الشيخ شهاب الدين : فسلمتُ عليه ،
فلم يرد عليّ ، ولا أمرني بالجلوس . فشرعت ، فحمدت الله عز وجل ، وخطبت خطبة ٣
بليغة ، ذكرت فيها فضل بني العباس ، ووصفت الخليفة بالزهد والورع والدين ،
والترجمان يردّ عليه قولي . فلما فرغت من كلامي قال للترجمان : «قول له هذا الذي تصفه
ما هو هذا الذي في بغداد ، وإنما أنا أجيب . إن شاء الله تعالى إلى بغداد ، وأقيم خليفةً ٦
يكون بهذه الأوصاف » . ثم ردّنا بغير جواب . ثم رحل ونزل بلخ ، فأرسل الله
عز وجلّ على جيشه ثلجاً عظيماً ، ما نظروا مثله ، أهلك دوابهم ، ووقع كثير من
أطراف قومه من قوة الثلج الذي نزل بهم . ثم إن خوارزم شاه ركب يوماً فرسه ، ٩
فعرّ به أطاحه من سرجه ، فتطير من ذلك ، ووقع في عسكره الفساد . وكان معه
سبعين ألف من الخطاء ، فاختلّفوا عليه ، فعاد إلى بلاده في تلك السنة . هذا ما ذكره
أبو المظفر .

١٢

وأما ما ذكره الشيخ شهاب الدين أبو شامة قال : نسخت من كتاب محمد بن محمد
ابن أحمد النسوي ، الجامع لأخبار التتار مع السلطان علاء الدين خوارزم شاه
ومع ولده السلطان جلال الدين منكبرتي^(٢) ، وقد اختصرت ما أمكن تلخيصه . حكى ١٥
القاضي مجير الدين الخوارزمي أن السلطان علاء الدين سير مراراً^(٣) إلى بغداد ، آخرها
بمطالبة الديوان بما كان لبني سلجوق من الحكم ، والنزول ببغداد ، فأبوا عليه
ذلك ، وأنفذوا إليه الشيخ شهاب الدين السهروردي^(٤) رسوياً ، مدافعاً لما طلب ١٨
من الديوان العزيز . وكان عند السلطان علاء الدين من حسن الاعتقاد ما أوجب
تخصيص الشيخ برفع المنزلة ، ومزيد الاحترام ، ما يميّز به عن سائر الرسل الواردة
عليه من سائر الأقطار . وأنه لما دخل إليه الشيخ ، أقبل عليه وأكرمه وأجلسه . ٢١

(١) في المتن : « الدراهم » .

(٢) في المتن : « منكبرى » .

(٣) في المتن : « مرار » .

(٤) في المتن : « السهرزوري » .

- فقال الشيخ : « من سُنَّة الداعي لهذه الدولة القاهرة أن يقدم على أداء الرسالة حديثاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم » . فأذن له السلطان في ذلك ، وجلس على ركبته تأديباً لسماع الحديث . فذكر الشيخ حديثاً فيه تحذير من أذية أقاربه . فلما فرغ الشيخ من رواية الحديث ، قال السلطان : « أنا ما أذيت أحداً من أقاربه ، ولا من آل العباس ، ولا قصدتهم بسوء . وقد بلغتني أن في مجلس أمير المؤمنين منهم خلق كثير مغلدين ، يتناسلون في الحبوس . فلو أورد الشيخ هذا الحديث بعينه على مسامع أمير المؤمنين كان أولى وأنتفع » . فعاد الشيخ والوحشة قائمة . ثم عزم السلطان علاء الدين على طلب بغداد ، وقسم نواحيها إقطاعاتٍ لعمالٍ من قبله . وسار حتى علا عقبة أسد^(١) فنزلت عليه الثلوج حتى ملأت^(٢) عليه الأباطح وغطت الخراكي والحيام . ودام كذلك أسبوعين ، فشمل الهلاك خلقاً من عساكره ، ولم ينج شيء من الجمال ، وتلفت أيدي أناسٍ كثيرة ، فرجع عن وجهه ، وسيأتى تنمة أخباره في مكانها^(٣) .
- وفيها كان جفل السلطان الملك العادل من الفرنج لما خرجوا عليه بجموعهم ، ووصلوا إلى عين جالوت فأحرقوها . وطلع السلطان إلى قلعة عجلون ، وقطع الفرنج خلفه الأردن ، وأوقعوا باليزك ، وغاروا على البلاد . وورد المرسوم إلى المعتمد وإلى دمشق بالاهتمام والاستعداد ، واستخدام الرجال ، وتدريب الدُّروب على قصر حجاج^(٤) والشاغور^(٥) وطرق البساتين . ونقلت غلة داريا إلى القلعة بدمشق . وغرقوا الأراضي بالمياه لأجل الفرنج الملاعين ، وقصدهم إلى دمشق . وأرسل السلطان
-
- (١) كذا في المتن ؛ وربما كان المقصود « عقبة بغداد » التي ذكرها ياقوت (معجم البلدان) ، وقال إن العقبة وراء نهر عيسى قريبة من دجلة بغداد . والعقبة الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه .
- (٢) في المتن : « ملت » .
- (٣) انظر ابن الأثير ، السكامل - حوادث سنة ٦١٤ هـ .
- (٤) قصر حجاج ، محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق ، منسوب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان (ياقوت ، معجم البلدان) .
- (٥) الشاغور : محلة بالبواب الصغير من دمشق (ياقوت ، معجم البلدان) .

- إلى ملوك الشرق يستحثهم . ثم نزل السلطان على مرج الصفر ليجتمع العساكر فيه .
 ووقع عند ذلك الجفل العظيم ، وعزم الناس على ^(١) النزوح عن أوطانهم بدمشق . وعاد
 للناس ضجيج وبكاء وتضرع إلى الله عز وجل في أوقات الصلوات بالجماع . ثم إن ^٣
 الفرنج - خذلهم الله - عادوا إلى عكا بجميع ما احتوا عليه من الأسارى وكانت غارتهم
 وصلت إلى زحر ^(٢) وإلى فيق ^(٣) وغيرها . ثم وصل الملك المجاهد أسد الدين صاحب
 حمص بمن اجتمع إليه من العساكر لنجدة الناس ، ودخل من باب الفرج بمد جهده جهيد ^٦
 لازدهام الناس . ومضى من فوره إلى دار سبت الشام - أخت السلطان الملك العادل -
 فسلم عليها . ثم عاد إلى داره وبات بها . وأصبح متوجها إلى خدمة السلطان ، فعند
 ذلك سكنت نفوس الناس .
 وكان الملعون ملك الفرنج في ذلك الوقت وجامع حشودهم يقال له الملك المنكر ^(٤) ،
 وكان في خمسة عشر ألف قنطارية فرسان ، خارجاً عن الرجالة . وكان هذا الملعون
 شجاعاً مقداماً . قال أبو المظفر : لما رجع هذا الملعون بمن معه من خربة اللصوص ،
 ووصلوا إلى تل الفرس . ثم رحلوا ونزلوا تحت الطور يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان ،
 وأقاموا إلى يوم الأحد ثاني رمضان ، وكان يوماً كثيراً الضباب . فما شعروا بهم أهل
 الطور إلا وهم عند الباب ، وقد ألقوا رماحهم السور ^(٥) . فعند ذلك فتح المسلحون ^{١٥}
 الباب ، وخرج إليهم الفارس والراجل ، وقتلهم أشد قتال ، حتى رموهم إلى أسفل

(١) في المتن : « عن » .

(٢) كذا في المتن . وربما كانت قرية من قرى سواد دمشق ، انظر : (مفرج الكروب لابن
 واصل ج ٣ ص ٢٥٥ ؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير - حوادث سنة ٦١٤ هـ) .

(٣) يعني عقبة فيق (المقریزی ، السلوك ، ج ١ ص ١٨٦ ؛ مفرج الكروب لابن واصل ،
 ج ٣ ص ٢٥٥) .

(٤) كذا في المتن . ويشير المؤلف إلى ما حدث في تلك السنة (١٢١٧ م) من وصول حملة
 صليبية من الغرب جلبها من الهنغارين والألمان ، تحت زعامة ليوبولد السادس دوق النمسا وأندريه
 الثاني ملك هنغاريا ، ثم لحق بهما في الشام هيو ملك قبرس . وكان ملك الصليبيين في عكا عندئذ
 هو حنا دي برين ، انظر : (سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٩٥٧) .

(٥) في المتن : « الصور » .

- الطور . فلما كان يوم الثلاثاء رابع الشهر المذكور ، طلعموا بأسرهم ، وصحبهم سلم عظيم ،
فزحفوا من ناحية المرامى من نحو باب دمشق . ولم يزالوا حتى ألقوا السلم
٣ السور^(١) ، فقاتلهم المسلمون قتالاً لم يعهد في جاهلية ولا إسلام مثله ، لشدة :
ودخلت رماح السلاعين من المرامى من كل ناحية ، فضرب بعض الزرايين السلم
بقارورة فقط أحرقه ، وقتل عنده جماعة كبيرة من أعيان الفرنج ، وقتل كند كبير
٦ من كبارهم . فلما رأوه صاحوا صيحة عظيمة ، وكسروا رماحهم عليه . واستشهد
في ذلك اليوم من المسلمين من الأمراء بدر الدين محمد بن أبي القاسم ، وسيف الدين
مرزبان ، وكانا من الأمراء الأجواد الصلحاء ، رحمهما الله تعالى . وغلقوا الأبواب ،
٩ وباتوا يداوون الجرحى^(٢) ، واتفقوا أنهم يقاتلون قتال الموت ولا يسلمون أنفسهم ،
فيجرب عليهم كما جرى على أهل عكا . وكان في الطور أبطال المسلمين . وأوقد^(٣)
الفرنج حول الطور النيران . فلما كان يوم الخميس سادس رمضان وقت السحر رحل^(٤)
١٢ الفرنج طالبين عكا ، ولم يعلم لذلك سبب . ثم إن الملك المعظم وصل الطور ، وأطلق
الأموال ، وأخلع على سائر من كان بها ، وشكر لهم ما صنعوه .
وفيها جلس الملك العزيز بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين على كرسي
١٥ مملكة حلب .
وفيها تناهت إمداد الفرنج وملوكها في البحر من الرقية^(٥) والبداقة ، وهما
كرسى مملكة الرومانية ، وهى التى فيها الباب الكبير ، الذى يزعمون أنه الخليفة
١٨ عندهم . ثم تناهت ملوكهم أولاً فأولاً ، وحلفوا أن لا بد لهم من البيت المقدس
والشام والساحل بكأله . فلما بلغ السلطان الملك العادل ذلك - وكان بالديار المصرية -

(١) فى المتن : « الصور » .

(٢) فى المتن : « الجرحا » .

(٣) فى المتن : « وأوقدوا » .

(٤) فى المتن : « رحلوا » .

(٥) كذا فى المتن ، وفى السلوك للمقريزى « من روما وغيرها الى عكا » .

جمع العساكر ، وخرج بنية الغزاة وحى بلاد الإسلام . وقصد الشام ، وبث العساكر من الداروم إلى الرملة . ولما بلغ الفرنج ذلك قصدوه بخيلهم ورجلهم . ولم تكن العساكر تكملت بعد عند السلطان . وكان حذوراً ، فرحل من مرج الصفار ، ٣ وطلب دمشق ، وجعلها ظهره . فعند ذلك غارت الفرنج على البلاد الإسلامية ، وأخذوا من بيسان وأعمالها خلقاً كثيراً^(١) ، وسفكوا وقتلوا ونهبوا وأحرقوا . ووصلت غاراتهم إلى جنين . ثم أقاموا على بانياس ثلاثة أيام ، ثم رجعوا بالأموال ٦ والفنائم والأسرى^(٢) إلى عكا . ثم عادوا إلى صيدا والشقيف ، ثم رجعوا إلى عكا . ولم يزلوا كذلك إلى النصف من رمضان المعظم . ثم إن السلطان عيّد بدمشق عيد الفطر ، وخرج طالبا للعدو ، وحلف لا بد له منهم . فبينما هو راكب إذ رأى شيخاً ٩ كبيراً ، وعلى رأسه حلة كبيرة ثقيلة ، وهو يعدو بها ، فقال له السلطان : « لا تمجل ياشمخ ، وتمهل على نفسك » ، فالتفت إليه الشيخ وقال : « ماتستحي من الله يا سلطان الإسلام ، إنك قد أسلمتنا لعدونا ، وتقول على مهلك » . فكانت هذه الكلمة أشد ١٢ ما يكون عليه وخنقته العبرة . ثم أمر ولده الملك المعظم عيسى أن يأخذ العساكر ويسير إلى الفرنج ، ويردهم عن البيت المقدس . ومضت سنة أربعة عشر وستمائة والحروب بينهما سجال . ١٥

ذكر أولاد الشيخ وأصلهم^(٣)

قال ابن واصل : في هذه السنة - أعني سنة أربع عشرة وستمائة - عاد الشيخ صدر الدين بن حمويه من بغداد ، وكان قد توجه إليها رسولاً من الملك العادل إلى الديوان العزيز . قال : وكان صدر الدين هذا جليلاً معظماً عند الملك العادل . وكان أبوه الشيخ عماد الدين قدم إلى الشام في الأيام النورية ، ففوض إليه السلطان الشهيد

(١) في المتن : « خلق كثير » .

(٢) في المتن : « الأسرى » .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢٥٧ .

نور الدين محمود بن زنكي مشيخة الصوفية بالشام ، وجعل إليه نظر الخانقاه بدمشق وغيرها ، إلى أن مات . صار بعد ذلك النظر لولده الشيخ صدر الدين . وولد لصدر الدين أولاد نجباء من ابنة شهاب الدين بن شرف الدين بن أبي عصرون ، وهم نحر الدين وعماد الدين وكال الدين ومعين الدين ، فمقدّموا في الأيام السكّانية غاية التقديم ، وسيأتي من أخبارهم ما يليق بمواضعها . ٣

ذكر سنة خمس عشرة وستائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ستة أذرع وستة أصابع . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وسبعة
أصابع .

مانلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، مستعمر الملك ، قائم السلطان .
والسلطان الملك العادل سلطان الإسلام . وبقية الملوك على ما هم عليه .

ذكر الواقعة العظمى على ثغر دمياط وابتدائها

٩ لما كان في ثاني شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وصلت الفرنج - خذلهم
الله - إلى ثغر دمياط المحروس ، وعبروا بمرأيتهم كلها من الفم ، وخيموا ونصبوا
المناجنيق الغربية والشيطنانية ، ورُموا الثغر . ووقع الحصار والجدة والقتال . وكان
السلطان الملك العادل نازلا^(١) على مرج الصفر ، وبث بالعساكر إلى ولده الملك
١٢ الكامل . وأقام الملك المعظم بساحل الشام مقابل الفرنج خوفا على الساحل منهم .
هذا والملك العادل مريض عاجز^(٢) عن الحركة والركوب . ونزل الملك الكامل ليلة
الثلاثاء سابع عشر شهر جمادى الآخرة بثغر دمياط ، ووصل نخيم عساكره إلى أشموم .
١٥ وفيها أخبروا^(٣) الطور لما رأوه وبالأعلى المسلمين ويشغلهم عما سواه . وكان
في يد الملك المعظم ، فعوض عنه أموالا جزيلة . ونقلوا جميع ذخائر القلعة إلى القدس
وعجلون والكرك . وكان الطور قد أنشأوه في سنة سبع وستائة .

(١) في المتن : « نازل » .

(٢) في المتن : « مريضا عاجزا » .

(٣) يعني أن المسلمين هم الذين أخبروا قلعة الطور ، انظر : ابن الأثير ، الكامل - حوادث
سنة ٦١٤ هـ . ويذكر أبو شامة (ذيل الروضتين ، ص ١٠٩) أن العادل استدعى ولده المعظم
وقال « قد بنيت هذا الطور وقد يكون سببا لخراب الشام . . . ورأى من المصلحة خرابه ليتوفر
من فيه من المسلمين والعدد على حفظ دمياط » .

وفيهما - في يوم الجمعة ثمانى عشر ربيع الآخر - كَسَرَ الملك الأشرف موسى
ابن السلطان الملك العادل ملك الروم كيكائوس السلجوقي . وسبب ذلك أن الملك
الأشرف جمع عساكر الشرق وعسكر حلب، ودخل بلاد الفرنج وأشغلهم عن دمياط،
ونزل على صافيتا وحصن الأكراد . وكان السلطان [العادل] بمرج الصفار مريضا ،
حسبا تقدم من القول ، فاستنم صاحب الروم غيبة الأشرف بالمساكر ، واشتغاله
بالفرنج ، وخرج إلى رعبان يريد يتسلم حلب لخلوها من المساكر . وأخذ رعبان
وتل باشر ، فبلغ الملك الأشرف ذلك، فعاد من صافيتا إلى حلب وقد سبقه صاحب الروم
إلى منبج ، وتقدم بعض عسكره إلى بزاعة . وكان الملك الأشرف بظاهر حلب . وتقدم
بين يديه المبارز بن خطلخ وسنقر الكبير والحليون^(١) مع جماعة من مشاهير
الجيش . ونزل الملك الأشرف بعدهم على تل بزاعة . وقدم العرب بين يديه ، والتقى
بعسكر الروم . وكان الملك الأشرف مؤيدا في سائر حروبه ، فكسر صاحب الروم
كسرة شنيعة . وكانت العرب أكثر نكاية فيهم . ثم استرد الملك الأشرف رعبان
وتل باشر ، وأعطاهما للملك العزيز صاحب حلب . ثم بعث الأشرف سيف الدين
ابن كهدان والمبارز بن خطلخ في عسكر كثيف إلى خدمة أخيه الملك الكامل،
وهو على ثغر دمياط .

وفي آخر جمادى الأولى أخذ^(٢) الفرنج - خذلهم الله - المنازل على دمياط ،
وملكوا برج السلسلة . وكان هذا البرج قفل الديار المصرية . فنفذ الملك الكامل
إلى أبيه السلطان العادل صدر الدين شيخ الشيوخ ، يخبره بذلك ، ويستصرخه
ويستنجده . فلما اجتمع به وكان على حطة من المرض فعرفه ، فدق بيده على صدره ،
وكان سبب وفاته ، رحمه الله ، كما يأتي بيان ذلك في موضعه ، إن شاء الله تعالى . قال
الشيخ علم الدين السنجارى : إن هذا البرج كان قفل الديار المصرية ، وذلك أنه كان
برجا عالياً بنى في وسط النيل ، وفي ناحيته سلسلة وسلسلة ، تمتد إحداها على النيل

(١) في المتن : « والحليين » .

(٢) في المتن : « أخذوا » .

إلى دمياط، وتمتد الأخرى على النيل إلى الجزيرة، يمنعا من عبور المراكب إلى بحر النيل من المالح . فملكوه الملاعين في التاريخ المقدم .

وفيها توفي السلطان الملك العادل - رحمه الله - حسبما يأتي من ذكره في موضعه ، ٣
إن شاء الله تعالى .

وفيها توفي الملك القاهر عز الدين صاحب الموصل ، وهو عز الدين مسعود ابن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر . وكانت وفاته لثلاث ٦
بقين من شهر جمادى الأولى . وكانت مدة ملكه سبع سنين وتسعة أشهر . وانقرض بانقرضه البيت الأتابكي ، رحمهم الله تعالى .

٩ ذكر وفاة السلطان الملك العادل

توفي إلى رحمة الله تعالى سابع جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله من العمر ست وسبعون سنة وأشهر . وملك دمشق في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، فكانت (١)
مدة ملكه دمشق ثلاث وعشرون سنة . وملك مصر ستة وست وتسعين وخمسمائة ، ١٢
فكانت مدة ملكه بمصر والشام والشرق تسع عشرة سنة . وخلف من الأموال والفصوص والجواهر ما قيمته سبعمائة ألف دينار ، خارجاً عن الضياع والسكرع .
وخلف في السكرك مثلي ذلك ، لكن احتوى عليه الملك الحافظ ولده ، فإنه كان نائباً ١٥
للسلطان والده بالسكرك . وكان للسلطان الملك العادل خمس عشر ولداً وقيل سبعة عشر ذكراً ، خارجاً عن البنات وهم : الملك الأوحـد [أيوب] نجم الدين صاحب أخلاط ، والملك الفائز شمس الدين إبراهيم ، والملك المغيث تقي الدين عمر ، والملك ١٨
العظيم شرف الدين عيسى صاحب دمشق ، والملك العزيز عماد الدين عثمان ، والملك الأبعد مجد الدين حسن ، والملك الأشرف مظفر الدين موسى ، والملك المعز

(١) في المتن: « فكان » .

٣ مُجبر الدين يعقوب ، والملك الصالح عماد الدين إسماعيل أبو الجيوش ، والملك المفضل^(١) قطب الدين أحمد^(٢) ، والملك الأحمـد^(٣) تقى الدين عباس - وهو أصغرهم مولدا وآخرهم موتا - توفي سنة تسع وستين وستمائة ، والملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ، صاحب قلعة جعبر . وتاج الملوك إسحاق ، والملك المظفر صاحب ميافارقين شهاب الدين غازي ، أدرك هلاوون^(٤) وفتح بهنداد . والملك الجواد شمس الدين داود - توفي في حياة أبيه - وخلف ولده الملك الجواد أيضا الذي ملك دمشق . والسلطان الملك الكامل ناصر الدنيا والدين محمد صاحب مصر أعلاهم ملكاً وإسماء رتبة ، وصاحب السكة والخطبة .

٩ وفيها التقى الملك العظيم الفرنج في جمادى الآخرة على القيمون، فنصر الله الإسلام على عبدة الصلبان ، ببركات النبي عليه السلام. وقتل من الفرنج خلق كثير ، وأسر من فرسان الديوية نائة فارس ، وعبر بهم إلى القدس وأعلامهم منكسة .

١٢ وفيها اجتمعت سائر ملوك الفرنج ونزلوا ثغر دمياط . وعادت الأمداد تدمهم أولاً فأولاً . أجمعت الرواة من أرباب التواريخ أن الحرب لم تزل بين الفريقين ، ليلاً ونهاراً ، وصباحاً ومساءً ، مدة أربع سنين متوالية ، حتى عادوا^(٥) أولاد المسلمين وأولاد الفرنج الصغار يخرجون ويتصافقون ، ويأسرون بعضهم البعض ، ثم يتفادون فيما بينهم . فبينما الملك الكامل في أشد الأمر من حرب الفرنج ، إذ ورد عليه الخبر بموت السلطان والده الملك العادل . وكان من جملة الأمراء الكبار أمير يقال له عماد الدين ابن المشطوب ، وكان ملك الأكراد . فلما بلغه موت السلطان أفسد قلوب جماعة

(١) في المتن: «الأفضل» والصيغة المثبتة من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٣ ص ٢٧٥)؛ والسلوك للعقريزي (ج ١ ص ١٩١) .

(٢) في المتن: «إبراهيم» والصيغة المثبتة من السلوك للعقريزي (ج ١ ص ١٩٢) ؛ ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (ج ٨ ص ٣٩٢ - طبعة شيكاغو) .

(٣) في المتن: «المجاهد» ، والصيغة المثبتة من مفرج الكروب لابن واصل (ج ٣ ص ٢٧٥)؛ والسلوك للعقريزي (ج ١ ص ١٩٢) .

(٤) أي هولاكو .

(٥) كذا في المتن .

- من الأمراء على الملك الكامل ، وقال : « هذا صبي خفيف ، ولا يأتينا منه خير » .
- فلما بلغ الكامل ذلك خشى على نفسه ، وهرب من ليلته مع جماعة يلوذون به من خاصته ، ونزل المنصورة . وأصبحت المساكر فلم يجدوا السلطان بالدهليز ، ٣ فتسحبوا أولاً فأولاً ، وكانت كسرة عظيمة ، لولا لطف الله عز وجل وعنايته بهذه الأمة . وأن الفرنج - خذلهم الله - لما لم يجدوا من يقاتلهم ، ولا من يمانعهم ، تقدموا إلى وطاقت المسلمين ، ونهبوا الأموال والمدد والسلاح . وقد كان كل أحد من المسلمين ٦ قد أخذ ما خف حمله عليه ، وترك ما ثقل . وكان الملك الكامل نوى أن يقصد اليمن ، ويترك ديار مصر للعدو ، فأبى الله إلا عوائده الجميلة على هذه الأمة المنصورة ، وأن يكون الأعداء هم العصابة المكسورة . فلم يصبح الصباح إلا والملك العظيم صاحب ٩ الشام بجيوشه ، وقد صبَّحه . فخرج الملك الكامل وتلقاه ، واعتنقا وبكيا . ثم إنه شكاً^(١) إليه ابن المشطوب ، وما فعله ونواه ، فحلف العظيم أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينفيه من الديار المصرية . وكان عسكر الديار المصرية في ذلك الوقت أكثره ١٢ أكراد ، وابن المشطوب ملكهم . ثم إن العظيم لم يزل راكباً حتى مرّ بخيمة ابن المشطوب ، فقام إليه وتلقاه . فقال له العظيم : « اركب والحقني ، حتى نتفق على أمرٍ تكون فيه المصلحة ، فأريك المبارك » . فتوهم ابن المشطوب أن العظيم مائل إلى ملك ١٥ مصر ، وأنه طلبه ليتفق معه على نزع الكامل من الملك . فركب ابن المشطوب حافياً بنير خفٍ لمجملته ، ولا سيفٍ . فلما لحق به قال : « أريد نخرج ونبعد ونتحالف على أمرٍ يكون فيه صلاح المسلمين » . فقوى ظن ابن المشطوب ، ولم يزل يحادثه ١٨ إلى أن بعد عن وطاقتهم . ثم إن العظيم أمر أن يركب خمسين مملوكاً من أجناد مماليكه ، وجعل عليهم عشرة من بنى أيوب ، ويلحقون به . فلما لحقوا به ، التفت إلى ابن المشطوب ، وقال : « يا عماد الدين ! هذه الديار المصرية لنا أولئك ؟ » . فقال ابن المشطوب : ٢١ « الله ! الله ! يا خوند ! أنا مملوك بنى أيوب » . فقال العظيم : « نحن ماعدنا نريدك تبلى

(١) في المتن : « شكى » .

- بنيرنا ولا تبلى بنا » . ثم أمرهم أن يأخذوه من ساعته ، ويوصلوه إلى غزة . ثم رجع
المعظم إلى خيمته ، وكذلك الملك الكامل ، وقوى أمره ، وثبت ملكه .
- ٣ وأما الفرنج فإنهم في تلك الليلة أشرفوا على أخذ ثغر دمياط ، وأحاطوا بها ،
وجدوا في حصارها . وانقطع عن أهل دمياط من كان يدخل إليهم من جواسيس
المسلمين ، وقتل عندهم القوت ، وذلك بسبب حركة ابن المشطوب . وتمكن الفرنج
٦ تمسكنا عظيماً^(١) في حفرهم الخنادق بينهم وبين المسلمين ، وبنوا الأسوار ، وعملوا
الستائر بالأخشاب ، وأقاموا فيها الرماة بالجروح . وأما من كان من المسلمين بدمياط ،
فإنهم ضعفت أحوالهم ، وضائق حيلهم ، واشتد خوفهم ، وصبروا صبر الكرام .
- ٩ وأراد الملك الكامل أن يسير إليهم رسولاً ، فلم يقدر على ذلك لحفظهم الملاعين البر
والبحر . وكان عند الملك الكامل جنداراً من قرية من ضياع حماء ، يقال لها
معردفتين^(٢) ، اسمه شمائل ، فتوصل إلى أن صار جنداراً في الركاب . فحضر بين يدي
١٢ السلطان الملك الكامل ، وسأل أن يكون رسولاً إلى أهل دمياط ، فسكان ينطس
في البحر ، ويطلع من البر الآخر ، ويخاطر بنفسه ، ويمر دمياط ، ويدخل بين
مراكب الفرنج . ويجتهدوا كل الاجتهاد على أخذه ، فلم يقدر على ذلك . ودخل
١٥ دمياط عدة طرق في تلك الأيام التي لا كان الطير يطيق العبور بها ؛ لاحتياط الملاعين
بها ، فأحسن السلطان إليه ، وجعله بردداراً . ثم أعطاه إقطاعاً وجعله جندياً في العدة .
ثم جعله مقدماً في الحلقة السلطانية وهو مع ذلك واقف^(٣) على قدم الاجتهاد في الخدمة
١٨ والمناصحة . فأوعده السلطان وقال : « متى فتح الله تعالى علينا بكسر هذا العدو
ورجعنا إلى القاهرة جعلتك من الناس » . فلما فتح الله على المسلمين ، واستعادوا دمياط
— بعد [أن] أقامت بأيدي الفرنج ثلاث سنين — ورجع السلطان إلى القاهرة ،

(١) في المتن : « وتمسكوا الفرنج تمسكاً عظيماً » .

(٢) معردفتين : قرية تقع غربى حماء .

(٣) في المتن : « واقفا » .

أمر شمائل طبلخاناه بأربعين طواشياً ، وولاه القاهرة . وهو الذى بنى الخزانة التى
 [عند] سور باب زويلة ، المعروفة به ، كفى الله شرها^(١) . وكان بين المسلمين
 وبين المشركين فى طول بقية هذه السنة وقائع متعددة إلى أن دخلت سنة ست عشرة^٣
 وسبائة .

(١) ذكر المقرئ أن خزانة شمائل كانت بجوار باب زويلة على يسرة من دخل منه ، بجوار
 السور . وأنها كانت من أشنع السجون وأقبحها منظراً ، يحبس فيها من وجب عليه القتل أو القطع
 ومن يريد السلطان إهلاكه من الممالك وأصحاب الجرائم العظيمة (المقرئ ، المواعظ ، ج ٢
 ص ١٨٧) .

ذكر سنة ست عشرة وستائة

الغيل المبارك في هذه السنة

٦ الماء القديم أربعة أذرع ونصف أصبح . مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وأصبعان .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين مستعمر الأحكام ، مُطاع الأوامر .
والسلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه بن تكتش سلطان الدنيا بالشرق جميعه ، إلى
ممالك الصين وبلاد الخطا وغير ذلك . والسلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن
السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب سلطان الديار المصرية ، ومأمعها .
٩ وبقية الملوك إخوته بمحارهم . والحرب قائمة على ساق بين المسلمين والفرنج - خذلهم الله -
على ثغر دمياط .

- وفي السادس من المحرم من هذه السنة هدم سُور بيت المقدس وقلاعته وأبراجه
١٢ وصهاريجيه . ولم تزل العارة في هذا البيت من عهد البخت نصر إلى ذلك التاريخ ،
وسبب ذلك أن الملك المعظم صاحب الشام لما توجه إلى أخيه الملك الكامل ، بلغه أن
طائفة من الفرنج عزمهم إلى نحو البيت المقدس وأخذته ، فاتفق مع الأمراء على خرابه ،
١٥ ليؤمن شره ، ولا يكن لهم إلى نحوه التفات ، فيشغلهم عما هم عليه . وخشوا أن
يمسكونه فيحصل لهم التعب في إعادته منهم ، فشرعوا في هدمه في التاريخ المذكور .
وكان يومئذٍ بالقدس الملك العزيز نحر الدين عثمان ، والأمير عز الدين أيبك المعظمي
١٨ - جدنا - صاحب صرخد . وكان في البلد ضجة وصراخ وبكاء وعويل ، وخرجت
البنات والصبيان والشيوخ والعجائز إلى الصخرة والأقصى ، وقطعوا شعورهم عليهما ،
بحيث امتلأت تلك البقعة . وخرجوا هارين ، وتركوا أموالهم ، وما شكوا أن الفرنج
٢١ تصبّحهم . فطلب بعضهم مصر ، وبعضهم السكرك ، والبعض دمشق . ومات خلق
كثير من الجوع والعطش . وكان يوم لم ير الناس أصعب منه ، ونهبت أموالهم .
وبلغ القنطار الزيت عشرة الدراهم^(١) ، والنجاس رطل نصف الدرهم .

(١) كذا في المتن .

- ولما كان في شهر شعبان ، أخذت الفرنج ثمر دمياط . وكان قبل ذلك قد جهزوا إليها ابن الجرخی - المعروف بالناهض - في خمسمائة رجل ، فجمعوا على الفرنج بالخنديق ، فقتل ابن الجرخی وجميع من كان معه ، وصف^(١) الفرنج رؤوسهم على الخنديق . ثم إنهم طمئوا الخنديق الذي لدمياط . وضعف حال أهلها ، وأكلوا الميتات ، وعجز الملك الكامل عن نصرتهم . ووقع فيهم الوباء والمرض والفناء ، فراسلوا الملك الكامل ، فمادى عليهم الجواب ، فراسلوا الفرنج أن يسلموا إليهم البلد ، ويخرجوا بأنفسهم وأهاليهم وأموالهم ، فأجابوهم إلى ذلك . ثم ركبوا في البر والبحر وزحفوا وفتحوا لهم البلد فدخلوا ورفعوا أعلامهم على الأبراج والأسوار^(٢) . ثم إنهم غدروا بأهل البلد ، ووضعوا فيهم السيف قتلاً وأسرًا ونهبًا . وباتوا تلك الليلة في الجامع يفجرون بالنساء ، ويفضحون البنات . وأخذوا المنبر والمصاحف ، وبمثمهم إلى الجزائر . وجعلوا الجامع كنيسة . وكان أبو الحسن بن فضل يومئذ بدمياط ، فسألوا عنه ، فقيل لهم هذا رجل صالح من مشايخ المسلمين ، تأوى إليه الفقراء ، فما تمرضوا له . ووقع على الإسلام كتابة وحزن ، وبكى^(٣) السلطان الكامل ، والملك المعظم . وتأخرت العساكر من تلك المنزلة . وقال المعظم : « لو كان الدعاء يستجاب ، لاستجاب لأهل دمياط » . قال أبو المظفر : فقلت : « لا تقل كذلك يا خوندقان الله تعالى أخبرنا أنه يستجيب دعاءنا في عدة مواضع من كتابه العزيز ، وإنما أهل دمياط لما كثر فسقهم ، وفشا فجورهم ، ساء عليهم من انتقم منهم ، لقوله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية . . . » الآية^(٤) . قال أبو المظفر : وكان الملك المعظم قد كتب إلى كتاباً وأنا بدمشق بخط يده ، يقول فيه : « أخو^(٥) عيسى الكامل .

(١) في المتن : « وصفوا » .

(٢) في المتن : « والأصوار » .

(٣) في المتن : « وبكى » .

(٤) سورة الإسراء ، ١٦ .

(٥) كذا في المتن .

قد علم الأخ العزيز ما جرى^(١) على دمياط ، وأريدك تحرّض الناس على الجهاد ،
وتعرفهم ما جرى على إخوانهم المسلمين أهل دمياط ، من الكفرة أهل العناد . وأنى
كشفت عن ضياع الشام فوجدتها ألفى ضيعة ، ألف وستائة أملاك لأهلها ، وأربعمائة
سلطانية . وكم مقدار ماتقوم [به] هذه الأربعمائة ضيعة من المساكر . والقصد أن
يخرج أهل الأملاك يذبّوا عن أملاكهم ، الأصاغر منهم والأكابر . قال أبو المظفر:
٣ جلست في الجامع بدمشق ، وقرأت كتابه عليهم ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وقابلوا
أمره بالامتنال . وقالوا: « تتجهز جهدنا » . فلما حلّ ركابه بالساحل ، وقع التقاعد من
الامة ، فكان ذلك سبباً لأخذ الخس من أموالهم . وتوجّهت إليه فلحقته بقيسارية ،
٩ ففتحتها بالسيف عفوّة ، ثم فتح النقيير ، وانتقل فدخل دمشق ، ووقعت
جباية الخس .

وفيهما توفيت الست ست الشام بنت أيوب ، أخت السلطان صلاح الدين ،
١٢ وشقيقة الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ، وسيف الإسلام ، ابنى أيوب . وهي
التي تُنسب إليها المدرستان اللتان^(٢) بدمشق ، الواحدة قبلى البيارستان النورى ،
والأخرى ظاهر دمشق بالنوطة ، وتعرف أيضاً بالحسامية ، نسبة إلى ابنها حسام الدين ،
١٥ وكانت دفنته بها . وهو إحدى القبور الثلاث ، والقبلى هو قبر توران شاه ، والأوسط
قبر ابن عمها ناصر الدين محمد بن شيركوه . ولم يكن لأسد الدين شيركوه ولد غيره .
وكان تزوجها ، وولدت له حسام الدين المدقون بالمدرسة المعروفة به . وكانت ست
١٨ الشام من كرماء الناس الجيدات . وكانت تعمل في بيتها كل سنة من الأثرية
والمعاجين والمتاخير بألوف دنانير ، وتفرقها على الناس للثواب . وكان بابها ملجأ
القاصدين ، ومقرع المسكرويين . وكان وفاتها في ذى القعدة من هذه السنة . وإخوتها
٢١ أربع ملوك عظماء بنى أيوب ؛ وهم السلطان صلاح الدين ، والملك العادل سيف الدين

(١) في المتن : « ماجرا » .

(٢) في المتن : « المدرستين اللتين » .

أبو بكر ، والمعظم الكبير شاهان شاه ، وسيف الإسلام طغتكين الملك العزيز صاحب اليمن . فمن بني هؤلاء الملوك الأربع المذكورين :

٣ آل السلطان صلاح الدين بن أيوب

العزيز صاحب مصر عثمان وولده المنصور محمد ، والأفضل ، والظاهر صاحب حلب ، وابنه العزيز ، وابن ابنه الناصر يوسف ، والراهر ، والظافر . وقد تقدم ذكر بقيتهم فيما سقناه عند وفاة السلطان صلاح الدين .

آل السلطان الملك العادل بن أيوب

السلطان الملك الكامل محمد ، وأولاده الثلاثة الملك المسعود أقيس صاحب اليمن وولده الأشرف موسى الذي ملك مصر في أيام البحرية . وولد الملك الصالح المعظم توران شاه الذي قتله البحرية . والعادل الصغير أبو بكر صاحب مصر . والملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر أستاذ الترك . وابن العادل الملك المنيف صاحب الكرك ، والملك المعظم بن الصالح توران شاه المقتول بمصر ، الآتي ذكره .
والملك المعظم عيسى بن السلطان الملك العادل ، وولده الملك الناصر داود ، والملك الأشرف موسى بن السلطان الملك العادل ، وليس من عقبه ملك فيذكر .
والملك الأوحده بن السلطان الملك العادل - وهو صاحب أخلاط - وليس من عقبه
ملك ، والملك الصالح إسماعيل بن السلطان الملك العادل وهو المعروف بأبي الجيش وأخوه شهاب الدين غازي صاحب الرها ، والملك العزيز عثمان شقيق المعظم . وقد تقدم أيضاً ذكر أسماء بقيتهم عند ذكر وفاة السلطان العادل .

آل سيف الإسلام صاحب اليمن ابن أيوب

الملك المعز إسماعيل ، وهو الذي ملك اليمن بعد والده ، وادعى الدعاوى الباطلة ، وقتل باليمن . وخلف ولده الملقب بالملك الناصر ، وملك أيضاً اليمن أياما قلائل .

آل المعظم شاهان شاه الكبير بن أيوب

- فرخ شاه وولده الأجد ، والناصر قليج أرسلان ، وتقي الدين وابنه المنصور وولده
 ٣ المظفر أصحاب حماء . وذريتهم المتصلة إلى آخر وقت بحماة ، حسبنا نذكرهم في تواريخهم
 إن شاء الله تعالى . والظافر ، والمغيث عمر ، والمنصور ، والمسمود ، والسعيد ، والأجد
 أولاد الصالح إسماعيل ، ومجير الدين يعقوب ، وتقي الدين عباس .
- ٦ ومن ذرية الأجد بهرام شاه ، ولده الملك المنصور إبراهيم ؛ وولد إبراهيم الملك
 الأشرف موسى . هؤلاء أصحاب بملبك . ولم يزل موسى إلى أيام الملك الظاهر
 البندقدارى ، حسبنا يأتي من ذكرهم .
- ٩ وأما أصحاب حمص فمن ذرية أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين تأتي
 أيضا أسماؤهم في تواريخها إن شاء الله تعالى .
- قلت : ول هؤلاء السادة أولاد أيوب شجرة تجمع سائرهم متصلة الأنساب إلى آخر
 ١٢ وقت . وإنما ذكرت في هذا الفصل الملوك الذين ملكوا نصيباً من الدنيا .

- وفيهما ، والسلطان الملك الكامل في قتال الفرنج بدمياط وقد ضعف حاله وقل
 ١٥ القوات عندهم ولا بقي لهم صبر على القتال . وأراد أن يسلم البلاد إلى العدو . كل هذا
 وكتبه ورسله تتردد إلى ملوك الشرق وإلى إخوته الملوك . ومن جملة قوله في الحث
 على طلب النجدة : « وإخواناه ! واغوثاه ! وإسلاماه ! أدركوا الإسلام ! أغيثوا أمة
 ١٨ محمد عليه السلام ! » .

- فلما قويت شوكة الأفرنج وظنوا أنهم سيملكون البلاد ، ويهلكون العباد ،
 تواردت المساکر الإسلامية ، تتلو بعضها بعضاً ، فأول من قدم الملك المعظم عيسى
 ٢١ صاحب الشام ، ثم الملك الأشرف موسى شاه أرمن . وجاءت عساكر الشرق .

ثم إن الأشرف ترك جيوشه عند الملك الكامل ، وعاد إلى بلاده في نفرٍ قليلٍ ، خوفاً عليها . وعظمت جيوش الإسلام ، واطمأنت النفوس . فلما رأوا الفرنج المخذولين ذلك ، كاتبوا بقية ملوكهم ، وأتتهم الأمداد في البحر ، ودخلوا إلى دمياط ، وحصفوا أسوارها ، وبنوا ما كان أخربوه منها . وكان نزول السلطان الملك الكامل على المنصورة - وهي طلخا - وبنى بها قصراً وأسواقاً وحماماً . وبلغ في الحمام أجرة غسل الرأس جملة . وعادت مدينة .

٦

ونزلت الفرنج قباهم . واستمرت بينهم الحروب . وفشا القتل في الطائفتين . وكان الحرفوش من المصريين يحمل على رأسه قشرة بطيخة خضراء ، ويعوم في البحر محاذياً للبر ، فيراها الفرنجي ، فيظن أنها بطيخة ، فيمد يده ليأخذها ، فيجذبه الحرفوش ، فيأخذه أسيراً ، حتى عادوا إذا رأوا شيئاً عائماً على الماء يصلبوا على وجوههم ولا يقربوه .

قال أبو المظفر : فبينما هم كذلك إذ قدم الملك المنصور وعساكره ، وكذلك الملك الفاصر صلاح الدين قليج أرسلان ، ثم تلاهم بقية الملوك إخوة السلطان الملك الكامل وأولاد عمه ، وكان ذلك في سنة ثمان عشرة وستمائة ، حسبما يأتي .

وفيها - وهي سنة ست عشرة - استدعى صاحب صفى الدين بن شكر من القاهرة ، ووصل إلى الخيم مستهل شوال ، وخلع عليه وعلى أولاده ، ووُزِّر ونظَّر في الدولة ، واستخرج من الناس أجر أملاكهم شهرين ، وكذلك التبرع . واستخدم الرجال ، والحرب مستمر^(١) .

١٨

وفي سنة ست عشر كان أول بدء خروج التيار من بلادهم الأصلية المسماة - بلسان التركية لفتحهم - قراطاغ ، معناه الجبل الأسود . وفي مبتدأ خروجه ، وفي ذكر أصلهم أشياء عجبية غريبة الوقوع وقعت للعبد من كتاب يأتي اسمه وسبب تحصيله عند ذكرهم ، إن شاء الله تعالى .

٢١

(١) في المتن : « مستمر » .

ذكر سنة سبع عشرة وستمائة

الفيل المبارك في هذه السنة

٣ المياء القديم ثلاثة أذرع ونصف أصبع . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً، وأربعة أصابع .

ما نلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين مستعمر الحكم، مطاع الأمر. وملوك الشرق بمحارهم . وكذلك السلطان علاء الدين خوارزم شاه، والسلطان الملك الكامل سلطان مصر ، وبما معها . والحرب بينه وبين الفرنج على ثغر دمياط .

٩ وفي شهر رمضان ورد الخبر بوفاة الملك الفائز . و وفاة الشيخ صدر الدين بن شيخ الشيوخ ، ودفن بالموصل .

وفيها صُرف القاضي تاج الدين بن الخراط ، وأضيف حكم مصر والوجه القبلي للقاضي ابن عين الدولة ، مضافاً لما بيده من القاهرة وأعمالها .

١٢ وفيها كان غلاء ، وبلغ القمح دينارين ونصف مصرية الأردب .

وفيها [كان] قتل حسن بن قتادة صاحب مكة لأمير الحاج [العراقي] ونهب الحاج (١) .

[وفيها] توفي نصير الدين ناصر الدين بن مهدي الشريف العلوي ، الذي كان وزير الخليفة الناصر لدين الله ، رحمه الله .

(١) ما بين حاصرتين إضافة من الكامل في التاريخ لابن الأثير (حوادث سنة ٦١٨ هـ) . وقد ذكر ابن الأثير أن أمير الحاج العراقي الذي قتله حسن بن قتادة اسمه أقباش ، وهو من بماليك الخليفة الناصر لدين الله .

ذكر سنة ثمان عشرة وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ثلاثة أذرع وستة أصابع . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً ، وعشرة ٣ أصابع .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الفاصر لدين الله أمير المؤمنين مستمر الأمر ، مطاع في أقطار الأرض . والسلطان علاء الدين خوارزم شاه سلطان الدنيا بالممالك الشرقية . والسلطان الملك الكامل ملك الديار المصرية وما معها . وبقية الملوك بممالكهم ، وقد قدموا في هذه السنة - لنصرة الإسلام - إلى خدمة السلطان الملك الكامل ، حسبما سقناه أولاً . ٩
- ثم إن شوانى الساميين اقتتلوا مع مراكب الفرنج ، فغلبهم المسلمون ، وأخذوا من مراكبهم ثلاث [قطع] ، بما فيها من الرجال والعدد والسلاح . وفرح ^(١) المسلمون بذلك ، واشتموا روائح النصر . هذا والرسول تتردد بينهم في أمر الصلح . والملك ١٢ الكامل يقصد ذلك ، ويجتهد ^(٢) على الصلح ، خوفاً من إخوته الملوك ، حتى إنه دخل تحت كل ما اشترطوه عليه ، وهو أن يسلم لهم القدس ، وعسقلان ، وطبرية ، وجبله ، واللاذقية ، مع جميع فتوحات السلطان صلاح الدين ، ما خلا الكرك والشوبك . ١٥
- ورضى الملك الكامل بذلك جميعه ، حتى ثلثمائة ألف دينار [يدفعها] لعمارة القدس وغيره . ثم قالوا : « ولا بد لنا من الكرك والشوبك » ، وتعنتوا في الشروط تعنتاً عظيماً ^(٣) . وكان في ذلك خير عظيم ، لما يريد الله عز وجل من نصرة دينه ، ويريه ١٨ معجزات قدرته ، وأن النصر إلا من عنده .

فبينما الرسول تتردد في ذلك كله ، والملك الكامل يبحث في طلب الصلح ، ويدعن

(١) في المتن : « وفرحوا » .

(٢) في المتن : « ويجتهدا » .

(٣) في المتن : « تعنت عظيم » .

بالإجابة لكل ما طلبوه . وكان النيل قد عمّ البلاد، وكان عالياً ، لما يريد الله عز وجل من خذلان أعدائه ؛ إذ جبر جماعة من عسكر المسلمين في الخليج وقطعوه ، وعدوا ٣ إلى جزيرة الفرنج ، وقطعوا عليهم جسراً من تلك الجسور المحيطة بهم . ولم يكن للفرنج خبرة بذلك ، ولا يعلمون زيادة النيل ، فساح عليهم ، وغرق خيلهم ودوابهم ، ودار بهم الماء من كل جانب ومكان . وعادوا يتأخرون إلى نحو الثغر ولا يجدون سبيلاً . ٦ وإن طلبوا نحو البحر لا يجدون سبيلاً ، ولا مراكباً تطيق العبور إليهم لمعظمها . وضايقهم النيل ، ولم يبق لهم غير طريق واحدة ، وهي أضيق الطرق ، وأى طريق قصدوها غرقوا فيها .

٩ فلما علم السلطان بما قد وقعوا فيه من البلاء الذي قد عمهم وطعمهم ، أمر بالمرابك ، وركبت الجيوش ، وأخذوا عليهم سائر المذاهب والطرق ، وحازوا بينهم وبين دمياط . وفي ذلك النهار وصل للفرنج مركب عظيم يسمى مرمة^(١) ، وفيه خلق عظيم ، ١٢ وسلاح كثير ، وحوله عدة مرابك يحفظونه ، وهو موسوق مأكول وسلاح وغير ذلك . فخرجت^(٢) عليه شواني المسلمين ، وقاتلوه أشد قتال ، ونصر الله الإسلام ، وأخذوا ذلك المركب العظيم بكل ما فيه . فلما رأوا الفرنج ذلك ، انقطعت^(٣) قلوبهم ، ١٥ وأيقنوا بالهلاك والدمار . ثم أحاطت بهم عساكر الإسلام من كل وجه بالنشاب والرمح ، وقلّ نشاطهم لما نالهم من الفرق الذي لم يكن لهم في حساب . وأخذتهم الحجارة والنبل ، وأحاط بهم البلاء ، وصُب عليهم الخذلان صبّاً . فعندها أرموا خيامهم ١٨ وأثقالهم ، وأرادوا الزحف على المسلمين ، لعلمهم يقدر على الوصول إلى ثغر دمياط ، فحبل بينهم وبين ما يشتهون ، وذلك لسكثرة المياه التي عمتهم . فلما عجزوا عن ذلك ، ذلت نفوسهم الخنزيرية ، ونسكست صلبانهم ، وقهر شيطانهم ، وذلل سلطانهم ،

(١) في المتن : « يسمى سبع قطع » ، والصيغة المثبتة من مفرج الكروب لابن واصل (حوادث سنة ٦١٨ هـ) . والمرمة نوع من السفن الكبيرة في العصور الوسطى ، انظر (ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٢٦٠ حاشية ١) .

(٢) في المتن : « فخرج » .

(٣) في المتن : « انقطع » .

- فرجعوا إلى مراسلة السلطان الملك الكامل وسألوا الصلح ، وطلبوا الأمان لأنفسهم ، وأن يسلموه دمياط ، ولا يريدون غير خلاص نفوسهم لا غيرها . فاستشار إخوته الملوك في ذلك ، فقال الملك الأشرف - وكان قوى النفس ، شديد البأس - : « لا نقبل ٣ منهم ، ونقتل هؤلاء الملاحين أجمعهم ، فإن هؤلاء هم دين النصرانية كله ، وهم الصليب بكماله ، وزريح الأرض منهم ، ولا نبقى على أحد منهم . وقد أمكننا الله عز وجل بقدرته من نواصيهم » . وكذلك قال المعظم . فقال الملك الكامل - وكان فيه ٦ سياسة ونظر في العواقب - : « ليس هذا برأى ولا مصلحة . وهؤلاء كبار دين الصليب ، وملوك الأرض ، والفرنج كثير . وإلى الآن دمياط في أيديهم . ومتى قتلناهم لا بد أن يأتوا برا وبحراً ، وفارساً وراجلاً ، وأصحابنا في هذا الوقت قد سئمت ٩ نفوسهم من القتال ، وكثروا . وأنهم والله لمعاذير في ذلك . وقد أنعم الله علينا بهذا الفتح العظيم ، الذى ما كان لنا في خلد . والرأى أن ننعّم عليهم بنفوسهم . لكن على ما نريد نحن ، لا ما على ما يريدون هم » .
- ١٢ قال ابن الأثير - رحمه الله - في تاريخه : كانت مدة الحصار والحرب على ثمر دمياط ثلاث سنين ، وثلاثة أشهر . وقال غيره : ثلاث سنين وسبعة أشهر .
- ١٥ ثم حصل الصلح بينهم في حادى عشر الشهر ، واتفق الحال بينهم على أن يأخذوا منهم رهائن ، حتى تعود رهائهم . فكان عدة رهائن الفرنج أربعة عشر ملكاً وهم : كرموك بن الباب يعنى خليفهم ، وكرمريك صاحب صقلية ، وبندارك ملك الفو باردية ، وسر بار ملك الجزيرة الورانية ، والريد كور صاحب المساوى وهو إقليم كبير بالمغرب ، ١٨ وكندفور صاحب جزيرة النمسون ، وطرباط صاحب البندقية ، وابن الأنبرون ، وفرنسيس ، وأدورد ، والملك أخوزنتون ، والملكة صاحبة عكا بنفسها ، ورؤمان ابن صاحب رومية الكبرى وهو المعروف بالكاف ، وكندريس الكبير ، وهؤلاء ٢١ أعظم ملوك دين الصليب . ثم رهن عندهم السلطان الملك الكامل ولده الملك الصالح ، وجماعة من الأمراء الكبار المصريين . وكان عمر الملك الصالح في ذلك الوقت خمس عشرة سنة ، فإن مولده في سنة ثلاث وستمائة ، فكان مراهم البلوغ ، أو بالغ ٢٣ .

فلما حضروا الملوك من الفرنج - خذلهم الله تعالى - بين يدي السلطان الملك الكامل ، أقدمهم بين يديه ، بعدما جلس في دست مملكته ، وأوقف الملوك إخوته بين يديه ، وفي خدمته عن يمينه ويساره . فنظر^(١) الفرنج ناموساً عظيماً ، وهيبة وافرة ، وجلله الله تعالى بالسكينة والوقار . ثم إنهم أنفذوا قسوسهم ورهبانهم ، وسلموا المسلمين الثغر على رغمٍ منهم .

٦ وكان ذلك يوم الخميس تاسع عشر من شهر رجب الفرد من هذه السنة . وقيل تاسع الشهر ، والله أعلم . وتسلم^(٢) المسلمون الثغر في ذلك اليوم ، بعد أذان الظهر . فما استقرت الأحوال في تسليمها إلا بعد أذان العصر ، حتى وصلت للفرنج ألف مركب موسوقة ، رجال وعدد وسلاح ومأكل ، فلو علموا الملاحين بذلك ، لما سلموا ، لكن كانت^(٣) إرادة الله عز وجل أغلب ، وقدرته أعجب .

وكانت الفرنج قد حصنوا دمياط تحصيناً عظيماً ، ثم عادت كل رهائن إلى أهلها . ورسوم السلطان بمبايعتهم . وكان يحمل إليهم في كل يوم خمسين ألف رغيف من الخبز ، ومائتي إردب شعير . ثم توجهوا إلى بلادهم ، قيل في بقية شهر رجب ، وقيل استهلوا شعبان ، وسافروا .

١٥ ولما توجهوا ، واطمأنت نفوس الملوك الإسلامية ، وردت بشائر السادة الفضلاء بالتهاني في قصائدهم المبدعة ، ذوو الألفاظ المخترعة . فمن ذلك قصيدة الشيخ شرف الدين ابن عَنَيْن ، التي أولها يقول :

١٨ سلوا صهوات الخليل يوم الوغى عنا إذا جهلت آياتنا والقنا اللدنا
غداة لقينا دون دمياط جحفاً من الرُّوم لا يحصى يقيناً ولا ظناً
قد اتفقوا رأياً وعزماً وهمة^(٤) ودينا ، وإن كانوا قد اختلفوا السفا

(١) في المتن : « فنظروا » .

(٢) في المتن : « وتسلموا » .

(٣) في المتن : « كان » .

(٤) في المتن : « قد اتفقوا رأياً ودنيا وهمة وعزماً » والصيغة المثبتة من مفرج الكروب

لابن واصل (حوادث سنة ٦١٨ هـ) .

- تداعوا بأنصار الصليب وأقبلت
وأطعمهم فينا غرور فأرفلوا
فأبرحت سُمُر الرماح تفوسهم
سقيفاهم كأساً نقت عنهم الكرى
لقد صبروا صبراً جميلاً ودافعوا
بدا الموت من زرق الأسنة أحمر
وما برح الإحسان منا سجية
وقد جربونا^(٢) قبلها في وقائع
أسود وغى لولا وقائع سمرنا
وكم يوم حرّ ما وقينا هجير
فإن نعيم الملك في وسط الشقا
يسير بنا من آل أيوب ماجد
كريم الثنا عارٍ من العار باسل
سرى نحو دميّاطٍ بكل سَمِينعٍ
مآثر مجدٍ خلدها سيوفه
وقد عرفت أسيافنا ورقابهم
منجناهم منا حياة جديدة
ولو ملكونا لاستباحوا دمائنا
ثم وردت قصيدة القاضي بهاء الدين بن زهير بن علي القوصي ، رحمه الله ، التي
أولها يقول :

بك اهتزّ عطف الدين في حبل النصر
ورُدّت على أعقابها ملة الكفر ٢١

(١) في المتن : « سَنَ الجو » .

(٢) في المتن : « جربوها » ، والصيغة المثبتة من السلوك للقرن الثاني (ج ١ ص ٢١١) .

ومنها:

وما فرحت مصر بهذا الفتح وحدها
ولو لم تقم في الله حق قيامه
٣
لقد فرحت بغداد أكثر من مصر
لما سلمت دار السلام من الذعر
ومنها:

وأقسم لولا عزمة كاملية
وأقسم إن ذاقت بنو الأصفر الكرى
٦
لما حلت إلا بأعلامك الصفر
تجاهد فيهم لا يزيد ولا عمرو
ومنها:

وليلة فرّ العدو وأنها
أيا ليلة شرف الله قدرها
٩
سدّت سبيل البر والبحر عنهم
أساطير ليست في أساطير من مضى
١٢
وجيش كمثل الليل هولا وهيبة
وباتت جنود الله فوق ضوامر
١٥
فما زلت حتى أيد الله حزبه
فرويت منهم ظامئ البيض والقنا
وجاءت ملوك الروم نحوك خضما
١٨
أتوا ملكا فوق السّمك محله
فنّ عليهم بالأمان تكرّما
كفى الله دمياط المخافة إنها
٢١
وما طاب ماء النيل إلا لأنه
بكثرة من أرديته ليلة النحر^(١)
فلا غرو أن سميتها ليلة القدر
فسابحه بر وسأحه بحر
فكل غراب راح أقص من صقر
وإن زانه ما فيه من أنجم زهر
بأوضحها تغنى السّراة عن الفجر
وأشرق وجه الدين جذلان بالنصر
وأشبع منهم طاوى الذئب والفسر
تجرجر أذيال المذلة والصغر
فن جوده ذاك السحاب الذي يسرى
على الرغم من بيض الصوامر والجر
غدت قبله الإسلام من موضع البحر
يحلّ محل الريق في ذلك الثغر

(١) في المتن: «أجل وحق الله من ليلة القدر» والصيغة المثبتة من مفرج الكروب لابن

واصل (حوادث سنة ٦١٨ هـ).

منها :

لك الله كم من فارس قد أجرته من الموت إذ أطلقته خيفة الأسر
بقصّة عنك المدح من كل ماحر ولو جاء بالشمس المنيرة والبدر

ذكر ليلة طيبة جرت بين ملوك الإسلام

- وذلك لما رحلت الفرنج - خذلهم الله - وطابت نفوس الملوك ، واطمأنت
قلوبهم ، اجتمعوا في القصر الذي بناه السلطان الملك الكامل بالنصورية . وجلس
السلطان الملك الكامل محمد ، والملك الأشرف موسى ، والملك العظيم عيسى في مجلس
شراب وأنس ولذة وطرب . وكان يوم رقت غلائل صحوه ، وغنجت شمائل جوه ،
وضحكت ثنور رياضه ، واطرد زرد النسيم فوق حياضه ، وفاحت مجامر الأزهار ،
وانتشرت قلائد الأغصان عن فرائد الأنوار ، وقام خطباء الأطيّار ، على منابر
الأشجار ، ودارت أفلاك الأيدي بشموس الرّاح في بروج الأقداح ، بمجلس قد
تفتحت فيه عيون النرجس ، ومالت أعناق البنفسج ، وفاحت مجامر الأترج ، وفتقت
فازات النارج ، وانطلقت ألسن العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ،
ونفقت سوق الأنس ، وقام منادى الطرب ، وطلعت كواكب الندمان ، وامتدت
سماء الند على بساط الورد ، وقد سبوا العقل في مرج الجنون ، وخلعوا العذار بأيدي
المجون ، فأمر الملك الأشرف موسى لجاريته أن تغني ، فهضت وقبلت الأرض ،
وتناولت العود وأصلحته ، وجسته وغنت تقول :

- ولما طنى فرعون عكاً وقومه وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض
أتى نوحهم موسى وفي يده العصا ففرقهم في اليمّ بعضاً على بعض
قال: فأعجب بذلك الأشرف ، وطرب لقولها ، وشرب ، وطاب . فأمر السلطان
الملك الكامل لجاريته أن تغني ، فهضت ، وقبلت الأرض ، وتناولت العود ،
وساوته - وكانت حاذقة - وغنت تقول :

أيا أهل دين الكفر قوموا وانظروا لما قد جرى في عصرنا وتجدوا
أعباد عيسى إن عيسى أتاكم وموسى جميعاً ينصران محمداً
٣ قال : فأنعجب ذلك الثلاث ملوك . وأمر السلطان الملك الكامل السكندر واحدة
بخمسة مائة دينار .

ثم إن الملوك تودعوا وسافر كل ملك إلى بلاده ومحلّ ملكه . والذي أجمع عليه
٦ أرباب التاريخ أن كان مدة إقامة الفرنج على نهر دمياط أربعين شهراً وسبعة عشر يوماً .
(ورد الله الذين كفروا بنيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال) (١) .

ودخل السلطان الملك الكامل إلى القاهرة في شهر شوال من هذه السنة ، ثم خرج
٩ إلى العباسية ، ومضى (٢) إلى قلعة صدر (٣) وأمر بمهارتها ، ورجع إلى القاهرة
المحروسة .

وفيها استولى عماد الدين زنكي على البلاد العسكرية بالموصل ، وأخذ قلاعهم .
١٢ فلما عاد الملك الأشرف من دمياط ، استجار به بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل
- وهو يومئذ أتابكها من قبل أستاذه - فأجاره ، وأنجده ، وأنهزم زنكي منهما ،
واستعاد [بدر الدين لؤلؤ] ما أخذه [زنكي] .

وفيها توفيت الملكة عصمة الدين خاتون بنت العادل الكبير ، أخت السلطان
١٥ الملك الكامل ، زوجة الملك المنصور صاحب حماة .

وفيها توفي قطب الدين محمد شاهنشاه بن عماد الدين زنكي صاحب سنجار .
١٨ وفيها كان ظهور التتار من بلادهم وخرجهم إلى بلاد الإسلام .

(١) سورة الأحزاب ، ٢٥ .

(٢) في المتن : « ومضى » .

(٣) قلعة صدر ، قلعة خراب بين القاهرة وأيلة ذكرها ياقوت (معجم البلدان) .

ذكر السلطان علاء الدين خوارزم شاه

وسلطان الإسلام يومئذٍ بسائر الممالك الشرقية السلطان علاء الدين خوارزم شاه
 محمد بن تكش بن إيل أرسلان اتسز بن محمد بن أنوشتكين^(١) ، ونسبته تنتهي إلى ٣
 ههنا. هكذا ذكره ابن الأثير في تاريخه . وكان أبوه أو جده أحد مماليك الملك العادل
 عضد الدولة أبو شجاع ألب أرسلان داود بن سلجوق . وهكذا ذكره أيضا ابن واصل
 صاحب تاريخ بغداد . وكان لأيامه ملك خوارزم من جهة السلطان المشار إليه ٦
 ابن سلجوق . فلما انتقضت دولة بني سلجوق من العجم قوى سلطان علاء الدين
 خوارزم شاه ، وملك العجم وخراسان وعراق العجم ، واستولى على ما وراء النهر ،
 وطمع في أخذ بغداد ، وأن يعيد أمر الخلافة على ما كان عليه في أيام دولتي بني بويه ٩
 الديلم وبني سلجوق - وقد تقدم القول في ذلك . وهذا كله لأمر^(٢) كان كامنا^(٣)
 في الغيب ، لما يريد الله عز وجل من تملك التتار الأرض ، فلا راد لحكمه ، ولا مفر
 من قضائه^(٣) .

١٢

قال ابن واصل صاحب تاريخ بغداد : شهدت على جماعة من سراة الناس من
 أرباب دولة بغداد - كل يذكر ويتقلد في ذمته - أن الإمام الناصر لدين الله
 أمير المؤمنين كتب إلى التتار يستدعيهم إلى البلاد ، ويهون عليهم العبور إلى الأقاليم ، ١٥
 ويصغر عندهم أمر السلطان علاء الدين خوارزم شاه . كل ذلك خوفاً منه لئلا يحضر
 إلى بغداد ، وتمود الخلافة كما كانت في أيام بني سلجوق . ولذلك لوح ابن الأثير
 في تاريخه عند ذكره لخروج التتار كما يأتي بيانه في موضعه ، إن شاء الله تعالى . ١٨

قلت : وأما هؤلاء القوم ، وبدء خلقهم ، وأول شأنهم ، فإنه من الحديث العجيب ،
 والأمر الغريب ، ولعله لم يذكره أحد من المؤرخين ، لعدم إحاطة علمهم به . وقد وقع

(١) في المتن : « محمد بن تكش بن ألب أرسلان أفسز بن محمد بن مستكين » وتصحيح

الاسم من زامباور ، معجم الأنساب ص ٣١٧ .

(٢) في المتن : « كان كامن » .

(٣) في المتن : « قضاء » .

- العبد عليه من كتاب عجيب له عند الترك مزينة عظيمة ، يسمى باللغة التركية « الواي أطام بتكي » معناه « كتاب الأب الكبير » . وهذا الكتاب وقفت عليه سنة عشرة وسبعمائة ، أحضره إلى شخص كان يسمى أمين الدين الحموي ، كاتب الأمير بدر الدين ٣ بيسرى ، رحمهما الله تعالى . وكان الوالد - سقى الله عهده - في ذلك التاريخ ، متولى الأعمال الشرقية ، وما معها . وكان هذا الرجل أمين الدين له بالأعمال راتب مقرر ، فكان كثير التردد إلى بليس ، وكنت من حال الصبي متولعا^(١) بالفضل وأهله ، والأدب ونبله . وكان أمين الدين - رحمه الله - من أحسن الناس محاضرة ، والذم مسامرة ، وأغزرهم مروءة ، وأكثرهم أدبا^(٢) . وكان ممن يتردد إلى الملوك من السادة الفضلاء في ذلك العهد ، مثل الشيخ جمال الدين السماوطي ، والحكيم شمس الدين ٩ ابن دانيال ، وجمال الدين البلايقي المعروف بابن زيتون ، وجماعة أخر من أهل الفضل والأدب . فكنا نهب العيش بالآداب ، ونستخرج لباب الباب من ذوى الألباب ، في كل فن وباب . فتجاربنا ذات يوم ذكر التاريخ ، وبدء التتار ، فذكر أمين الدين المذكور أن عنده كتاب لم يقع لأحد مثله ، وأنه كان عند الأمير بدر الدين بيسرى من أعظم ذخائره وأعزها عليه ، وكان إذا أحضره قام له قائماً ، وجعله على رأسه ، ويمظمه كما يمظم كتاب الله تعالى . فسألناه أن يحضره إلينا . فلما عاد أحضره ، فنظرناه كتاباً حسناً ذي شأوة جليلة ، بخط منسوب ربما يقال إنه خط تلميذ ١٥ ابن البواب ، في ورق بنزادي ، مجلد بأطلس أحمر ظاهر وأصفر باطن . وله قفل ذهب ، يدل على عناية كبيرة به . فاجتمعنا عليه ، وقرأه علينا أمين الدين ، فوجدناه تاريخاً للترك الأول وأول خلقهم - بزعمهم - وذلك مما يخالف الشرع المطهر . فاستنسخت منه بدء خلق التتار والترك الأول ، لما رأيت فيه من العجائب النريبة ، ٢١ ليكون ذلك من باب التعجب ، لا من باب التصديق ، إذ هو غير موافق للشريعة ،

(١) في المتن : « متولع » .

(٢) في المتن : « أدب » .

وإنما هو شيء موضعه (١) الحكماء المتفلسفين ، يصيدون به عقول من يخدموه من الملوك الراغبين في طول الحياة الدنياوية ، مما يؤيد زعمهم أن العمر الطبيعي مائة وعشرون سنة ، فن مات قبل ذلك كان من وجوه التفريط بنفسه ، مع شروط وضعوها . ٣ ونحن نعوذ بالله من زعمهم ، وزخارف أقوالهم . ونعلم ونتحقق أن العمر محتم ، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، فهذا هو الاعتقاد الصحيح ، والعقل الرجيح .

وها أنا أضع وأثبت - في هذا الفصل - جميع ما استنسخته من ذلك الكتاب ، ٦ لضرورة بدء خلق هؤلاء القوم التتار بزعمهم . وليظهر أيضاً نقصان عقولهم ، فيما وضعوه من خرافاتهم .

٩ ذكر بدء شأن الترك الأول حسبما ذكره صاحب الكتاب التركي

هذا كتاب عني بجله من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية ، كما عني بجله من اللغة التركية إلى اللغة الفارسية ، عبد الله المتوكل على ربه الغفور السامح ، جبريل ابن بختيشوع المتطبب ، في سنة إحدى عشرة ومائتين للهجرة النبوية المحمدية ، ١٢ على صاحبها السلام . وتركت فيه ألفاظاً بحالها باللسان التركي ، كما تركها الذي حلها من التركية إلى الفارسية ، وهو أبو مسلم عبد الرحمن صاحب الدعوة العباسية . قال جبريل : ووصل إلى هذا الكتاب من ذخائر أبي مسلم المذكور . وذكر أنه من ١٥ كتب جده برزجمير بن البختكان الفارسي . وكان أبو مسلم ينتسب إلى برزجمير المذكور ، وليس يبعد فيما ذكره ، لما كان عليه من العقل الوافر ، وحسن السياسة والتدبير ، مع ما اجتمع فيه من فنون العلم . وقتله المنصور لما خيف من دهائه وتدبيره . ١٨ وسمعت المأمون - رضي الله عنه - يقول : الملوك ثلاث الذين ساسوا البلاد وأتقنوا الأمور وأقلبوا الدول ؛ وهم الإسكندر ، وأزدشير ، وأبو مسلم . ثم إن جبريل أظن في ذكر أبي مسلم إطناباً كثيراً ، أضربت عنه ولم أنسخه ، إذ ليس فيه لنا غرض . ٢١ ثم قال بعد ذلك : إن الله جلت قدرته وتعاظمت حكمته خلق جبلاً عظيماً آخر

- الصين الأعلى^(١) من جهة مشرق الشمس ، سمت علوه في الجو أربع فراسخ ، صاعداً في فلك الهوى ، حجراً أسوداً أصمّاً ، ليس به نبات . وأن من حكمة الله جل وعزّ ، التي لا تدرك لها غاية ، ولا يحصر لها نهاية ، جعله حاجزاً للبحر الأسود المحيط ، وحاجزاً لعين الشمس في أول طلوعها ، فإنها تطلع من ذلك البحر من غامض علمه ، الذي لا يعلمه سواه ، فيحجبها هذا الجبل أن تدرك الأرض في أول طلوعها ، ويمنع حرارتها في مبتدأ طلوعها ؛ لطف من الله تعالى ، وتدبير من الحكمة الإلهية .
- فلو أدركت الأرض في أول مبتدأ إشرافها ، ما تركت عليها من دابة ، ولا نبتت فيها خضراء . وليس تدرك الأرض إلا بعد ما تصير في اثني عشر دقيقة من سمت رأس المشرق ، فعند ذلك تخف حرارتها ، لارتفاعها ، ويدرك بها الانتفاع . واسم هذا الجبل باللغة التركية قراطاغ ، تفسير ذلك الجبل الأسود . ثم إن هذا الجبل تنفجر منه - من سفحه الموازي إلى جهة المغرب - عيون ماء عذبة ، أحلى من الشهد ، وأبرد من الثلج ، وأعطر من المسك . تفرش تلك العيون في بحيرة مسافة دورها سبعمون فرسخاً كاملاً ، يجري منها نهر في طول سفح ذلك الجبل ، مسافة مائة وثمانين فرسخاً . قد بنى في وسط هذا المجرى^(٢) مدينتان عظيمتان^(٣) ذاتا أسوارٍ دائرة ، بحجارة سود ، ونُحِتتا ذكر في أنثى ، وأنثى في ذكر ، لاتسكاد تبين مداخله إلا للقبائل الحاذق . دور كل سورٍ سبعة عشر فرسخاً كاملاً ، لكل مدينة أربعون^(٤) باباً من الحديد الصفي ، كالفضة المحلية . على كل بابٍ برج مشيد من تلك البناية . وذلك النهر يجري في تلك المدينتين . وبين المدينة والمدينة مسافة سبع عشر فراسخ . وقد صُنِعَ ذلك النهر بمقاسم قد رتبت ، وتدييرٍ قد أحكم ، حتى ليس يخلو منه منزل من منازل تلك المدن . ثم يخرج وينقسم عدة أنهر إلى سائر بقاع تلك الأراضي ، وعليه

(١) في المتن : « الأعلى » .

(٢) في المتن : « المجرى » .

(٣) في المتن : « مدينتين عظيمتين » .

(٤) في المتن : « أربعين » .

ضباع ومزدرعات وأشجار ، ذات ثمارٍ عجيبية ، وفواكه لذيذة ، ما لا يعلمها إلا الله تعالى . ويعمّ ذلك النهر أراضى ذات أعمال ، وعمائر تقدير سنة طول ، فى سنة عرض ، عليها أمم وخلق ، ذوو صورٍ مختلفة ، يرجعون جميعهم إلى سلطان تلك المدينتين . ٣ وهاتان المدينتان ^(١) تسميان باللغة التركية أيدرماق وأهرماق . ويقال لكل من يملكهما من نسلٍ واحدٍ وعظمٍ واحدٍ باللغة التركية ألطن خان ، تفسيره ملك الذهب . ولم يكن للقوم عدو يخشونه ، ولا منازع يخافونه ، أهل عيش خصلٍ ، ٦ ولذة فسكاهة ، وأكلٍ وشربٍ وتناسلٍ ، من أحسن خلق الله وجوهاً ، وأرطبهم أبداناً ، وأنعمهم عيشاً . يأكلون من أطيب اللحومات ، وألذ الفواكه ، لتلك الأراضى الحسنة ، والمراعى اللذيذة ، ذات الحشائش المختلفة ، النابتة فى تلك ٩ الأماكن الخصبة ، الصحيحة الهواء ^(٢) ، العذبة الماء . فليس يرى فيهم مرض من الأمراض ، ولا عاهة من العاهات ، الفرح غالب ^(٣) على قلوبهم ، حتى إذا مات عندهم الميت لا يعرفون البكاء عليه ولا الحزن ، طوال الأعمار . لا يكاد الشخص منهم ١٢ يموت إلا بعد المائة وما فوقها .

قال جبريل : ولهم فى ذلك معشًى دقيقاً ، جُلّ بحثنا عليه ، وذلك أن صاحب هذا الكتاب برزجمير بن البختكان قال - وإن لم يكن ذلك موافقاً للشرع المطهر ، ١٥ فنحن إنمّا نذكره للتمجيد لا للتصديق ، فما على ناقل خبرٍ من عتب - قال برزجمير : إن أول خلق هؤلاء القوم المذكورين ^(٤) أن بهذا الجبل المسمى بقراطاغ مغار ، مسافة علوها فيه من أسفله إلى حين يرقى ^(٥) إليها الرجل الشبق - بعد المشقة العظيمة والتعب ١٨ والسكرال - ثلاثة أيامٍ ، بطريقٍ وعراء كثيرة التعاريج ، متسلقة ^(٦) فى الجو . وأن

(١) فى المتن : « وهاتين المدينتين » .

(٢) فى المتن : « الهوى » .

(٣) فى المتن : « غالباً » .

(٤) فى المتن : « المذكورون » .

(٥) فى المتن : « يرقا » .

(٦) فى المتن : « متسلقة » .

٣ على قم تلك المنار باب عظيم من الذهب الأحمر ، مرصع بأنواع الجواهر العظيمة القدر ، وله سدنة وخدام . وهذه المنار فهي معبود أهل تلك الديار ، فإذا أراد الإنسان منهم يحلف ، يقول : « أيما قراطاغ » ، تفسير ذلك « وحق الجبل الأسود » . وإشارته إلى تلك المنار .

٦ قال جبريل : قال برزجمير : وأصل دعواهم فيه . قلت : ونحن لانصدق هذه الدعوى الضعيفة ، وإنما نورد ما قالوه ، وزد عليهم من الشرع والعقل الذي احتجاجهم به . قال : إنه لما كان أول زمان ، جرت السيول من الأمطار ماء إلى تلك المنار ، وسحب ذلك الماء بقوته تراباً من بحر السيول ، فاحتبس في تلك المنار في أخدودٍ شبيهٍ بقالب هذه الخلقة الآدمية . وكانت ^(١) الشمس في ذلك الوقت في برج أفنون - على ما تقول ٩ نحن برج السرطان - فقصدته بذلك أن الشمس كانت في أوجها وقوة حرارتها ، بما يقتضيه عرض أرضهم ، إذ كل إقليمٍ خُص بمرضٍ وسمٍ . وكانت تلك الصبابة التي تحدت من تلك السيول إلى المنار ، قد تجمعت في ذلك الأخدود . فلما استقرت ، طبختها الشمس ، فكانت المنار بمنزلة جوف المرأة . والمستقر في ذلك الأخدود عنصران ^(٢) : الماء والتراب ، وطبختهما الشمس في أوجها فكانت كعنصر النار . ١٥ واعتدلت له الرياح في مدة تسعة أشهر ، وتكملت الأربع استقصاءات . فلما كانت الشمس ببرج حيتان - وهو كقولنا برج الحمل - فقصدته أنه مضى تسعة أشهر ، فإن كل ثلاثة أشهر فصل . فلما كان ابتداء أمره ، والشمس في أوجها ، فيكون أول الصيف . فلما مضت التسعة أشهر ، مضى فصل الصيف وفصل الخريف وفصل الشتاء ، وشرعت الشمس للاعتدال . فلما وافق إكمال تلك المصاية ^(٣) وتعفيها وإنضاج طبخها عند اعتدال الشمس استحق السكال والخروج ، فخرج من ذلك الأخدود صفة ٢١ هذا الحيوان الفاطق . قال جبريل : وهذا القول تصحيحه أصحاب القول بالتمافين ،

(١) في المتن : « وكان الشمس » .

(٢) في المتن : « عنصرين » .

(٣) المصاية بالضم : الفارورة الصغيرة (القاموس المحيط) .

- ويُحتج فيه أن لكل ماعن في استحقاقه نتج منه روح حيواني^(١) وذلك بالضرورة ، كاللود من الخل ومن الجبن ، وكلحشرات من الأرض . وربما عفت أشياء ، وخرجت منها حيوانات مختلفة الأشكال . قال : فسُمي ذلك الشخص الذي خرج من تلك المنار باللغة التركية « أى أطام » معناه « الأب القمر » . والترك يدعون أنهم أحق به من الفرس ، والفرس يدعون أنهم أحق به من الترك . واسمه عند الفرس كهومرت معناه بالفارسية « أب الآباء » .
- قلت : ونحن نموذ بالله تعالى من تصديق دعوى الطائفتين ، ونشهد أن الله خالق آدم من طين ، بقدرته التي لا يقدر عليها سواه ، بما أتى به الرسول الصادق ، الذي بالحق - عن الحق - ناطق . وأن الله تعالى واجد الوجود من العدم ، وهو على كل شيء قدير . وأما دعوى هؤلاء القوم على ما ذكره صاحب هذا الكتاب ، فإنها دعوى سخيفة جداً ، لا يقبلها الشرع ولا العقل جملة كافية .
- قال جبريل : قال برزجمير : فنزل ذلك الشخص المسمى « أى أطام » إلى تلك الأرض الطيبة الهواء^(٢) ، العذبة الماء ، فأقام بها أربعين سنة ، وهو متزايد القوة والنشاط ، والنهضة في سائر أعضائه وتركيبه . قال : ثم إن السيول اجتمعت أيضاً ، ونزلت ، وتحصلت تلك المصاية بالمثل الأول الذي تقدم ذكره . لكن كانت الشمس يبرج كينان - معناه أنه بالتقدير والقياس كقولنا برج السنبلة - فأدرك الطبخ والشمس في أول هبوطها ، وتكامل نضجها والشمس قد شرقت على أوجها ، فخرجت أنثى ، هذا بقوله في كلام طويل هذا تلخيصه . ولو أمكننى تلخيص الجميع لسكان أوفق ، لكن الجأت^(٣) الضرورة لبيان ذكر أول خلق التتار حسبما يأتى ،

(١) في المتن : « روحا حيوانيا » .

(٢) في المتن : « الهوى » .

(٣) في المتن : « ألجت » .

فإننى لم أجد أحداً ذكر أصلهم الأول ، وإنما سائر أرباب التواريخ ابتدأوا^(١) بذكر جكرخان^(٢) تمرجى ، ولم يتعدونه . ووجدت فى هذا الكتاب بدء شأنهم ، فأحببت أن أنبه على ذلك . قال جبريل : فخرجت أنتى لعدم إدراكها أول الأوج ، فنقصت عن التركيب المذكور لعدم الحرارة ، فسميت باللغة التركية « أى وا » معنى ذلك « وجه القمر » . فتزاوجا وتناسلا ، فأقام « أى أطام » بعد نزول « أى وا » أربعين سنة أخرى واقفاً عن الزيادة والنقصان . ثم شرع فى النقص ، فأقام أربعين سنة متناقص الأحوال . فلما كملت له مائة سنة وعشرون سنة ، هلك . وقد صار له من النسل أربعين ذكر وأنثى ، فتزاوجوا ببعضهم البعض . وكان أكبر الأولاد لما هلك « أى أطام » إعادة إلى المنار ، ووضعها فى ذلك الأخدود ، رجاء أن يقوم ثانياً . فلما هلكت أمه « أى وا » بعد أبيه بأربعين سنة ، طلع بها إلى أبيه ، فوجده قد تمزق ، فوضعها فوقه ، وطمرها وتركها . وجعل على باب المنار ذلك الباب الذهب ، وأقام عليه سدنة يحفظونه .

قال جبريل بن بختيشوع : فن هاهنا أخذت الحكماء الأطباء أن العمر الطبيعى مائة وعشرون سنة . والعملة فى ذلك أن هذا الشخص لما كان ابتدأه^(٣) ، والشمس فى أوجها ، اقتضى الزيادة فى ذلك الفصل بكاله . وذلك أن السنة ثلثمائة وستين يوماً ، والخمسة أيام وزائدها لا يعتمد به فى حساب السنة الشمسية . وفى ذلك بحث دقيق ، وحديث طويل أضربت عنه ولم أنسخه .

قال جبريل : فإذا حُسبت هذه الثلثمائة وستين يوماً^(٤) على منازل القمر ، وهى الثمانية وعشرين منزلة التى يحلها القمر فى طول السنة ، كانت كل منزلة تُخص بعدة أيام ،

(١) فى المتن : « ابتدوا » .

(٢) كذا فى المتن ، وقد تكرر الاسم بهذه الصورة فى بقية الكتاب .

(٣) فى المتن : « ابتداه » .

(٤) فى المتن : « يوم » .

- وكانت كل ثلاثة^(١) أيام إلا قليل بنظير سنة من العمر الطبيعي، وهو المائة وعشرون سنة . فإذا حسبت السنة اثني عشر شهرا ، كان استكمال السنة باستكمال مائة وعشرين سنة . فالزيادة فيها كون أن الشمس كانت في أول خروجه إلى فسيح الفضاء ٣ بنقطة الحمل ، وهي في صعودها ، فاقتضى الحال الزيادة في طول مدة ذلك الفصل بكماله . فلما صارت الشمس بنقطة السرطان ، وبلغت منتهى^(٢) الزيادة في صعودها ، وقفت في ذلك الفصل بكماله . فلما عادت الشمس بنقطة الميزان ، وتساوت ، ورجعت ٦ إلى المهبوط ، اقتضى ذلك الحال النقصان . فلما انتهت إلى الحضيض اقتضى الحال التلاف والهلاك ، إذ الحمل لم يكمل غير تسعة أشهر ، ففتم آخر ما الشمس في برج الجدى ، وهو آخر الحضيض الشمسي . والعمر الطبيعي إنما هو تسعون سنة ، وإنما ٩ جماعه مائة وعشرون سنة للناية في النهاية. قال جبريل : وأقوى الأدلة على ما ذكرناه أن سائر المخلوقات ذوات الأرواح الجائلة في الأجساد المركبة ، في فصل الربيع يحصل لها الانتماش وقوة الحركة والنهضة وتحريك الشهوة والتنصل من الأمراض التي ١٢ حدثت في فصل الخريف ، ولم تنصل في فصل الشتاء كون أن الشمس في هبوطها . قال جبريل : فإن قال قائل رأينا^(٣) من يعيش أكثر من المائة وعشرين، ورأينا من يموت دون ذلك من غير سبب عارض ، فالجواب عن ذلك ، قال برزجمهر : الحجة لنا في ذلك خلقة هذا الشخص المدعو « أى أطام » فإنه إذا اتفق أن المولود يولد موافقا لمبروز هذا الشخص في الأوقات التي تكون فيها من ابتدائه إلى انتهائه ، وتكون أعضاؤه مناسبة لتلك الأعضاء المختصة بذلك الشخص ، لاتساع جولان الروح في ١٨ متسع التركيب ، وسلم من أن تغلب عليه طبيعة على طبيعة ، وخلص من آفات الدنيا وعوارضها ، حكمنا له أنه يعيش ما قدرناه له من العمر الطبيعي . ثم إنه ذكر هاهنا مقادير الأعضاء في التركيب من الرأس إلى القدم ، مما أضربت عنه لطول شرحه ١٢

(١) في المتن : « ثلثة » .

(٢) في المتن : « منتهى » .

(٣) في المتن : « رأينا » .

وهديانه . ثم قال : فإن زاد المولود في خلقه عن هذا التركيب ، واتفقت له هذه الأسباب
المشترطة كلها ، زاد عمره على العمر الطبيعي بمقدار تلك الزيادة في تركيبه ، وإن نقص
٣ عن خلقه في هذا التركيب نقص عمره بمقدار ذلك النقص . قال جبريل : ولذلك أن
الطبيب الماهر والحكيم الحاذق إذا رأى طفلاً كان أو غيره كاملاً في خلقه التركيب
الأصلي في سائر أعضائه ، علم مقدار جولان الروح في ذلك التركيب ، وراعى^(١)
٦ مصالح الطبائع الأربع في الأغذية ، فأمكن أن يعيش ما قدر له ، بشرط سلامته من
الآفات العارضة ، فيجب على الطبيب الحاذق اللبيب الفطن إذا كان بخدمة ملك أو
رئيس أن ينظر إلى أعضائه وتركيبه ، ويلطف ما نقص منها ، ويحفظ نقصها من أي
٩ الطبائع هي ، فيكون اعتماده دائماً في حفظ صحة تلك الطبيعة التي من جهتها نقصت
الحملة عن الاعتدال . ثم تكلم كلاماً كثيراً جداً^(٢) ، أطنب فيه إطناباً كثيراً ،
أضريت عنه . والذي تبين للعبد من هذا القول أن الأطباء وضعوا ذلك فحماً ليصيدوا به
١٢ عقول الكبار من العالم ، وأن لا يكون لهم غنى عن طبيب حاذق يلزم مجالسهم لحفظ
الصحة من أمزجتهم . وليس نشك أن الله عز وجل خلق الداء والدواء ، وإنما قولهم
في معاني التركيب وحياة العمر الطبيعي فحال لا يصدقه مؤمن يؤمن^(٣) بالله تعالى ،
١٥ وإنما أتى به رسوله صلى الله عليه وسلم . والصحيح قول الإمام علي - كرم الله وجهه - :
« العمر محتوم ، والرزق مقسوم » .

قال جبريل : ثم إن ذلك النسل الذي من ذلك الشخص كثر وتزايد ، وبني^(٤)
١٨ بعض على بعض ، فأجمعوا أمرهم على أن يقيموا من بينهم رأساً^(٥) يرجعون إلى كلمته ،
ويأخذ القصاص من بعضهم لبعض ، فاتفق رأيهم على أن يكون الأكبر من ولد

(١) في المتن : « وراعى » .

(٢) في المتن : « كلام كثير » .

(٣) في المتن : « يأمن » .

(٤) في المتن : « وبنا » .

(٥) في المتن : « رأس » .

- «أى أطام» ، فكان أول من جلس على سرير الملك من هؤلاء القوم من ولد «أى أطام» الأكبر منهم ، تسمى باللغة التركية «أى أطام كشكرى» معناه «الأب القمر الصغير» . فأقام فى الملك ثمانين سنة ، وهو الذى ابتنى تلك المدينتين العظيمتين - أيدرماق وأيشرماق - بناها فى مدة أربعين سنة . ثم هلك ، فقام بالأمر ولده ، وكان يسمى ببلغتهم «كشكرى بلجكى» معناه «فرخ كشكرى» . فلما استقر له الأمر كان أبوه قد أوصاه أن يجعل رتمته فى تمثال من ذهب مجوف ، ويجلسه على كرسى فى بيت يصنعه له كالعبد ، فصنع له ذلك ، وأحكم له البيت الذى جعله فيه ، وأوقد عليه القناديل الذهب بالزيت المحكم الذى لا ينطفئ ، لا ليل ولا نهار . وأقام له سدنة يخدمونه . وعاد ذلك مشهداً لهم وعيداً ، يجتمعون إليه فى يوم تاريخ وفاة ذلك الملك ، فيسجدون له ، ويدعون عنده ، ويقربون إليه من أعز أموالهم ومواشيهم . وسمى بعد ذلك كل من ملك من نسل ذلك الملك من ذلك الحين «الطن خان» .
- تفسيره «ملك الذهب» . وأقاموا على ذلك ما شاء الله تعالى من الدهور ، آلاف من السنين والقرون ، وهم فى الذ^(١) عيش وأهناء ، لا يعرفون لهم عدواً ولا حرباً ولا قتالاً . انتهى كلام^(٢) جبريل إلى هاهنا .
- قلت : فأبى^(٣) الدهر إلا أن يفرق شملهم ، ويميدهم عبيداً بعد الملك ، وأذلاء بعد العز ، كمادة الدهر وغدره ، والزمان وشره . فكان موجب ذلك ما ذكره سليمان بن عبد الحق بن البهلوان الأذربيجانى ، مما ذيله على كلام جبريل بن بختيشوع ، وضمنه هذا الكتاب المذكور . قال سليمان بن عبد الحق : إنه كان بهذا الجبل المسمى «قراطاغ» عند منبع تلك البحيرة ، وحوشاً شداداً ، سوداً ، كالبخاخى عظماً ، لا يطيق بشر أن يقرب تلك الأرض بما رحبت ، لكثرة وحوشها ، وخبث أسودها .

(١) فى المتن : «الذ» .

(٢) فى المتن : «الكلام» .

(٣) فى المتن : «فأبى» .

ولم يكن بها ساكن^(١) من الإنس ، مع كثرة خيرها ، وسعة فضاءها ، وبهجة
أقطارها ، وعدوبة مائها ، وصحة هوائها ، تشتمل تلك البحيرة على عدة جزائر خضرة
نضرة ، كثيرة الأشجار والنبات ، يأوى إليها سائر أصناف الطير من سائر أقطار
الأرض ، يبيض ويحضر ويفقس ، لا تجد من يشوش عليهم ، ولا من ينفره عن وكره .
وكان أكثر ذلك طيراً ، الجنس الذي يقال له باللغة التركية « قو » وهو « التم » .
فاتفق أن يجوار هذه الأرض - بعد مسافة بعيدة - بلاد يقال لها تبّت ، وهي التي بها
الغزال ، الذي في صراره المسك المعروف بالمسك التبتى ، وهو أجود من المسك
الصينى بطبقات ، لا يحمل إلا إلى الملوك في البر دون البحر ، فإن حمله في البحر مما
يقطع ريحه ، وله حديث طويل ، أضربت عنه لذلك .

قال سليمان الأذربيجانى : نخرجت امرأة من بلاد تبّت ، وهي حامل^(٢) ،
إلى بعض تلك الأودية بتلك الأرض تحطب ، فأدركها الخاض ، فوضعت ولداً ذكراً
كأنه قطعة صخر ، فنهضت تأتبه بشيء من ذلك الحشيش تستره به ، فاخطفه نسر^(٣) ،
وحلق به في الجو ، فلم يحطه إلا بسفح ذلك الجبل المسمى بقراطاغ . فسقط - لما يريده
الله عز وجل - في غيضة قد ولدت فيها في تلك الساعة لبوة ، فصار الطفل عند شبلها
الذى وضعت ، لأمرٍ أراده مدبر الأمور ، ومقدر الكائنات ، الفعّال لما يريد ،
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ثم أراد النسر حمله ، ففطر إلى اللبوة وهي قد ضمته
إلى شبلها ، وظفت أنها وضعت مع شبلها ، وحنّنها الله - جل وعز - عليه ، كما ورد الخبر
عن عمرو بن كنعان مع النمرة التي حضنته مع جروها . فجفل النسر وحلق طائراً
وتركه . ثم إن اللبوة أرضعت مع شبلها من وقتها . ولم يزل كذلك حتى انتشأ وترعرع ،
وكبر مع ذلك الشبل ، وعادت اللبوة تسكر لهما من أصناف وحوش ذلك الجبل

(١) في المتن : « ساكنا » .

(٢) في المتن : « وهي حاملا » .

(٣) في المتن : « نسرأ » .

وتطعمهما. وشب ذلك الغلام وكبر، حتى صار يفترس الأسود بيده، ويأكل لحومها، وعاد كأنه البختي العظيم من عظم خلقه، بوجه كعظم ما يكون من وجوه السباع، ولا يظن أن ثم خلقاً سوى تلك الوحوش، لعدم السالك بتلك الأراضي. وعادت ٣ الأسود إذا رآته جفلت منه وهربت، خوفاً من شره ولافتراسه إياهم.

قال سليمان بن عبد الحق الأذريبيجاني: فيينا هو ذات يوم بسفح ذلك الجبل على شاطئ تلك البحيرة، إذ نظر إلى سبعة نفر من بني آدم - ثلاثة^(١) رجال وأربع نسوة - وهم في تلك الأرض، والأسود قد دارت عليهم من كل جهة. فنظر إلى أشخاص كشخصه، وشبهاً كشبهه، وتركيباً كتركيبه، خفت الجنسية، ومالت الطبيعة الآدمية، فنهض إليهم، وزعق على تلك الأسود الذين قد تجمعوا عليهم، ٩ فنفروا منه، لما رأوه. وكذلك أولئك الأشخاص سقطوا على وجوههم لهول مظهره، فتقرب إليهم ووانسهم، فتأنسوا به، لما علموا أنه يمنع عنهم أذى^(٢) تلك الأسود. وتبينوه فوجدوه آدمياً مثلهم، وإنما غيرت محاسنه الوحشية الريبة. فكلموه فلم يفهم، ١٢ بل إنه يزجر كزجاجة الأسود. ثم إنه تأفس بهم، وعاد يفترس لهم من تلك الأسود والوحوش ويأتيهم به، فيشؤون ويأكلون ويطعمونه، فعاد يأكل مما يأكلون. ولم يزل كذلك حتى فهم وعقل كلامهم. وعادوا يأمرونه بالشيء فيفهم. وسأل بعد ١٥ ذلك منهم عن أحوالهم، فعرفوه أن ثم أناس مثلهم كثير في جميع الأرض، فقال: «فما الذي أوقعكم أنتم هاهنا، ولم أر من قبلكم غيركم؟». فقالوا: «نحن تنار»؛ معنى ذلك - أي تائهين عن أرضنا - «وأن قوماً من جنسنا غلبوا علينا، وقتلونا، وأخرجونا ١٨ من ديارنا، فخرجنا هارين، لا ندرى أين نتجه، فوقعنا في هذه الأرض تنار، أي تائهين». فهذه أصل كلمة قولهم التنار.

(١) في المتن: «ثلاثة».

(٢) في المتن: «أذى».

- قال : وكان في جلته بنت ، فعلق بها ذلك الشخص الوحشى ، وواقعها ، فولدت منه غلاماً ، فسموه أهله « تنار خان » - تفسيره الملك القائه - وسموا أبوه ذلك الشخص الوحشى « ألب قرا أرسلان بلجكى » معنى ذلك وتفسيره « فرخ الأسد الأسود » . ثم توالدوا وتناسلوا ، وكثروا وقتلوا تلك الأسود الذين في تلك الأراضي ، وأكلوا لحومها . وولد لتنار خان ولد^(١) فسماه قرا أرسلان بلجكى - على اسم جده .
- ثم ولد لقرا أرسلان بلجكى ولد ، فسماه تنار خان كشكرى تفسيره « تنار خان الصغير » . وهو أول من صنع الشبابة التركية المسماة بلغتهم « صبرغوا » ، وصنعها لمشاة كلة حس تلك الطيور التي بتلك الجزائر ، فكان يمدى إليهم ، ويصفّر بتلك القصبية ، فتجتمع عليه الطيور من سائر نواحي الجزائر ، فيصيد منها ماشاء أن يصيد . ثم ولد لهذا تنار خان كشكرى أولاد ثلاثة^(٢) جكز خان ، وأغز خان ، وأطن خان .
- قال سليمان بن عبد الحق : فيؤلاء الثلاثة أصول سائر بطون التنار ، وانقرض ما سواهم . وتوالدوا ، وكثر نسلهم في تلك الأرض ، وتفرقوا حول تلك البحيرة ، وليس لهم ما يأكلوه غير وحوش ذلك الجبل ، مع ما تنبت تلك الأراضي من أنواع النباتات . ثم ولد لجكز خان اثنا عشر ولداً ذكراً ، فكان الأكبر فيهم يسمى تنار خان بينغو ، وكان أعظمهم خلقاً ، وأقواهم بطشاً ، وأشجعهم نفساً . وكان يسطو^(٣) على الأسود بغير سلاح ، فيملكها بيده . وكان لما علموا أهل تلك الديار أن تلك الأرض خلت من تلك الوحوش الضارية ، وأن عاد بها سكان وقطآن ، ترددوا إليها ، ونازلوا أهلها . ودخلت التنار تحت طاعة ذلك الملك المسمى أطن خان ، وعادوا يعبرون إليه ، ويتقربون إليه بفرائب تلك الوحوش التي بذلك الجبل ، وينعم عليهم بما يعونهم من قوتهم . وتخلقوا بأخلاق الآدميين قليلاً ، وإنما الغالب عليهم أنهم كالأسود . وعاد لهم الخيل والمواشى . ومات كبارهم .

(١) في المتن : « ولدا » .

(٢) في المتن : « ثلث » .

(٣) في المتن : « بسطوا » .

- وولد لهذا تقيارخان بينو ولد^(١) فسماه جكزخان وهو جكزخان تمرجي ، يعني الحداد . وسبب تسميته بالحداد ، أنه كان يتردد إلى مدينة أيدرماق ، وصحب بها رجلا حدادا^(٢) ، فعمل منه عمل نصول السهام ، فكان يأخذ منه الحديد ويعود إلى أهله ٣ فيصنع نصول السهام ، ويعبر بهم إلى تلك المدينة على رأس الحول ، فيبيعه ويمتار لأهله وولده ما يموتهم مما يحتاجون إليه من الحول إلى الحول .
- قال : لقد نظرت إليه لما فتح أذربيجان - بلدنا - بعد هزيمة السلطان علاء الدين خوارزم شاه منه في أقطار الأرض ، حسبما يأتي من ذكر ذلك في تاريخه ، فكان من صفته أن وجهه كدور الترس ، ورأسه كرأس البعير ، يشعل من وجهه النار ، ورأسه بين كتفيه من غير عنق ، يظهر له سناط^(٣) ، لم يكن بوجهه إلا شعرات تستره . ٩ ونظرت إلى زنوده شبه أكارع البعير الجيد . ورأيت حوله جماعة يقاربوز صفته ، لكن لم يكن فيهم من هو أهول منه منظرا . فلم أملك نفسي دون أن سقطت إلى الأرض هيبة منه . ثم من الله عليّ بالخلاص . ١٢
- قال : وولد له أربعة وعشرون ولد ، فكان أكبرهم يسمى بيشخان . وكان قد أتى في خلقة جده تقيارخان بينو وشدته وشجاعته وقوة نفسه ، فعاد يلعب بالطير المسمى طغريل . وكان للملك الكبير ألطن خان عدة أولاد . وكان ولي عهده يسمى ١٥ كخش خان . وكان من عادته أنه يخرج في كل عام إلى أرض التتار يتصيد ويتنزه ، ويقيم مدة ، ثم يعود . وكان جكزخان ، وأولاده ، وكبار بني عمه يلقونه ويكفونون في خدمته ، حتى يعود إلى مدينته ، بعد ما ينعم عليهم ويمطيهم الخيول والمواشي وغير ذلك . وكانت^(٤) المسافة بين مدينة أيدرماق وبين ديار التتار التي هم بها نزول أربعين يوما .

(١) في المتن : « ولدأ » .

(٢) في المتن : « رجل حداد » .

(٣) سناط بالضم والكسر ، لالحية له أو الخفيف العارض أو لحيته في الذقن (القاموس المحيط) .

(٤) في المتن : « وكان » .

ذكر سبب تغلب التتار على ملك ألطن خان وما كان من حيل الحروب

- ٣ قال سليمان بن عبد الحق الأذربيجاني : فلما كان في سنين عشر العشرين وسبعمائة خرج كمش خان بن ألطن خان على عادته إلى الصيد ، ووصل إلى منازل التتار ، وتلقوه كما دأبهم . وركب كمش خان وعلى يده طغريل ، وقد آماه في الخدمة بيشخان
- ٦ ابن جكزخان ، وعلى يده أيضا طغريل . فأطلقا جميعا فاشتبك^(١) الطائران في طير واحد المسمى قو ، فسبق إليهما بيشخان بن جكزخان ، واقتلع طير كمش خان ، وضرب به الأرض قتله ، وذبح لطيره ، وأشبعه على صيده . فلما نظر كمش خان إلى ما حلّ بطيره رجع إلى منزلته غضبانا ، وأمر أن تشال خراكيه ، وتوجه إلى بلاده ، وهو قد كاد ينشق غضبا . فلم يلتفت إليه بيشخان ، ولا عبأ به ولا ركب إليه ، ولا استرضاه . وعاد إلى عند أبيه جكزخان ، وأخبره بما جرى^(٢) ، فقال له : « لبئس ما فعلت . أما علمت أن هؤلاء أصحاب الدنيا وملوك الأرض ؟ ويجب علينا مداراتهم كونهم الحكام علينا ؟ ونحن تحت طاعتهم وعزب من عظمهم ، وليكونن لنا ولهم شأن عظيم ، وأرجو أن نكون المنصورين^(٣) عليهم . فإني رأيت في منامي بارحني ما يدلني على ذلك ، وهو كأنني على رأس قراطاغ ، وقد مسكت الشمس بقرنيها ، من شرقها إلى غربها ، وقد سلمتها لكم ، فانقلت من يدي ناحية المغرب » .
- ثم إنه ركب من فوره ودار على إخوته وبني عمه وعشائهم ، وسائر جنسيته ، وجمعهم إليه ، الكبار فيهم وزعمائهم ، فكانوا عدة ثلثمائة وستون نفر . ففرح بملئهم ، وقال : « هذه^(٤) المدة عدة سنة الدهر » . ثم إنه عرفهم صورة الحال ، وما جرى^(٥)

(١) في المتن : « فاشتبك » .

(٢) في المتن : « جرا » .

(٣) في المتن : « المنصورون » .

(٤) في المتن : « هذا » .

(٥) في المتن : « جرا » .

بين كمش خان ويشخان ولده. ثم إنه جمع ثلثمائة وستين^(١) سهما وجعلها جرزة^(٢) واحدة، وكان كل سهم من نفر منهم، وقال: «أيكم يكسر هذه؟». فقالوا: «لا نطيع كسرهما جملة»، فقال: «نحن كذلك متى كنا مجتمعين لا يطيق أحد على كسرنا». ثم رمى لكل أحد ٣ سهمه وأمره بكسره، فكسره كأسرع ما يكون. فقال: «ونحن كذلك أيضا إذا ما تفرقت كلتنا كسرنا كهذه السهام». فكان جكر خان أول من ضرب هذا المثل. ثم قال: «لكن لا بد لنا من رأس نرجع إليه، وإلى حكمه وتديره». ٦ فالتقوا من الثلثمائة وستين، سبعين نفرا، ثم انتقوا من السبعين ثلاثة^(٣) عشر نفرا، ثم من الثلاثة عشر ثلاثة، فيهم جكر خان. ثم اجتمع رأيهم أن يصنعوا قربانا ويقربونه لتسكاخاتون، فمن خرج قربانه موكولا كان الرأس وصاحب الأمر، ٩ ومرجوعهم إليه. وكانوا يتخذون لعبة من لبد أبيض ويجعلونها في خرقة ولها خادم^(٤) يسمونه بخشي. وهو من نسل أولئك القوم الذين كانوا قد قدموا من أول زمان على ذلك الشخص الوحشي ألأب قرا أرسلان بلجكي، المقدم ذكره. وهذه اللعبة كانت ١٢ معبود أولئك القوم الذين هؤلاء التتار من عظمهم، القادمين التأهين حسبما سقناه. ويسمون هذه اللعبة تسكاخاتون، ولهم فيها أحاديث عجيبة تخامر العقول، فأضربت عن جميع ذلك فإنه كفر عظيم، نعوذ بالله منه، ومن تصديقه. ١٥

قال سليمان: فصنعوا ثلاث^(٥) قصع من ثريد، وصبروا إلى الليل، وقدموهم إلى اللعبة. ووقف البخشي يزمرم بلغتهم، والثلاث نفر على ركبهم جوك^(٦). فلما تهور

(١) في المتن: « وستون ».

(٢) الجرزة: الخزمة.

(٣) في المتن: « ثلث ».

(٤) في المتن: « خادما ».

(٥) في المتن: « ثلث ».

(٦) الجوك أو الجوق: الجماعة من الناس؛ انظر الجواليقي، المغرب من الكلام الأنجمي (س ١٤٢)، وذكر دوزي (Dozy: Supp. Dict. Ar.) أن الجوك عند التتار السجود لإظهار الطاعة والاحترام. ويقال ضربوا له الجوك أي أظهروا الطاعة والاحترام بالسجود.

- الليل ، سمعوا من داخل الخركاه هدة عظيمة ، ودويا عظيما ، وقعقة كأجنحة طائر عظيم ، وحس لم يمهّدوا بمثله قط قبل ذلك اليوم ، وقائل يقول بلسانهم ، ما هذا صفة تفسيره : « جكرخان صاحب الزمان ، وملك الأوان ، ومغرب البلدان ، وقاتل الشيوخ والولدان ، فكونوا له أعوان ، تكونوا في أمان » . وبرزت قصصته مأكولة بكالها إلى ناحية المشرق بكالها ، وتبقى منها جفب إلى ناحية المغرب لم يؤكل . قال : فعند ذلك نهض القوم بأسرهم وأجلسوا جكرخان ، وضربوا له جوك . فأمر عند ذلك أن يجتمعوا جميعهم من الرجال النافعة للحرب ، فكان عدتهم أربعة آلاف رجل^(١) كالأسود في قطع البخاق عظم خلق . غير أنهم لم يكن لهم ما يلبسونه ، ولا سلاح يقاتلون به ، ولا خيلا يركبونها ، إلا غدة ثلثمائة وستين فرس ، منهم ثمانين فرس من نسل أصل فرس كان لجدهم تقارخان بينغو ، صاحب الصبرغى . وكان لما يتردد إلى الجزائر التي في تلك البحيرة ، وجد في جزيرة من بعض تلك الجزائر المحاذية للجبل قراطاغ ، فرسا وحشياً ذيله تسحب على الأرض ، وعرفه يطل على ركبته ، وهو يضرب الأرض بحوافره ، فتقدح ناراً . فاحتال عليه أن صنع له حفيرة أوقمه فيها .
- ثم إنه أقام حولا كاملا يؤانسه ويطعمه ويسقيه حتى تأنس به . ثم أطلعه من تلك الحفيرة ، وأحضره إلى أهله . ثم أقام حولا ثانيا حتى ركبته . وكان هذا الفرس تسبق الريح ، وتلحق عليه ما شاء من أصناف الوحوش ، يقتل الأسود بحوافره ويديه ، لا يصعب عليه وعراً ولا جبلا . إذا جاع يحفر الأرض بحافره ويأكل أصول الأشجار .
- وإن لم يجد أكل الحصى ، روثه أشد من الصخر قوة وصلابة . وكان لا يطيق يركبه غير تقارخان بينغو صاحبه . وكان اسم هذا الفرس أطأطن ، أى فرس النار . فنسل عندهم في ذلك الوقت الذى تجمعوا فيه ثمانين فرسا عن بنى تقارخان بينغو يتوارثونه
- كبرا عن كابر . قال سليمان : وقيل إن هذا الفرس كان يكلم صاحبه ، ويفهم ما يأمر له به .

(١) في المتن : « أربع آلاف رجل » .

فلما اجتمعوا على كلمة واحدة ، ونظرهم جكرخان ، سُرَّ بهم . ثم إنه نفَّذ إلى صاحبه الحداد الذي كان يتردد إليه بمدينة أيدرماق رجلا من دهاة قومه ، وأمره أن يتجسس له أمور الملك ألطن خان ، وما قد عزم عليه . فغاب أياما ثم رجع ، فأخبره أن ٣ كُشَّ خان لما رجع ووصل إلى أبيه عرفه ما كان من ييشخان وإخراقه ناموس الملك ، فعظم على ألطن خان ، «وها هو ينفذ إليكم يلجيا - يعنى بريدًا - يطلبكم إليه فلا تسمعوا ، فإنكم إن أتيتم إليه لا يبقى على أحد منكم» . فلم يكن بعد ذلك إلا أيام قلائل ٦ وحضر إليهم يلجى فى سبع مائة فارس ، يأمر جكرخان وسائر بنيهِ وكبار عشيرته بالقدوم إلى باب الملك ألطن خان ، فأنزلهم وأكرمهم . فلما كان الليل نفَّذ لكل رجل رجلا من قومه ، فقتلوه عن بكرة أبيهم يد واحدة ، فكان هذا أول دم أراقته القتار ٩ فى الدنيا .

ثم أخذوا خيولهم وعددهم وسلاحهم ، وفرَّق جميع ذلك على أعيان قومه . ثم أنفَّذ ذلك الرجل الجاسوس إلى الحداد المقدم ذكره ، يكشف له ما يتجدد من أمور ١٢ ألطن خان ، فعاد وأخبره أن ألطن خان بانه ما فملتم بيلجيه ، وقد جهز إليكم خمسين ألف مدرع ، وأمرهم بأخذكم أشد أخذ . فعند ذلك جمع كبار قومه ، وعرفهم ذلك ، فقالوا : «كيف لنا بخمسين ألف لابس ، بخيول وسلاح وعدد ، ونحن كما ترانا؟» . فقال : ١٥ «لأبأس عليكم إذا نحن صافقناهم . فعند أول حملة أنهزموا وتسَلَّقوا فى جبلكم هذا . فأنتم تحبسون مسالكه ووعوره ، فإنهم لا يتبعونكم فيه ، لما فى أنفسهم منه ومن دغله وكثرة وحوشه . ثم إن نحن لم نكن على بالهم بشيء ، وهم أهل لذة وأكل ١٨ وشرب . وينظروا إلى هذا المكان وطينته ، وهذه الأرض وحسنها ، ولذة هوائها ، ونضارة زهرها . وهم أهل لذة ، ولا يفارقهم الخمر . فإنهم سينزلون بها لا محالة ، لقلة اكتراثهم بنا ، فيأكلون ويشربون ، ويمرحون إلى الليل ، فينامون سَكْرى ، ٢١ فحينئذ نزل عليهم ، فلا نبقى منهم باقية » . قال سليمان : فكان الأمر كما قدر ، ولا أخرج عليه فى حسابه القضاء والقدر ، فقتلوه عن آخرهم ، واستعانوا بخيولهم

- وسلاحهم وملابسهم ، وباتوا فقراء فأصبحوا أغنياء ، وعاد لكل نفر منهم جملة من الخيول والعدد وال السلاح . ثم اجتمع إليهم من كان بعيداً منهم ، ونازحاً^(١) عنهم ، ومن لم يكن قد وافقهم أولاً ، ومن فقير وكساب ومحتاج ، فأعرضهم جكز خان فعادوا في عشرين ألف فارس شديد ، كأنه قطعة من جبل بقلب أصلب من الحديد .
- فلما عاينهم جكز خان تعاضم سروره ، ونفذ إلى ذلك الحداد جملة من ما كسب من ذلك المسكر ، وهو يستخبره عن ما يتجدد عند الطن خان . فعاد إليه الجواب يخبره أن قد توجه إليهم كمش خان بنفسه ، ابن الطن خان ، في مائتي ألف عنان ، « وحلف بقراطاغ أنه لا يبقى من عظمكم أحداً^(٢) » ، لا من النساء ولا من الرجال . والمتوجهون إليكم أعظم الجيش ، فإنهم من عظم « أى أطام » الكبير . وقد تقرر أمرهم إذا هم أخذوكم أن يقطعوا رؤوسكم ، ويحماووها على عيدانهم ، ويدخلون المدن كذلك .
- ١٢ قال : فجمع جكز خان كبار قومه ، وعرفهم ذلك ، فقالوا : « فما تشير به علينا ؟ » فقال : « إن القوم لا يعلمون إن نحن قد عدنا في هذا المدد ، وظنهم أن نحن على ما كانوا يمهّدونه . والرأى أن نفرق عليهم أربع فرق ، كل خمسة آلاف يقدمهم كبير منهم . وتكون كل^(٣) فرقة في جهة من الجهات الأربع . وتقطع من هذه الأعواد ونفرسها في سفح هذا الجبل ، ونلبسها ما فضل عنا من هذه العدد كهيئة الرجال ، فما يشكون أنهم رجال . ثم نخرج عليهم الكمناء من أربع جهات ، فلن يتالكوا أن يولوا منهزمين ، فنضع فيهم السيف ، ونجتهد على أن لا يفلت منهم أحد ، ونلبس ما عليهم ، ونأخذ رؤوسهم على رماحنا ، ونسوق إلى مدنهم فيرونا ، فلم يشكوا إن نحن قومهم وقد ظفروا بنا . فيكون ذلك سبب الفتح والملك » .

(١) في المتن : « ونازح » .

(٢) في المتن : « أحد » .

(٣) في المتن : « وتكون كون فرقة » .

- قال سليمان : فكان الأمر كما ذكر ، ولا أخرم عليه الحساب دقة . ودخل مدينة أيدرماق في عدته ، وذبح ألطن خان على سريريه بيده ، وقتل سائر مَن كان من عظمه ، وأخرج قومه وحاشيته وجنده ، وجعلهم فلاحين^(١) في تلك القرى^(٢) ، يزرعون^٣ ويقومون بالخراج له . وجلس جكر خان على سرير الملك ، ولبس التاج ، وفرق بنيه في سائر أقطار الأرض .
- انتهى ما استنسخته من الكتاب التركي المسمى « أي أطايتكي » . ونحن نذيل^٦ عليه مما ذكره أرباب التواريخ ؛ مثل ابن الأثير صاحب التاريخ الكبير الجامع ، ومثل ابن واصل صاحب تاريخ بغداد ، وغيرها ، إن شاء الله تعالى .
- قال ابن واصل : إن أول إقليمٍ ملكوه التتار بلاد الصين ، ولم يقل للمدن أسماء .^٩ قال : وملكهم يومئذ جكر خان ، ولم يذكر له نسباً . ثم قال : ومشوا من الصين الأعلى^(٣) إلى الصين الثاني ، ثم مشوا إلى تركستان ، فحاصروا مدنها وملكوها وقتلوا كل من كان بها . ثم مشوا إلى كاشغر وبلاشغر ، وهاتين مدينتين عظيمتين^{١٢} أكبر أقاليم الصين ، فقتلوا كل من كان بها من الترك من بني يافث بن نوح عليه السلام ، ونهبوا أموالهم ، ونفذوا من جهتهم جماعة من أصحابهم في زى تجار يبيعون ما معهم من تلك الأموال المكتسبة ، ويشترى بها لهم قماش وسلاح^{١٥} من أطراف بلاد المعجم . وكان هؤلاء القوم لا يعرفون القماش ولا الملبوس ، ولا شيء من زينة الدنيا ، إلا أنهم شبه الوحوش النافرة في الأرض . ولا يعرفون غير جلود الوحش ، مثل القندس والسمور والفاقل ، وما أشبه ذلك . وكذلك جميع^{١٨} تلك الأمم الذين من وراء النهر خلف جيحون . قال صاحب التاريخ : فلما قدم أولئك الأقوام إلى بلدٍ يقال لها أتراب ، وهي آخر ولاية مملكة السلطان علاء الدين خوارزم شاه

(١) في المتن : « فلاحينا » .

(٢) في المتن : « القرى » .

(٣) في المتن : « الأعلا » .

- من جانب المشرق من الأرض . وكان بها نائب^(١) للسلطان علاء الدين ، فعوقبهم عنده ، وسير إلى السلطان يقول : « إن قوماً قدموا علينا لا نعرفهم قبل ذلك ، ومعهم أموالاً جمة ، من أصناف كيت وكيت ، يقصدون بيعه ومشتري قماش وسلاح^(٢) . فما ترسم في أمرهم ؟ » . فكتب إليه السلطان يقول : « إذا أتاك كتابي فاضرب رقابهم ، ولا تبق منهم غير رجل واحد ، ليعود يخبر قومه . وخذ جميع ما معهم ونفذه إلينا ، لينتهوا عن التجاسر والعبور إلى البلاد » . ففعل ذلك ، وعاد ذلك الرجل الذي تبق منهم إلى جكز خان ، وقد كسر الخطأ أيضاً وأخذ بلادهم . وكان بين بلاد الخطا وبين بلاد الإسلام سداً ، فلما ملكت التتار بلاد الخطا قوى أمرهم ، وعادوا ينفرون على أطراف ممالك السلطان علاء الدين . فلما وصل ذلك الرجل إلى جكز خان وأخبره بما جرى^(٣) على رفقته ، أرسل جكز خان جواسيساً من عنده ، لينظروا مملكة السلطان علاء الدين خوارزم شاه وتقدير جيشه . وكذلك السلطان علاء الدين نفذ عيوناً ، تكشف له أخبار هؤلاء القوم . فعادوا جواسيس جكز خان إليه ، وعرفوه أن عساكره متفرقة ، وإذا اجتمعوا يبلغون أربع مائة ألف . وعادوا عيون السلطان علاء الدين إليه وخبروه أن هؤلاء القوم خلق عظيمة^(٤) ، لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ، وأنهم من أصبر الناس على الشقاء والجوع والبلاء ، وأن « نحن لم نر^(٥) حالاً أزرى من حالهم ، ولا أجوع من أنفسهم . وهم مع ذلك إذا قيل لهم أمر^(٦) وقفوا عنده ، وهم راضين بما هم فيه » . فعند ذلك ندم السلطان علاء الدين على قتل تجارهم ، ووقع في فكرة عظيمة .

قال ابن الأثير في تاريخه : كان سبب خروج التتار ودخولهم بلاد الإسلام غير هذا ، مما لم يكن يُودع بطون الأوراق .

(١) في المتن : « نائباً » .

(٢) في المتن : « ومشتري قماشاً وسلاحاً » .

(٣) في المتن : « جرا » .

(٤) كذا في المتن .

(٥) في المتن : « نرا » .

(٦) في المتن : « أمراً » .

واستشهد بقول ابن المعتز :

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً^(١) ولا تسأل عن الخبر

وسبب تلويح ابن الأثير أن الخليفة الإمام الناصر أمير المؤمنين كان السبب في دخول التتار البلاد لمكاتبته إياهم وتهوين الأمور عليهم ، حسبما سقناه قبل ذلك ، والله أعلم .

ذكر ماجرى^(٢) بين الملكين السلطان علاء الدين

خوارزم شاه وجكزخان

وذلك أن السلطان علاء الدين لما اشتغل فسكره بهؤلاء القوم وعلم أنهم يتصدونه ولا ينامون عنه ، استشار الشيخ شهاب الدين [الخيوق]^(٣) وكان إماماً عالماً ، فقال الشيخ : « الرأي أن تجمع العساكر ، وتقصدهم قبل قصدهم إليك . ويكون نزولك على جانب النهر جيحون ، فإنهم يأتون من بلاد بعيدة ، تعاب ، فتلقاهم وأنت مستريح . » فجمع خوارزم شاه خواصه وملوكه ، واستشارهم ، فلم يوافقوا على ذلك ، وصغروا أمرهم ، وقالوا : « الرأي أن نقيم حتى يُعدى العدو ونأخذه في هذه الجبال . » فبينما هم كذلك ، إذ قدم عليهم رسول من جهة جكزخان ، ومعه جماعة يقولون للسلطان خوارزم شاه : « يقول لك الملك نائب رب السماء جكزخان : تقتل تجارنا وتأخذ أموالنا بغير حق لك . اعتد للبلاء ، واشتد للحرب . » فلما سمع خوارزم شاه مقاتلتهم عظم عليه ، وأمر بضرب رقابهم فضرب رقاب جماعة منهم ،

(١) في المتن : « فظن شراً » ، والصيغة المثبتة من الكامل لابن الأثير (حوادث سنة ٦١٧ هـ) .

(٢) في المتن : « جرا » .

(٣) ما بين حاصرتين لإضافة من مفرج الكروب لابن واصل (حوادث سنة ٦١٧ هـ) .

والخيوق نسبة إلى خيوق ، بلد وحصن من نواحي خوارزم ، وأهل خوارزم يقولون « خيوه » ، وأهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم فهم حنفية (ياقوت ، معجم البلدان) .

- وحلق لحي^(١) بقيتهم ، وجدع أنافهم وأذانهم ، وجرسهم ، ورءوس القتلى^(٢) في أعناقهم . وطاف بهم في سائر ممالكه . ثم ردهم إلى جكرخان ، ثم جمع جيوشه وسار ستة أشهر إلى أن وصل إلى بيوت التتار ، فلم يجدهم بها ، فوجد النساء والأطفال والصبيان ، فأوقع بهم وسباهم ، ورجع . وكان سبب غيبة التتار عن بيوتهم أنهم قصدوا ملكا من ملوك الترك ، يقال له كشاوخان ، فكسروه وغنموا أمواله ، ثم عادوا إلى بيوتهم . فوصل إليهم الخبر بما جرى^(٣) عليهم من خوارزم شاه ، فاحقوه قبل خروجه من أرضهم ، وتصافف العسكريان ، واقتتلوا قتالاً لم يمهده مثله منذ أول زمان ، وإلى ذلك التاريخ . وأقام السيف يعمل ثلاثة أيام بلياليها ، ليلاً ونهاراً ، إلى أن قتل من الفريقين ما لا يعلمه إلا الله عز وجل . وكأوا^(٤) الطائفتين من القتال ، وعدم صبرهم من الجوع والعطش والتعب ، ووقفت خيولهم من الجولان . والذي اتفقت عليه أرباب التاريخ ، أن هذه الواقعة لم يحضرها جكرخان ، بل كان المقدم ولده بيشخان . فلما كانت^(٥) الليلة الرابعة ، افترقت كل طائفة عن الأخرى ، ونزل كل ملكٍ مقابل الآخر . فلما أظلم الليل ، أوقدت التتار نيرانهم ، وتركوها ، وساروا طالبين ديارهم . وكذلك فعل المسلمون^(٦) أيضاً ، لأن كل طائفة من الفريقين عجزت عن الأخرى . ثم عاد التتار وقد عدم منهم خلق^(٧) لا يحصى عددهم إلا الله تعالى . والذي قتل من المسلمين - ما أجمعوا عليه أرباب التاريخ - مائة ألف وعشرين ألف . ورجع خوارزم شاه إلى بخارا ، وبلغه أن جكرخان لم يكن حاضراً هذه الواقعة مع كبار منله ، فتحقق أنه لا له قبل بهم ، فاعتد للحصار لما علم من عجزه عنهم . وجمع الذخائر في القلاع الحصينة ، وجعل في بخارا ثلاثين ألف مقاتل ، وفي سمرقند خمسين ألفاً ،

(١) في المتن : « لحا » .

(٢) في المتن : « القتلا » .

(٣) في المتن : « جرا » .

(٤) كذا في المتن .

(٥) في المتن : « كان » .

(٦) في المتن : « فعلوا المسلمين » .

(٧) في المتن : « خلقا » .

وقال : « احفظوا^(١) البلاد إلى حين عودتي إليكم » . ثم سار طالباً خراسان . هذا ما ذكره ابن الأثير في تاريخه ، رحمه الله تعالى .

وأما ما ذكره ابن واصل صاحب تاريخ بنسداد - رحمه الله - فإنه قال : ٣
إن عسكر السلطان علاء الدين خوارزم شاه كان فيه الكفاية للتتار وزيادة عنه ، وإنما كان فيه جماعة من الملوك نخامرين عليه ، يخاف على نفسه منهم لا يسلمونه للتتار ولا يناصرونه في الحرب ، ففعل ذلك ، والله أعلم . ٦

ذكر دخول التتار بلاد الإسلام

قال ابن واصل في تاريخه : ثم إن التتار تجمعوا مع ملكهم جكزخان ، وقطعوا نهر سيحون بجمعهم وأثقالهم وحريرهم ، من غير اكتراث ولا وجل . ووصلوا ٩
مدينة بخارا بعد خمسة عشر شهراً من هذه الوقعة ، وحاصروها ثلاثة أيام ، فلم يكن للعسكر الذى ببخارا بالتتار طاقة ولا قبل ، فخرجوا من البلد ليلاً ، وهربوا إلى نحو خراسان . وأصبح أهل البلد وليس عندهم أحد من المقاتلة ، فضعفت نفوسهم . وخرج ١٢
القاضى ببخارا يطلب الأمان من التتار ، فأعطوهم الأمان ، وكان كذباً منه ولمنة . وكان قد بقى فى البلد بقية من العسكر ، فاعتصموا بالقلعة ، ودخل التتار البلد يوم الثلاثاء رابع شهر ذى الحجة سنة سبع عشرة وستمائة . ونادى جكزخان بالأمان ، ١٥
وأظهر العدل حتى اختاروه الناس على السلطان علاء الدين . ثم قال : « نحن قد آمنّاكم فأخرجوا لنا أموال عدونا السلطان خوارزم شاه وذخائره ، وساعدونا على قتال هذا الباغى والذين فى القلعة » . ثم دخل الملك جكزخان بنفسه البلد ، ونادى : « من تخلى^(٢) ١٨
عن مساعدتنا على هذه القلعة قتل ، ولا له أمان عندنا » . فاجتمع أهل بخارا بكاملهم بين يديه ، فأمرهم بدم الخنسدق ، فردموه بالخشب والتراب ، حتى كسروا أخشاب

(١) فى المتن : « احفظوا » .

(٢) فى المتن : « تخلا » .

- النار وسقوف المساجد . وطموا الخندق ، حتى بالكتب النفيسة والختات الشريفة
والربعات المعظمة . فلما طموه ، أمر بالزحف عليهم . وكان بالقلعة أربع مائة مقاتل ،
٣ فصبروا على القتال صبر الكرام اثنا عشر يوماً . ثم تقبوا سور القلعة وملكوها ،
وقتلوا جميع من كان بها من الجند وغيرهم . ثم أمر جكزخان بإحضار وجوه البلد
وأعيانها ، وطلبهم بالأموال من الذهب والفضة الذين يتبايعون بها بسكة السلطان
٦ خوارزم شاه ، وقال : « لنضربها باسمنا ونعيدها إليكم . وأى من أخفى شيئاً منها
قتل » ، فأحضروا له جميع ذلك . فلما صفى أموالهم ، أمرهم أن يخرجوا من البلد
مجردين من جميع أموالهم وقائمهم وأثاثهم . ثم دخل التتار البلد ، ووضعوا السيف ،
٩ وسبوا النساء ، وقتلوا الولد على صدر أبيه وأمه ، وفعلوا من المصائب ما تقشعر لسماعه
الأبدان . ثم أطلقوا في البلد النار فأحرقوه . ثم توجهوا إلى سمرقند ومعهم خلق
عظيم من أهل بخارا ، يمشون حفاة عراة . ومن عجز منهم عن المشى قتلوه . فأحاطوا
١٢ بسمرقند ، وكان فيها خمسون ألف فارس ، ومن العامة عالم لا يحصى عددهم إلا الذى
خلقهم . فخرجوا^(١) العامة على التتار وقاتلوهم . وأما الجند فلم يخرج إليهم منهم أحد ،
وذلك لما علموا بمجزمهم عنهم . فلما خرجت العامة تأخروا التتار وانهزموا قدامهم ،
١٥ فطمعت فيهم العامة وتبعوهم مدة يومٍ كاملٍ ، حتى بعدوا عن المدينة ، ثم رجعوا
عليهم ، فقتلوا الجميع ، فعند ذلك ضعفت نفوس من بقي في البلد . وأما الجند فإنهم
طلبوا الأمان لأنفسهم ؛ وذلك أنهم كانوا أتراك فظنوا أن التتار ترق لهم لأجل
الجنسية ، فأعطوهم الأمان . فخرج الجند من البلد بأموالهم وأثقالهم وأهاليهم ، فقالوا^(٢)
التتار لهم : « أعطونا سيوفكم فإنكم في ذمامنا ، ولا حاجة لكم بسلاح ، ونحن
محتاجون إلى ذلك » ، فأعطوهم جميع سلاحهم . ثم داروا بهم فقتلوهم عن آخرهم .
٢١ وفى اليوم الرابع داروا بالبلد ، وفعلوا به كما فعلوا ببخارا ، وأحرقوها . وذلك
في شهر المحرم سنة تسع عشرة وستمائة .

ذكر سنة تسع عشرة وستمائة

الغيل المبارك في هذه السنة

- الماء القديم ثلاثة أذرع وسبعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً ٣
وسبعة أصابع .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين .
وفي شهر صفر منها خطب لولى العهد، عدة الدنيا والدين، أبى نصر محمد بن الإمام
الناصر لدين الله .
- ٩ وفي شهر ربيع الأول دخل الملك المسعود صاحب أقيس ابن السلطان الملك
الكامل إلى مكة - شرفها الله تعالى - سلطاناً مستقلاً . وهو أول من ملكها من
الأتراك^(١) . وهرب حسن بن قتادة صاحبها ، ونزل عند أخواله عنزة .
- ١٢ وفيها وصل الملك الأشرف موسى إلى القاهرة المحروسة وأمر بهارة تربة والدته ،
المعروفة بتربة أم الأشرف .
- وفيها كانت الواقعة بين الفرنج والسلطان الملك الكامل ، وقتل من الفرنج عشرة
آلاف فارس .
- ١٥ وأما السلطان علاء الدين والتتار ، فإنه مُتَّحِدٌ عنهم ، يضرب في الأرض عن
مائة قسائمهم يمينا وشمالا . ثم إن جكزخان لما ملك سمرقند - حسبما ذكرناه - جرد من
كبار المُغَلَّ عشرين^(٢) ألف فارس ، وقال لهم : « تأتونى بالسلطان علاء الدين حيث كان
وأين كان » . قال صاحب التاريخ : أجمعت الرواة أن هؤلاء العشرين ألف الذين سيرهم
(١) المعروف أن الملك المسعود عاد بعد ذلك إلى زييد بعد أن استعمل على مكة الأمير نور
الدين عمر بن على بن رسول . انظر (يحيى بن الحسين ، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ، ص ٦١٩
تحقيق سعيد عاشور) .
- (٢) في المتن : « ثمانين عشرين ألف » ، ويبدو أن « ثمانين » مشطوبة حيث يظهر ذلك
من بقية العبارة .

جكرخان هم أكبر جيوش التتار بيوتاً فيهم ، ويسمون المُغزبة لكونهم ساروا إلى
 غربي خراسان ، وهم بيت هلاوون . وأنهم ساروا يقصدون مكاناً يسمى بفجازآب^(١)
 ٣ وهو مفرق خمس مياه . وكان السلطان علاء الدين قد نزل خلف ذلك الماء ، معتصماً
 من التتار . فلما وصل التتار إلى ذلك النهر لم يجدوا^(٢) ما يعدون به ولا من يخبرهم
 بأمره ، ويقال إنه نهر جيحون . فصنعوا من الخشب شبه الأحواض ، وجعلوا
 ٦ أسلحتهم فيها ، مع سائر عددهم . ثم ألقوا الخيل في البحر ، وتعلقوا بأذيالها مع
 أطراف تلك الأحواض ، وقطعوا ذلك النهر جميعهم في دفعة واحدة . ثم لبسوا
 سلاحهم وركبوا خيولهم . ولم يشعر بهم السلطان علاء الدين إلا وهم معه على الأرض ،
 ٩ فولى هارباً ، وتفرق جيشه ، ولم يابو الأخ على أخيه ، ولا الوالد على ولده . ثم تفرقت
 كل فرقة من جيشه إلى جهة من الجهات . وتوجه السلطان علاء الدين إلى مدينة
 سابور . واجتمع إليه بها العساكر ، فلم يشعر إلا بأوائل التتار وقد طلعوا عليه ،
 ١٢ فانهزم منهم إلى مدينة مازندران^(٣) ، فقصدوه أيضاً بها . وعاد كلما قصد مكاناً تبعوه ،
 حتى وصل إلى الرى ، وهى من عراق العجم ، ثم منها إلى همدان ، والتتار خلفه .
 ثم عاد إلى مدينة مازندران ، ثم قصد مخاضة على بحر طبرستان في مكان يسمى باب
 ١٥ سكون ، فنزل في سفينة ، ومضى إلى قلعة له في البحر لاترام ولا تدرك ، فاعتصم بها
 خيفة من التتار ، فأدركته المنية ، فمات بها ، رحمه الله .

وكان السلطان علاء الدين ملكاً جليلاً ، عظيم القدر ، كثير الفضل ، يحب
 ١٨ العلماء والفضلاء ، ويسمع المديح ويحيز عليه الجوائز السنية . وكانت سعة ملكه من العراق
 إلى بلاد تركستان إلى بلاد البرلى ، مضافاً إلى ملك غزنة ، مع بعض بلاد الهند ، مع
 سجستان وكرمان وطبرستان . وكان تدبير سعة ذلك سبع أشهر طول في ستة عرض .
 ٢١ فخرج عن جميع ذلك ، خوفاً من التتار ، وزال ملكه فسبحان من لا يزول ملكه .

(١) في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (حوادث سنة ٦١٧ هـ) وكذلك في مفرج
 الكروبلابن واصل : « بنج آب ومعناه خفة مياه » .

(٢) في المتن : « يجدون » .

(٣) ذكر ياقوت أن مازندران اسم لولاية طبرستان .

- وكان متخلفاً بأخلاق أسلافه الملوك السلجوقية ، فإنهم كانوا ملوكاً عظيمي
 القدر، فضلاء ، أدباء ، علماء ، كرماء . ومن طريف ما يُحكى عن السلطان ملك شاه
 المقدم ذكره من كتاب « جنى ^(١) النحل في أخبار ملوك العجم » . قال محمد بن ٣
 عبد الرحيم البلخي : قرأت في كتاب يسمى « مطالع الشروق في آثار بني سلجوق »
 أن كان لملك شاه خازناً جمع له في مدة سنين عدة أربعين خزانة ، فيها من كل صنف
 عجيب ما لم يجتمع لملك قبله . وجعل ذلك الخازن كل خزانة صنف لا يشبهه الآخر ، ٦
 من جميع أنواع الجواهر ، والفصوص ، والأواني الذهب والفضة ، والأموال الجليلة ،
 والقماش المتع الثمن الملوكي . وقصد الخازن بذلك أن السلطان ملك شاه إذا رأى ذلك
 وما اجتمع له من هذه الأموال العظيمة أن يعرف له حقه في أمانيه واجتهاده . ٩
 فلما كمل له ما أحب ، زين تلك الخزائن بأحسن زينة ، وجهاز ألف ثوب أطلس قرمزي ،
 ليدها فرشاً تحت أقدام الملك عند دخوله إلى تلك الخزائن . ثم تقدم إلى بين يدي
 السلطان ملسكشاه ، وقبل الأرض ، وقال : « الملوک يسأل مراحم السلطان ، تنقل ١٢
 خطواته السكرية إلى خزائنه المعمورة بدوام عزه ، لينظر ما قد تحصل فيها من الأصناف
 العجيبة ، التي لم تجتمع لملك قط . وقد جهز الملوک ألف ثوب أطلس قرمزي لتفرش
 تحت أقدام مولانا السلطان ، عند طوافه في خزائنه » . قال : فأفكر السلطان طويلاً ١٥
 وقال : « صف لي بلسانك ما تصل قدرتك إلى وصف ما تحصل من جليل ذلك » .
 قال : فوصف له الخازن من الأموال والأصناف والأمتعة ما لا ينحصر كثرة .
 وقال : « يا مولانا هذا الذي وصفه الملوک بعض بعض ما يراه مولانا السلطان . ١٨
 فإن قدرتي تعجز عن وصف جملة » . قال : فأفكر أيضاً طويلاً وقال : « أما ما قصدته
 من اطلاعي على مناصحتك وخدمتك واجتهادك فقد علم ذلك منك وتحققناه ،
 وقد شكرنا اهتمامك . وأما توجهي إلى أن أنظر إلى متاع الدنيا وزخارفها فلا أفعل ذلك ، ٢١

(١) في المتن : « جنا » .

- ثلاثا يقال عني بين الملوك أني مشيت لأنظر بعض نعم الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى .
- وإنما اطلب الزعماء من جيوشنا ، وسلم عليهم من جهتنا ، وافرش تحت أقدامهم ما اعتديته لنا^(١) من أن تفرشه تحت أقدامنا . وأوقفهم على جميع ما عندك من جميع ما في هذه الخزائن . وقل لهم : الملك يسلم عليكم ، ويقول^(٢) لكم انظروا ما اجتمع في هذه الخزائن من الأموال التي تحصلت بمضارب سيوفكم . وجميعه فهو لكم . وإنما الملك فيه كأحدكم فليأخذ من شاء ما شاء . ولا تمنعهم شيء يأخذوه ، ولو فرغوا الخزائن بكملها .
- قال : نخرج الخازن وجمع الزعماء وأتى^(٣) بهم إلى الخزائن ، وفعل ما أمره به السلطان ، وأدأهم رسالته إليهم - وكانوا ستمائة زعيم . قال : فلما فرغ الخازن من قوله ، استقبلوا القبلة ، وسجدوا ، وقالوا : « هذا شكر الله عز وجل على ما خولنا من نعمه في أيام مولانا السلطان ملك الإسلام » . ثم استقبلوا مكان سرير الملك وقبلوا الأرض ، وقالوا : « وهذه لإنعام السلطان علينا ، وبره بنا ، وحسن ظنه وبقائه فينا » .
- ثم ولوا خارجين . ولم ياتمس أحد منهم شيئا ، قل ولا جل ، وقالوا : « عرف مولانا السلطان أن نحن رعيته ، وعبيد سلطانه ، وأن نحن نعلم من شفقتة علينا ، وبره وكرمه ، أضعاف ما ذكره ، وما رسم به . وهذا المال فهو لنا . وإذا احتجنا إليه سألنا مراحمه فيه . وأحق ما كان مدخر لنا عنده وفي خزائنه . وعندنا من إنعامه وصدقته ما يكفيننا ويزيد . وإن رسم حملناه إلى هذه الخزائن ليكون مضافا لما هو مدخر لنا » . قال محمد بن عبد الرحيم : فوالله ما أدرى أيهم أكرم طباعا ولا أغزر مروءة ، السلطان في سماحة نفسه بتلك الأموال الجمة التي لم يسمح بها ملك قط ، أم الزعماء وشرف أنفسهم الأبيسة .
- فلله درهم ، من ملك جواد ، وزعماء أجواد .

قال محمد بن عبد الرحيم البلخي : ولما طالعت هذه الحكاية ، عادت في نفسي ، وقد ر الله تعالى أن الملك المادل نور الدين محمود بن أتابك زنكي - صاحب الشام - أنفذني

(١) كذا في المتن .

(٢) في المتن : « ويقل » .

(٣) في المتن : « وأنا » .

رسولا إلى ملك الروم كيكائوس بن السلطان الثالب بن مسمود بن قليج أرسلان
ابن طغرل بك بن ملكشاه السلجوقي، فاجتمعت به في ملطية . وكان ملكا فاضلاً،
عالماً ، سخيّاً ، من نسل هؤلاء الملوك السادة المذكورين . وله معرفة بأشعار العرب ، ٣
وعلم المنطق ، والجدل ، قال : فلما حضرت بين يديه ، رأيته حسن الحديث
والمنادمة . وحسّنى الله في عينه ، فأحضرنى ذات يوم في مجلس الشراب والمنادمة ،
فأخذ البرواناه الذى قدماه يصف علوهمة السلطان وكرمه . ثم ذكر ماله من البلاد ، ٦
وما عنده من الأموال والخزائن ، وما ورث من آبائه وجدوده ملوك السلجوقية .
قال : فذكرت تلك الحكاية المفقولة عن جده ملكشاه ، فقلت في نفسى هذا وقتها ،
فأحكيتها ، وزمكتها ، ولطفتها . قال : فوالله لقد رأيت الملك كيكائوس وقد أخذته ٩
الأريحية لها ، وبان فيه السرور ، وطرب حتى رأيته خرج عن فرشه الى نحوى ،
وهو لا يحس بنفسه لإعجابه بهذه الحكاية ، ثم تراجع إلى رتبته . وكان بين يديه طبق
من ذهب فيه تماثيل من ذهب مرصعة ، وتماثيل من عنبر ، ومن أنواع الطيب . ١٢
قال : فأشار إلى الساقى ، فوضع ذلك بين يدى ، ولم أعلم لأى شئ وضعه بين يدى .
فما تسكمت ، فقام أمير مجلس وغمزنى ، فأثبته ، فقال : « لم خدمت الملك وقت بواجب
إنعامه عليك » . قال : فعلمت أنه أنعم علىّ بذلك ، فرجعت وقبلت الأرض بين يديه . ١٥
ثم قبلت يده . قال : فتبسم وأنشد :

نحن قوم تجرى السلاطين منا فى المطايا على النجار القديم
لم تجد عندنا غير أريحى أو شجاع أو عالم أو كريم ١٨
فهم آل سلجوق منتهى التبج يل فى العالمين والتعظيم

ثم قال : « انظر إلى تلك الصورة » . قال محمد : فنظرت إلى صورة فى صدر ذلك
المجلس عن بُعد ، وهى صورة سلطان جالس على رأسه تاج مرصع بالجواهر . قال : ٢١
« يا محمد ! هذه صورتى ، وقد جرت العادة منا كل سلطان يقوم تصوّر صورته فى هذا
المكان . وكان أبى قد جعلنى ولّى عهده ، فصوّر صورتي فى حياته لمحبته لى » . ثم أمر

- بشيء فأحضرت مرأة مصقولة ، وبجحر تحتها ببخور لا أعرفه ، وهي معلقة . وأطفاً تلك الشموع . فلما طلع ذلك البخور ، عادت تلك المرأة تشرق كالشمس المضيئة ، وعاد لها شعاعاً يخطف بالأبصار ، ولم تزل كذلك مادام البخور تحتها . ثم قال : « أحضروا الكوز » . فأحضر كوز لا أعلم ما طينته ، فجعل يصب فيه الماء ، فيعود في تلك الساعة خمرًا من أطيب خمر يكون وأعطره . فقال : « هؤلاء من ذخائر جدنا ميكائيل ابن سلجوق » . قال محمد بن عبد الرحيم : فعملني الشراب أن قلت : « أعز الله السلطان ؛ بلغ الملوكة أن سلجوق منتسب إلى ملوك آل ساسان ملوك الفرس » . فقال : « من أين لك هذا النقل ؟ » قلت : « سمعت الملك العادل نور الدين يذكر ذلك » . فتبسم وقال : « صدق السلطان نور الدين ، سلجوق يعد سبع جدد إلى يزدجرد بن شهريار آخر ملوك آل ساسان ، وذلك أن لما خرج يزدجرد من إقليم المعجم خرج معه حزداد بن جرهر أخو رستم صاحب القادسية . وحزداد كان من أكبر مرازمة يزدجرد ، فلزال به حتى سلمه لماهويه ، مرزبان مرو ، وكتب عليه سجنًا بتسليمه إياه . ثم أن ماهويه مائل على قتل يزدجرد مع ملك الهياطلة ، فقتل يزدجرد . وكان له ولد يسمى بهرام أفيند ، دون البلوغ في ذلك الوقت ، فتخفي عند دادة له شقيقة عليه . وملكت^(١) المسلمون البلاد منهم ، وعادت^(٢) أولاد ماهويه يعرفون بمر و تلك النواحي « خدا كسان » ؛ معنى ذلك « خانوا عهد الله » . ثم إن بهرام أفيند نسكر نفسه من الملك ، طلباً للحياة ، وعاش بمدينة مرو ، فولد له ولد^(٣) فسماه فيروز . ثم ولد لفيروز ولد فسماه تكان . ثم ولد لتكان ولد فسماه كيكاسوس . ثم ولد لكيكاسوس ولد فسماه كينغ . ثم ولد لكينغ ولد فسماه أرق . فأبيع أرق لحسين بن طاهر بنجراسان ، أباعوه قوم من الخوارج في أيام المهدي في حديث طويل . فعاد أرق عند حسين بن طاهر كأحد بنيهِ لما عرفه أصله . وكان حسين بن طاهر غلام لشخص يقال له تكان بن ميسور ابن حنشرة . وحنشرة كان غلاماً لحزداد بن جرهرز المقدم ذكره أنه أخو رستم صاحب

(١-٢) كذا في المتن .

(٣) في المتن : « ولداً » .

- القادسية الذي كان خرج مع يزيد جرد من المعجم . ثم إن أرق تزوج إلى قوم تركان أصحاب خراكي وبر ، فولد له سلجوق جدنا . فلما كان من السامانية ما كان - وهم غلمان عبد الله ابن طاهر بن الحسين بن طاهر - كان سلجوق في معسكرهم وعديدهم ، فعرف بهم . فانظر ٣
- يا محمد إلى صنع الله تعالى ، كيف أعاد ابن ملك القوم حتى عُرف بغلمانيه غلمان ابن ابن ابن غلام مرزبان من مرازية جده يزيد جرد ، ثم أعاد الله بمنه وجوده إلى آل سلجوق وبنيه ممالك جدودهم آل ساسان على أحسن دين وأجبه إليه . ٦
- قال محمد بن عبد الرحيم : فلم أسمع أطرف ولا أغرب من هذا الحديث . فلما رجعت إلى الملك العادل نور الدين - رحمه الله - حدثته بهذا الحديث ، وقدمت إليه ذلك الطبق ، فقال : « هو لك بارك الله لك فيه » . فقلت : « يا مولانا إنه لا يصلح أن يكون عند مثلي ، وإنما يصلح ٩ أن يكون في ذخائر السلطان » . قال : فأمر لي بعشرة آلاف دينار وأخلع عليّ ، ثم قال لي : « يا محمد ، والله لمأتاك لي بتحقيق نسبة بنى سلجوق أحب إلي من كل شيء ، فإن أبي أنابك زمني - رحمه الله - كان مملوك البرسلان أبوشجاع عضد الدولة السلجوقي . وكان ١٢ يقول إن بنى سلجوق من عظم آل ساسان ، ولا كنت أعرف كيف ذلك » .
- قلت : وهذه الحكاية جرى لها نظير ، وهي من غريب ما يسمع . وذلك أن لما كان في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة تجاريت مع الشيخ صدر الدين بن المرحل المعروف بابن الوكيل ١٥ - رحمه الله - في أصول الناس ، وإلى ما يصيروا إليه ، فأحكيت له هذه الحكاية ، فتمعجب لها غاية العجب ، وقال : « لا إله إلا الله ! هذه والله نظير حكاية الأمير عز الدين أيبك المعظمي صاحب صرخد جدك . تعرفها ؟ » . قلت : « لا والله » . قال : ١٨ « وقفت على كتاب من خزانته يسمى « الوسائل إلى دقيق المسائل » أجد فيه بخط يده يقول ممّا عني بجمعه العبد الفقير إلى الله أيبك المعظمي ، وهو ميكائيل بن بهرام ابن مودود بن محمود بن داود أبو شجاع البرسلان السلجوقي » . فتمعجت من ذلك ، ٢١ فاجتمعت بجمال الدين بن مصعب - رحمه الله - في دمشق ، فحدثته عن ذلك ، فقال : « صدق ، هو والله من بنى سلجوق ، وأباعوه الخوارزمية للملك المعظم » . وهكذا أحكى لوالدي

- رحمه الله . يقول ابن مصعب: والشيخ يحدثني وهو كالثائب ، فقلت : « أراك في فكرة بتقصد تصنف شيء في هذا » . فقال : « لا والله إلا مفكر في صنع الله عز وجل . إن الذي جرى لسلاجوق جرى ^(١) لأبيك ، لا يختل دقة » . قلت : « كيف ؟ » . قال : « لأن سلاجوق يعد سبع جدود حتى يلتحق بيزدجرد آخر ملوك آل ساسان ، وأبيك يعد سبع جدود حتى يلتحق بسلاجوق ، وهذا عاد مملوك غلمان جدوده وهذا عاد مملوك لغلمان جدوده . فأبيك يعد إلى يزدجرد أربع عشر جد ، فافهم مني نسبك » . فقلت : « يامولانا لله درّ الحريري في قوله : المرء بنسبه لا بنسبه ، والفحص عن مكسبه لا عن حسبه » . ففهمت منه - رحمه الله - ما لم أكن علمته قبل ذلك الوقت .
- وقد خرج بنا الكلام وشجونه عن شرط الاختصار ، وأنا أقول ، أستغفر الله من ذلك .

- ولما يئس ^(٢) التتار من السلطان علاء الدين قصدوا مدينة مازندران ، فملكوها مع صعوبة مسالكها وحصاراتها . وكان المسلمون ما ملكوها في أول زمان ، وقنعوا من أهلها بأدنى الأشياء من الخراج . ولا زالت كذلك إلى أيام سليمان بن عبد الملك ابن مروان الأموي ، فرغبوا أهلها في الإسلام اختياراً لا اضطراراً ، ودخلوا تحت الطاعة . وهؤلاء التتار ملكوها في أقرب الأوقات وأيسر الأمور ، وقتلوا جميع من كان بها على عادتهم الشنيعة . ثم توجهوا إلى الري ، فوقعوا في طريقهم بالملكة عصمة الدين خاتون والدة السلطان علاء الدين خوارزم شاه ، وكانت قاصدة أصبهان وهذان إلى ولدها ، لما بلغها ماجرى ^(٣) عليه ، فأخذوها ، وأخذوا جميع ما كان معها - وكان ملكاً عظيماً - وسيروها بجميع ذلك إلى جكرخان وهو نازل بسمرقند .
- ولما وصل التتار إلى الري أنضاف معهم من العساكر والمفسدين والكفار والأكراد خلق كثير ، فملكوا الري ، وفعلوا فيها أقبح مما فعلوه في غيرها . ثم ساروا

(١) في المتن : « جرا » .

(٢) في المتن : « ولا يأسوا » .

(٣) في المتن : « جرا » .

- مسرعين إلى همدان ، فلما قاربوها خرج إليهم كبراؤها بالدواب والحيل والأموال ، حتى ملأوا عيونهم وطلبوا الأمان ، فتركوا بها شحنةً من جبهتهم ، وساروا عنها إلى أذربيجان ، فلكوها ، وقتلوا كل من كان بها ، ثم قزوين ، فاعتصم أهلها بالمدينة ، ٣ فحاصروها وملكوها ، وقتلوا كل من كان بها ، وكذلك زنجان . ثم ساروا إلى موقان ، وإلى مدينة مرو ، واقتتلوا في طريقهم مع السكرج وكسروهم .
- وفيهما ستر صاحب أذربيجان - وهو أذربك بن البهلوان السلجوقي - إلى الملك ٦ الأشرف موسى يستعجده على القتار ، فتكاتبوا^(١) الملوك الإسلامية ، واتفقوا أن إذا خرج الشتاء ركبوا الجميع ولاقوا التتار ، وظنوا أن التتار لا يدخلوا إليهم في تلك السنة .
- وأما التتار فإنهم ساروا في أول الربيع إلى بلاد السكرج ، وانضاف معهم مملوك ٩ لصاحب أذربيجان يسمى أقوش ، وجمع معه خاقاً من المفسدين ، من الجبال ، تركان وأكراد وجبلية ، وغيرهم من الطوائف العديدي^(٢) الدين . وسار بهم أمام التتار حتى وصلوا أذربيجان ، فلكوا حصناً من حصونها ، وفتحوا أكثر بلادها . وساروا ١٢ مجدين إلى تفليس ، فخرجت جميع السكرج مجدين معدين ، والتقوا عسكر أقوش ، واقتتلوا قتالاً عظيماً ، قتل بين الفريقين خلق عظيم . كل هذا وعسكر التتار ما وصل إليهم .
- فلما وصلت التتار ، كانت السكرج قد تعبت . فلما أردفت التتار لعسكر أقوش ١٥ ولي^(٣) السكرج منهنزمين ، وركبت التتار أفتيهم قتلاً وأسراً . وكان ذلك في ذى القعدة من هذه السنة . ثم توجه^(٤) التتار إلى توريز ، فصانعهم صاحبها بأموال عظيمة .
- ثم توجهوا إلى مراغة ، وكانت ملكتها امرأة مقيمة بالقلمة ، فنزلوا عليها وحاصروها ١٨ عدة أيام ، وأسرى^(٥) المسلمين بين أيديهم يزحفون بهم على المسلمين . وهكذا كانوا يفعلون ، يقابلون بالمسلمين المسلمين في سائر الأقاليم . ولم يزالوا حتى ملكوا مراغة ، في شهر صفر من سنة عشرين وستمائة ، وفعلوا بهم كعوائدهم الشنيعة . ٢١

(١) كذا في المتن .

(٢) في المتن : « العديدين » .

(٣) في المتن : « ولوا » .

(٤) في المتن : « توجهوا » .

(٥) في المتن : « أسرا » .

ذكر سنة عشرين ومستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم أربعة أذرع ونصف أصبع . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً ، واثنا عشر أصبعا .

ما لخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين . وسلطان المسلمين الملك الكامل بالديار المصرية .

٩ وسافر الأشرف ، وكانت ^(١) مدة إقامته بالديار المصرية ثمانية أشهر . وأنته مكاتبة صاحب أذربيجان - حسبما تقدم من الكلام .

وفي شهر ذى الحجة خرج السلطان الملك الكامل للفتى ^(٢) ولده الملك المسعود صاحب اليمن ، واجتمع به على منزلة البويب ^(٣) . ثم سار السلطان عسكرياً كثيفاً ، يقدمه الملك الجواد بن أخيه ، إلى مكة - شرفها الله تعالى . وبعد الوقوف بمعرفة ، نزلوا على الينبع ، وأقاموا عليه يومين ، وملكوه ، وجعلوا فيه الأسد جفريلاً ^(٤) ، والأمير صمصام الدين الخزندار العادلي أميراً على مكة .

١٥ هذا والتتار ينتقلون من إقليم إلى إقليم ، ومن مدينة إلى مدينة ، يقتلون وينهبون ويخربون . ثم وقع الحلف بين ملوك الإسلام على ما كانوا عزموا عليه من اجتماع كلمتهم على التتار ، وجميع ذلك للأمور المقدرة التي ^(٥) لا راد لقضائها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) في المتن : « وكان » .

(٢) في المتن : « للفتى » .

(٣) البويب ، تصغير الباب : مدخل أهل الحجاز إلى مصر (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٤) ضبط الاسم من كتاب السلوك المقرري (ج ١ ص ٢٥٥) .

(٥) في المتن : « الذي » .

- وفيها توجه^(١) التتار طالبين إربل ، فنقذ صاحبها يستنجد بالملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . واتفق مع مظفر الدين كوكبرى صاحب إربل أن يسيروا جماعة من المساكر يمسكوا الدربندات بمضيق الطرق ، ليمنعوا التتار من العبور إلى ٣ البلاد . وكان رأياً سميحاً لو تم . ثم وصلت كتب الخليفة أن التتار يمتنعون من عبور البلاد ، ويأمرهم بالحضور والاجتماع بالمساكر على دقوقا^(٢) ، وذلك ظناً من الخليفة أن التتار لا يعبرون البلاد ، وأنهم متوقفون^(٣) عنه وعن بلاده ، لما بينه وبينهم من ٦ المسكاتبات . وكان التتار لما وصلوا إلى مدينة إربل وجدوا الجبال ضيقة المسالك ، فتركوا إربل وقصدوا العراق ، فعند ذلك خرج صاحب إربل وصاحب الموصل بالمساكر ، وتبعوا التتار ، وهم في عساكر كثيفة . ثم إن الإمام الناصر سار إلى [مظفر الدين ٩ صاحب إربل]^(٤) يأمره بالحضور بالمساكر . فلما اجتمعت المساكر على دقوقا^(٥) ينتظرون أن الخليفة يسير إليهم عسكراً كثيفاً من بغداد ، يكونوا هؤلاء المساكر في ضمنه للالتقاء^(٦) التتار ، فجاءهم مملوك من جملة ممالك الخليفة يقال له قشتمر ، ومعه نحو من ثمانمائة ١٢ فارس . فلما رأى المملوك هذا الحال تفرقوا كل ملك إلى مكانه ، وكتب مظفر الدين للخليفة يقول : « إن هذا العدو عدو ثقيل ، وخاق عظيم ، لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل . فابعت إليفا جيشاً نأق^(٧) به هذا العدو ، ولو عشرين ألف فارس ، ونحن نتكلم ١٥

(١) في المتن : « توجهوا » .

(٢) في المتن : « دقفا » ، ودقوقا مدينة بين إربل وبغداد (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٣) في المتن : « متوقفين » .

(٤) العبارة مختلطة في المتن ونصها : « ثم إن الإمام الناصر سار إلى السلطان مظفر الدين بن العادل صاحب بلاد الخزر وهو لإقليم كبير بجانب أخلاصاً أمره بالحضور . . . » وما بين حاصرتين من مفرج السكروب لابن واصل (حوادث سنة ٦١٦ هـ) ؛ ومن الكامل لابن الأثير (حوادث سنة ٦١٧ هـ) .

(٥) في المتن : « دقفا » .

(٦) في المتن : « للالتقاء » .

(٧) في المتن : « نلقا » .

٣ على الله تعالى ونلقاه بموته » . فغلب^(١) على رأى الخليفة الوزراء السوء ، وأثبتوا في ذهنه أن التتار لا يدوسون له أرض، وإنما هؤلاء يقصدون أن ينعنوا^(٢) عن بلادهم . فلم يرد الخليفة له جواباً .

وقد كان التتار لما سمعوا بمظفر الدين تأخروا إلى ورائهم ، فإنه كان رجلاً شجاعاً مقداماً . فلما بلغهم أن العساكر تفرقت من على دقوقا نزلوا ههنا ، وكان لهم بها شحنة ، حسباً ذكرناه . فأرسلوا إليه أن « خذ لنا من أهل البلد قاشا وسلاحاً ومالاً نستعين به » ، فأجمع الشحنة أهل البلد ، وطلب منهم . وكان أهل البلد قد ضجروا من جور التتار ، ومن أخذ أموالهم . وكان بههذان يومئذ رجل يعرف بالشريف وهو حاكم^(٣) على أهلها . وكان من كبار المسلمين وخيارهم ، وهو من جهة التتار أيضاً ليصانعهم عن المسلمين ، فاجتمع^(٤) الناس وأتوا إلى الشريف الههذاني ، وشكوا إليه جور التتار ، وما هم فيه من البلاء معهم . فقال : « إذا كنا تحت أمرهم ، ما يسعنا إلا نسمع ونطيع » . فقال أهل البلد للشريف : « أنت إذا أشد علينا منهم » . فقال : « إنما أنا رجل منكم ، ومهما فعلتوه كنت معكم » . فعند ذلك جذبت أهل البلد السيوف وقتلوا الشحنة الذي كان عندهم من جهة التتار ، وغلقوا باب البلد ، وعصوا على التتار . فركبوا إليهم ، وحاصروهم ، واقتتلوا أشد قتال . وقتل بينهم عالم عظيم إلا أن أهل ههذان صبروا صبر الكرام على الموت ، والجوع ، والعطش ، والسهر ، وضرب السيوف . ثم إن التتار هجموا عليهم ، وأخذوهم ، وقتلوا جميعهم .

١٨ ولما فرغوا من ههذان عاودوا أذربيجان فوصلوا إلى أردويل^(٥) ، فزلوا عليها

(١) في المتن : « فغلبوا » .

(٢) في المتن : « أن ينعنوا » .

(٣) في المتن : « وهو حاكم » .

(٤) في المتن : « فاجتمعوا » .

(٥) يقصد بها أردويل وهي أشهر مدن أذربيجان ، وكانت قبل الإسلام قسبة الناحية

(باقوت ، معجم البلدان)

- وملكوها . ورحلوا طالبين توريز ، وكان قد قام بها شمس الدين الطنرأى ، وحصن البلد أحسن تحصين . فلما علموا ذلك صالحوه أيضاً على مالٍ أخذوه . ثم توجهوا إلى بيلقان ، وهم يخربون كل ما مروا عليه من البلاد والأقاليم في طريقهم ، فملكوا ٣ بيلقان بالسيف عنوة وقتلوا أهله . ثم ساروا إلى كنجة - وهي كرسى مملكة أران . وعلمت التتار أنهم لا يقدرّون على كنجة ، ولا على أهلها كونهم رجال شجعان ، فصالحوهم على مالٍ أخذوه^(١) منهم . ثم ساروا إلى دربند^(٢) ثروان وقصدوا مدينة شماخي^(٣) فحاصروها ، وصبر^(٤) أهلها أحسن صبر ، فأحضر^(٥) التتار المواشى من الأبقار والأغنام وجيف القتلى^(٦) ، مع الجبال والحير ، وردموا الخندق ، وتسوروا عليه إلى السور . فقاتلوهم أهل البلد ثلاثة أيام ، ثم ملكوها وقتلوا أهلها . ثم توجهوا ٩ إلى بلاد الترك ، وهم التفجاق وبلاد اللان وبلاد الروس وغيرهم من الأمم ، فلم يقدرّوا^(٧) على الجواز إليهم ، لضيق المسالك ، وكثرة العالم وشجاعتهم ، فشرعوا إلى المكر والخديعة ، وسيروا رسولاً إلى السلطان رشيد ثروان شاه صاحب المدائن ١٢ وصاحب الدربند ، يطلبون منه رسلاً يسمعون كلامهم ويسعون في الصلح بينهم ، فسيروا إليهم عشرة نفر من عقلاء قومه ، فضربوا رقاب عشرة ، وأبقوا واحداً منهم ، وقالوا له : « أرينا ودلنا على الجواز ونحن نمن عليك بنفسك ، وإلا قتلناك » ، ١٥ فأخذهم وسلك بهم طريقاً هي أسهل الطرق .
- فلما قطعوا الدربند وجدوا من المواشى والأغنام والأبقار في تلك الأعمال ما لا تحصى كثرة . وفيها جنس يقال له اللان وجنس يقال له اللسكر ، وهما جنسان عظيمان ١٨

(١) في المتن : « أخذوه » .

(٢) في المتن : « درب » .

(٣) في المتن : « شماخا » .

(٤) في المتن : « وصبروا » .

(٥) في المتن : « وأحضروا » .

(٦) في المتن : « القتلا » .

(٧) في المتن : « فلم يقدرّون » .

- من الترك ، مع طوائف أخرى ، فوقعوا عليهم بالسيف على حين غفلة منهم ، وقتلوا منهم
أثماً عظيمة . وهؤلاء اللكز مسلمون^(١) واللان نصارى^(٢) فلم يبقوا لا على المسلمين
ولا على النصارى . وكانوا قد اقتتلوا مع اللان قتالاً عظيماً ، فلم يظفروا بهم ، فأرسلوا
رسلاً إلى القفجاق ، يقولون لهم : « نحن منكم وأنتم منا ، وهؤلاء أعداؤنا وأعداؤكم
ونحن نحلف لكم أن نكون يداً واحدة ، ويكون لكم قسماً من أموالهم كما لنا » .
فاتفق القفجاق معهم على اللان واللكز فأفنوهم وأخذوا أموالهم ، وسبوا ذراريهم ،
وأخربوا بلادهم ، ثم رجعوا إلى بلاد القفجاق وهم آمنون منهم ، لما بينهم من العهود
والمواثيق . فلم يشعروا إلا والتتار قد أحاطت بهم ، ووضعوا فيهم السيف ، وأخذوا
من القفجاق أضغاف ما أخذوه من تلك الطوائف . ولم يزل القتل في القفجاق
حتى اعتصموا منهم بالجبال والشعاب ، وهرب بعضهم إلى بلاد الروس . وأقامت
التتار في بلاد القفجاق ، واستطيوها لكثرة خيرها وخصبها ، وطيبة هوائها . ولها
أماكن دائنة في الشتاء ، وأماكن باردة للصيف . ثم ساروا إلى مدينة شروان شاه^(٣) ،
وهي كرسى مملكة القفجاق عند بحر منسك بخليج القسطنطينية العظمى^(٤) ، فمشوا
إليها وملكوها في مدة يسيرة ، وتفرق أهلها ، وتمزقوا كل ممزق . وسار بعضهم إلى
بلاد السلطان علاء الدين كيغباز بن كيخسرو بن قليج أرسلان السلاجوق صاحب
الروم . ثم سارت طائفة كبيرة [من التتار] إلى بلاد الروس ، وهي بلاد طويلة
عريضة ، وهم قوم نصارى^(٥) . ولو شرحنا جميع ما فعلوه لم تسع ذلك دفاتر ولا أوراق ،
وإنما لخصنا من ذلك جهد الطاقة وقدر الاستطاعة .

(١) في المتن : « مسلمين » .

(٢) في المتن : « نصرا » .

(٣) كذا في المتن ، ذكر ياقوت (معجم البلدان) أن شروان مدينة من نواحي باب الأبواب ، وقيل
هي ولاية قصبها شماخي قرب بحر الخزر : وفي الكامل لابن الأثير (سنة ٦١٧ هـ) أن التتار
وصلوا إلى « مدينة سوداق وهي مدينة قفجاق التي فيها مادتهم فإنها على بحر خزرية » .

(٤) في المتن : « العظمى » .

(٥) في المتن : « نصارا » .

وأما ما ذكره ابن الأثير في تاريخه قال : لقد بقيت ، عدة سنين معرضاً عن هذه الحادثة استعظماً لها . أقدم رجلاً وأوخر أخرى^(١) ، فن الذي يسهل عليه أن يسطر نعى الإسلام ؟. فياليت أمي لم تلدني ! وياليتني كنت نسياً منسياً ! . لكنني حثني^٣ على ذلك جماعة من الأصدقاء الكبار الأعيان ، وأنا متوقف . وتسكلم كلام كثير ، معناه التنصل مما سطره في أمر هذه الحادثة وعظمها . ولعمري إنه لمعذور فيما اعتذر منه . والمبد أيضاً يعتذر عن ما لا بدّ كان من تسطيره ، فلا حول ولا قوة إلا بالله^٦ العلي العظيم .

ذكر تملك السلطان جلال الدين منكبرتي بن السلطان

علاء الدين خوارزم شاه

وفي هذه السنة تولى الملك السلطان جلال الدين منكبرتي بن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه بن تكش - وبقى نسبه قد تقدم - بعد وفاة أبيه في تلك القلعة المقدم ذكرها . وكان تملكه بوصية من أبيه ، فركب في الحالة الراهنة ، وتوجه إلى^{١٢} خوارزم طالباً لإخوته ، ومعه سبعون^(٢) قراً ، فالتقوهم أهل خوارزم بالخيول والسلاح والقماش والعدة . وتباشر الناس بقدومه ، واجتمع إليه العساكر الإسلامية ، فعاد في سبعة آلاف فارس ، فلك . ثم إن أخويه^(٣) عملاً على مسكه ، فأعلمه بعض أصحابه ،^{١٥} فرحل طالباً خراسان في ثلثمائة فارس ، وأقام^(٤) بقية أصحابه بخوارزم . فورد عليهم الخبر بحركة التتار نحو خوارزم ، فهربوا على أثر جلال الدين إلى خراسان .
وأما السلطان جلال الدين فوصل إلى نيسابور ، وكان جكزخان لمسا بلغه أن^{١٨}

(١) في المتن : « أخرا » .

(٢) في المتن : « سبعين » .

(٣) في المتن : « أخواه » .

(٤) في المتن : « وأقاموا » .

- جلال الدين مشى مكان أبيه^(١) علاء الدين أمر التتار أن يتفرقوا عليه في سائر الطرق، فوقع جلال الدين في طريقه على سبعمائة منهم قد مسكوا له تلك الطريق، فأيقع معهم جلال الدين وكسرهم كسرة عظيمة، لم يسلم منهم مخبر. وهذا كان أول سيف خُصِبَ بدمائهم بالفصر في الإسلام. ثم ساق جلال الدين إلى نيسابور، وكتب إلى العساكر المشتتة في الأطراف بسرعة الاجتماع، والقدوم عليه. وأقام ينتظر الجيوش بنيسابور شهراً، والعساكر ترد وتتواصل أولاً فأولاً. فعلم جكزخان بذلك، فأنجله قبل [أن] تتكامل جيوشه. وأدركته التتار، فخرج من نيسابور بمن انضم إليه، يطوى المراحل إلى كرمان، ثم إلى غزنة. فأتاه الخبر أن أمين الملك^(٢) - وهو ابن خال السلطان جلال الدين صاحب هراة - قد أخلى هراة، وأن التتار قد قربوا منها، وأن مع أمين الدين عشرة آلاف فارس. فنفذ إليه، واجتمع به، وانضمت العساكر بعضها إلى بعض، والتقى السلطان جلال الدين بالتتار الذين كانوا طالبين هراة، وكان مقدمهم تولوخان بن جكزخان في عشرين ألف من الغل، فجري بينهم من القتال ما يشيب الأطفال. ونصر الله تعالى السلطان جلال الدين، وانهزم^(٣) التتار، وركب المسلمون أكتافهم قتلاً بالسيف. وقتل تولوخان بن جكزخان في هذه الواقعة.
- ولما بلغ جكزخان قتل ولده، وكسر جيشه، رمى سراقوجه^(٤) على الأرض. وجمع سائر جيوشه، وسار مجدداً حتى وافى^(٥) السلطان جلال الدين على حافة السند. وكان جلال الدين قد فارقه أخوه وخاله وجماعة من عساكره، فضاقت عليه الوقت في استرجاعهم

(١) في المتن: «أبوه».

(٢) في المتن: «أمين الدين أمين الملك». وجاء في نهاية الأرب للنويري (حوادث سنة ٦١٧هـ) مانصه: «فبلغه أن أمين ملك - وهو ابن خاله متولى هراة ومقطعهما - بالقرب منه وقد أخلى هراة...» وتكرر الاسم بعد ذلك في صيغة «أمين الملك» في حين كرره النويري في صيغة «أمين ملك».

(٣) في المتن: «وانهزموا».

(٤) السراقوج - الطاقية أو العمامة - لباس الرأس عند التتار، انظر:

(Dozy: Supp. Dict. Ar).

(٥) في المتن: «وإفا».

لمعالجة الملعون له ، فركب يوم الأربعاء لثمان خلون من شهر شوال من هذه السنة - وقيل من سنة تسع عشرة - والتقى ^(١) مع جسكرخان . وثبت جلال الدين مع قلة أصحابه ، ثم حمل بنفسه على قلب جسكرخان فزقه بداداً ، وكادت تكون النصر له ، لولا ظهر ^٣ للتتار كمين كان لهم فيه عشرة آلاف من المفل من أجود فرسانهم ، فخرجوا على ميمنة جلال الدين ، وكان فيها - على قول - أمين الملك خاله ، فكسروها وطرحوها على القلب . وتبدد نظام جلال الدين ، وتزعزعت أقدامه ، وأسر ولده . وعاد جلال الدين إلى حافة ^٦ السند هارباً ، فرأى والدته وزوجته وأخته وأولاده أطفالاً مع جماعة من حشمه ، وهن يصحن بأعلا أصواتهن : « بالله عليك اقتلنا وخلصنا من الفضيحة والأسر » . فأمر بهن ففرقن في السند ، وهذه من عجائب البلايا ، وتوارد المصائب ، فلاحول ^٩ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم إنه لما سدت عليه المذاهب ، وأحاطت به الفوائد ، ومن خلفه السيوف ، ومن قدامه البحر العجاج ، رفس فرسه وطاب الفرق ولا يُسلم نفسه لسيوف التتار . وكان الجواد من جياذ الخيل - مع لطف الله عز وجل - ^{١٢} فقطع به النهر إلى الجانب الآخر . وكذلك تخلص معه من أصحابه تقدير أربعة آلاف رجل ، حفاة عُراة . ثم وصل إليه مركب ^(٢) من بعض الجهات ، وفيه مأكول وملبوس . فوقع ذلك عنده موقعاً عظيماً .

ولما علم صاحب الجودی ^(٣) أن جلال الدين وصل إلى بلاده مكسوراً ، طلبه بالفارس والراجل ، لما كان بينه وبين أبيه السلطان علاء الدين خوارزم شاه من الدخول القديمة ، والخروب . فبلغ ذلك جلال الدين ، فعظم عليه الحال ، إذ لم يكن ^{١٨} معه من أصحابه من يمانع عن نفسه ، لمسا فيهم من الجراحات وعُريهم من العدد والسلاح ، وعدم المركوب ، ولا فيهم نجمة للذب . فحفل من مكانه ، وأمر كل من

(١) في المتن : « والتقى » .

(٢) في المتن : « مركباً » .

(٣) في نهاية الأرب للنويري (مخطوط) : « ولما علم زانه شيره صاحب جبل الجودی بما كان من أمر جلال الدين . . . » . ومن الواضح أن جبل الجودی المقصود كان يقع على الضفة الأخرى لنهر السند .

فيه قوة ونجمة يتبعه وإلا يقطع رأسه . وسار عازماً أن يقطع السند مخفياً في بعض الجبال بمن معه ، ويمشوا بما تكسبه أيديهم من الغارات . فصادفوا الهنود إليهم قاصدين . فلما رآهم الهنود ظنوا أنهم التتار ، فتأخروا ولم يجد جلال الدين من الموت بُد ، فتقدم بمن معه ، وتقدم ملك الهنود أيضاً . ووقف جلال الدين حتى قاربه ، وكان في يده قوس . وكان شديد الساعد ، ففوق سهماً ورمى به ملك الهنود فأصاب صدره ، وخر لوجهه يموج في دمه ، وانهزم جيشه ، وأخذهم^(١) أصحاب جلال الدين . وكسب [جلال الدين] خيله ومتاعه ، وقوى نفسه بعد الإياس من الحياة . فسبحان المدبر الحكيم .

ثم رحل [جلال الدين] إلى سجستان ، وأخذ ما كان له بها من الخزائن ، وأنفق على من كان معه . ثم أتاه الخبر أن أيتامش قاصده في ثلاثين ألف فارس ومائة ألف راجل ، فسار جلال الدين نحوه تجلداً منه وصبراً . وقدم أمامه جاهان بن بهلوان أذربك ، فهجم على أيتامش ، فتأخر له . ونفذ رسول إلى السلطان جلال الدين يطلب الصلح ، ويقول : «ليس يخفأك ما وراءك من عدو الدين ، وأنت سلطان المسلمين وابن سلطانهم . وقد رأيت أن أزوجك بنتي وأكون عضدك» . فقال السلطان جلال الدين لذلك ، وسير مع رسوله نفر من أصحابه ، فطاب لهم المقام عند أيتامش . ثم وردت الأخبار عليه أن أيتامش وقباجه وسائر ملوك الهند اتفقوا على السلطان جلال الدين ، وأن يمسكوا عليه حافة السند ، فمعظم عليه ذلك وأخفاه ، واستناب جاهان ابن بهلوان على ما بيده من ممالك الهند ، وسار طالباً للعراق . فلما وصل إلى كرمان ، وهو في أشد الأحوال مما قاساه ومن معه في تلك البرارى والصحارى التي بين الهند وكرمان ، ووصل في أربعة آلاف ، منهم من هو راكب البقر والحير وغير ذلك . وكان ذلك في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة .

(١) في المتن : «وأخذوهم» .

ذكر سنة إحدى وعشرين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ثلاثة أذرع فقط . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأصبعان .

ما لخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بحاله . والسلطان الملك الكامل سلطان الإسلام بالديار المصرية . وباقي الملوك إخوته بمحالمهم .

وفي شهر المحرم دخل الملك المسعود بن الكامل - صاحب اليمن - إلى القاهرة المحروسة ، وبين يديه الفيلة ، وعدتهم ثلاثة^(١) ؛ وأخل له القصر وسكن فيه .

٩ وفيها قبض السلطان الملك الكامل على جماعة من أمرائه البحرية ، مئاليك والده الملك العادل ، وأودعهم الحب الكبير .

والسلطان جلال الدين قد وصل من الهند إلى كرمان - حسباً تقدم . وكان بكرمان في ذلك الوقت بُراق الحاجب ينوب بها عن أخيه السلطان غياث الدين ، فتلقاء ، ١٢ وخدمه ؛ لكن لم يذعن له بالطاعة ، لأجل أخيه غياث الدين . فأقام أياماً^(٢) حتى استراح من وعك الطريق ، ثم رحل إلى شيراز . وورد عليه الأتابك سعد صاحب فارس ، وكان قد استوحش من أخيه غياث الدين ، فرغب جلال الدين فيه ، وخطب ١٥ ابنته فأجاب إلى ذلك . واستظهر جلال الدين بمصاهرة الأتابك . ثم رحل من شيراز إلى أصبهان ، فخرج إليه القاضي زكي الدين مسعود ، وتلقاه ، وكذلك أعيان البلد ، وأتوه بالخيول والعدد ، وفرحوا بقدومه . ١٨

ولما بلغ غياث الدين توسط جلال الدين البلاد ، ركب إليه في ثلاثين ألف فارس ، فرجع جلال الدين حين بانته ذلك ، وسير إلى أخيه [غياث الدين] أمير أخوره ،

(١) في المتن : « ثلاث » .

(٢) في المتن : « أيام » .

- يقول : « إن الذي قاسيته بعد السلطان من الشدائد والهوان لو أعرض على الجبال لأشفقن من حملها . وحين ضاقت على الأرض بما رحبت قصدتك لأستريح عندك أياماً . وحيث علمت أن ما عندك للضيف قرى غير السيف رجعت » . فلما بلغ غياث الدين الرسالة رجع عما كان عزم عليه ، وتفرقت عساكره .
- وكان جلال الدين قد سير مع أمير أخوره عدة خواتم ، وأمره بإيصالها إلى جماعة من الأمراء السلطانية ؛ فمنهم من تناول الخاتم وأجاب ، ومنهم من أسرع به إلى غياث الدين . فأمر بالقبض على الرسول . فركب جلال الدين مسرعاً في ثلاثة آلاف فارس وأعجل غياث الدين عن الاستعداد . فركب غياث الدين فرس النوبة وهرب . ودخل جلال الدين إلى خيمته وبها والدة غياث الدين ، فزاد في احترامها وإكرامها ، وأنكر هروب غياث الدين ، وقال : « أنا مابق لي من بني أبي سواء » . فسيرت والدته إليه بذلك ، فعاد إلى الخدمة ، فعطف عليه جلال الدين وأكرمه . وحضر إلى طاعة السلطان جلال الدين سائر ملوك الأقاليم من المتغلبين على البلاد ، ودخلوا تحت الطاعة . وفرق العمال على الأقاليم . وسار نحو خوزستان . وسير رسولا إلى بغداد ، فأحلوه محل الإكرام . ولم يزل الرسول ببغداد إلى أن ملك جلال الدين مراغة ، فعاد الرسول مكرماً .
- ثم رحل السلطان جلال الدين إلى دقوقا^(١) فنلقوا أبوابها في وجهه ، وطلع أهلها على السور ، وسبوا جلال الدين ولعنوه . فأغاضه ذلك ، وأمر بالزحف عليها ، فلم يكن سوى ساعة حتى صعدت أعلامه عليها ، وأوقع فيهم السيف .
- ورحل إلى أذربيجان . وسير الكتب والرسل إلى ملوك الشام ومصر ، يتضمن إعلامهم بما فتح الله عليه ، وما ملك من البلاد . ثم رحل إلى أرجان^(٢) ، ثم إلى تبريز . فخرج إليه الرئيس نظام الدين أخو شمس الدين الطغرائي ، وكان بها بنت السلطان طغرل ، فسيرت تطلب الأمان مع الرئيس نظام الدين ، فأجاب إلى ذلك . وتسلم تبريز في هذه السنة ، والله أعلم .

(١) في المتن : « دقاقا » .

(٢) أرجان ، مدينة كبيرة بينها وبين شيراز ستون فرسخا (ياقوت ، معجم البلدان) .

- وكان توفي الملك المنصور صاحب حماة ، وهو محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب .
 وكان ملكا شجاعا مقداما عالما فاضلا أديبا شاعرا محبا للملأء والفضلاء . وكان عنده
 جماعة من كبار الفضلاء ؛ مثل سيف الدين علي بن أبي علي الأمدى مصنف كتاب ٣
 المضار ، جمع فيه جملة جيدة من تواريخ العالم في عشرة أجزاء ، وردَّ على مثل الإمام
 نغر الدين الرازى المعروف بابن خطيب الرى ، أحد فلاسفة الإسلام صاحب التصانيف
 المعجبية في كل فن ، مما يطول شرح ذكرها ، وهو صاحب كتاب السر المكتوم ٦
 في علم الأسماء والطلسمات . ومثل الإمام أبي حامد الغزالي المشهور ، وله من التصانيف
 مائة مجلد . ولو شرحت فضائل هؤلاء السادة المذكورين لكان جزءا بذاته ، ولا
 نصل إلى بعض محاسنهم وعلومهم وتصانيفهم ، رضوان الله عليهم أجمعين . ٩
 وكانت وفاة السلطان الملك المنصور المشار إليه في شهر شوال من هذه السنة (١) .
 ودفن بجماعة عند قبر أبيه ، وقام بعده بمملكة حماة ولده الأكبر يسمى قليج أرسلان ،
 ولقب بالملك الناصر . وجرى له بعد ذلك مع السلطان الملك الكامل أمور وعجائب ، ١٢
 وأخذ منه حماة وأعطاه لأخيه الملك المظفر ، واعتقل قليج أرسلان بمصر في الحب .
 ومن شعر الملك المنصور - رحمه الله - مما لخصناه قوله :

- ١٥ سُبْحًا الدُّمُوعُ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ بَانُوا وَأَقْفَرُ الصَّبْرِ لَمَّا أَقْفَرَ الْبَانُ
 وأسعدانى بوجدٍ بعد بينهم فالشان لما نأوا عَنِّي له شان
 ياظبيةً البان هل وصل أسر به فينجلى بلذيد الوصل أشجان
 منها : ١٨

لا تبعثوا مع نسيم الريح نشركم فإننى من نسيم الريح غيران
 كيف السالو لى قلب^(٢) يخالفنى وفى الهوادج أقمار وغزلان

(١) أمام هذه العبارة جاء في حاشية المخطوط ما نصه : « قرأت في تاريخ القاضى جمال الدين ابن واصل - رحمه الله - أن وفاة الملك المنصور صاحب حماة في سنة سبعة عشر وستائة ، وإلمه الصحيح ، والله أعلم . »

(٢) فى المتن : « صبر » والصيغة المثبتة من مفرج الكروب لابن واصل .

سقام النيث من قبل كاظمة سحا وروى ثراهم أينما كانوا
وله :

٣ الفخر بالفضل ليس الفخر بالنسب والناس في ذلك من درٍ ومن خشب
وكل نفر سوى نفري فختلق زور وقائله ينمى إلى الكذب
أنا الذى لم ينل فى الورى أحد ما نلت به قط من عجمٍ ومن عربٍ
سموت فيهم بأصل لا يقاومه أصل ومن بعده بالفضل والأدب
٦ بآل شاذى ملوك الناس كلهم أكرم بذلك من نفر ومن حسب
أيوب جدى حقيقا حين تنسبني يا حسنهما نسبةً تماو على الرتب
نحن الملوك الذرى والناس كلهم لنا عبيد وليس الرأس كالذنب
٩ كم قد أبدت بسيفي كل مفتخر حامى الحقيقة يوم الجحفل اللجب
وكم تركت بنى الإفرنج فى رعبٍ فصرت أذعى لديهم جالب العرب
١٢ منها :

من كل منتسب بالله محتسب مؤيد بجميل الصبر مرتقب
أغرّ أبليج وضاح لغرته فضل على الأنجم السيارة الشهب
١٥ وله فى صدر كتاب إلى عمه الملك العادل يقول :

سلام محب فى الولاء محقق يكاد لفرط الشوق بالدمع يشرق
وينشد بيتاً قيل فى مدح مجدكم له بثناكم حين ينشد رونق
١٨ تقول لى الآمال إن كنت نازلاً بباب ابن أيوب فأنت موفق

وفىها توفى الملك الصالح ناصر الدين محمد^(١) بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق ،
صاحب آمد . وكان شجاعاً مقداماً . وقام بالملك بعده ولده الملك المسعود . وكان بالضد
٢١ من أبيه . حصره بعد ذلك السلطان الملك الكامل فى آمد وأخذها منه . ووجد عنده
فى قصره خمسمائة حُرّة من بنات الناس يطوّهن حراماً . وأحضره الكامل إلى مصر ،

(١) كذا فى المتن ، وفى معجم الأنساب لزأماور (ص ٣٤٤) : « محمود بن محمد » .

وأحسن إليه . فكاتب الروم ، وسمى^(١) في هلاك السلطان الكامل ، فسجنه مدة ثم أطلقه ، فهرب إلى التتار ، فقتلوه .

- وفيهما توفي الشريف قتادة بن إدريس صاحب مكة شرفها الله تعالى . وما كان
لايلتفت إلى أحد ، ولا داس للخليفة بساطا قط . وكان يقول أنا أحق بها من غيري ،
- يعني الخلافة . وكان الحاج في أيامه طيبين ، لا يستحسن بظلامه أحد . وكتب إليه
- قبل وفاته - الخليفة يقول له : « أنت ابن العم العزيز وقد أحببت زيارتك » . فكتب
يقول من قصيدة :

- ولى كف ضرغامٍ أذل ببطشها وأثرى بها بين الورى وأبيعُ
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها وفي وسطها للمُجدين ربيع
أأجملها تحت الرجا ثم أبتنى خلاصاً لها إني إذاً لوضع
منها :

- وما أنا إلا المسك في كل بقعة يضوع وأما عندكم فيضيع
وكانت وفاته في شهر جمادى الأولى في هذه السنة بمكة شرفها الله تعالى . وقيل
كانت وفاة الشريف المذكور في سنة عشرين ، فإن في هذه السنة توجه الملك المسعود
أقسيس بن الكامل إلى مكة وملكها . وكان قد تولى أمرها حسن بن الشريف
قتادة^(٢) فأساء السيرة ، فسار الملك المسعود ، وملكها رابع شهر ربيع الآخر سنة
إحدى وعشرين ، وهو الصحيح ، والله أعلم .
وفيهما نُقل السلطان الملك العادل من القاهرة بدمشق إلى تربته ، وهي
المدرسة العادلية .

وفيهما أخرج الملك الأشرف من مصر قاصداً للشرق ، والتقاءه الملك المعظم وعرض

(١) في المتن : « وسما » .

(٢) جاء أمام هذه العبارة في هامش المخطوطة مانصه : « وكان هذا حسن بن قتادة قتل عمه
ثم أخاه راجع ، ثم وثب على أبيه قتادة فخنقه حتى مات ، واستولى على الأمر بعده » .

- عليه النزول بالقلعة فأبى^(١) ونزل بجوسق أبيه العادل . وبدأت الوحشة بين الإخوة ، وأصبح الأشرف في السحر وركب وساق ، ونزل ضمير ، ولم يعلم المعظم برحيله . ثم سار مسرعاً حتى نزل حران ، وكان قد استناب أخوه شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين على أخلاط ، لما سافر إلى مصر ، وجعله ولي عهده بعد غيبه . ومكنه في جميع بلاده بالشرق ، فسولت له نفسه العصيان . ولما وصل الأشرف إلى حران بلغه خبر عصيان أخيه غازي ، فكتب إليه يستدعيه ، فامتنع ، فجمع الأشرف عساكر الشرق وسار إلى أخلاط . وكان صاحب حمص - وهو الملك المجاهد - قد مال مع الأشرف ؛ والمعظم مال إلى نصرة غازي ، فجمع وخرج حتى نزل على حماة ، فلم يخرج إليه صاحبها ولا يفتح له باب ، فعاد إلى حمص . نفجر إليه عسكر حمص ، فأوقعوا به ، وظهروا عليه ، ونهبوا عسكره . ورجع إلى دمشق ولم يزل طائلاً . ثم إن الأشرف توجه إلى أخلاط بجيوشه ليسترجعها من يد أخيه غازي . وكان قد حشد وجمع ، نفجر إلى الأشرف ، ووقع القتال بينهما ، وقاتل غازي أشد قتال . وكان أهل أخلاط يحبون الأشرف . فلما خرج غازي وقاتل أطلع أهل أخلاط سناجق الأشرف على الأبراج ، وصاحوا : « يا أشرف يا منصور » . فعند ذلك هرب غازي إلى القلعة ، فأقام يومين ثم نزل إلى أخيه الأشرف ، فأقبل عليه ولم يؤاخذه بما فعل . وأقام الأشرف بأخلاط ثلاثة أيام ، وجعل فيها مملوكه أيبك والحاجب علي . ورد غازي إلى ميافارقين مكانه - مريضاً من جراحاته - ورجع الأشرف إلى رأس العين .
- وفيها نزل السلطان جلال الدين على أذربيجان واستولى عليها ، فبعث إليه الملك المعظم رجلاً يقال له الملق ، واتفق هو وجلال الدين والمظفر على الملك الأشرف . وبعث المعظم بولده الناصر داود إلى مظفر الدين صاحب إربل رهينة .
- وكان قد ظهر في الشام جراد كثير فأظهر المعظم أن يبلاد العجم طيراً يأكل الجراد ، وأرسل الصدر البكري يُعرف بالملق محتسب دمشق ورتب معه صوفية ،

(١) في المتن : « فأبى » .

- وقال : « يمضون إلى المعجم فهناك عين ماء يجتمع عليها هذا الطير المعروف بالسمرمر فتأخذوا من مائها في قوارير ، وتملقونه على رؤوس الرماح . فكلما رآه الطائر يتبعكم » . وما كان مقصوده إلا بيعث البكرى إلى جلال الدين يتفق معه . وقرر معه ٣ الأمر وجعله له عضدا ، لما علم أن الأشرف والسكامل اتفقا عليه . وكان الجراد قد قل ، فلما عاد البكرى كثر . وفهموا الناس مقصوده في ذلك . وعاد جلال الدين ذخرا للمعظم ، وعاد بينهما معاقدة وإيمان . ٦
- وفيهما استولى بدر الدين لؤلؤ على الملك ولقب الملك الرحيم . وفيها بنى ^(١) السلطان الملك السكامل مدرسته بين القصرين بالقاهرة المحروسة .
- وأما التتار ، فإن جكز خان قسم أصحابه في هذه السنة عدة أقسام ، فنفذ قسماً منها ٩ إلى بلاد فرغانة ^(٢) ، وقسماً إلى بلاد ترمذ ^(٣) ، وقسماً إلى قلعة كلام ^(٤) وهي قلعة عظيمة على نهر جيحون . فعملت كل طائفة أقبح من أختها . ثم عاد الجميع إلى جكز خان ، وهو نازل بسمرقند . فعمد ذلك جهاز جيشا عظيما وقدم عليه إحدى بنيه ، وسيره إلى ١٢ إقليم خوارزم . وجهاز آخر وسيره إلى خراسان ، فقطعوا جيحون ووصلوا بلخ ، فتسلموها بالأمان ، وجعلوا بها شحنة من جهتهم . وعادوا يقاتلون رجال كل إقليم إقليم آخر ، وهم يتفرجون عليهم ، ففتحو أكثر البلاد كذلك . ثم وصلوا إلى طالقان ^(٥) ١٥ وفيه قلعة حصينة تسمى منصور كوه ، فحاصروها أربعة أشهر ، فلم يبلغوا فيها غرض . وقاتل أهلها قتالا عظيما ^(٦) ، وأنفذوا إلى جكز خان فأعلموه بذلك . فسار إليهم بنفسه في عالم عظيم ، وحاصرها . ثم أمر بالأخشاب والأحطاب فجمعت ، وعادوا يعملون ١٨ صفاً من خشب ثم يردمونه بالتراب ، حتى واروا القلعة . وصعد التتار عليه ونصبوا

(١) في المتن : « بنا » .

(٢) فرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخة لبلاد تركستان (ياقوت) .

(٣) مدينة مشهورة راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقى (ياقوت) .

(٤) كلام ، بالضم : قلعة قديمة في جبال طبرستان (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٥) طالقان : مدينة كبيرة بين مرو وبلخ (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٦) في المتن : « قتال عظيم » .

- المناجنيق ، وعادوا يرمون في وسط^(١) القلعة . فعمد ذلك اجتمع أهل القلعة وفتحوا الباب ، وحملوا على التتار حملة واحدة . وسَلِمَت الخيالة بأنفسهم ، وتعلقوا في الجبال .
- ٣ وأما الرجالة فقتلوا عن آخرهم . وملك جكزخان القلعة بجميع ما فيها .
- ثم إنه جمّع سائر الرجال الذين كان أعطاهم الأمان من سائر الأمصار ، وسيرهم مع ولده إلى مدينة مرو ، وبها يومئذ ما يزيد عن مائتي ألف مقاتل من جند وعرب
- ٦ وأكراد وتركمان ومن سائر الأجناس . فلما وصلت إليهم التتار التقوا معهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً . ثم انكسر^(٢) أهل مرو ، ووضعوا فيهم السيف ولم يبقوا على أحد منهم . ثم فتحوا مرو بعد أربعة أيام ، بعد ما كانوا أعطوا أهلها الأمان . قال جكزخان
- ٩ لوالهيا : « أعرض على أصحابك حتى ننظر من يصلح للخدمة نستخدمه عندنا » . فلما حضروا قبض على الجميع . وطلب الأموال من كبار البلد ، وكتب أسماءهم في جريدة ، ثم قال : « اكتبوا أرباب الصنائع » ففعلوا ذلك . فلما وقف جكزخان
- ١٢ على النسخ أمر بجميع أهل البلد ، وجميع أهاليهم وأموالهم ، فأوقفوا بين يديه ، وقد جلس على كرسي ذهب . وأمر بحضور الجند ، فضرب أرقاب الجميع . كل هذا والناس قيام ينظرون إليهم ويبكون عليهم . ثم قسم أرباب الأموال ، وضرب رقابهم .
- ١٥ ثم وضع السيف في بقية الناس . وتماثلت^(٣) أصوات النساء والأطفال .
- قال صاحب التاريخ : ومما أجمعوا عليه أن من جملة تسليط هؤلاء القوم على العالم أنهم إذا نزلوا على مدينة أو قلعة ولم يقدرُوا على أخذها ورحلوا عنها ، يرسل
- ١٨ الله - عز وجل - على أهل تلك البقعة الوحش والفناء ، فيموتون ، فيرجع التتار إليهم فيأخذوهم بأسهل الأحوال . وهذا كان سخطاً^(٤) من الله تعالى ، فنعوذ بالله من الخذلان . ثم أمر بحريق البلد فأحرق . وفي جملة الحريق تربة السلطان سنجر السلاجوق . أجمع

(١) في المتن : « وسط » .

(٢) في المتن : « انكسروا » .

(٣) في المتن : « وتعالى » .

(٤) في المتن : « سخط » .

- أهل التاريخ أن عدة القتلى^(١) بمدينة مرو وأعمالها سبعمائة ألف أو يزيدون . ثم سار^(٢) التتار إلى سابور فحاصروها خمسة أيام ، ثم ملكوها ، وفعلوا بهم كما فعلوا بأهل مرو .
- ثم سارت منهم طائفة إلى طوس ، ففعلوا كذلك ، وأحرقوا المشهد الذي فيه على بن ٣ موسى الرضى^(٣) رضى الله عنه ؛ وفيه قبر الرشيد رحمه الله . ثم ساروا إلى هراة ، وهي من أحسن البلاد ، فحاصروها مدة عشرة أيام ، فملكوها ، وقتلوا منهم البعض ، وأمنوا الباقي ، وجعلوا عندهم شحنة من جهتهم . ثم ساروا إلى غزنة ، فلقبهم السلطان ٦ جلال الدين فكسروهم كسرة عظيمة ، وقويت قلوب الإسلام ، فعاد كل من كان عندهم شحنة من جهتهم قتلاه . فلما ردت التتار إلى جكزخان ، وهو بمدينة الطالقان ، تجهز بجموع التتار لقتال السلطان جلال الدين . ٩
- هذا ماجرى^(٤) للتتار . وأما السلطان جلال الدين فإنه بعد كسره التتار عظم أمره ، وقوى سلطانه ، وتكاثر جيوشه ، وعزم على طلب بغداد ، وقتل الخليفة الإمام الناصر لدين الله . وكان قد تقدم القول بما كان من الاتفاق بين الملك المعظم ١٢ صاحب دمشق ، وبين السلطان جلال الدين ، والمعاهدة والأيمان .
- قال أبو المظفر : حكى لي الملك المعظم قال : كتب إلى جلال الدين يقول : « تحضر أنت وجميع من عاهدني واتفق معي ، حتى نقصد الخليفة ، فإنه كان السبب في هلاك ١٥ السلطان علاء الدين أبي ، وجسر التتار لدخول البلاد ، وصغر عندهم أمر المسلمين ، حتى أخبروا الدنيا » . قال المعظم : فكتبت إليه نقول : « أنا معك على كل أحد إلا الخليفة . فإنه إمام المسلمين » . فبينما هو على عزم بغداد ، وكان قد سير جيشا ١٨ إلى تفليس فسيروا إليه يقولون : « أدر كنا فإلنا بالكرج طاقة ، وبنداد ماتقوت » . فسار إلى تفليس ، وخرج إليه الكرج ، وضرب معهم مصافاً ، وقتل منهم سبعمائة ألفاً .

(١) في المتن : « القتلا » .

(٢) في المتن : « ساروا » .

(٣) في المتن : « الرضا » .

(٤) في المتن : « ماجرا » .

وفتح قفليس عنوة بالسيف ، وقتل منها ثلاثين ألف ، تكلمة المائة ألف . وكان
في سلخ شهر ذى الحجة من هذه السنة ، وقوى سلطان جلال الدين أضعاف ما كان ،
وطاعته جميع المتغلبين على الأقاليم . ٣

وفيها كان له وقعة عظيمة مع فرقة من التتار ، وكانوا في ثلاثين ألف فارس ،
مع إحدى بنيه - أعنى جكرخان - يسمى قطوخان ، فكسروهم كسرة شنيعة ، وقتل
منهم اثني عشر ألف من خيار مُغلهم . وكانت هذه الوقعة على نصيبين . وسلم
قطوخان ، وعاد مهزوماً إلى أبيه جكرخان ، فنضب عليه ، وقيده ، وأعادته إلى بلادهم
تحت الاحتراز . ثم إن جكرخان استهم في التجهيز ، وجمع جيوشاً^(١) عظيمة لقتال
السلطان جلال الدين منكبرتي . ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة . ٦

(١) في المتن : « جيوش » .

ذكر سنة اثنتين وعشرين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم أربعة أذرع ونصف أصبع . مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وخمسة أصابع . ٣

ماخلص من الحوادث

الخليفة الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، إلى أن توفي في هذه السنة - حسبما

يأتي ذكر ذلك في تاريخه . ٦

وفي ذى القعدة ضربت فلوس بالقلمة ، وعادت من جملة النقود المتعامل بها ،
وتحور القيمة عنها عن ستة عشر فلساً درهماً من نقد مصر . ثم ضربت دراهم مستديرة ،

وهي هذه الدراهم المتعامل بها يومئذٍ المعروفة بالسكاملية . وأمر السلطان الملك السكامل ٩
أن لا يتعامل بالدراهم القديمة المصرية . وصار كلما تحصل منها شيء يُسبك ويعمل
من الضرب الجديد .

وتوفي الإمام الناصر لدين الله ، سلخ شهر رمضان العظيم من هذه السنة ، وله من ١٢
العمر تسع وستين سنة وأشهر . وكانت خلافته سبع وأربعين سنة . ولم يسكن بلغ
هذه المدة في الخلافة قبله أحد من الخلفاء . وقام بالأمر بعده الإمام الظاهر بأمر الله
ولده - حسبما يأتي من ذكره . ١٥

ذكر بعض شيء من سيرة الإمام الناصر

كان شهماً ، أبنى النفس ، حازماً ، متيقظاً ، ذارزانه ودهاء ومكر . ذو هيئة
عظيمة جداً . وكان أهل العراق تخافه في بيوتها . وكان فيه تشيع كثير ، وميل إلى ١٨
مذهب الإمامية ، وذلك بخلاف ما كان عليه سلفه من القادر إلى المستضيء . وقيل
إنه سأل الشيخ جمال الدين بن الجوزي بمحضر من الخليفة : « من أفضل الناس بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فحشى أن يصرح ، فقال : « أفضلهم بعده من كانت ٢١
ابنته تحته » . وهذا القول يحتمل أمرين . وسئل أيضاً فأنشد يقول :

لا تسألوني إلا عن أواخرهم فأول الركب ما عندى له خبر
وكان الناصر لدين الله أديباً فاضلاً شاعراً . ذكر أنه اعتقل بعض كتّابه فكتب
إليه يقول :

٣
الغنى في لظى وإن غيرتني فتيقن أن لست بالياقوت
عرف النسيج كل من حاك لكن نسج داود ليس كالمنكبوت
قال ، فأجابه الخليفة يقول :
٦
نسج داود لم يفد صاحب النسا ر وكان الفخار للمنكبوت
وبقاء السمند في لبب النسا ر مزيل فضيلة الياقوت
٩
وهذا جواب فائق ، وشعر مفلق .

ذكر خلافة الإمام الظاهر بأمر الله^(١) بن الإمام الناصر لدين الله وسيرته

١٢ هو أبو نصر ، عدة الدنيا والدين ، محمد ، الظاهر بأمر الله بن الإمام الناصر
لدين الله أحمد ، أمير المؤمنين ، وباقى نسبه قد تقدم . أمه أم ولد .
بُوع يوم عيد الفطر ، وجلس للخلافة ثانياً ، وعليه ثياب البياض وطرحه ،
١٥ وعلى كتفه البردة النبوية ، وهو جالس في شباك القبة ، والوزير قائم بين يديه ، وكذلك
أستادار ، وهما يأخذان البيعة على الناس ، ونسخة المبايعة ؛ يقول : « بايع سيدنا
ومولانا المفترض الطاعة على جميع الأنام أبا نصر محمد الظاهر بأمر الله على كتاب الله
١٨ وسنة نبيه ورسوله - صلى الله عليه وسلم - واجتهاد أمير المؤمنين ، وأن لا خليفة سواه
في مشارق الأرض ومغاربها » .
وكان الوزير والأستادار وأرباب الدولة قد توجهوا إلى بيت النبوة نهار العيد ،
٢١ وجلسوا للعزاء وقراءة القرآن . وتسكلم محي الدين بن الجوزي . ثم توجهوا جميعاً إلى

(١) في المتن : « لأمر الله » .

جامع القصر ، وصلوا صلاة العيد . ثم خطب بعد الصلاة ، ودعى للإمام الظاهر .
ولما كان نهار الثلاثاء ، دخل من تخلف عن البيعة ، وتسكلم يحيى الدين بن الجوزي ،
ودعا للإمام الظاهر . ثم أذن للشعراء في إنشاد المراثي التي صنعوها في الإمام الناصر ،
والتهاني بالإمام الظاهر . ولبس كافة أرباب الدولة ثياب العزاء ، وكذلك الزعماء
والمماليك والولاة . ورفع القضاة والمدرسون^(١) ومشايخ الرباطات الطيالس
والطرحات . ثم قرئ على الناس في الجامع توقيماً نسخته :
٦

بسم الله الرحمن الرحيم

« اعلّموا أيها الناس - رحمكم الله - أنه حيث توفي الله تعالى الإمام السعيد
الناصر لدين الله أمير المؤمنين إلى فسيح جناته ، وأفاض عليه ملابس رحمته ورضوانه ،
بعد أن جاهد في الله حق جهاده ، وأدى الأمانة في بلاده وعباده ، استخلف عليكم
أشرف مُستخلفٍ ، وأبرّ خليفةٍ وأرأف ، فنصح الأمة في اختياره ، وقام في استخلافه
بواجب شريف نظره واجتهاده . وهو سيدنا ومولانا الإمام الظاهر بأمر الله أمير
المؤمنين ، ولد سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام ، الناصر
لدين الله أمير المؤمنين ، لا زالت أوامره مطاعة في جميع أقطار الآفاق ، مستعملية على
السبع الطباقي ، بأن ينادى في جانبي مدينة السلام^(٢) بالإفاضة بالعدل والإحسان ،
في عموم الرعايا بالطول والامتدان ، وكف كل يد عادية عن الظلم والعدوان ، وإزالة
ما أحدثه عمال سوء ، ولبسوا فيه من المون والتقسيمات ، والطرُوح والتأويلات ،
فليقبلوا هذه الرحمة العميمة ، وليؤدوا حق هذه النعمة الجسيمة ، ولتشكروا الله على
١٨ ما منحكم به في^(٣) هذه الأيام التي هَذَا عنوان شريف مراحمه ، ومبادئ عواطفه
المقدسة ومكارمه ؛ ثم أخلصوا الأدعية في دوام دولته ، والثبات على مفترض طاعته ،
وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلامه » .
٢١

(١) في المتن : « المدرسين » .

(٢) في المتن : « مدينة السلم » .

(٣) في المتن : « من » .

وقرى بعد ذلك في الأسواق ، وثر عليه الفضة والذهب ، وارتفعت الأصوات بالأدعية .

٣ وفي يوم السبت ثالث عشر شوال وصل رسول الملك الرحيم بسدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، معزياً بالإمام الفاصر ، ومهنياً بالإمام الظاهر ، وهنو الوزير ضياء الدين أبو الفتح نصر بن الأثير الجزري ، وأدى^(١) الرسالة بين يدي الوزير مؤيد الدين بن الملقمى ، نسختها :

٩ « بسم الله الرحمن الرحيم ، العبد يقوم بعذره قبل قوله ، فإن هذا المقام مقام مهابة ، لا تجد الخواطر فيه شبيحاً ، فإذا بلغ البليغ جهده ، كان قصاراه أن يسأل صفحاً - ثم أشار بيده إلى الوزير مؤيد الدين يقول :

إن كان لا يرضيك إلا محسناً فالحسفنون إذا لديك قليل

عبد الديوان العزيز النبوى ، لؤلؤ ، يعزى نفسه خاصة ، والمسلمين كافة ، بفقد من الإسلام له فاقد ، ومن لم فشك الوحدة لمصلية إلا إلى واحد، وهو سيدنا ومولانا الإمام الناصر لدين الله ، أمير المؤمنين ، الذى التفت الأرض منه على سجي ثراها ، ومسك عراها ، ونادى سُنَّة العدل والإحسان كما أن الله يراها ، فأى سحاب يصب عنها سبل مساوئيه ، وأى جبل حفت جنوبها لمزايلة مغاكبه ، لـكن تلافى الله تعالى بقيام ولى عهده من بعده ، سيدنا ومولانا الإمام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين ، فعطف الله هذه النعمة على تلك البؤسى ، وأنست من كلها الذى لولاهما لما كان يوسى .

١٨ وفى الحى الميت الذى غيب الثرى فلا أنت مغبون ، ولا الدهر غابن ، وما من أحد إلا فاستبدل عزاءه بهنائه ، ورأى عمود الإسلام قائماً بعد هدم بنائه ، وعلم أن الدهر أذنب ثم اعتذر ، وقال هذه الشمس طالعة إذ غيب القمر ، وأشبه لديه رتق هذا الفتق برتق فتق أبى بكر بعمر . وقد حضر العبد نائباً عن مرسله فى إعطاء صفقة يمينه وثمره قلبه ، أخذاً بقول الله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق

(١) فى المتن : « وأدا » .

أيديهم»^(١) ولو حضر البيعة سعد لرأى مطلعها سعدا ، ولم يجد من الدخول فيها
 بُدًا ، ولما غم في قطيفته غما ، ونأى عن دار قومه بعدا ، فهي أخت بيعة الرضوان ،
 دائمة الشرائط المشروطة وعقود الأيمان ؛ والموكب الذى التجأه بين صفوته وعيانه ،
 ومطية النجاة بين صهوة وعنان . وللسابق فى مثل هذا المقام فضيلة سبقه ، كما أن
 للصادق مزية صدقه ، وكلاهما مجموع لمرسى العبد فى الفوز بقصب المضمار ، والذى إسراره
 كإعلانه ، وقليل ما يستوى حالنا الإعلان والإسرار . ولئن غاب عن الحضور بنفسه
 فهو فى عداد من حضر ، والتمويل إنما هو على صدق النية التى أثرها هو الأثر .
 قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن وراءكم قوماً بالمدينة ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم
 وادياً إلا كانوا معكم » . فليعزل الديوان العزيز على القوى الأمين ، وليضنّ به وإنما
 يضمن بالضمين » .

وفى الملك الأفضل نور الدين على بن السلطان صلاح الدين . توفى بسميساط^(٢)
 فجأة ، فى شهر صفر . ونقل إلى حلب ودفن بها . وعمره يومئذ سبع وخمسين سنة .
 وملك بعده سميماس أخوه الملك المفضل قطب الدين موسى .
 ومن كتاب « جنى النحل »^(٣) ، قال صاحبه : حضرت يوماً بمدينة سميماس^(٤) ،
 وملكها يومئذ الملك الأفضل نور الدين على بن السلطان صلاح الدين ، وهو يعرض
 جيشه ، وأنا جالس معه ، فنظر إلى صبي تركى حسن الشباب ، وهو لا بس الزرد ،
 فقال لى : قد قلت فى هذا شئ على البديهة ، وأنشد :

وذى قلبٍ حديدٍ ليس يقوى على هجرانه القاب الجليد
 تدرع للورى درعا فأضحى وظاهره وباطنه حديد
 ومن شعره أيضا :

يا من يسود شعره بخضابه لعماء من أهل الشبية يحصل
 ها فاختضب بسواد حظى لحظة ولك الأمان بأنه لا يتصل

(١) سورة الفتح آية رقم ١٠

(٢) فى المتن : « بشميصات » .

(٣) فى المتن : « جنى النحل » .

(٤) فى المتن : « شميصات » .

وله في المعنى :

أى صديق سألت عنه فى الـ خـول وتحت النـل فى الوطن
وأى ضد سألت عنه سمعت ما لا تجبه أذى

٣

ومن كتاب « جنى النحل » أيضا ، قال : إن بمدينة الرُّها باب من جملة أبواب
المدينة ، يُعرف بباب إقساس ، متى فسد عندهم الشراب وصار خلًّا يدخلون به من
ذلك الباب ، فيعود شرابا كالحسن مما كان . وقال إن الملك كيكائوس السلجوقي

٦

– المقدم ذكره مع رسول نور الدين الشهيد – قال : دخل إلينا إلى الروم في وقت رجل
ادعى أنه نبي ، فقيل له : « ما علامة قولك وبيانه ؟ » قال : « أقيم اليوم والعشرة بغير أكل
ولا شرب ، وأظل عند ربى يطعمنى ويسقيني » . فامتنحوه ، وتركوه عشرة أيام بغير

٩

زاد ولا شراب في بيت عريانا ، ثم أخرجوه وهو كأصح ما يكون . فتمتعجب الناس
منه ، وتبعه قوم كثير ، واعتقدوه . ثم إنه فتش فوجد معه خاتم في أصبعه بوفق قد
صُنع ، فانتزع منه الخاتم ، فاستغاث الجوع العطش . وكان السرفى خاصية الخاتم .

١٢

ومن ذلك أن الملك كيكائوس المذكور ، كان قد حضر إليه ناصر الدين
ابن أبي النجيب ، وكان من الحسكاء الكبار يعرف خواص الطلبات ، فأدناه منه
وقربه إليه ، حتى عاد يدخل على الحریم بطريق الطب . فهو يته حظية من حظايا

١٥

السلطان المذكور ، فوشى به للسلطان ، وتحقق أمره . وحملت الجارية منه ، فأمر
السلطان بقتلها وقتله . فأما الجارية فإنها قتلت لوقتها ، وأما ناصر الدين فإنه ضرب
بالسيف فلم يعمل فيه شيء ، ثم ضرب بالسكاكين فلم تعمل فيه . ورأى نفسه أنه يجد

١٨

الآلم ويعذب ، ولا بد من موته ، فأمرهم أن يأخذوا من شعره حرزًا مشمعا صغيرا
محروزا عليه . فلما أخذوه وقع لوقته ميتا . وكان ذلك الحرز يمنع السيف أن يعمل فيه ،
والله أعلم .

٢١

وفيهما توفى جعفر بن شمس الخلافة الشاعر ، نسبته إلى الأفضل شاهنشاه أمير
الجيش ، المقدم ذكره في دولة الفاطميين . وكان فاضلا أديبا شاعرا . وله تواليف

٢٤ وديوان شعر ، فمن ذلك قوله :

- هى شدة يأتى الرخاء عقيبها وأسى يبشر بالسرور العاجل
وإذا نظرت فإن يوماً زائلاً بالبؤس خير من نعيم زائل
وله فى الوزير شكر : ٣
- مدحَّتكَ السنة الأنام مخافةً وتشاهدت لك بالثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخراً فى مدنى حتى أعيش إلى انطلاق الألسن
وحكى عنه أنه أصابته ضائقة شديدة فى أيام السلطان الملك العادل أبو بكر ٦
ابن أيوب ، فعمل قصيدة هجا بها الملك العادل وولده الكامل ، أولها يقول :
يا ظالمًا لُقِّبَ بالعادل ويا ناقصاً لُقِّبَ بالكامل
أهلكتُما كلَّ جميع الورى لاعتسما دهرًا إلى قابل ٩
- وهى طويلة ، وفيها سب قبيح فى مثل تلك الملوك الحسان ، أضربتُ عنها .
وكتبها ، وأتى بها إلى دار الوزارة بالقاهرة . قال : وأعطيتها إلى الطوائى صواب
العادلى ، وكان يومئذ أستاذار السلطان ، فجعلها فى جملة القصص ، فدخل بها إليه ١٢
فقرأها السلطان ، وجعلها تحت نغذه إلى أن قام من مجلسه ، وقد صار وقت الظهر ،
وخرج جميع الناس من بين يديه . فسير من كشف أمرى ، فوجدنى جالساً أنتظر الجواب
بما يكون ، فاستدعانى ، فدخلت عليه ، فقال : « هذا نظمك ؟ » . قلت : « نعم » . قال : ١٥
« فما حملك على هذا ؟ » . فقلت : « الفقر والفاقة ، إما تقتلنى فأستريح ، وإما أن تشملى
صدقاتك » . قال : فأمر لى بمائة دينار . فقلت : « ولا بد من مركوب » . فأمر لى ببغلة .
فخرجت من بين يديه . ثم خطر ببالى الزيادة . فقلت للطوائى : « أعدنى إليه » . فشاور ١٨
على فدخلت عليه . فقلت : « لم يشملنى إنعام السلطان بقوت العائلة » . فأمر لى بخمسين
أردب قمح . قلت : « وعليق البغلة » ، فأمر بعشرين أردب شعير . فخرجت ، ثم قات
للووائى : « أريد العودة إليه » . فقال الطوائى : « أظنك مجنون ، ورب السكبة » . ٢١
فقلت : « لا بد من المود إليه » . قال : فدخلت عليه ثالثة ، فقلت : « لا بد من خلعة

- أكدب بها العدو، وأسر بها الصديق » . فقال : « أما هذا فلا تسمع الناس أنك هجوتنا ونخلع عليك » . قلت : « فليكن هذا الإنعام الذي تصدق به السلطان مقررًا راتباً ٣ في كل سنة » . فقال : « أولاً تعيش لذلك . لكن احضر لنا مسودة هذه القصيدة التي أحسنت فيها وتفضلت » . فقلت : « ليس لها مسودة ، إلا حفظي لها بلساني » . فقال : « قطعه الله » . ثم خرجت من بين يديه وقبضت جميع ذلك . وهذا مما يمتد به ٦ من حلم الملك العادل ، رحمه الله .
- وفيهما فتح السلطان جلال الدين الخوارزمي مدينة تفليس . وهذه كرسى مملكة الكرج . وعجز عن فتحها سائر الملوك المتقدمة من آل سلجوق وغيرهم ، من حيث ٩ غلبت عليها الكرج . وكان^(١) الكرج لما إفتتحوها أبقوا من بها من المسلمين . فلما قوى سلطان جلال الدين وتبع الكرج وقتلهم بكل مكان ، طلب تفليس ، وافتتحها عنوة بالسيف ، بمساعدة من كان بها من المسلمين ، وقتل جميع من كان فيها ١٢ من الكرج .
- وفيهما كانت الوقعة بين عسكر جلال الدين وبين عسكر الملك الأشرف موسى . وكانت النصر للجماعة الأشرف ، ومقدمهم حسام الدين على الحاجب .

(١) في المتن : « وكانوا » .

ذكر سنة ثلاث وعشرين وستمائة

الفيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم أربعة أذرع وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً ٣
واثني عشر أصبعا .

ما لخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى أن توفي في هذه السنة - حسبما
يأتى من ذكر ذلك في تاريخه . والسلطان الملك الكامل بحاله . وكذلك الملوك
إخوته - حسبما تقدم من ذكرهم . والسلطان جلال الدين سلطان الشرق ، والحروب
بينه وبين التتار سجال . ٩
- وفي ربيع الآخر وصل القاضي محيى الدين بن الجوزى ، والأمير سيف الدين
ألب رسلان ، رسلا من جهة الإمام الظاهر بأمر الله ، ولقيهم السلطان الملك الكامل
من القصير^(١) الذى بظاهر القاهرة ، وضرب له خيم ، وجلسوا فيه ، واجتمع الناس ، ١٢
وكان يوما مشهودا . وقرأ ابن الجوزى التقليد ، وألبس السلطان الفرجية المذهبة ،
والجبة والعمامة السوداء ، وطوق ذهب مرصع بالجواهر الثمينة . وقلد بسيف محلى
مرصع ، وعلم مذهب . وقدم له حجرة صفراء منقولة بذهب ، وعدتها جميعها ذهب عين ١٥
مصرى مرصع . وقومت الخلعة بمد ذلك بخمسين ألف دينار . وخلع على أولاده ،
الملك المسعود والملك الصالح ، وقلدوا ، ومنطقوا ، وعلى جماعة من أعيان الدولة .
- ١٨ وفي جمادى الآخرة زوج السلطان الملك الكامل ابنته من ابن صاحب الروم .
وفي سابع عشر شعبان خرج السلطان متوجها إلى الشام . ثم عاد إلى القاهرة ،
ولم يتعد^(٢) بلبيس . وكانت^(٣) عودته سابع وعشرين رمضان المعظم .

(١) القصير : الاسم القديم لقرية أبي زعبل خارج القاهرة . وقد عرف القصير باسم «أبوزعبل»
في أواخر أيام دولة المماليك . انظر : محمد رمزي ، القاموس الجغرافى ج ٢ ص ٣١ .

(٢) في المتن : « ولم يتعدا » .

(٣) في المتن : « وكان » .

وفيهما توفي الإمام الظاهر بأمر الله . وعمل السلطان عزاءه في بركة الحجاج ، كما يأتي ذكر ذلك في تاريخه ، إن شاء الله تعالى .

٣ . وفي سابع ذى القعدة سافر الملك المسعود أفسيس إلى اليمن ، وودعه والده السلطان الملك الكامل إلى قلعة صدر ، ثم توجه إلى ثغر الإسكندرية .

وفيهما وصل جمال الدين يوسف بن الجوزي رسولا إلى الملك المعظم صاحب الشام ، يقول له عن الخليفة : « تخرج عن موافقة هذا الخارجى جلال الدين ، ونحن نصلح بينك وبين إخوانك » . وكان المعظم قد سير مملوكه إلى السلطان جلال الدين ، فرحله عن قفليس ، وأنزله على أخلاط . وكان الأشرف على حران ، نازل بها .

٩ . قال أبو المظفر - وكان ابن أخت الشيخ جمال الدين بن الجوزي - : قال لى المعظم : « قلت لخالك جمال الدين ، إذا أنا رجعت عن جلال الدين الخوارزمي ، وقصدنى ^(١)

إخوتى ، تنجدونى أنتم ؟ قال : نعم . فقلت : والله ما لكم عادة بنجدة أحد قبل حتى تنجدونى أنا . هذه كتب الإمام الناصر عندى ، ونحن على دمياط في حرب الإفرنج ،

١٢ . وهو الجهاد الأعظم المفترض على كل مسلم - دع أن يكون إمام المسلمين - ونحن نستصرخ به ، ونقول : « واغوثاه! أنجدنا! أنجدنا! أدرك الإسلام! » ، فيجيب الجواب

١٥ . بعد التوقف ، أن قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة فلم يقبلوا . ثم قلت له : مثلى معكم كمثل رجل شيخ كبير ، كان يخرج وقت السحر ليصلى بالمسجد وفى يده عكاز ، خوفا من

الكلاب ، فقال له بعض أصحابه : « أنت شيخ كبير تحمل هذا العكاز يُتَمَبِكُ حمله » . فقال : « إني أخشى الكلاب » . فقال له الرجل : « كن اقرأ سورة يس ، واخرج من

بيتك ، ما يقربك كلب » . ثم رآه بعد مدة والعكاز في يده ، فقال : « ألم أعلمك شئ ^(٢)

٢١ . وهذا العكاز لـالكلاب لا يعرف القرآن » . وأنا فقد اتفق إخوتى على ، وقد أنزلت

(١) فى المتن : « وقصدونى إخوتى » .

(٢) كذا فى المتن .

جلال الدين الخوارزمي على أخلاط ، فإن قصدني الأشراف منعه الخوارزمي ، وإن قصدني
 السكامل كان في - إن شاء الله - له . ثم وقع الصلح بين الأشراف والمعظم ، وحضر
 الأشراف إلى دمشق ، وسأل المعظم أن يُرحّل الخوارزمي عن أخلاط ، فكتب إليه ورّجّله .
 ٣ ونزل الثلج ، وأقام الأشراف عند المعظم بدمشق . وكان المعظم يلبس خلعة جلال الدين
 الخوارزمي ، ويركب فرسه ، ويحلف برأسه في مجلس ملكه . وكان عند الأشراف
 من هذا الحال المقيم المقعد ، وهو ساكت على مضض ، ولا يتكلم .
 ٦

وكانت ^(١) وفاة الإمام الظاهر بأمر الله يوم الجمعة ثالث عشر رجب الفرد من
 هذه السنة . وتولى الخلافة المستنصر بالله .

توفي الظاهر بأمر الله وله من العمر ثلاث وخمسين سنة كان شبيهه بآبيه ، ذو طباع
 خيرة ، جميل الذكر ، وزيره مؤيد الدين بن العلقمي .

قال ابن واصل في تاريخه في سيرة الظاهر بأمر الله : ولقد تباعد بينه وبين أبيه
 الناصر لدين الله تباعداً جداً في عدة أمور ، منها مدة خلافته وقصرها عن طول
 ١٢ خلافة أبيه . ومنها أنه كان في غاية العدل والإحسان إلى الخلق . وكان أبوه بالضد مرید .
 ومنها أنه كان في غاية التعصب لمذهب السنة ، وكان أبوه في غاية التعصب لمذهب
 الروافض . ومن كلامه يقول : « ليس غرضنا أن يقال يرد مرسوم أو تقدم مثال ،
 ١٥ ولا يبين له أثر ، بل أنتم إلى إمام فمالٍ أخرج منكم إلى إمام قوال » .
 مدة خلافته تسعة أشهر وأربع عشر يوماً .

١٨ ذكر خلافة الإمام المستنصر بالله بن الإمام الظاهر بأمر الله

هو أبو جعفر المنصور بن محمد الظاهر بأمر الله ، وباقى نسبه قد تقدم . أمه أم ولد ،
 يقال إن اسمها غريب . بويح له عند وفاة أبيه - رحمه الله - فكانت خلافته سبع عشرة

(١) في المتن : « وكان » .

سنة ، إلى أن توفي في تاريخ ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى . قال تاج الدين ابن الساعى - رحمه الله - في تاريخه : حضرت مبايعة المستنصر بالله - وقيل المستظهر بالله - وقد حضر أهل العقدة والحل من القضاة والعلماء والفقهاء والوزراء والأمراء .
 ٣ ولما رفعت الستارة ، شاهدته وقد كمل الله صورته ومعناه ، وحسن باطنه وظاهره ومحياه . قال : فخطرتلى فى الحال أبيات الحسن بن هانىء ، وهى :

٦	رفع الحجاب لنافبان الفاظر	قر تقطع دونه الأوهام
	ملك أغر إذا شرفت بوجهه	لم يروك التبجيل والإعظام
	والدهر مشتمل بنور خليفة	لبس الشباب بعمده الإسلام
٩	داوى بها الله القلوب من الجوى	حتى شرعن وما بهن سقام

ذكر سنة أربع وعشرين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم أربعة أذرع وعشرون أصبعاً . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً ٣ وعشرة أصابع .

ما لخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير مؤيد الدين بن العلقمي .
- وسلطان مصر الملك الكامل ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك العادل .
- وصاحب دمشق والسكر وعجلون - مع الشام - الملك المعظم عيسى بن العادل .
- ٩ وصاحب الشرق - أخلاط وحران والرُّها وسنجار - الملك الأشرف أخوها .
- وصاحب ميافارقين وأعمالها شمها ب الدين غازي بن الملك العادل أيضاً .
- وصاحب قلعة جعبر وأعمالها - وما ينسب إليها - الحافظ أرسلان شاه .
- ١٢ وصاحب بصرى وأعمالها - وما هو منسوب إليها - الصالح إسماعيل أبو الخيش .
- وسلطان الروم علاء الدين كيخسرو السلجوق بن كيخسرو السلجوق .
- وصاحب الموصل وجزيرة ابن عمر الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ النوري .
- ١٥ وسلطان المعجم جلال الدين منكبرتي بن السلطان علاء الدين خوارزم شاه .
- وصاحب بعلبك الملك الأجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن أيوب .
- وصاحب حمص الملك المجاهد أسد الدين شيركوه .
- ١٨ وصاحب حماه الملك الناصر بن الملك المنصور ، المقدم ذكره .
- وملك التتار جكزخان ، وهو يتجهز الجيوش لحرب جلال الدين .
- وصاحب اليمن والحجاز الملك المسعود أقيس بن الملك الكامل .
- ٢١ وصاحب المغرب أبو يعقوب بن عبد المؤمن ، المقدم ذكره فيه .
- وفيهما وسَّع السلطان الملك الكامل على جميع المدارس ، وجميع الرباطات والخوانق .
- وجعل فيهم سماعات تُمد ، وأطلق لكل فقيه الخبز واللحم والحلوى والسكر .

- وفي شهر شوال من هذه السنة كان ظهور الملك العادل بن السلطان الملك الكامل . وركب السلطان وجميع المسكر ، ومدّ سماءا عظيما بالميدان الذي تحت القلعة . ثم توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية في ذى القعدة .
- ٣ وفيها قدم رسول الأنبرور ملك الإفرنج^(١) على الملك المعظم صاحب الشام ، بعد اجتماعه بالملك الكامل ، بطلب الفتوح الصلاحى . قال أبو المظفر : وأغلظ له المعظم في الجواب ، وقال : « قل لصاحبك ما أنا مثل النير ما له عندى إلا السيف » .
- ٦ وفيها كانت الواقعة بين التتار وبين السلطان جلال الدين . وكان أولاد جلال الدين وحريمه بتبريز . وبلنه أن التتار قاصدين أصبهان ، نخشى على أولاده وحريمه ، وقصد ردهم عن مقصدهم ، فوصل إلى أصبهان ، وأزاح أعداد الناس من العدد والسلاح . ثم جرد أربعة آلاف فارس إلى مدينة الرى ودامغان^(٢) برسم الترك الذين هناك ، فكانت الأخبار تصل من جهتهم يوما بعد يوم ، وهم يتأخرون ، والتتار يتقدمون ، إلى أن وصلوا إلى عند السلطان جلال الدين ، وأخبروه بذلك ، وعرفوه بما فى عسكر التتار من الفرسان والشجعان ، مثل ياجى نوين ، واسطمنان ، وجنكزنوين ، وأرشاق بنان ، وغيرهم^(٣) . وهؤلاء المذكورين كانوا حجرة التتار الواقعة ، وصاعقتهم المحرقة . ثم وصل^(٤) التتار المذكورون^(٥) فى جموع كثيفة ، ونزلوا شرق أصبهان . وكان النجمون قد أشاروا على السلطان جلال الدين بمصابتهم ثلاثة أيام ، بعد نزولهم ، ويكون الملتقى^(٦) فى اليوم الرابع . فلزم البلد يترقب مضى
-
- (١) يقصد الأمبراطور فردريك الثانى أمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، انظر : العيني ، عقد الجمان - حوادث سنة ٦٢٤ هـ ؛ سعيد عاشور ، الأمبراطور فردريك الثانى والشرق العربى (بحث نشر فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الحادى عشر - ١٩٦٣) .
- (٢) فى المتن : « أمغان » .
- (٣) ذكر النويرى (نهاية الأرب - مخطوط) : « ومنهم ناجن نوين ، وبانال نوين ، وباقوا نوين ، وأمن طغان نوين ، وباماس نوين ، وناشاور نوين وغيرهم » .
- (٤) فى المتن : « وصلوا » .
- (٥) فى المتن : « المذكورين » .
- (٦) فى المتن : « الملتقا » .

- الثلاثة أيام . وكان الناس اضطربوا اضطراباً عظيماً ، وكثر انزعاجهم من التتار ، والسلطان يظهر قوة النفس ، وشدة البأس . ثم إنه استحلف جيوشه أنهم يختارون الموت على الحياة ، ولا يولون الأدبار ، ثم حلف هو أيضاً كذلك ، تبرعاً منه ٣ وإحسان . ثم إنه عين لهم يوم المصاف ، وأحضر قاضي أصبهان ورؤساءهم ، وأعرض الرجال من عامة أصبهان ، وقرق عليهم العدد . وهؤلاء أهل أصبهان لا يقاسون بغيرهم من أهل الأقاليم ، لما فيهم من الشجاعة والشدة وقوة البأس . ٦
- ولما رأى التتار أن السلطان أبطأ^(١) عنهم ، وتقاعد عن خروجه إليهم ، ظنوا أنه امتلاً منهم رعباً وخوفاً ، فجردوا ألني فارس منهم إلى الجبال ، ليجمعوا لهم ما يعونهم للحصار ، فدخلوا الجبال التي في أعمال أصبهان . فبلغ السلطان جلال الدين ذلك ، ٩ فجرد خلفهم ثلاثة آلاف فارس ، يأخذون عليهم فم المضيق . فلما انصرفوا من المغارة ، واقعهم . ونصر الله الطائفة الإسلامية عليهم ، وقتلوا منهم جماعة ، وأحضروا منهم أسرى^(٢) ، فسلموا منهم جماعة للقاضي ، فقتلهم في شوارع المدينة ، وضرب ١٢ السلطان رقاب بقيتهم بين يديه في صحن الدار ، وجروهم إلى ظاهر المدينة . فلما كان اليوم الرابع خرج السلطان ، ورتب الجيوش للمصاف . فلما تراءى الجمعان ، خذله غياث الدين أخوه ، وفارقه بجيشه ، وتبعه جهان بهلوان ، لوحشة حدثت في تلك ١٥ الساعة . وتغافل السلطان عنه . وامتدت عساكره ، ووقف^(٣) التتار أطلاقاً متفرقة مترادفة قبالة السلطان . وكان عسكره أضعاف التتار ، وتباعد ما بين الميمنة والميسرة ، حتى عاد لا يعرف حال الواحدة من الأخرى . ثم حملت ميمنة السلطان على ميسرة ١٨ التتار ، فشالوها شيئاً ، وانهزمت التتار بين أيديهم ، وكذلك فعلت الميسرة بميمنة التتار . ولم يزل السيف يعمل فيهم إلى المساء . ورأى السلطان انهزام التتار ، فترجل وسجد شكراً لله تعالى ، ونزل على حافة جرفٍ كان في المعركة قاطع بينه وبين العدو ، ٢١

(١) في المتن : « أبطىء » .

(٢) في المتن : « أسرا » .

(٣) في المتن : « ووقفوا » .

- فأتاه أحد أمرائه ، وقال : « قد تمنينا دهرًا أن نرزق يوما نقرح فيه مثل هذا اليوم . وأنت جالس ! » . ولم يزل به حتى ركب ، وقطع النهر ، وكان آخر النهار . فلما شاهد^(١)
- ٣ التتار السواد الأعظم ، تجرد جماعة من شجعانهم ، وكفؤوا لهم وقد أجنحت الشمس للغروب . ثم خرجوا على السلطان يدًا واحدة^(٢) ، كالنار المحرقة ، والصاعقة المبرقة . وكان خروجهم على ميسرة السلطان ، فلم يكن بأسرع أن زالت الأقدام وانهمزوا . ولم يبق مع السلطان غير ثلاثة نفر ، وهم : كوج تكين ، وبهلوان ، وخان بردى^(٣) .
- ٦ وقتل من الأمراء أياخان ، وكندكين . وماج الفريقان بعضهم في بعض كالجراد المنتشر . وأسر في ذلك الوقت علاء الدولة والحاجب الكبير . وثبت السلطان جلال الدين في القلب ، وقد تبدد شمله ، وانحل نظامه ، وتفرقت جيوشه وأعلامه ، وأعطت التتار به من كل جهة ، فصار المخلص من تراحم الأخلاط أضيق من سم الخياط . ولم يبق معه غير أربعة عشر نفر من خواص مماليكه ، فانهمز بعد ذلك وقد
- ١٢ طعن طعنةً ما سلم منها إلا بحراسة الأقدار وتحصين الأجل . ثم أفرج له المضيق عن سعة الطريق ، ففرق من بين الجيوش والأطلاب مروق السهم والنشاب . وتفرقت جيوشه في الأفطار كل فرقة تطلب إقليما للنجاة ، فمنهم من وقع إلى فارس ، ومنهم من امتدت به الجفلة إلى كرمان ، ومنهم من قصد أذربيجان ، ومنهم من دخل
- ١٥ أصبهان . وعادت ميمنة السلطان بعد يومين وهم يظنوا أنهم منصورون . والتتار أيضا أكثرهم انهزم ، ولا رجوع إلا بعد مدة . فلم يسمع بمثلها وقعة لانهمزام الفريقين .
- ١٨ وهمت عامة أصبهان أن يمدوا الأيدي إلى عورات نساء الخوارزمية وإلى أموالهم ، فمنعهم القاضي والرئيس من ذلك . وكان هذا المصاف في الثاني والعشرين من شهر

(١) في المتن : « شاهدوا » .

(٢) في المتن : « يد واحدة » .

(٣) جاء في نهاية الأرب للنويري : « ولم يسل منهم إلا ثلاثة وهم : كوج تكين بهلوان ، والحاجب الخاص خان بودى ، وأدل أمير أخور » .

رمضان المعظم من هذه السنة^(١) . ثم إن السلطان جلال الدين دخل أصبهان ونجا إليها متحصناً فلم يلبثوا فيها أرب ، فتوجهوا إلى خراسان ، فوجدوا قافلة فيها جماعة من التجار بأموال جمة ، فأخذوها وأطلقوا التجار من غير قتل ، وقاموا يخربون ويأسرون من وجدوه .

وفيهما توفي الملك المعظم عيسى صاحب دمشق - كما يأتي ذكره في تاريخه .
وبعد هذه الوقعة جهز جكزخان طائفة من التتار إلى خوارزم . وكان أهل خوارزم رجال شجعان لا يعرفون الموت ، فزل التتار عليها ، وأقاموا بقية هذه السنة يحاصرونها ، وقتل من الفريقين عالم عظيم . وكان القتل في التتار أعم وأكثر . وأقاموا عليها خمسة أشهر . فلما عجزوا عن أخذها بعثوا إلى جكزخان ، فأجدهم بمسكر كثيف ، وفيهم من أهل البلدان عالم عظيم . ثم إنهم زحفوا على البلد يد^(٢) واحدة فأخذوها ، وقتلوا جميع من كان بها ، ونهبوها . وفتحوا الجسر الذي كان يحجب جيحون عنها ، ففرقت .

وتوفي الملك المعظم شرف الدين عيسى - رحمه الله - في شهر ذي القعدة من هذه السنة ، وله من العمر على ما ذكر سبع وأربعين سنة .

وكانت مدة ملكه لدمشق - استقلالا بعد أبيه العادل - تسع سنين وشهورا . وكان رحمه الله ملكا جليلا شجاعا مقداما . وكانت مملكته ما بين حمص وعريش مصر . وكان عسكره قريب أربعة آلاف فارس ، ولم يكن عقد أحد من إخوته جند مثلهم في فرط تجماعهم وحسن زيهم . وكان بهذا العسكر القليل يقاوم إخوته . وكان الملك الكامل يخافه ويتحاماها ليل عسكره إليه ومحبتهم له . وكان كثير التواضع جدًّا عشي وحده بنير طرادين ، إذا فعل فعلا كان بنير تكلف حتى ضرب به المثل فيقال : معظمي بلا كلفة .

(١) ذكر النويري في نهاية الأرب (مخطوط) أن هذا المصاف كان سنة ٦٢٥ هـ .

(٢) في المتن : « يد واحدة » .

وكان شيخه في الفقه الشيخ جمال الدين الحصري .
 وكان سائر ملوك بني أيوب كلهم شافعية ، وانقردهم من بينهم بالانتماء
 ٣ إلى مذهب أبي حنيفة . وقال له والده ذات يوم في ذلك ولامه ، فقال لأبيه على سبيل
 الداعبة : « ياخوند ما ترضون أن يكون فيكم رجل واحد مسلم » .

ذكر سنة خمس وعشرين وستمائة

الذيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وتسعة عشر أصبعا . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا ، ٣ وعشرون أصبعا .

ما لخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والمالوك حسبما تقدم من ذكرهم في السنة التي قبلها .
وفي يوم الأحد تاسع عشر شعبان ، سافر السلطان الملك الكامل إلى الشام ، واستناب ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وركب بالسناجق والسيوف المجدية ٩ في دست المملكة ، في يوم الخميس سلخ شعبان المكرم .
وفي عشية السبت حادي عشرين شوال ، سافر الأمير نحر الدين بن شيخ الشيوخ ، وصحبته رسول الأنبرور ملك الفرنج . هذا والسلطان الملك الكامل مخيم ١٢ على تل العجول .

وفيها كانت وقعة السلطان جلال الدين مع التتار . وذلك أن التتار لما فرغ أمرهم من خوارزم ، تجهز منهم جيش عظيم إلى غزنة ، وقد كان السلطان جلال الدين انتقل ١٥ من أصبهان إليها ، واجتمع إليه الجيوش بها . فلما وصل التتار إليه ، خرج في ستين ألفاً^(١) ممن اجتمع إليه من مماليكه وخواصه ، ومن يعتمد عليه . وكانت عدة التتار الواصلين^(٢) إليه عشرون ألفا ، فالتقاهم بأرض تعرف بتلف ، وهي أرض ١٨ وطيدة فاقتتلوا هناك قتالا شديدا مدة ثلاثة أيام . ونصر الله الإسلام على الكفرة اللئام ، عبّاد التماثيل والأصنام ، وانكسرت التتار ، وقتل منهم في هذه الفوبة جماعة

(١) في المتن: « ألف » .

(٢) في المتن: « الواصلون » .

- من الكبار . وعاد المهزومون^(١) إلى جكرخان ، وهو نازل على طالقان . فعند ذلك جهز ولده توسيخان - وقيل بل تولوخان - بمساكر كثيفة من الغل من عظم ألب قرا أرسلان ، فوصلوا إلى كابل وهي بلد المعجم . وتوجه إليهم السلطان جلال الدين ٣ وضرب معهم مصافا عظيما ، واقتتلوا أشد قتال . ثم إن السلطان جلال الدين حمل بنفسه على القلب الذي كان فيه تولوخان بن جكرخان ، فبدد شمل القلب ، وقتل تولوخان في هذه القوبة ، وانكسرت التتار كسرة عظيمة ، لم يكسروا مثلها ٦ من قبل ذلك اليوم ، وغنم^(٢) المسلمون أموالهم وخيولهم . وكانت نوبة عظيمة على التتار ، لم يمرّ بهم منذ خرجوا من بلادهم أشنع منها .
- ثم اختلف المسلمون وتفرقت كلمتهم . وسبب ذلك أنه كان من مالوك المسلمين ٩ في جيش السلطان جلال الدين ملك يُعرف ببلناق ، وكان تركيا شجاعا مقداما في الحروب ، وله مع التتار عدة وقعات ينتصر فيها عليهم . وكان قد فعل في هذه النوبة في التتار ما لا تفعله الجبارة الجاهلية الأولون^(٣) . وكان في المسلمين أيضا ملكا آخر كبير القدر يقال له ملك خان . وكان بينه وبين السلطان جلال الدين حشاش ١٢ قديمة ، فإنه كان صاحب هراة وملسكها ، فأخرجه جلال الدين منها ، وصار في جملة جيشه . فاختلف هذان الملكان^(٤) لأمر يريد به الله تعالى ، ولسماعة التتار على ١٥ كسب كان من التتار . وقوى الأمر والشر بينهما حتى اقتتلا ، وقتل بينهما جماعة كبيرة . وقتل في الجملة أراق أخو الملك بلناق التركي . وعجز السلطان جلال الدين أن يوقف بينهما ، وقال : « بلناق يقتل أخى على سحت الدنيا » ، وغضب وفارق جلال الدين ، وسار إلى الهند في ثلاثين ألف فارس ، فأضعف المسلمين . فركب السلطان ١٨ جلال الدين واسترضاه بكل ما أمكنه ، فلم يقدر على رده ، وفارقه . ووردت الأخبار

(١) في المتن : « وعادوا المهزومين » .

(٢) في المتن : « وغنموا » .

(٣) في المتن : « الأولون » .

(٤) في المتن : « فاختلف هذين الملكين » .

على جلال الدين أن جكز خان لما بلغه قتل ولده تولوخان^(١)، رعى سرقوجه إلى الأرض،
وركب بنفسه في سائر جموع التبتار، وقصد نحوه في خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.
فلما علم جلال الدين ذلك، وتحقق ضعفه عن ملتقاه، سار إلى نحوه ماء السند،
وكانت الوقعة العظيمة بينهما. وانكسر فيها جلال الدين وغاب فيها خبره. أجمعت
الرواة من أرباب التواريخ أن السلطان جلال الدين ضرب مع التبتار في مدة ستة
عشر سنة أربعة عشر وقعة، لم ينكسر فيها غير مرتين، والثالثة التي^(٢) عدم فيها،
حسبما يأتي من ذكرها إن شاء الله تعالى.

(١) في المتن: «توليخان».

(٢) في المتن: «الذي».

ذكر سنة ست وعشرين ومائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة أصابع . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وعشرة أصابع .

ماخلص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن العلقمي بحاله . والسلطان الملك الكامل نجيم بقل العجول . والملك الصالح نجم الدين أيوب نائبا عن أبيه بالديار المصرية ، وولده الملك العادل يوقع في الأموال .

٩ وفي شهر المحرم كانت المراسلة بين السلطان الملك الكامل وبين الأنبرور . قال ابن واصل : اسمه الأنبرطور وتفسيره بالعربي ملك الأمراء ، ومملكته جزيرة صقلية ، ومن البر الطويل بلاد أنبولىة والأنبردية ، ملك الإفرنج .

١٢ وفي شهر صفر وصل صاحب حمص إلى خدمة الملك الكامل ، بقل العجول . وفي شهر ربيع الأول تقرر الصلح بين السلطان الملك الكامل وبين الأنبرور ملك الإفرنج ، وتسلم القدس الشريف - حسبما يأتي من ذكر ذلك - وشرط أن يكون في المسجد الأقصى الخطيب والإمام والمؤذن ، ويقام فيه الجمعة والصلوات الخمس في كل يوم .

١٨ وكان لما توفي الملك المعظم ، رحمه الله ، وقام بالملك بدمشق الملك الناصر داود ولده ، بعث الفخر بن بصاقة إلى الملك الأشرف عمه يستدعيه إليه خوفا من الكامل .

وكان الأمير عز الدين أيوبك أستاذار - المعروف بصاحب صرخد ، جدنا - قال للناصر داود - لما جلس - بطريق النصيحة : « داري عمك الكامل واستعطفه ، ولا تبعث إلى الأشرف ، وداوي الأخطر » . فخالفه في ذلك ، وحضر الأشرف ، ونزل بستانه ، وقال للناصر : « أنا أمضي إلى الكامل وأصلح حالك معه » . وحضر الأشرف فوجد الكامل قد أعطى الأنبرور القدس ، فشق عليه ذلك أمر عظيم^(١) ،

(١) كذا في المتن .

وعتب الملك الكامل في ذلك ، فقال : « ما أحوجنى إلى ذلك إلا المعظم ، فإنه أعطى
الأنبرور من الأردن إلى البحر ، والضياح التي من باب القدس إلى يافا ، فاحتجت أنا
أن أعطيه القدس أيضا » . ووصلت الأخبار إلى سائر بلاد الإسلام أن الملك الكامل
٣ أعطى القدس للإفرنج ، فقامت الدنيا على ساق واحد ، وعظم ذلك على سائر المسلمين ،
وأقاموا المآثم . وكان الملك الناصر داود منحرفا عن الأمير عز الدين أيبك صاحب
صرخد ، فتركه وقدم على السلطان الملك الكامل وهو على تل العجول . وكان عزمه
٦ العود إلى مصر : فلما أتاه الأمير عز الدين أيبك المشار إليه ، قال : « قد جاءني مفتاح
الشام » وأقبل عليه ، وأعطاه عشرة آلاف دينار . وجمع رأيه على السير إلى دمشق ،
فتوجه إليها ، واحتاطت المساكر بها من كل جهة . وقبض الناصر على الفخر بن
٩ بصاقه وابن عمه ، ورماهما في الحب . وكان قد اتهم الفخر بالأشرف ، وأنه واطأ على
الملك الفاصر .

وفيهما دخل الأنبرور ملك الفرنج إلى القدس الشريف ، وجرى له فيها عجائب ،
١٢ منها أنه لما دخل الصخرة رأى قسيسا جالسا عند الصخرة عند القدم ، يأخذ من الفرنج
القراطيس ، فجاء إليه كأنه يطلب منه الدعاء ، ثم لزمه رماه إلى الأرض ، وقال له :
« يا خنزير ، السلطان قد تصدق علينا بزيارة هذا المكان ، وتفعلوا فيه هذه الأفاعيل
١٥ القباح ! إن عاد منكم أحد إلى هذا الفعل قتلته » .

قال أبو المظفر : حكى لى قوام الصخرة ، قال : نظروا إلى الكتابة التي على الصخرة ،
وهي : « طهر هذا البيت المقدس صلاح الدين من المشركين » . فقال : « ومن هم المشركين ؟ » .
١٨ ثم قال للقوام : « ماهذه الشبابيك التي على أبواب الصخرة ؟ » قالوا : « تمنع العاصف » .
فقال : « قد أتى ^(١) الله إليكم بالخنازير » . وقالوا عنه أيضا : ولما أتى وقت الظهور أذن
المؤذنون ، فقام هو ومن كان معه من جماعته ، فصالوا . وكان معلمه الذي أتى معه
٢١

(١) في المتن : « أنا » .

- من صقلية ، يقرأ عليه المنطق ، وقيل إنه كان مسلماً^(١) في الباطن . وكان الأنبرور من صفته أنه أشقر ، أعمط ، أعمش ، لو كان عبداً ما ساوى سبعين درهما . وقيل إنه كان دهرياً ، وإنما كان يتلاعب بالنصرانية . قال أبو المظفر : وكان السلطان الملك الكامل قد أمر القاضي شمس الدين قاضي نابلس بأن يقول للمؤذنين - ما دام الأنبرور في القدس - لا يصعدوا المنابر ، وإنما يؤذنون في الحرم . فسها^(٢) القاضي عن ذلك ، ولم يقل للمؤذنين شيئاً^(٣) . فصعد في تلك الليلة عبد الكريم المؤذن - وكان حسن الصوت لذيذ النغمة - وسبح وقت السحر ، وجعل يقرأ آيات المختصة بالنصارى^(٤) ، مثل قوله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم »^(٥) . وقوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولدٍ »^(٦) ، وما أشبه ذلك من الآيات الشريفة . فلما طلع الفجر أذن ونزل ، فاستدعاه القاضي وقال : « يا عبد الكريم ماذا الذي صنعت ؟ السلطان رسم بكيت وكيت » . فقال : « ما عرفتني بشيء . والتوبة » . فلما كانت الليلة الثانية^(٧) لم يصعد عبد الكريم المؤذن ، ولا تسكلم . فلما كان بكر النهار ، طلب الأنبرور القاضي ، وقال : « يا قاضي أين ذاك الذي كان البارحة وذكر ذلك الكلام الحسن ؟ » . فقال : القاضي : « مرسوم السلطان لنا بكيت وكيت » . وعرفه ما وقع من السهو في ذلك . فقال الأنبرور : « لقد أخطأ يا قاضي . تنيرون أنتم شمائرهم وشرعكم ودينكم لأجلي ؟ . فلو كنتم عندي في بلادى كنت أبطل ضرب الناقوس لأجلكم ؟ الله لا تفعلون ذلك » . ثم إنه فرق على القوام والمؤذنين والمجاورين جملة كبيرة ، وطلب عبد الكريم المؤذن وأعطاه مائة دينار . ولم يبق بالقدس غير ليلتين ، وعاد إلى يافا ، وخاف من الديوية ، فإنهم أرادوا قتله .

(١) في المتن : « مسلم » .

(٢) في المتن : « فسها » .

(٣) في المتن : « شيء » .

(٤) في المتن : « النصارى » .

(٥) سورة آل عمران ، آية ٥٩ .

(٦) سورة المؤمنون ، آية ٩١ .

(٧) في المتن : « كان » .

قال ابن واصل في تاريخه : أن لما تسلم الأنبرطور القدس الشريف رسم الملك
الناصر داود لشمس الدين سبط الشيخ جمال الدين بن الجوزي أنه يصعد المنبر ويعزى
الناس على عهد الكامل بسبب تسليمه القدس للفرنج ، ليجتمع^(١) الناس على معاينة
الناصر داود على عمه الملك الكامل . قال : فصعد وجلس للوعظ ، وذكر مناقب
صلاح الدين في تطهيره للقدس الشريف من الفرنج ، ولوّح بما صار إليه في ذلك الوقت
وأشدد قصيدة ، منها يقول :

على قبة المراج والصخرة التي تفاخر ما في الأرض من صخورات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات
قال : فلم ير ذلك اليوم إلا باك وباكية .

وفيها اشتد الحصار على دمشق وألجأت الضرورة أن الناصر داود يخرج إلى عمه
السلطان الملك الكامل ، وأعطاه السكرك وعجلون والصلت ونابلس والقدس وقلعة
الخليل ، صلوات الله عليه ، وأخذ منه الشوبك . وتسلم السلطان الكامل دمشق في
شهر ربيع الأول من هذه السنة . ثم سار السلطان إلى مدينة حماه وانتزعها من
الناصر قليج أرسلان ، وأعطاه لأخيه الملك المظفر تقي الدين محمود ، وهو شقيق
الناصر قليج أرسلان ، وهما أبناء أخت السلطان الملك الكامل ، ولدى الملك المنصور
محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب .

وفيها توجه الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبوبكر
ابن أيوب إلى السكرك ، وأقام الأشرف موسى بدمشق ، وملسها له أخوه ، فدخل
عليه ابن عُنين الشاعر^(٢) وامتدحه . فلم يتفق عنده كما كان عند المعظم . وكان

(١) في المتن : « ليجمعوا » .

(٢) هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين ، الملقب شرف الدين ، الدمشقي المولود ، توفي سنة ٦٣٠ هـ

(انظر وفيات الأعيان لابن خلكان) .

ابن عُنَيْن هجاء خبيث اللسان ، فشرع يفعل عنده ما كان يفعله في مجالس المعظم ، فتهره الأشراف ، فخرج من عنده مكسوراً فقال :

٣ وكنا نُرجِّي بعد عيسى محمداً لينقذنا من شدة الضرِّ والبلوى
فأوقعنا في تيه موسى كما ترى حيارى^(١) فلا منّ لديه ولا سلوى

فبلغ الأشراف ، فغضب ، وأمر بقطع لسانه . فدخل عليه جماعة ، فحلف لا بد من قطع لسانه ، فحلفوا له أنه لم يقل هذا ، وإنما الأعداء تقولوا عليه . فقال الأشراف :
٦ « هذا ما يسلم أحد^(٢) من خبت لسانه ، ولا بد من قطعه » . فهرب ابن عُنَيْن إلى بلاده بزرع وهوران ، وتناقل الأشراف عنه .

٩ وفي أول شهر ذي القعدة راسل السلطان جلال الدين الإمام المستنصر بالله ، وسأله أن ينعم عليه بلباس الفتوة . وذلك أن جلال الدين كان قد قصد مشهد الإمام على رضى الله عنه . وكان تقيب الفتوة يومئذ الجلال عبد الله بن المختار ، فاجتمع به ورغبه في ذلك . فأجاب الخليفة سؤاله ، ووكل الإمام المستنصر بالله فخر الدين أبا طالب أحمد ابن الدامغانى^(٣) في الفتوة ، ونفذ معه الشيخ شمس الدين عبدالرحمن بن شيخ الشيوخ . وسيرّ معهما التشاريف والخلع ، وأصحابهما بالأمير سعد الدين بن الحاجب على ، فوصلوا إلى السلطان جلال الدين وهو على أخلاط محاصرة لها ، فألبسوه الفتوة وتشاريف
١٥ الخلافة ، ودخل تحت الطاعة .

وفيهما قصد ملك بكران^(٤) وبلاد سيف^(٥) ، البحر وركبه ، وقصد جزيرة

(١) في المتن : « حيارا » .

(٢) في المتن : « أحداً » .

(٣) في المتن : « الدمانى » .

(٤) كذا في المتن ، وربما المقصود « مكران » وهى على فم بحر فارس من غربيه (أبوالفدا ، تقويم البلدان) .

(٥) بلاد سيف : بلاد مطلة على سواحل بحر فارس منها سيف بن زهير ، وسيف بن الصفار ، وسيف آل المظفر (ياقوت ، معجم البلدان) .

قيس التي تعرف بكيش^(١) ، وكان في جمع كثير من المقاتلين ، ونازلها ، وملكها ، وغنم منها أموالاً عظيمة ، ما لا يقع عليه الحصر . وولى عليها رجلاً^(٢) من خاصته ؛ ورحل عنها .

٣

وفيهما توفي الملك المسعود أقيس بن السلطان الملك الكامل صاحب اليمن . وكان لما بلغه موت عمه الملك المعظم في سنة خمس وعشرين طمع في الشام ، وفعل أقبح فعل ، لم يسبقه إليه أحد من الملوك . وذلك أنه نادى في بلاد اليمن في جميع التجار : « من أراد السفر صحبة السلطان إلى الديار المصرية والشام فليتجهز ليأمن من الحقوق الموجبة عليه » . فجاءت التجار من الهند والسند بأموال الدنيا ، من كل صنف عجيب . فلما تسكملت التجار في زبيد ، أمرهم أن يكتبوا له سائر مامعهم ، وقال : ٩ « إنما القصد حمايتكم من الزكاة بالديار المصرية » . فسكتبوا له جميع مامعهم ، فصا : يكتب لكل تاجر رأس ماله ، وأخذ الباقي باليد عسفاً ، فأجمعوا^(٣) التجار رأيهم ، واجتمعوا ببابه ، واستصرخوا ، وقالوا : « نحن قوم من بلاد شتى ، ولنا سفين عن أهالينا ، فكيف تأخذ أموالنا ؟ » ، فلم يلتفت إليهم . قال أبو المظفر : بلغني أن كان ثقله في خمسمائة مركب ، ومعه ألف وسبعمائة خادم ، ومائة قنطار عنبر خام ، ومائة قنطار عود قاقلي ، ونوافج مسك ، وبراني مسك ، ومائة ألف ثوب حرير ، ومائة صندوق ١٥ من الجواهر والأموال . ثم ركب الطريق إلى مكة - شرفها الله تعالى - ففرض في الطريق مرضاً شديداً ، فدخل مكة إلا وقد انفلج ، ويبست يدها ورجلاه ، ورأى في نفسه العبر . فلما احتضر ، بعث إلى رجل مغربي من المجاورين بمكة ، وقال له : « والله ما أَرْضَى لِنَفْسِي من جميع مامعي كَفَفْنَا أَتَكْفَنَ فِيهِ ، فَمَسَى تَتَصَدَّقُ عَلَيَّ بِكَفْنٍ » . ١٨ فأرسل إليه نصفيتين وهاتئ درهم ، وودفن في المعلى . وقيل : إن الهواء ضرب بعض المراكب ، فعادت إلى زبيد ، فأخذوها^(٤) أصحابها .

٢١

(١) جزيرة قيس أو كيش جزيرة في بحر عمان تشتهر بالؤلؤ ، وكانت مرفأً لمراكب الهند وبحر فارس (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٢) في المتن : « رجل » .

(٣-٤) كذا في المتن .

قال أبو المظفر : وسر الملك الكامل بموته . ولما حضر خازنه إلى بين يديه ،
 ماسأله كيف مات ، بل قال : « كم ممك من المال والتحف » . وكان هذا الملك
 ٣ المسمود أفسيس ، رجل مجنون ، عديم الدين ، وفعل في الحرم الشريف قبل ذلك
 أفعالا^(١) قبيحة ، من جعلها أنه كان يرى الطيور التي في الحرم بالبندق في وسط^(٢)
 الحرم الشريف ، مع أشياء لا يطاق سماعها ، فعوقب ، ولم يمهل . فنعوذ بالله من
 ٦ الاعتقاد الفاسد ، والتجاسر على المحارم ، والتعرض إلى ما نهى عنه ، والتخلي عما
 أمرنا به . ونسأله العافية في الدين والدنيا والآخرة .

(١) في المتن : « أفعال » .

(٢) في المتن : « وسط » .

ذكر سنة سبع وعشرين وستمائة

الذيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ذراعان فقط. مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون أصبعاً. ٣

ما لخص من الحوادث

الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن العلقمي بحاله . والملوك

حسبما ذكرناه في السنة الخالية من ممالكهم ، كل منهم بحاله . ٦

وفيها ملك السلطان جلال الدين أخلاط ، وفيها إخوة السلطان الملك الكامل

نغر الدين وتقي الدين ، مع أهل الملك الأشرف ، بمد حصار شديد . وأكل أهلها

الميتة ، وأبيعت قطعة من جلد بألف درهم . وكانت ^(١) مدة إقامته عليها عشرة أشهر ، ٩

ثم دخلها بالسيف عنوة ونهبها ، وأسر المسلمين ، والكرجيسة زوجة الأشرف ،

ودخل بها من ليلته .

هذا والسلطان الملك الكامل كان ببحران ، ثم إنه نزل الرقة ، وبلغته خير أخذ ١٢

أخلاط فيها . وبلغ الملك الأشرف ذلك وهو بدمشق ، فخرج على وجهه حتى أتى الرقة.

وكتب صاحب الروم الملك كيخباد إلى الملك الأشرف يقول : « تحضر إلى عندي

لنتفق على هذا الذي أخرب البلاد وأهلك العباد ، فعندى المال والرجال » . فشاور ١٥

الأشرف الكامل على ذلك ، فقال : « مصلحة » . ورجع الملك الكامل قاطعاً ^(٢)

الفرات ^(٣) في سبعة آلاف فارس ، طالباً إلى ديار مصر . وسار الأشرف إلى حران

في سبع مائة فارس ، وعدوه السلطان جلال الدين خوارزم شاه . فأقام ببحران ، ١٨

وكتب إلى حلب وإلى الموصل والجزيرة ، فجاءته العساكر . ورحل يريد الروم وصحبته

أخويه تمهات الدين غازي والملك العزيز عثمان ، وكذلك الملك الجواد وشمس الدين

(١) في المتن : « وكان » .

(٢) في المتن : « قاطع » .

(٣) في المتن : « الفرات » .

- صواب ، وبقية الأمراء الكبار . ووصل إلى الروم واجتمع بصاحبه الملك كيقيباذ .
 قال أبو المظفر: حكى لي الأمير عماد الدين بن مُوسك ، قال : لما وصلنا إلى الروم، خرج
 إلينا عسكر أرزنكان^(١) في اثني عشر ألف فارس ، فكان نجدة لنا . ونزلوا في مرج
 يستريحون ، وقد أرموا سلاحهم ، وأطلقوا خيولهم للمرعى . فتربهم الخوارزمي - وهو
 السلطان جلال الدين - ولم يعملوا به ، فهجم عليهم فقتلهم وأسرهم ، ولم ينج^(٢) منهم
 إلا القليل . وضعفت قلوب الناس لذلك . قال : وأقننا مكاننا إلى عشية يوم الخميس ،
 فوصل قاصدنا ، وأخبر أن العدو يخرج علينا صباح يوم الجمعة . قال : فرتبنا العساكر
 والشاليش في الأول ، ثم العرب ، ثم الحلبيين ، ثم شمس الدين صواب ، ثم الملك
 الجواد ، ثم العزيز عثمان وشمس الدين غازي . ثم تبعنا أطلاب الروم ، وكيقيباذ في
 الطلب الخاص ، والملك الأشرف في الطلب الخاص أيضا . قال : وكنا في أرض وعرة ،
 نخرجنا إلى أرض سهلة وطئة ، وإذا بطلائع جلال الدين الخوارزمي وقد طلعت . قال :
 فالتقوهم العرب وكسروهم ، وأخذوا منهم مائة فارس ، وقتلوا مائة أخرى . ولم يتقدموا
 إلينا ، ونزلوا ونزلنا ، وبيننا وبينهم جبل عظيم . وخفنا خوف عظيم . وليس معنا ماء
 ولا زاد ولا علف لدوابنا . فقال الأشرف : « أين المفر؟ » . فلما كان وقت السحر - قبل
 طلوع الشمس - أمر جلال الدين الخوارزمي لمن بقي من عسكر أرزنكان فسكرانوا
 سيف وخمسمائة نفر ، فضرب رقابهم . فلما كان بكرة يوم السبت ثامن شهر رمضان
 المعظم ، قطعوا إلينا الوادي ، ووقف الخوارزمي على رأس الجبل ، وسنجه في الوادي .
 ووقع القتال ، فأرسل الله تعالى ضبابا ، فلم ير أحد^(٣) كفه ، ووقعت السكسة على
 جلال الدين الخوارزمي وجيشه ، ونصرنا الله عليهم ، وولوا منهرمين ، ووقع بعضهم

(١) في المتن : « أرزكان » ؛ جاء في معجم البلدان أياقوت أن أرزنكان - أو أرزنح -

بلدة مشهورة من بلاد أرمينية بين بلاد الروم و خلاط . قريبة من أرزن الروم .

(٢) في المتن : « لم ينج » .

(٣) في المتن : « أحدا » .

- في الوادي من قوة الضباب ، ما راوه . وأصبحوا ما بين أسرى^(١) وقتلى . وغنم المسلمون - منا ومن الروم - جميع أموالهم وأثقالهم وخيلهم وسلاحهم ، وامتلاّت تلك الأودية من قتلاهم . وقال الأشرف لصاحب الروم : « لا بد لي من أخلاط » ، فأعطاه ولأصحابه من الأموال والخيل والنجب والقماش ما قيمته ألفى ألف دينار . ورجع الرومي إلى بلاده . وجرد من الملك الأشرف بعض عسكره ، فنزل أرزن^(٢) الروم ، وكان صاحبها مع جلال الدين ، فأخذها الأشرف منه ومسكه ، ونقذه إلى صاحب الروم ، وسلم أرزن إلى نوابه . وسار إلى أخلاط . ولما وصل الخوارزمي مكسورا إلى أخلاط أخذ جميع ما كان له فيها ، والكرجية [زوجة الأشرف] ، وإخوة السلطان ونزل على أرجيش^(٣) . وجاء الأشرف إلى أخلاط ، وسار خلف الخوارزمي ، فأبعد عنه . وتراسلوا ، واصطالحوا على أن الخوارزمي يطلق من عنده من الأسرى^(٤) ، فأطلق إخوة السلطان ، وبعث بهما إلى الإمام المستنصر بالله ، فأثمن عليهما الخليفة ، وأرسلهما إلى أخيهما مع رسول من جهته . وأقام الأشرف شهراً ، ثم عاد إلى أخيه الكامل ودخل مصر . وتسلم أخلاط شهاب الدين غازي بعد أخذها من نواب الخوارزمي . وترك الطواشي شمس الدين صواب بحمران والرها .
- وفي شوال ستر السلطان الملك الكامل الطغتكين واليا على مكة ، ثمرنها الله تعالى . وفيها بعث الأشرف أخاه الملك الصالح إسماعيل المعروف بأبي الخيش إلى بعلبك وحاصرها ، وصاحبها الملك الأحمدي . ثم قدم الأشرف بنفسه إليها . ثم دخل بينهما في الصلح الصالح صفى الدين . وأخذت بعلبك من الملك الأحمدي . ثم إنه قتل بعد ذلك بخمسة أشهر ، قتله مملوك له . ثم إن ذلك المملوك رمى بنفسه من أعلى القصر فهلك . وكان مدة مملكته بعلبك تسع وأربعين سنة ، ملكها سنة ثمان وسبعين وخمسة . وكان جيد الشعر حسنه .

(١) و المتن : « أسرا » .

(٢) و المتن : « أرزن » .

(٣) أرجيش ، بالفتح ثم السكون وكسر الجيم : مدينة قديمة من نواحي أرمينية الكبرى قرب خلاص ، وأكثر أهلها أرمن نصارى (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٤) و المتن : « الأسرى » .

ذكر سنة ثمان وعشرين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم ذراع واحد ونصف أصبح . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وعشرة أصابع .

ما تلخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن العلقمي . والسلطان الملك الكامل بالديار المصرية . ووصل الملك الأشرف وصحبته صاحب الجزيرة إلى القاهرة المحروسة .

٩ وفيها كانت كسرة جلال الدين من التتار . وقتل ، وانقطع سلطانه . وسبب ذلك أن التتار لما بلغهم كسرة جلال الدين من الأشرف وصاحب الروم ، طعموا فيه ، وطلبوه وقصدوا توريث . فانهزم منهم إلى ديار بكر . وكان قد استعطف صاحب آمد أنه يفتح له الباب إذا حصره^(١) التتار ، ويكون ظهراً له ، فجاء إلى آمد ، فغلقوا في وجهه الباب ، ورموه بالحجارة من فوق الأسوار ، فأخذ على وجهه . هذا بعد ما كسره^(٢) التتار في شهر شوال من هذه السنة ، وهي الكسرة التي لاجبر لها ، بعد عدة وقائع قد تقدمت أخبارها بحكم التلخيص . ووصل الخوارزميون مكسورين^(٣) من التتار ، وخرج عسكر حران والرُّها ، وقاتلوهم ونهبوهم .

وأما جلال الدين فإنه وصل إلى أطراف الجبال ، فوصل إلى قرية من أعمال ميافارقين ، فطلبه^(٤) التتار من شهاب الدين غازي ، فقال : « والله ما أعلم أين هو » . فقاتلوا ميافارقين أياماً ، فلم يقدروا على شيء منها ، فعادوا إلى الفاضلية ، فقتلوا نيفاً^(٥)

(١) في المتن : « حصروه » .

(٢) في المتن : « ما كسروه » .

(٣) في المتن : « مكسورون » .

(٤) في المتن : « فطلبوه » .

(٥) في المتن : « نيف » .

- وعشرين ألف نفر^(١) من المسلمين وأحرقوها . وعادوا إلى أخلاط ، وكانت بوادر الشتاء قد أقبلت ، ووصلت طائفة منهم إلى نصيبين . وكان جلال الدين لما وصل إلى تلك القرية التي من عمل ميافارقين وحده ، وليس معه غيره ، أنزله بعض الأكاري^(٢) ٣ عنده ، وطمعت نفسه في ما كان عليه من القماش ، فقتله عندما نام في الليل . فبلغ المظفر شهاب الدين غازي ذلك ، فنفذ أحضر الكردى ، وأحضر قماش السلطان جلال الدين وفرسه ، وتأسف عليه ، وأمر بقتل جميع أهل تلك القرية كبيرهم ٦ وصغيرهم ، تأديبا لغيرهم ، بحيث لا يعود أحد يجسر على الملوك . وانقطع ملك جلال الدين ، وتشتت الخوارزمية وتمزقوا كل ممزق .
- قال المنشي^(٣) في تاريخه - وهو مصنف سيرة السلطان علاء الدين وولده جلال ٩ الدين - : إن الذي ملكه السلطان جلال الدين بعد أبيه علاء الدين أربع مائة مدينة ، مثل خراسان وأصبهان وسمرقند وبخارا ، وأنظارهم ، فشرهت نفسه حتى قتله شرهه . وكان قد أساء السيرة في آخر وقت ، وبدت منه أمور تلي إلى الجنون ، لابل هو الجنون ١٢ بعينه . منها أنه كان له مملوك^(٤) يسمى قاشي^(٥) ، وكان يحبه محبة عظيمة ، فأت ذلك المملوك ، فحزن عليه حزنا شديدا حتى أخرجه عن حد الاعتدال . وأمر أن يُجمل في تابوت وصبر . وكان يحضر تابوته على الطعام والخوان ، ويقول ساعة ساعة : ١٥ « اطلبوا قاشي ! جيبوا قاشي ! » . ويسير إليه الطعام من قدامه ، والفاكهة والحلوى ،

(١) في المتن : « نفر » .

(٢) الأكاري ، جمع كردى .

(٣) في المتن : « المنشي » وهو تحريف ، والمقصود نور الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي النسوي ، كان كاتباً للسلطان جلال الدين منكبرتي خوارزمشاه ، وأنجز كتابه هذا عن سيرة السلطان المذكور سنة ٦٦٧ هـ . (حقق هذه السيرة الأستاذ حافظ حمدى ونشرت في القاهرة سنة ١٩٥٣) .

(٤) في المتن : « مملوكا » .

(٥) ورد أمام هذه العبارة في هامش الصفحة مانصه : « قرأت في تاريخ ابن واصل أن اسم

هذا المملوك قليج »

ولا يقدر أحد^(١) أن يفوه بموته . فلما رأى كبار دولته ووزرائه ذلك علموا أنه خولط في عقله ، فتخلى عنه كثير من جموعه .

٣ وفيها كان الفلاء بمصر .

وفي خامس عشر شعبان أمر السلطان الملك الكامل بحفر البحر الذي من دار الوكالة بمصر إلى صناعاة التمر^(٢) . واستعمل فيه الملوكة والأمراء والعوام . وعمل

٦ هو بنفسه فيه . وكان البحر في نقصه قد صار طريقاً من مصر إلى الجزيرة ، نفشى عليه من ردمه ، فاجتهد فيه ، وغرق عدة مراكب ، وغرم جملة أموال ، حتى سلط البحر ، واستقر بين مصر والجزيرة .

٩ وفيها نفذ ملك السكرج - المعروف بابن البهلوان - إلى الملك الأشرف ، بقصد اجتماع السكامة على ملتقى^(٣) التتار ، لما بلغه أنهم قاصدين نحوه ، فلم يحصل بينهما اتفاق لأمر أراده الله عز وجل في تسليط هؤلاء القوم ، فلا مفر من حكمه .

وفيها كان وصول السترين الرفيعين فاطمة خاتون بنت الملك الكامل إلى زوجها الملك العزيز صاحب حلب ، وغازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل أيضاً إلى زوجها الملك المظفر صاحب حمه . وكان خروجهما صحبة ركاب السلطان لما توجه إلى بلاد الشرق . وكان لوصولهما همهم عالية يقصر عنها الوصف ، فأضربت عنه لطوله ، وكون تاريخنا تاريخ تلخيص . ١٥

(١) في المتن : « أحدأ » .

(٢) كذا في المتن ، وفي كتاب السلوك للعقريزي : « فيها شرع الملك الكامل في حفر بحر النيل الذي فيما بين المقياس وبر مصر ، وعمل فيه بنفسه » (السلوك ج ١ ص ٢٤١) .

(٣) في المتن : « ملتقا » .

ذكر سنة تسع وعشرين وستمئة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم ثلاثة أذرع وثمانية أصابع . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا فقط . ٣

ماخلص من الحوادث

الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن العلقمي بحاله . والسلطان الملك الكامل سلطان الإسلام . وسائر الملوك حسبما تقدم من ذكرهم ، خلا السلطان جلال الدين الخوارزمي ، فإن ملكه زال . فسبحان من لا يزول ملكه ولا تنيره الليالي .

وفيها - في شهر المحرم - وصل^(١) رسل الخليفة الإمام المستنصر بالله ، وها الأمير عز الدين أبقرا^(٢) ونغر الدين رفيقه ، واجتمع بهما السلطان عند وصوله من ثغر الإسكندرية ، وخرج إلى لقاءهما في الحراقة إلى شبرا ، بسبب وجع رجله . وألبسوه التشريف اللائق بمثله على عادته ، وأركبوه فرسا أثمها ممنعولا بالذهب الأحمر ، وسيفين مجوهرين ، وثلاثة أحر للسلاح دارية ، وترس مرصع بأنواع الجواهر . وكذلك لكل واحد من أولاده خلعة مزركشة ، وسيفا محلاه ، ومركوبا حسنا . وخلع كثيرة للأمراء الكبار بالدولة . وظنوا أن له وزيرا فسير إليه خلعة سنية ، وبغلة ، ودواة ، فقال السلطان : « ليس لي وزير » ، فحمل ذلك إلى خزائنه . ١٢

وفي هذه السنة اجتمع بباب السلطان من الرسل من سائر أقطار الأرض ما لم يجتمع بباب ملك قبله ؛ وهم رسل الخليفة ، ورسل صاحب الموصل ، ورسل صاحب الكرج ، ورسل صاحب حلب ، ورسل صاحب حماة وحمص ، ورسل ملك الهند ، ورسل الإفرنج ، ورسل صاحب شيراز ، ورسل صاحب جزيرة الأندلس ، وغيرهم . ١٨

(١) في المتن : « وصلوا » .

(٢) كذا في المتن ، وفي الملوك للعقريزي (ج ١ ص ٢٤٣) : « عز الدين يبقرا ونغر الدين ابن الدامغانى » .

فأحضر الجميع في يوم واحد ، وكان يوما مشهودا . ثم عقب رسل الخليفة الشيخ بهاء الدين [اليزدي]^(١) - شيخ رباط الأخلاطية - من بغداد في جماعة من النجابين ، يحثون السلطان على الغزاة للتتار . ٣

وفي ثامن عشر جمادى الآخرة توجه السلطان الملك الكامل طالبا للشام بنية الغزاة للتتار ، وجعل نائبه بالديار المصرية ولده الملك العادل . وفي تاسع جمادى الآخرة توجه الأمير نحر الدين إلى مكة - شرفها الله تعالى - ودخلها خامس شهر رمضان المعظم بالسيف عنوة . وهرب راجح ، وقتل جماعة من أقاربه . وقتل من كان بها من العسكر المبني . ٦

وفي سادس عشرين ذى الحجة ملك السلطان الملك الكامل آمد ، وأخذ صاحبها منها ، وملكها لولده الملك الصالح نجم الدين أيوب . ٩

وفي ثامن عشر ذى الحجة توفي نحر الدين عثمان [بن قزل]^(٢) أستاذار السلطان ، وكانت وفاته بظاهر حران . ١٢

وفيها ملك بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل - قلعة سوس ، وكانت لتق الدين زنكي ابن نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مظفر الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، صاحب الموصل قديما . ولما ملكها عظمت كلته ، وقمع أولاد ١٥

أستأذه ، واستقام له الملك ، ونعت نفسه الملك الرحيم . وبعث إليه الخليفة تقليدا بالملك . ولم يزل ملكا حتى أخذت التتار بغداد ، ودخل تحت طاعة هلاوون ، واستولى على عدة ممالك من العراق والجزيرة . حكى لى والدى - رحمه الله - عن ١٨

مخدومه الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار - رحمه الله - قال : كان لما تحكمت التتار على البلاد ، ودخل بدر الدين مملوك لؤلؤ صاحب الموصل تحت طاعة هلاوون ، كان له مملوك يسمى أيان - أرمي الجنس - وكان له عنده مزينة كبيرة . قال أيان : فبلغ ٢١

(١) ما بين حاصرتين لإضافة من السلوك للمقرئ (ج ١ ص ٢٤٣) .

(٢) ما بين حاصرتين لإضافة من السلوك للمقرئ (ج ١ ص ٢٤٤) .

- الرحيم بدر الدين لؤلؤ أن الوزير خواجا رشيد - وزير هلاوون - يسمى في تنوير خاطر هلاوون عليه ، فقال بدر الدين : « والله لأقتله ولأمكن أذن هلاوون يدي » .
- قال أيان : فلما سمعت ذلك وكنت أدل عليه بالكلام ، فقلت : « سبوح قدوس » . فالتفت ٣ إلى وقال : « سوف تنظر ذلك بعينك يا أرمني نجس » . قال : وكان عنده رجل يُعرف بالصوفي ، وكان أُوحد أهل زمانه في المنادمة وأخبار الناس . فقال له بدر الدين : « تتوجه إلى الأردوا ، وتتوصل إلى صحبة خواجا رشيد ، فإذا ملكته بحلاوة منادمتك . ٦ أنا أعلم أنه يقبل عليك . وتنفق عنده وهو رجل شره النفس في المأكَل ، ويحب الفواكه يجنيها من على شجرها على الندوة . ولا بد أن تسير معه في بعض البساتين . فخذ هذه الثلاث إبر معك ، واجتهد إن تشكهم في بعض ما يتناولونه منك من الفاكهة . فإذا ٩ علمت أنه حصل في أمعائه ^(١) من تلك الفاكهة - ولو ثلاث - فقد حصل الغرض ، فتوجه إلينا فتدجمع لك البريد في سائر الطرقات حتى تصل إلى عندي إن شاء الله سالماً » .
- قال : فكان الأمر كذلك ، ووصل الصوفي عائدا بعد أن قضى الشغل في الخواجا ١٢ رشيد . ووردت الأخبار بعد ذلك بموته . فقال بدر الدين لؤلؤ لمعاوكة أيان : « كيف رأيت ؟ » . فقال : « أمّا قتل الوزير فقد صح لك . فكيف تمك أذن هلاوون ؟ » .
- فقال : « سوف تنظر يا أرمني نجس » . ثم إن بدر الدين تجهز وتوجه إلى خدمة ١٥ هلاوون ، وأخذ صحبتته من الزراكش والمصاغات والملابس وما أشبه ذلك للخواتين . واستصحب معه ماشطتين حذاق بزينة النساء ، وتقديعهما إلى خواتين المغل من الأمراء السكبار ، ومعهما لكل واحدة من ذلك الزركش والمصاغ والقماش والزينة ١٨ ما يليق بها . وأصلحوهن المواشط وزيفوهن أحسن زينة ، ولبسوهن ذلك القماش المذكور ، فمادوا كأنهن البدور الطلّح . ونظروا وجوههن في المرأة فأعجبهن أنفسهن . وخرجن لأزواجهن فقالوا : « ما هذا المليح ؟ » . فقلن : « بدر الدين لؤلؤ » . فأعجب أزواجهن ٢١ ذلك كل الإعجاب ، وشكروا بدر الدين عند هلاوون شكراً كثيراً . وكذلك خواتين هلاوون ، وولده أبنا ، ومنكتمر . قال أيان : فحضر بدر الدين بين يدي هلاوون ،

(١) في المتن : « معاه » .

فقربه ، وأخاع عليه ، وأجلسه فوق من عادته . فقام إليه منكتمر بن هلاوون ،
 وضرب قدماه جوك ، وناولاه هذاب مشروب . فقام بدر الدين وتناولاه ، وقبل يده ،
 ٣ وأخرج له زوج حلق فيهما جوهرتين فجعلهما في أذنه . فقام بعمه أبنا أخوه ، وفعل
 كذلك ، فأخرج له زوجاً^(١) آخر أحسن من الأول ، وجعلهما في أذنه . فقال هلاوون :
 « يا بدر الدين هؤلاء الشباب لهم هذا وأنا ؟ » . فقام بدر الدين وقبل الأرض ، وأخرج
 ٦ زوج يشمل كالشمس ، لا قيمة له . وتقدم إلى هلاوون وجعل رأسه على نغذه ؛ وعاد
 يعمك في أذنه وينظر إلى . فقال هلاوون : « أباه ! أباه ! » . فقال بدر الدين : « الله
 يحفظ^(٢) القان ، إنما فعلت هذا حتى يخدر ويجوز الحلقة من غير ألم » . ثم ركب الحلق
 ٩ في أذنه بعد معكهما معكاً جيداً . قال أيان : فلما عدنا من عنده مكرمين^(٣) ، قال لي :
 « كيف رأيت يأرمني ؟ » . قالت : « والله ما يخلفك الزمان أبداً » .

قال ابن واصل في تاريخه : في هذه السنة كانت صلة الملك الناصر داود بن المعظم
 ١٢ صاحب الكرك بعمه الملك الكامل وزوجه بابنته عاشورا خاتون وهي شقيقة الملك
 العادل سيف الدين أبي بكر .

قال : وفيها كان توجه السلطان الملك الكامل والملك الأشرف^(٤) أخوه إلى بلاد
 ١٥ الشرق من الديار المصرية ، وملكاً مدينة آمد من صاحبها وهو الملك المسعود
 ابن الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق . وذلك لما بلغ
 الملك الكامل ما كان عليه من قبح السيرة وتعرضه لحرمة الناس وارتكابه المحارم .
 ١٨ واستصحب الملك الكامل معه في هذه السفرة ولده الملك الصالح نجم الدين
 أيوب ، ورسم له بالإقامة ببلاد الشرق ، وأقام الملك العادل بالديار المصرية عناية به ،
 لمحبتة أمه ، ومحبتها من قلبه^(٥) .

(١) في المتن : « زوج » .

(٢) في المتن : « يحفظ » .

(٣) في المتن : « مكرومين » .

(٤) في المتن : « السلطان الملك . . . أخوه » والتصحيح من مفرج الكروب لابن واصل ،

حوادث سنة ٦٢٩ هـ .

(٥) ذكر ابن واصل (مفرج الكروب ، حوادث سنة ٦٢٩ هـ) أن أم الملك العادل كانت

أحظى الناس عند زوجها السلطان الكامل .

ذكر سنة ثلاثين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم أربعة أذرع وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وعشر ٣ أصابع .

ما تلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن العلقمي بحاله . والسلطان الملك الكامل ببلاد الشرق .
- وفي تاسع وعشرين شعبان توفي صاحب إربل ، وتسلمها - وجميع حصونها .
- ٩ وقلاعها - نواب الخلافة .
- وفي شهر صفر وصل راجح صاحب مكة ، وصحبته عسكر كثيف من اليمن ، وعدتهم ستمائة فارس وأربعة آلاف راجل ، مع خلق كثير من عربان الحجاز . فلما تحقق الأمير نجر الدين وصولهم ، خرج بأصحابه من مكة سالما ، وتحصن بالينبع ، ١٢ وتسلم راجح مكة سلما .
- وفيها عاد السلطان الملك الكامل إلى الديار المصرية بعد ما رتب بالشرق ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ومعه الأمير شمس الدين صواب ، وهو الحاكم في البلاد ١٥ الشرقية ، لأنه كان أكبر الخدام العادلية ، وأوثقهم عنده . وأقام الملك الأشرف بدمشق .
- ورجع كل ملك إلى بلده ، وأقام الكامل بالديار المصرية .
- ١٨ وفي شوال منها قدم الملك الناصر داود صاحب الكرك إلى خدمة عمه الملك الكامل بالديار المصرية وصحبته جماعة من العلماء ، وأقام إلى آخر هذه السنة .
- وقدم علاء الدين أقسنقر الزاهد وتوجه إلى مكة ، شرفها الله . ووصل إلى

- ٣ نفر الدين بن الشيخ وهو بالبيع وصحبته الطفتكين ، واجتمعوا يداً^(١) واحدة ثم قصدوا مكة . فلما علم بهم راجع ، والعسكر المني ، خرجوا منها سالمين ، وتولاها قطب الدين بن مجلى في ذلك التاريخ .
- ٥ وفي تاسع عشر رمضان سلطن السلطان الملك الكامل ولده سيف الدين أبوبكر ، ولقبه العادل . وركب وشق القاهرة في دست الملك ، وكان نهارا مشهودا .
- ٦ وفيها ظهر نور عظيم من السماء ، فكان يُرى مستطيلا عن يسار مطلع الشمس ، ويُرى في أواخر الليل . فقال المنجمون إنه كوكب له ذؤابة طويلة .
- ٩ وفيها غلت الأسعار ببغداد ، حتى بلغ ثمن السكر^(٢) من الحنطة نيف وثمانين دينار ، والشعير خمسة وأربعين دينار . وغلت جميع الحبوب ، فأخرج الخليفة في كل يوم مائة كر من أربعة أصناف الحبوب . فرخصت الأسعار قليلا . ومن جملة ما حكي أن أهل بغداد من العامة لما غلا السعر كتبوا أوراقا ورموها بدار الخلافة ، فيها مكتوب : « وحياء فضة وحجر الدوادر ، افتح لنا المنابر^(٣) وأرخص لنا الأسعار » ، فقيل إنه كتب على رأس رقعة منهم : « وإنه لقسم لوتعلمون عظيم »^(٤) . ثم أمر بإخراج الغلال حسبما ذكرناه ، والله أعلم .
- ١٥ وفيها توفي الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين على كوجك صاحب مدينة إربل . وكان ملك إربل بعد وفاة أبيه على كوجك المتحكم في الدولة الأتابكية وصرف عنه الملك إلى أخيه . ولما ظهر أمر السلطان صلاح الدين التجأ إليه ، فلتسكه ، وجمع له بين الرها وحران . ثم توفي زين الدين يوسف صاحب إربل ، فنزل مظفر الدين عن ما كان بيده ، ويُموض إربل . واستمر بها إلى هذه السنة ، فتوفي إلى رحمة الله تعالى . هذا ما ذكره ابن واصل في تاريخه .

(١) في المتن : « يد » .

(٢) السكر ، وجمعه كراو وكروور : مكيال للعراق (القاموس المحيط) .

(٣) كذا في المتن ولعله يقصد الأنبار : بيت التاجر الذي يجمع فيه الغلال . والأنبار أيضا كداس البر ، ومفردها نبر وجمعها أيضا أنابيب (المعجم الوسيط) .

(٤) سورة الواقعة ، ٧٦ .

ذكر سنة إحدى وثلاثين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع فقط ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وعشرة أصابع . ٣

ماخلص من الحوادث

الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن الملقمى بحاله . والسلطان

الملك الكامل بالديار المصرية . ٦

وفي مستهل صفر سافر السلطان إلى ثغر دمياط . وفي ربيع الأول وصل الملك الأشرف ، وخرج السلطان إلى لقائه في البحر إلى الطينة^(١) ، ولقيه من منزلة المطيلب^(٢) ، ودخلا إلى القاهرة المحروسة . ٩

وفي جمادى الأولى برز المرسوم للعساكر بالتجهيز إلى الشرق ، ونفق في الجيش كل جندي عشرين دينارا مصرية ، ولخاصة وكبار جنده من الخمسين إلى الأربعين . وجاء حساب مبلغ ما نفقه ستمائة ألف دينار . ١٢

وفي ليلة السبت خامس شعبان توجه السلطان الملك الكامل وصحبته الملك الأشرف ووصل إلى [بلاد] الروم إلى النهر الأزرق^(٣) . ووصل إليه صاحب خرتبرت ، وسير معه بعض العسكر ، ودخلوا خرتبرت ، وكان معهم صاحب حماء . ١٥ وحاصرهم صاحب الروم^(٤) ، وأخذ منهم جماعة قبل دخولهم خرتبرت .

قال ابن واصل في تاريخه : إنه لم يجتمع للملك الكامل قط جيش مثل هذه النوبة ،

(١) الطينة : موضع بين الفرما وتنيس من أرض مصر ، شرق مدينة بور سعيد الحالية . (ياقوت ، معجم البلدان ؛ محمد رمزي ، القاموس الجغرافي ق ١ ص ٨٠) .

(٢) ذكر القلقشندي المطيلب بوصفها مركزا من مراكز البريد بين دمياط والعريش (صبح الأعشى ، ج ١٤ ص ٣٧٨) .

(٣) النهر الأزرق : أحد روافد الفرات الأعلى ، ويجري بين بهسنا وحصن منصور (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٤) يقصد السلطان علاء الدين الدين كيخسرو السلجوقي ، صاحب بلاد الروم . انظر (المقرئى ، السلوك ، ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٤٨) .

- فكان فيه أربعة عشر دهلiza لأربعة عشر ملكا، منهم من جهة الملك العزيز صاحب حلب
الملك المعظم نقر الدين توران شاه بن الملك الناصر صلاح الدين، وهو عم أبي الملك العزيز.
٣ والملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك الناصر صلاح الدين، وهو يومئذ صاحب
البيرة. والملك المفضل موسى بن صلاح الدين، وهو يومئذ صاحب سميساط. والملك
صلاح الدين أحمد بن الملك الظاهر صاحب عين تاب. والملك المظفر شهاب الدين غازي
٦ صاحب ميافارقين. وأخوه الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه صاحب قلعة جعبر.
والملك الأشرف شاه أرمن أخو الملك الكامل، وأخوه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل.
وكان الملك العزيز قد توفي سنة ثلاثين وستمائة، وملك بانياس وأعمالها ولده الملك
٩ الظاهر، ثم توفي بعده بأيام يسيرة وولى الملك السعيد أخوه، وهو الذي كان قد حضر
مع عسكر التتار - حسبنا ذكر. وإنما أصابهم عين فنفرت القلوب من بعضها بعض،
لما يريد الله عز وجل.
- ١٢ وفي شهر ذى القعدة وصل راجح بن قتادة مع عسكر من اليمن من جهة المظفر
ابن رسول صاحب اليمن إلى مكة - شرفها الله تعالى - وخرج عنها ابن مجلى.
وقتل راجح جماعة من أهل مكة وغيرهم^(١). ولم يصل في تلك السنة إلى مكة من
١٥ الحاج سوى الركب اليمني لا غير.
- وفي شوال أضيف إلى قاضى القضاة بلاد الساحل، واستناب فيها من جهته.
وفيهما قدم رسول الأنبرور ملك الفرنج على السلطان الملك الكامل، ومعه
١٨ هدية سنية، وفي الجملة دب أبيض، شعره مثل شعر الأسد، وهو ينزل إلى البحر
ويصيد السمك ويأكله. وكذلك طاووس أبيض. وديك قدر الجدى الكبير،
أخضر كأنه درة.
- ٢١ وفيها ألزم الملك الكامل للملك الناصر داود بطلاق ابنته، وذلك لما توجس منه
لما بلغه عنه من الواقعة للملوك عليه. وكان ذلك قبل دخولها عليه ووصولها إليه.

(١) انظر يحيى بن الحسين: غاية الأمان في أخبار القطر اليمني، ص ٤٢١.

ذكر سنة اثنتين وثلاثين ومائة

النيل المبارك في هذه السنة

[الماء القديم خمسة أذرع سواء . مبلغ الزيادة ست عشر ذراعا وثلاث عشرة ٣
أصبعا]^(١) .

ما خلاص من الحوادث

- ٦ اخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن العلقمي بحاله .
والسلطان الملك الكامل سلطان الإسلام ، وقد عاد من الشرق إلى مصر . وبقيته
الملوك بحالهم ، حسبما تقدم من ذكرهم .
- ٩ وكان عود السلطان إلى الديار المصرية من الشرق في جمادى الأولى . واحتاط
على صاحب آمد واعتقله بالقاهرة . وكان سبب عودة السلطان سريما إلى مصر لما بلغه
أن الملوك اتفقوا عليه ؛ وهم الأشرف ، والناصر داود ، والأبجد صاحب بعلبك .
فلما تحقق ذلك عاد إلى الديار المصرية مسرعا ، وقبض على صاحب آمد لاتفاقه معهم ١٢
بمكاتباته لهم .
- وفيها هدم الملك الأشرف خان ابن الزنجارى^(٢) بالعقبة بظاهر دمشق ، وبناء
جامعا ، وسعى جامع التوبة ، لما كان يجري في هذا الخان من الأمور القباج ، من ١٥
ارتكاب المحرمات والفسق والفجور .
- وفيها توجه أسد الدين جفريل - أحد المماليك الكاملية - وصحبته سبعمائة فارس
إلى مكة - شرفها الله تعالى - ودخلها ، وهرب راجح بن قتادة ومن كان معه من ١٨
العسكر اليمنى .

(١) ما بين حاصرتين يياض في المتن وقد أكلناه من النجوم الزاهرة لأبي المحاسن (ج ٦
ص ٢٩٢) .

(٢) في المتن : « الزنجيلي » والصيغة المثبتة من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (ج ٨ ص
٤٥٩) - طبعة شيكاغو ؛ وكذلك من شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (ج ٥ ص ١٤٨) ؛
وكذلك من وفيات الأعيان لابن خلكان ترجمة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل (ج ٤
ص ١٧) .

- وفيها عهد السلطان الملك الكامل لولده نجم الدين أيوب ، ونعته الملك الصالح .
 ونزل دار الوزارة بالقاهرة المزية . وكان مولد الملك الصالح في سنة ثلاث وستائة .
- ٣ وفيها - في ثالث ذى القعدة - سافر السلطان الملك الكامل متوجها إلى الشام ،
 وذلك عندما سمع بخبر صاحب الروم علاء الدين كيقيباذ ، وقصده بلاد حران والرها ،
 وأخذ بعض قلاعها . ونزل السلطان على منزلة تل العجول ، وبعث نوابه إلى نابلس
 ٦ والقدس . ووصل إلى خدمة السلطان الملك الكامل الملك العزيز بن العادل ، وعرفه
 اتفاق الملوك عليه ، فحصلت بينهما المراسلة بقية هذه السنة .
- وفيها توفي القاضي بهاء الدين بن شداد صاحب السيرة الصلاحية ، رحمه الله تعالى ،
 ٩ وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر . وكان عمره نحو ثلاث وتسعين سنة ،
 لأن مولده في سنة تسع وستين وخمسمائة . وكان بعد وفاة السلطان صلاح الدين في
 خدمة ولده الملك الظاهر صاحب حلب ، ولم يزل عندهم العزيز المقتدى . وبني بحلب
 ١٢ مدرسة جلييلة وأوقف عليها أوقافا جيدة . واسمه بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم ؛
 ولعل شداد الذي عرف به كان من أمه ، فإنه لم يكن في نسبه لأبيه شداد ، وأصله
 من الموصل . وكان إقطاعه على السلطان ما يزيد على مائة ألف درهم في السنة . ومات
 ١٥ ولم يعقب .
- وفيها ولد الملك المنصور جمال الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب
 حماة ، الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول .

ذكر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وسبعة عشر أصبعاً . ودخلت سنة أربع وثلاثين والذي ٣
تنتهى إليه الزيادة يذكر في سنة أربع وثلاثين ، إن شاء الله .

ما لخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن العلقمي بحاله .
والسلطان الملك الكامل سلطان الإسلام . واتفق الحال بينه وبين الأشرف ، لما
بلغهما ما فعله صاحب الروم في ممالكهما ، فإنه استولى على حران ، والرها ،
والسويداء^(١) ، وقطينا^(٢) ، أخذها ممن كان فيها من النواب مخامرة ، وباعوها له ٩
بيما . وتوجه السلطان بالمسافر المصرية . وصحبته الملك الأشرف بالجيش الشامية .
فلما بلغ العسكر الرومي ذلك نزل في القلاع من يحفظها من جهته ، ودخل بلاده .
ثم نزل السلطان على حران وأخذها بالسيف عنوة ، في الرابع عشر من ربيع الآخر . ١٢
وأسر من كان فيها من العسكر الرومي ، وعدتهم سبعمائة وخمسة عشر نفراً ، فيهم
جماعة من أمرائه ومقدميه . وفي نهار ثالث عشر جمادى الأولى فتح قلعة الرها عنوة
بالسيف ، وأسر أيضاً جميع من كان فيها من العسكر الرومي من الأمراء والمقدمين ١٥
وغيرهم ، وعدتهم تزيد عن ثمانمائة نفر . وكذلك تسلم قلعة السويداء عنوة بالسيف ،
وأسر أيضاً من كان بها ، وذلك في سابع عشر جمادى الآخرة ، وهدمها إلى الأرض ،
وكذلك قلعة الرها . وفي رجب تسلم قلعة قطينا ، وأسر أيضاً من كان بها . وفي ١٨
التاسع عشر منه سبى جميع الأسرى الذين أخذوا من تلك القلاع إلى الديار المصرية ،
وعدتهم تزيد عن ثلاثة آلاف نفر .

(١) السويداء : بلدة مشهورة قرب حران بينها وبين بلاد الروم ، كان أهلها نصارى أرمن

في الغالب (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٢) قطينا : بلدة على نهر الزاب الأعلى ، شمال الموصل .

ثم عاد السلطان إلى دمشق ، وسلم جميع بلاد الشرق لولده الملك الصالح نجم الدين أيوب .

- ٣ وفيها نزل السلطان على دُنيسر^(١) . وكان المسكر الرومي قد أحرقها ، فبينما السلطان ينظر في أحوالها ، إذ ورد عليه كتاب من الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، يعرفه أن التتار قد قطعوا دجلة في مائة طلب ، كل طلب خمسمائة فارس ، ووصلوا إلى سنجار ، فخرج إليهم معين الدين بن مهاجر ، فقتلوه على باب سنجار .
- ٦ فرجع السلطان والملك الأشرف ، وقطعا الفرات إلى دمشق . ثم إن التتار رجعوا . ولما عاد السلطان الكامل من الشرق ، كرر صاحب الروم راجعا بمساكره ، ونزل على آمد وحاصرها . ووصل من عسكره سرذمة إلى بلاد حران وأخربوها ، وأخربوا بها دار العافية ، وأحرقوا عدة منازل بخران . وكان لما بلغ أهل حران بمجيء الروم إليهم ، خرجوا عنها ، وتبقى في القلعة من يحفظها . ثم نزل الرومي بعسكره على آمد في خامس ذى القعدة .
- ١٥ وفيها سیر ابن رسول عسكرا كثيفا من اليمن إلى مكة . وخرج إليهم الأمير أسد الدين جفريل^(٢) السكالي وكسرهم كسرة عظيمة ، وأخذ منهم جماعة كثيرة أسرى ، وسيرهم إلى مصر .
- ١٨ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستائة ، وزيادة سنة ثلاث وثلاثين مستمرة . والذي انتهى إليه النيل المبارك من الزيادة يذكر في سنة أربع .

(١) دنيسر : بلدة كبيرة من نواحي الجزيرة ، قرب ماردين (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٢) في المتن : « جفريل » ، انظر ما سبق ص ٣١٣ .

ذكر سنة أربع وثلاثين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم استقر على سبعة أذرع . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وتسع أصابع . ٣

ما تلخص من الحوادث

الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن العلقمي بحاله .

وفيها توجه السلطان الملك الكامل إلى ثغر دمياط ، ثم إلى ثغر الإسكندرية في ٦ وجهة واحدة . ووصل إليه ابن الجوزي رسولا من الخليفة ، واجتمع بالسلطان في ثغر دمياط . وعاد ابن الجوزي إلى صاحب الروم ، وصحبته رسول من قبل السلطان ، وهو الفقيه عبد العظيم المحدث . ٩

وفي شوال توفي صاحب الروم علاء الدين كيخسرو السلجوقي ، من قبل اجتماعه بالرسول المذكورين .

وفيها وصل الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك العظيم عيسى ، وتلقاه السلطان بنفسه إلى منزلة قطيا ، وزينت له مصر والقاهرة والقلمنة ، وسلطنه السلطان . وركب من دار الوزارة إلى القلمنة بالسناجق والسيوف . وحمل الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن السلطان الملك الكامل الناشئة ، راجلا عند ما ركب الملك الناصر . ثم حملها الأمراء بعده ، واحداً بعد واحد . ١٥

وفي تاسع عشر ذى الحجة زوج السلطان الملك الكامل المذكور ابنته الست عاشوراء من الملك الناصر المذكور . ١٨

وفيها مرض الملك الأشرف مرضة شديدة ، ثم عوفي .

وفيها سير السلطان الكامل الهيجاوى مع جماعة من الأمراء في جيش كثيف

إلى الساحل . ٢١

وفيها وقع الخلف بين الأشرف والسلطان الكامل ؛ وذلك أن الملك الأشرف استخدم الخوارزمية الذين كانوا في عسكر السلطان جلال الدين ، وقويت شوكرته ،

- فسير طَلَبَ من السلطان الرقة . وكان الملك الكامل لما عزم على أخذ الروم ، قال
أسد الدين صاحب حصص للأشرف : « متى أَخَذَ الروم تعبنا به ، وبقينا بين يديه
٣ يقلبنا كيف شاء » ، فاتفقا عليه . وفهم الكامل منهما ذلك ، فعجل في عودته إلى
مصر - حسبما تقدم من الكلام . وبعث الأشرف يقول له : « أخذت الشرق مني
وأعطيت له لولدي . وقد افتقرت . وإيش هي دمشق إلا بستان ؟ ومالي فيها رزق » .
٦ فبعث إليه الكامل بعشرة آلاف دينار ، فردها الأشرف عليه ، وقال : « أنا أعطى
هذه لأمير عندي » . فغضب الكامل وقال : « إيش يعمل الأشرف بالملك ؟ تكفيه
عشرته للمعاني ، وتعليمه صناعاتهم » . فبلغ ذلك الأشرف فقال : « والله لأعرفنه
٩ قدره » . وأرسل إلى حلب وحماة وبلاد الشرق . واتفق الملوك معه على الأذية
للكامل . وبلغ الملك الكامل نخاف خوفاً كثيراً^(١) ، لما كان يعلمه من الأشرف .
ولو استمرت حياة الأشرف سنة أخرى انفسد حال الكامل ، لكن إذا أراد الله
١٢ أمراً بلغه . وكان هذا الخلف وقع في أواخر هذه السنة . وتوفي الأشرف - رحمه الله -
في سنة خمس وثلاثين ، حسبما يأتي من ذكر ذلك في تاريخه ، إن شاء الله تعالى .
ولما بلغ الكامل موت الأشرف سجد شكراً لله عز وجل ، وقال : « والله لقد
١٥ كنت أيقنت بخروج المملك عني » . فقبل له : « لك من باب الموصل إلى باب اليمن ،
فإيش كنت تلقت به » . فقال : « دعوا هذا الكلام ، فإنه كان كريماً شجاعاً^(٢) ،
وهاتان خصلتان^(٣) ما معهما حديث » .
- ١٨ وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة ، ولد الملك المنفي فتح الدين عمر بن العادل
أبو بكر بن السلطان الملك الكامل .
- وفيها توفي الملك العزيز بن الملك الظاهر [غازي] بن الملك الناصر صلاح الدين
٢١ [يوسف] بن أيوب . وهو ابن بنت الملك العادل الكبير سيف الدين أبو بكر

(١) في المتن : « خوف كثير » .

(٢) في المتن : « كريم شجاع » .

(٣) في المتن : « وهاتين خصلتين » .

ابن أيوب ، حسبما سقناه . ومات ولم يكمل أربع وعشرين^(١) سنة . ووصل زين الدين ابن الأستاذ ، وابن أبي الهيجاء إلى السلطان ، وأخبراه بموته ، وعمل السلطان عزاءه . وقام بالملكة الحلبية الملك الناصر يوسف - الذي قتله هلاوون - حسبما يأتي من ذكر ذلك في تاريخه ، إن شاء الله تعالى .

وفيهما توفي الملك كيقباز علاء الدين بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود ابن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلش^(٢) بن سلجوق ، ملك الروم . وكان ملكاً عاقلاً شجاعاً ميموناً في حروبه ، كسر الخوارزمية ، واستولى على الشرق . وقام بملكة الروم ولده غياث الدين .

وفيهما ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل سنجار ونصيبين والخابور .

وفيهما نزل التتار على إربل ، وحاصروها ، وملكوا المدينة عنوة بالسيف ، وقتلوا منها خلقاً كثيراً^(٣) ، وتحصن العسكر بالقلعة ، وقتلوا قتلاً عظيماً^(٤) ، وعجز التتار عنها ، ورجعوا خائبين .

وفيهما سير السلطان الملك الكامل الفقيه أفضل الدين [محمد]^(٥) الخونجي إلى بلاد الروم ، يعزى السلطان غياث الدين بأبيه علاء الدين كيقباز التتار . وسير معه ذهباً برسم الصدقة ، وثياب أطلس برسم أغشية الضريح . وكان ذلك استجلاباً منه له ، ليحرفه عن الأشرف .

(١) في المتن : « ولم يكمل أربع وعشرون » .

(٢) في المتن : « قيتمش » .

(٣) في المتن : « خلق كثير » .

(٤) في المتن : « قتال عظيم » .

(٥) ما بين حاصرتين إضافة من السلوك للمقريزي (ج ١ ص ٢٥٤) .

ذكر سنة خمس وثلاثين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

- ٣ الماء القديم خمسة أذرع وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وعشرون أصبعا .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن العلقمي بحاله . والسلطان الملك الكامل بالديار المصرية ، والسكة والخطبة له بسائر الممالك . والملك الأشرف صاحب دمشق ، إلى أن توفي في هذه السنة ، حسبما يأتي . وصاحب بعلبك الملك الأحمدي . وأسدي الدين الملك المجاهد صاحب حمص . وصاحب حماة الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور . وصاحب حلب الملك الناصر يوسف بن العزيز بن الظاهر . وصاحب ميفارقين المظفر . شهاب الدين غازي بن الملك العادل الكبير . وصاحب الشرق الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل . وصاحب الموصل والجزيرة الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ النوري . والتتار ملأوا الدنيا بالشرق ، من حدود مطلع الشمس إلى بغداد . وصاحب الروم غياث الدين بن علاء الدين كيقباز الساجوق ، المقدم ذكره .
- ١٥ وصاحب الهند السلطان غياث الدين بن شهاب الدين الغوري ، المقدم ذكره . وصاحب اليمن المظفر يوسف بن رسول الخارجي ، المقدم ذكره . والأمير أسدي الدين جفريل السكامل بمكة ، والحروب بينه وبين راجع . وصاحب المدينة - على ساكنها
- ١٨ أفضل الصلاة والسلام - جواز بن شيحة . والمغرب في يد عدة ملوك متفرقة ؛ البعض من بني عبد المؤمن ، والبعض من غيرهم .
- وفي شهر المحرم من هذه السنة توفي الأشرف ، رحمه الله .

ذكر وفاة الملك الأشرف موسى رحمه الله

٢١

هو أبو الفتح السلطان الملك الأشرف مظفر الدين موسى شاه أرمن بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن شاذي بن مروان . ولد بالقاهرة المعزية ،

- وقيل بالكرك المحروس ، سنة ست وسبعين وخمسة . وقيل إنه ولد قبل أخيه المظفر عيسى بيلة واحدة . وكان مبتدأ أمره بالقدس الشريف ، تحت حكم ابن الزنجيلي عثمان : قال أبو المظفر : قال لي المظفر عيسى : « أنا أخذت له حران وإرها والشرق ٣ من السلطان الملك العادل رحمه الله ، أبي ، وجهزته من عندى بالأموال والخيول والعدد والماليك » ، وتقبلت به الأحوال حتى صار شاه أرمن^(١) ، وكسر المواسلة والروم ، والسلطان جلال الدين الخوارزمي ، وأخاه شهاب الدين غازي . وكان جواداً سمحاً ٦ شجاعاً ميموناً ، ما كسرت له راية قط . ولما كان في نزعه أخذ بعض مماليكه سفيجته ليكسره ، وقال : « لا يحمله غيره » ، ففتح له عينه وهو في غمرات الموت ، وقال بكلام لا يكاد يفهم من الضعف : « لا تفعل يا فلان ، فوالله ما كسرت قط » . وكان عفيفاً طاهر الذيل . ٩ قال أبو المظفر : اجتمعتُ به في أخلاط - بالقلعة - فجلسنا للمحادثة ، فأعاب أخاه^(٢) المظفر في شيء بلفظه عنه . ثم قال : والله ما مددت عيني إلى محرم قط ، لا ذكر ولا أنثى . ولقد كنت يوماً جالساً في هذه المنظرة التي نحن ١٢ فيها ، فلم أشعر حتى دخل عليّ الخادم ، وقال : « على الباب امرأة عجوز ، تذكر أنها من عند بنت شاه أرمن صاحب أخلاط » . فأذنت لها فدخلت ، ومعها ورقة من عند بنت شاه أرمن ، تذكر فيها أن الحاجب - علياً^(٣) قد غلبها على ضيعة لها . فكتبت لها ١٥ على قصتها بردّ ضيعتها ، ونهى الحاجب عنها . فقالت العجوز : « وهى تسأل الحضور بين يديك ، فعندها كلام فيه سر ، لا يمكن ذكره إلا للسلطان ، منها له » . فأذنت لها بالحضور ، فحضرت امرأة ما رأيت في الدنيا أحسن منها ، ولا أظرف من قدّها ١٨ وشكلها ، كأنّ الشمس تحت نقابها . فخدمت ووقفت ، فقامت لها إجلالا كونها بنت ملك شاه أرمن . ثم سمرت عن وجهها ، فأضاءت منه المنظرة ، بهت من نظره . فقلت : « استرى وجهك ، واخبريني حالك » . فقالت : « أنا بنت شاه أرمن ٢١

(١) شاه أرمن : لقب أطلق على حكام خلاط .

(٢) في المتن : « أخيه » .

(٣) في المتن : « علي » .

- صاحب هذه البلاد ، مات أبى واستولى بكتتمر على البلاد ، وتغيرت الدول ، ولى ضيعة
أعيش منها ، أخذها الحاجب على ، وما عُدت أعيش إلا من عمل النقش للناس ،
٣ وساكنة فى دار بالأجرة » . قال : فسكيت ، ورقيت لها رقة عظيمة ، وأمرت أن
يُكتب لها توقيع مؤبد^(١) بضيعتها ، ملمونا من يغير عليها أو يتعرض لها . وأمرت
لها بقماش ، ومال جيد ، ودار تسكنها تصلح لها ، وخادم وجاريتين . وقلت :
٦ « بسم الله ، ومهما كان لك من الحوائج والأشغال سيرى هذه المعجوز » . فقالت
المعجوز : « يا خوند ! ما جاءت إلى هاهنا إلا لخدمتك . تقدم نفسها لتحظى بك
الليلة » . قال : فوالله لقد غاب صوابى ، وأوقع الله تعالى فى قلبي تغير الزمان ، وأنه
٩ يملك أخلاط غيرى . ويحتاج^(٢) أهلى إلى مثل ذلك . قال فقلت : « يا معجوز ! معاذ الله !
والله ما هو شيمتى ، ولا خلوت قط بغير حلالى . نخذنها وانصرفى فى دعة الله . وهى
العززة الكريمة » . فقامت وهى تقول : « صان الله عواقبك » .
- ١٢ والذى بنىه الأشرف من الأبنية الحسنة ، مسجد أبو الدرداء بقلعة دمشق
وزخرفته ، والمسجد الذى عند باب الصغير ، ومسجد القصب الذى بظاهر باب
السلامة ، وأوقف عليهم الأوقاف الحسنة . ودار الحديث ، وهى النورية . والتربة
١٥ التى له بالكلاسة . جميع هذا بدمشق خارج أعماله فى الشرق وفى أخلاط وغيرها .
ومع عدة خانات للسبيل فى سائر البلاد . وكان حسن الظن بالله تعالى ، يزور
الصالحين ويتفقدهم بالمال والأطعمة الطيبة والحلاوات الحسنة ، شئ كثير مما يطول
١٨ شرح ذلك .
- قال أبو المظفر : مرض الملك الأشرف فى شهر رجب مرضتين مختلفتين ،
فى الأعلى والأسفل ، حتى كان الجراحي يخرج العظام من رأسه وهو يسبح الله تعالى
ويقدسه ويحمده . ثم قوى عليه ذلك فى آخر سنة أربع . فلما يئس^(٣) من نفسه قال

(١) فى المتن : « توقيعاً مؤبداً » .

(٢) فى المتن : « ويحتاجوا » .

(٣) فى المتن : « يأس » .

- لوزيره جمال الدين بن جرير: « في أى شيء تكفوننى؟ ». فقال: « حاشاك ياخوند » .
 فقال: « دعنى من هذا الكلام . لا تكفنى من هذه الخزائن فى شيء؛ فإنهم لا يخلون
 من الجنايات » . وكان عماد الدين موسك حاضرا فقال له: « قم واحضر الوديمة التى
 عندك » . قال : فضى ، وعاد على رأسه ميزر صوف أبيض ، يلوح منه نور الرضى ،
 ففتحه فإذا فيه خروق الفقراء ، وطاقيات الأولياء مثل الشيخ مسعود الرهاوى ،
 والشيخ يونس البيطار ، والشيخ على الفاسى ، وجماعة من الأولياء السكبار . وكان
 فى جملتهم إزار عتيق ، ما يساوى خمسة دراهم^(١) . فقال : هذا يكون على جسدى ،
 ألقى به ربى ، فإن صاحبه كان من الأبدال . أقام بالرها يزرع قطعة زعفران يتقوت
 منها برهة من الزمان . وكنت أزوره وأعرض عليه المال يمتنع ، فقلت له يوما : « أنا
 أعرض عليك المال ولا تقبل فأريد من أترك شيئا^(٢) أجعله كفنى » ، فدفع إلى هذا
 الإزار وقال : « لقد أحرمت فيه عشرين حجة » . وكان آخر كلام الملك الأشرف
 يقول : « لا إله إلا الله » . وتوفى يوم الخميس رابع المحرم من هذه السنة . ودفن
 بالقلمة . ثم نقل إلى تربته بالكاملية ، فى جمادى الأولى ، رحمه الله تعالى .
- قال أبو المظفر: حكى لى الفقيه محمد اليونانى يبعلمبك فى سنة خمس وأربعين وستمائة ،
 عند عودى من بغداد ، قال : حكى لى فقير صالح من جبل لبنان ، قال : رأيت
 الأشرف بعد موته فى النوم ، وعليه ثياب خضر ، وهو يطير بين السماء والأرض ،
 مع جماعة من الأولياء ، فقلت له: « ياموسى إيش تعمل مع هؤلاء ، وأنت كنت تفعل
 فى الدنيا ما كنت تفعل » . قال : فالتفت إلى وتبسم وقال : « الجسد الذى كان يفعل
 تلك الأفاعيل تركناه عندكم . والروح التى كانت تحب هؤلاء صارت معهم » .
 رحمه الله .
- ولم يخلف الملك الأشرف من الأولاد غير بنت واحدة تزوجها الملك الجواد ٢١

(١) فى المتن : « خمس الدراهم » .

(٢) فى المتن : « شيء » .

مظفر الدين يونس بن مودود بن الملك العادل الكبير ، وهو ابن عمها ، وذلك لما ملك دمشق بعد وفاة الملك الكامل - حسبما يأتي من ذكر ذلك في تاريخه إن شاء الله تعالى .
 ٣ ثم لما ملك الملك الصالح إسماعيل - عمها - دمشق المرة الثانية ، فسخ نكاحها من الملك الجواد بأنه أثبت عند الحاكم بدمشق أن الجواد حلف بطلاقها في أمر وحنث فيه ، ثم زوجها لابنه الملك المنصور ، واستمرت في صحبته إلى آخر وقت . وهذا الملك المنصور اسمه نور الدين محمود .

٦ قال أبو المظفر: وكان قد عهد إلى أخيه إسماعيل الملك الصالح المعروف بأبي الخيش . فلما انقضى عزاء الأشرف ، ركب الملك الصالح المشار إليه في دست السلطنة ، وترجل الأمراء تقي خدمته ، وصاحب حمص إلى جانبه ، والأمير عز الدين أيبك صاحب صرخد - جدنا - قد حمل الناشئة بين يديه . ونزل القلعة ، وأخلع ، وأنعم ، وأعطى . ثم توجه أسد الدين الملك المجاهد إلى حمص ، والأمير عز الدين إلى صرخد .

١٢ هذا جرى^(١) والسلطان الملك الكامل يتجهز الجيوش أولا فأول إلى الشام . ووردت الأخبار بوصول العساكر من مصر ، فقسم الملك الصالح الأبراج على الأمراء وحصنها ، وغلق أبوابها ، واعتمد للحصار . وحضر الأمير عز الدين وأمر أن تفتح الأبواب . ثم جاء الناصر داود من الكرك فنزل المزة . ونزل بجير الدين وتقي الدين القابون^(٢) . ونزل السلطان الملك الكامل مسجد القدم . وأحدثت العساكر بالبلد من كل جهة . وقطع الكامل المياه عن دمشق ، واشتد الحصار ، وغلت الأسعار ، وسدوا جميع أبواب البلد ، خلا باب النصر وباب الفرج . ثم إن الصالح أحرق العقبية^(٣) والطواحين . ثم زحف الناصر داود إلى باب ثوما ، وعلق النقوب ،

(١) في المتن . « جرا » .

(٢) قابون : موضع بينه وبين دمشق ميل واحد ، في طريق القاصد إلى العراق (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٣) العقبية : قرية من ضواحي دمشق (ياقوت ، معجم البلدان) .

- ولم يبق إلا فتحها . وأُحرق الصالح أيضاً قصر حججاج ، والشاغور ، وأُخرب خرابا كثيرا . وجرت قبائح كثيرة لا تشرح ، حتى أُحرق أناس كثيرة في منازلهم . فلما رأى الصالح عين الغلبة نفَّذ إلى السلطان الملك الكامل يقول : « متى فتحتها عنوة ٣ قهراً أرميت النار في أربع جوانبها ، فأحرقها جميعا ، ولا لى ولا لك » . وكان الكامل يتحقق معه قوة النفس والإقدام على كل شيء ، فشئ الناس بينهم في الصلح ، وتقرر أن السلطان يعطى للصالح بعلبك وبصرى وسامية . ٦
- ثم تسلم السلطان دمشق ، ودخلها . فلما طلع القلعة ودخل دار رضوان ، رأى في الإيوان قبر أخيه الأثرف ، فرفسه برجله وقال : « اتقلوا هذا المكثف أخ^(١) ، الساعة الساعة » ، ففقلوه إلى تربته في السكلاسة . ٩
- وكان نزول السلطان على حصار دمشق ثالث وعشرين ربيع الأول . ووقع الصلح يوم الثلاثاء تاسع جمادى الأولى . وخرج إلى السلطان مستأمنا ، فقربه . وأقبل عليه وأعطاه ما وقع عليه الأيمان ، والله أعلم . ١٢

(١) العبارة غير واضحة في المتن ، وجاء في لسان العرب أن فلانا اكتفر أى لزم الكفور ، وهى القبور . ولعل المقصود بأخ « أخى » .

ذكر سنة ست وثلاثين وسبعمائة

الفيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم أربعة أذرع وعشرون أصبعاً . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً
وثمانية أصابع .

ما نلخص من الحوادث

٦ الخليفة المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير مؤيد الدين بن العلقمي بحاله .
والسلطان الملك الكامل بدمشق . وولده الملك العادل بمصر . والملك الصالح
بالشرق . والملك بجاهلهم ، حسبما ذكرناه في السنة الخالية .
٩ وفيها توفي السلطان الملك الكامل ، رحمه الله تعالى .

ذكر وفاة السلطان الملك الكامل

توفي إلى رحمة الله تعالى ليلة يسفر صباحها عن نهار الأربعاء ، حادى عشرين
١٢ شهر رجب الفرد من هذه السنة . ولا حضر أحد^(١) موته من شدة هيئته ، وإنما
دخلوا عليه وجدوه ميتاً . وكان قد مرض مدة عشرين^(٢) يوماً بالإسهال والسعال ،
ونقرس كان في رجله . ولم يحزن أحد عليه ، ولا لبس عليه حداد ، وإنما لحقت^(٣)
١٥ الناس بهتة .

وكان مولده سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وهو أكبر ولد الملك العادل . بعد
مودود . وكان العادل قد عهد إليه ، لما رأى من عقله وتدبيره وسداده . ووصل من
١٨ عدله أن ركب داراً شكى أستاذه أنه لم يعطه جامكية ستة أشهر ، فأحضر أستاذه ،
وأنزله عن فرسه ، وقلعه قماشه ، وألبسها للركب دار ، وألبس الجندى ثياب الركب دار ،

(١) في المتن : « أحد » .

(٢) في المتن : « عشرون » .

(٣) في المتن : « لحق » .

وقال : « احمل مداسه واخدمه ستة أشهر » ، فشفع فيه حتى أعفى ، وأعطى النلام حقه ، وزاده .

وكان إذا سافر لا يجسر أحد^(١) أن يتناول من فلاح بيضة ولا عليقة بغير حقه ، وربما شفق من الجند على شيء من ذلك .

وكان لما مرض انتقطع أياما ، وشنع بموته . ثم انصلح قليلا ، فأمر بالسباط ، فدّ بين يديه ، وجلس مجلسا عاما ، وأمر بالدخول عليه . وفرح ذلك اليوم فرحا شديدا ، وأخلع وأنعم ، وأعطى . وتقدمت الأدباء والشعراء وامتدحوه . وأجاز جوائز سنوية . ثم نظر إلى ابن النابلسي ، وهو بين يديه جالس ، وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء ، فقال له : « وأنت ماذا تقول ؟ » ، فأنشده على البديهة يقول :

ولما شكوت شكا كل ما على الأرض واعتلّ شرقا و غربا
وتاه بذاك قلوب الأنام ولم يبق للناس عقلا ولبا
لأنك قلب لهذا^(٢) الزمان وهل صح جسم إذا اعتلّ قلبا

قال : فأعجبه ذلك ، ووقع على كل سطر بمائة دينار . ثم انعكس من ليلته . قال العدل عماد الدين يحيى الحسنى البصرى : حدثني الخادم مجير الدين خادم السلطان الملك الكامل ، قال : طلب مني السلطان الطست ليثقيأ . قال : فأحضرتة . وكان ١٥ الناصر داود جالسا^(٣) على الباب ، فطلب الإذن للعبور إليه . فقلت للسلطان : « داود على الباب » . فقال : « ينتظر موتى ! » وأنزعج . فخرجت وقلت له : « ماذا أوقفك ياخوند ؟ » فقام وتوجه إلى دار أسامة^(٤) ، وكان نازلا بها . ثم جلست ساعة ودخلت فوجدته قد مات ، والطست بين يديه ، وهو مكبوب على الخدة ، رحمه الله تعالى . قال ابن واصل في تاريخه : إن وفاة السلطان الملك الكامل في سنة خمس وثلاثين .

(١) في المتن : « أحدا » .

(٢) في المتن : « قلب هذا الزمان » .

(٣) في المتن : « جالس » .

(٤) دار أسامة هي دار الملك المعظم ؛ انظر النجوم الزاهرة لأبني المحاسن ، ج ٦ ص ٣٠٣ .

والذى نقلته في جميع هذا التاريخ عن أبى المظفر محيى الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبى الفرج بن الجوزى ، وفيه مناقضة لتاريخ ابن واصل .

- ٣ قال ابن واصل : إن مدة مملكة الملك الكامل استقلالاً بالديار المصرية وما معها - من حين توفى السلطان الملك العادل أبوه - عشرون سنة . وكان فيها نائباً عن أبيه في حياته عشرين سنة أخرى^(١) . وأشبهه حاله في ذلك حال معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - فإنه ولى الشام أميراً عشرين سنة ، وخليفة عشرين سنة أخرى .
- ٦ ثم اجتمع الأمراء ، وهم : الأمير سيف الدين على بن قليج ، والأمير عز الدين أيبك ، والأمير ركن الدين الهيجاوى ، والأمير عماد الدين بن موسك ، والأمير نغر الدين وأخوه عماد الدين أبناء الشيخ ، فتشاوروا ، وانفصلوا على غير شئ .
- ٩ وافترقت الأغراض والأهواء ؛ فمنهم من أشار بالناصر داود ، ومنهم من أشار بالجواد . وأشاروا على الناصر داود أن يخرج الأموال ، ويرغب الناس . وكان
- ١٢ عماد الدين بن الشيخ يكره الناصر ، فأشار بالجواد ، ووافقوه الباقى ، وأرسلوا الركن الهيجاوى يوم الجمعة يقولوا للناصر داود - وهو نازل بدار أسامة - : « إيش قعماك في بلد القوم ؟ » ، فخرج وركب ، والعامرة تظن أنه صاحب الملك ، حتى خرج من باب الفرج ، فصاح العامة : « لآ ! لآ ! لآ ! » . وانقلبت دمشق ، ووقع [يهاء الدين] ابن ملكيشو في الناس بالدبابيس ، وهو يومئذ والى دمشق ، وهم لا يكادون يرجعوا .

١٨ ذكر تملك الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود

ابن السلطان سيف الدين الملك العادل لدمشق

- قال أبو المظفر - رحمه الله - : ثم إن الملك الجواد لما اجتمعت آراء الأمراء عليه ، فتح الخزائن ، وأخرج الأموال ، وحسب تقدير ما فرقه فسكران ستمائة ألف دينار . وخلق ،

(١) في المتن : « أخرا » .

- وأعطى ، وبطلّ المكوس والخور . وأما الناصر ، فإنه أقام بالقابون أياماً ، ينتظر النوائل والفرصة ، فأجمع^(١) الأمراء رأيهم على القبض عليه ، فسير إليه في الباطن عماد الدين بن موسك يعرفه ، فرحل ونزل قصر حجاج ، ثم قصر عفرا ، وأقام . ٣
- فجردوا إليه عز الدين أيك الأثرى في ليسكه . فلما بلغه سار إلى عجلون ، ثم سار من عجلون إلى غزة ، واستولى على الساحل . فتجهز الملك الجواد ، وخرج إليه في عسكر مصر والشام ، وقال للأثرية : « كاتبوه وطعموه » ، ففعلوا واغترّ بذلك ، فساق ٦ من غزة في سبع مائة فارس بجميع خزائنه وأثقاله - وكانت على سبع مائة جل - وترك عساكره منقطعة خلفه ، وضرب دهليزه على سبسطية^(٢) ، والجواد على جينين^(٣) . ثم ساق عليه الجواد ، وأحاط بالناصر ، فهرب في نفر قليل إلى نابلس ، وترك أمواله وأحماله ، فأخذها الملك الجواد بأحمالها ، واستغنى بها ، واقتقر الناصر إلى آخر الأبد . قال أبو المظفر : وبلغني أن عماد الدين بن الشيخ وقع بسفط فيه اثنا عشر قطعة من الجوهر مع فصوص ليس يعرف لهم قيمة فيعبر عنها ، فدخل على الجواد ، واستوهبه ١٢ منه ، فوهبه له . ثم سار الناصر لا يلوى على شيء حتى طلع الكرك . وكانوا قد أشاروا عليه أن ينفذ خزائنه إلى الكرك ، ويتقدم ، فإذا حصل له الفرض كانت^(٤) الأموال قدامه ، فلم يلتفت إلى مشورة من أشار ، واغترّ بمسكابة الأمراء الأثرية ، ١٥ ولله في خلقه أسرار خفية ، وحكم مطوية . ثم توجه نحر الدين بن الشيخ إلى الديار المصرية ، وبها يومئذ الملك العادل الصغير سيف الدين أبو بكر بن السلطان الملك الكامل . ١٨
- واستقر الملك الجواد نجم الدين أيوب بن السلطان صلاح الدين ملكاً بدمشق .

(١) في المتن : « فأجمعوا » .

(٢) سبسطية : بلدة من نواحي فلسطين ، بينها وبين بيت المقدس يومان ، بها قبر زكريا ويحيى عليهما السلام (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) جينين : قرية قرب غزة (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٤) في المتن : « كان » .

وكذلك كل ملك على ما بيده من البلاد . وكان صاحب حمص خائفاً^(١) من الملك الكامل بسبب اتفاهه مع الأشرف عليه . فلما توفي الكامل ، كاد يجن من الفرح ، وركب إلى الميدان ، ولعب الكرة . ولم تسكن له بذلك عادة .

وأما صاحب حماة ، فإنه لما بلغه موت الكامل انقطع ظهره ، واشتد خوفه من صاحب حمص .

٦ وفيها نزل عسكر حلب على المعرات وملكهما^(٢) ، واستولوا على تلك الأعمال .

ولما توفي الملك الكامل - رحمه الله - كان الملك الصالح نجم الدين أيوب - ولده - بالشرق ، وقد فتح سنجار ونصيبين والخابور . ثم إنه توجه إلى الرحبة ، وهي يومئذ في مملكة الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، فهو في

٩ حصارها ، وقد عزم أن ينتقل إلى حمص بمكاتبة كانت بينه وبين أبيه في ذلك ، إذ ورد عليه الخبر بموت السلطان والده ، فرحل عنها . وخرجت الخوارزمية عن طاعته ، ورجع هارباً إلى سنجار ، ولله در قول العرب : « الخيل ترعى بالحصان المربوط » . ثم إن الملك الصالح سار إلى بعض الخوارزمية واسترضاهم ، وأنعم عليهم ، وعادوا إلى خدمته .

١٥ وفي هذه السنة وقع الخلاف في سائر الأقاليم ، شرقاً وغرباً^(٣) .

وفيها اتفق الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب ، مع الملك غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيخسرو السلجوقي ، صاحب الروم ، على الملك نجم الدين أيوب . وخطب غياث الدين بنت الملك العزيز أخت الملك الناصر يوسف صاحب حلب ، وأرسل رسله إلى صاحبة الست خاتون والدة الملك العزيز ، فوقع الاتفاق على ذلك . واجتمع الناس بقلعة حلب ، وعقدوا عقد غازية خاتون على

(١) في المتن : « خائف » .

(٢) من الواضح أنه يقصد بالمعرات وبصيغة المثني في « وملكهما » معرة مصرين ، ومعرة النعمان ، وهما على مقربة من حلب (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٣) في المتن : « شرق وغرب » .

- السلطان غياث الدين كيخسرو المذكور، وتولى العقد القاضي كمال الدين بن العديم،
على مذهب أبي حنيفة - رضى الله عنه - وذلك لصغر سنّ الزوجة . ووقع العقد على
صدّاق مبلّغه مائة ألف درهم ، ونثروا الذهب والفضة ، واللؤلؤ . وفي تلك الساعة ٣
وصلت البطاقة أن عسكر حلب أخذوا الممرات ، فضربت البشائر بحلب . ثم سیر
الملك الناصر القاضي كمال الدين بن العديم رسولا إلى غياث الدين صاحب الروم ،
وكتب على يده توقيعاً أنه قد أوهبه الرّثا وأعمالها ، وسروج وأعمالها ، وملکها له ٦
تملیکاً صحيحاً شرعياً ، وأشهد عليه فيه بذلك . وهذان البلدان ^(١) لم يكونا تحت
أمره ولا في سلطانه ، وإنما كانا في مملکة الملك الصالح . فلما بلغ الملك الصالح ذلك
صعّب عليه ، وحصل التنافس في ذلك . ٩
وفيها نزل الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على سنجار ، وفيها الملك
الصالح ، وحاصره ، ولم يظفر بطائل . وسیر الملك الصالح القاضي بدر الدين يوسف
ابن الحسن إلى الخوارزمية ، يستدعيهم إليه ويسترضيهم ، وضمن لهم القاضي عن ١٢
الملك الصالح كل ما يريدون منه ، وأقطعهم البلاد ، من جملتها حرّان والرّثا وسروج ،
فعادت الخوارزمية إلى خدمته . فلما بلغ بدر الدين لؤلؤ ذلك من رجوع الخوارزمية
إلى خدمة الملك الصالح ، هرب إلى الموصل ، فتبعوه وكسروه كسرة شنيعة . ثم جهز ١٥
لهم صاحب الروم جيشاً كثيفاً ، فالتقوا معه أيضاً ، وكسروه ، واستقام مُلك الملك
الصالح بهم ، وعظم شأنه ، وخشيته الملوك .
وفيها خطب للسلطان غياث الدين صاحب الروم بحلب ، مع الناصر ، وضرب ١٨
اسمه على الدرهم والدينار مع اسم الملك الناصر .
وفيها حصل الاتفاق بين الملك الجواد صاحب دمشق والملك الصالح صاحب
الشرق ، بالمقايضة : دمشق بسنجار وعانة . وسبب ذلك أن الملك الجواد ضاق ذرعه ٢١
وعجز عن القيام بمملکة الشام .

(١) في المتن : « وهذين البلدين » .

قال أبو المظفر : قال الجواد : « أنا إيش أعمل بالملك ؟ باز وكلب عندي خير من ملك الأرض » . وكان أسد الدين قد جاء إلى دمشق ، وأقام بها ، وقتل عماد الدين ابن الشيخ بقلعة دمشق . وانحصر منه الجواد انحصاراً عظيماً . وكان الجواد يظهر أنه نائب العادل صاحب مصر . فلما قتل ابن الشيخ - في حديث طويل السبب - اختشى الجواد على نفسه من أسد الدين الملك المجاهد صاحب حمص ، فخرج الجواد من دمشق بحجة الصيد ، وضرب في البرية ، وسير كاتب الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وسأله على المقايضة . وعلم صاحب حمص بذلك ، فرحل من دمشق ، ودخل حمص . وكان في قلب الملك الصالح منه قلوب وحقائد دفينّة ، لما جرى منه في حق أبيه الكامل . ٩

ودخل الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى دمشق في العشر الأول من شهر جمادى الآخرة ، والملك الجواد حامل العاشية بين يديه . ثم حملها الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة . واتفق أن سنجق الملك الصالح انكسر عند باب القلعة ، فتطيرت الناس من ذلك . وكان فألاً لما ناله الملك الصالح بعد ذلك من تغلب إسماعيل الملك الصالح على دمشق ، واعتقال الملك الصالح بالسكر ، حتى فرّج الله عز وجل عنه ، وملك الأرض ، حسبا يأتي من ذكر ذلك في تاريخه إن شاء الله تعالى . ١٥

قال أبو المظفر - رحمه الله - : ونزل الملك الصالح بالقلعة ، ونزل الملك الجواد دار فرخشاه . ثم إن الجواد ندم على ذلك ، فاستدعى^(١) المقدمين والجند ، واستحلفهم . وجمع الملك الصالح أصحابه عنده بالقلعة ، وأراد أن يحرق دار فرخشاه ، فدخل جمال الدين [علي بن]^(٢) جرير في الصلح بينهما ، وخرج الجواد إلى النيرب^(٣) . واجتمع الخلق على باب النصر يدعون على الجواد ويسبونونه ، ويشتمونه^(٤) في وجهه . ١٨

(١) في المتن : « فاستدعا » .

(٢) ما بين حاصرتين لإضافة من شذرات الذهب .

(٣) النيرب : قرية مشهورة على نصف فرسخ من دمشق (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٤) في المتن : « ويشتموه » .

- وسبب ذلك أنه كان سَلَط عليهم خادماً^(١) يقال له الناصح، فأخذ أموال الناس باليد، وصادرهم، وضربهم بالسياط، وعلّقهم بأرجلهم، واستخرج منهم ستمائة ألف درهم. فلما خرج الجواد من دمشق وقف^(٢) الناس للملك الصالح، فسير إليه يقول له: ٣ «رُدّ على الناس أموالهم»، فلم يلتفت لذلك. ومات والأموال في ذمته.
- وكان قبل ذلك - وقبل المفايضة - قد قبض الجواد على صفي الدين بن مرزوق وأخذ منه أربع مائة ألف دينار، واعتقله في قلعة دمشق، فأقام ثلاث سنين. ٦
- حكى الشيخ إبراهيم المرزوقي قال: لما توفي السلطان الملك الكامل، وتولى الملك الجواد، وعاد لا يفعل شيئاً^(٣) إلا برأى الملك المجاهد صاحب حمص، استشعر صفي الدين بن مرزوق من الملك المجاهد أنه قائده، لما كان بينهما من العداوة لما استوزره ٩ الأشرف، فصنع صفي الدين تابوت خشب، وترك فيه جواهر عظيمة، ولؤلؤاً وفصوصاً وياقوتاً^(٤)، لهم صورة كبيرة، وأظهر أن إحدى سراريه قد ماتت، وهي عزيزة عنده، وأنه يريد دفنها في داره التي داخل مدرسة نور الدين الشهيد، بالقرب ١٢ من الخواصين، التي تعرف اليوم بالنجبية الشافعية. وفيها قبة، ولها شباك إلى الطريق. ثم أطلع التابوت على رقاب غلمانه إلى الجامع، وحضرت كبار دمشق، وصلوا على الميتة التي زعم أنها في ذلك التابوت، وعمل الغزاء والمآتم. وانفصل الحال، وعاد ١٥ المقرئ يتردد للقراءة على ذلك القبر الذي فيه التابوت. وسلم الصفي مفتاح القبة للشيخ إبراهيم المرزوقي - ناقل هذا الحديث - ثم مُسك الصفي بعد ذلك بأشهر يسيرة، وأخذوا منه ما ذكرناه، واحتمل أموراً كثيرة، ولم يعترف بذلك التابوت، واعتقل ١٨ بقلعة دمشق. فلما مضى على ذلك قليل^(٥)، اختصم خادم كبير للصفي مع خادم صغير،

(١) في المتن: «خادم».

(٢) في المتن: «وقفوا».

(٣) في المتن: «شيء».

(٤) في المتن: «لؤلؤ وفصوص وياقوت».

(٥) في المتن: «قليلًا».

فَضْرَبَ السَّكْبِيرَ الصَّغِيرَ ، فَتَوَجَّهَ لِمَا حَمَلَهُ حَقَّقَهُ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَقَالَ : « مَعِيَ نَصِيحَةٌ » .
 فَدَخَلُوا بِهِ إِلَى الْجَوَادِ وَأَسَدَ الدِّينِ الْمَلِكِ الْمَجَاهِدِ ، وَأَخْبَرَهُمَا بِخَبَرِ التَّابُوتِ . فَبَعَثُوا
 الْقَاضِي ، وَالشُّهُودَ ، وَآمِيرَ جَانْدَارَ ، وَأَسْتَاذَ دَارَ ، وَأَخْرَجُوا التَّابُوتَ ، وَأَحْضَرُوهُ
 بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِجَمْعِهِ ، فَفَتَحُوهُ ، فَطَلَعَ مِنْهُ شَيْءٌ يَبْهَرُ الْعُقُولَ ، مِنْ جَوَاهِرِهِ وَلآلِيهِ
 وَفُصُوصِهِ ، فَأَحْضَرُوا الْجَوْهَرِيِّينَ فَقَوْمُوهُ بِمَائَتِي أَلْفٍ دِينَارٍ وَسِتِّينَ أَلْفٍ دِينَارٍ . وَكَانَ
 قَدْ أَحْضَرُوا الصَّفِيَّ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَحَلَفَ بِرَأْسِهِمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَقِيَ لَهُ مَوْجُودٌ . فَلَمَّا طَلَعَ
 هَذَا التَّابُوتِ ، سَلِمَ الْجَوَادُ لِلْمَلِكِ الْمَجَاهِدِ أَسَدَ الدِّينِ ، وَحَكَّمَهُ فِي دَمِهِ ، فَنفَذَهُ
 إِلَى حِمَصَ .

وَفِيهَا انْقَطَعَتِ الْخُطْبَةُ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ صَاحِبِ مِصْرَ مِنْ دِمَشْقَ ، وَاسْتَقَرَّتْ
 بِاسْمِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ . ثُمَّ وَقَعَ الصَّلَاحُ بَيْنَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ وَبَيْنَ أَسَدَ الدِّينِ
 الْمَلِكِ الْمَجَاهِدِ صَاحِبِ حِمَصَ ، وَحَضَرَ إِلَى خِدْمَتِهِ بِدِمَشْقَ ، وَحَضَرَ الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ أَيْضًا
 صَاحِبَ حِمَاةَ .

وَفِيهَا تَوَجَّهَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ السَّكْرُكِ إِلَى مِصْرَ ، وَاتَّفَقَ مَعَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ
 عَلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ . ثُمَّ خَرَجَتْ السَّنَةُ .

ذكر سنة سبع وثلاثين وستائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وثمانية أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشر ذراعاً ،^٣
وخمسة عشر أصبعا .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير بحاله . والسلطان بالديار المصرية الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل .
- ٩ وصاحب الشام الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل .
- ١ وصاحب الكرك الملك الناصر داود بن الملك المعظم شرف الدين عيسى .
- ١٢ وصاحب حماه الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور ، المقدم ذكره .
- ١٥ وصاحب حمص الملك المجاهد أسد الدين شيركوه ، المقدم ذكره أيضا .
- ١٨ وصاحب بعلبك الملك الصالح إسماعيل المعروف بأبي الخيش ، المقدم ذكره .
- ١٩ وصاحب حلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز بن الظاهر .
- ٢٠ وصاحب سنجار الملك الجواد نجم الدين أيوب بن السلطان صلاح الدين .
- ٢١ وصاحب ماردين الملك المظفر قرا أرسلان ، المقدم ذكره أيضا .
- ٢٢ وصاحب الموصل الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ النوري ، المقدم ذكره .
- ٢٣ وصاحب الجزيرة العمرية الملك المنصور محمد بن سنجر شاه ، المقدم ذكره .
- ٢٤ وصاحب الروم غياث الدين غازي كيخسرو بن علاء الدين كيقباز .
- ٢٥ والتتار جائلون^(١) في أقطار الأرض ، حيث سقطوا لقطوا ، وإن حلوا .
- ٢٦ وفيها هجم الملك الصالح إسماعيل دمشق وملاكمها . وسبب ذلك أن الملك الصالح نجم الدين أيوب كان قد توجه إلى نابلس ، فاتفق الصالح إسماعيل ، والملك المجاهد صاحب حمص ، والأمير عز الدين أيبك صاحب صرخد ، فإنه كان منحرفاً عن

(١) في المتن : « جائلين » .

- ٣ الصالح أيوب ، ولم يأت له ولا دخل في طاعته . وكان متفقاً مع الصالح إسماعيل . وكان الصالح أيوب قد نفذ الحليم سعد الدين من نابلس ، ومعه طيور البطائق ، يعرفه أحوال الصالح إسماعيل ، وقتاً^(١) بوقت . فكان سعد الدين يكتب البطائق بما يراه من تغير الأحوال ، ويربطها على أجنحة الحمام ، ويعطيهم للبراج ، فيمضي بهم إلى السامري الذي عاد وزير الصالح إسماعيل ، وكان له بدمشق عينا ، فيأخذ السامري تلك البطائق ويكتب للملك الصالح أيوب بالعكس مما كتبه سعد الدين ، فيطيب خاطره بذلك .
- ٦ وكان الملك الصالح أيوب - رحمه الله - سليم الباطن ، عديم المكر . هذا والصالح إسماعيل يبعث الأموال إلى المقدمين وكبار الناس من الجيوش ، ويفسد الحال على الملك الصالح في الباطن . فلما أتقن أمره خرج من بعلبك بالفارس والراجل ، على أنه طالب نابلس إلى خدمة الملك الصالح أيوب ، على طريق بانياس . فبات بالمجدل^(٢) ، وكتب بطاقة إلى الصالح أيوب أنه واصل إليه ، قهياً^(٣) لملته ، وركب وقت السحر ، وقصد دمشق . ووصل إلى عقبة دمر^(٤) ووقف حتى لحقه صاحب حصص ، ثم هجما دمشق ، ودخلا من باب الفراديس في ساعة واحدة ، من غير مانع ولا مدافع . ونزل الصالح إسماعيل داره بدرج الشعارين ، ونزل صاحب حصص داره .
- ١٥ وأصبحوا يوم الأربعاء ثامن وعشرين صفر على القامة ، ونقبوها من ناحية باب الفرج . وكان فيها الملك المنيف فتح الدين عمر بن الملك الصالح أيوب ، فاعتقله الصالح إسماعيل بالبرج ، واستولى على القلعة . ولم يكن^(٥) بها ذخائر ولا نجدة . وكان الصالح أيوب قد ركن إلى إيمان الصالح إسماعيل وعهوده وموائيقه . ولم يعلم أن الملك عقيم عقوق .
- ١٨ وبلغ الصالح أيوب ما جرى ، وقيل له لم تؤخذ القلعة ، نفاق على خمسة نفر ممن ذكر

(١) في المتن : « وقت بوقت » .

(٢) في المتن : « فبات بالمجدل » .

(٣) في المتن : « قهياً » .

(٤) عقبة دمر : مشرفة على غوطة دمشق ، وهي من جهة الشمال في طريق بعلبك (ياقوت ،

معجم البلدان) .

(٥) في المتن : « ولم يكن كان » .

ذلك له . ثم ساق طالباً دمشق . فلما وصل القصير ، بلغه أخذ القلعة . ثم مال^(١) الناس عنه بأسرهم ، وخافوا على أهاليهم ، وكان أكثرهم قد لعب الفساد بعقولهم ، فرحل^(٢) الناس طالبين دمشق . وعاد الملك الصالح في مماليكه وغلما نه ، فرحل من^٣ القصير يريد نابلس على طريق جينين ، فطمع فيه أهل النور والعشير ، وكان مقدمهم رجلاً جاهلاً^(٣) يقال له تبل^(٤) من أهل بيسان ، مفسداً سفاكاً للدماء ، فتبع الملك الصالح في جمع من أصحابه ، وعاد يحمل عليهم بماليكه قلعة بقلبة ، وأخذوا بعض ثقله . وكان الوزير قد عاد إلى نابلس ، فأرسل إليه يقول : « قد مضى ما مضى^(٥) وما زالت الملوك كذا ، وقد جئت الآن مستجيراً بابن عمي » . ونزل في الدار بنا بلس . واتفق عود الملك الناصر داود من مصر على غير رضى من العادل ، فوصل إلى السكرك ، وكتب الوزير إلى الناصر يعرفه ذلك ، فبعث الناصر الأمير عماد الدين بن موسك ، والظهير بن سنقر الحلبي ، في ثلثمائة فارس إلى نابلس . فركب الملك الصالح ، والتفاهم نخدموه ، وقالوا له : « طيب قلبك فقد بلغ ابن عمك قولك أنا مستجير به ، وقد أجازك ، ونحن قد سیرنا إلى خدمتك خوف عليك من يد الغير » . فشكر لهم ذلك ، ونزل داره ، ونزلوا . فلما كان بعد ذلك بأيام قلائل ضرب الفير ، وقالوا : « قد جاءت الفرنج إلى الظهر » . فركب الناس وممالك الملك الصالح ، ووصلوا إلى سبسطية ، فغنم عماد الدين الفرصة ودخل على الصالح ، وكذلك الظهير ، وقبضوا عليه ، وأخذوا سيفه ، وقالوا : « أجب ابن عمك الملك الناصر » . قال أبو المظفر - رحمه الله - : وبلغني أن جاريته كانت حاملاً ، فطرح في تلك الساعة . وأخذوه وتوجهوا به إلى السكرك . قال أبو المظفر : لما اجتمعت بعد ذلك بالملك الصالح في سنة تسع وثلاثين ،

(١) في المتن : « مالوا » .

(٢) في المتن : « فرحلوا » .

(٣) في المتن : « رجل جاهل » .

(٤) كذا في المتن ، وكذلك مرآة الزمان وعقد الجمان للعيني . وفي النجوم الزاهرة

لأبي المحاسن (ج ٦ ص ٣٠٧) : « مسبل » .

(٥) في المتن : « قد مضى ما مضى » .

وهو يومئذ سلطان الإسلام ، حكى لى صورة الحال ، قال : ركبوني بغلة بنير مهاميز
ولا مقرعة ولا دبوس ، وساروا بى إلى البرية^(١) فى ثلاثة أيام ، فوالله ما كلفهم كلمة
واحدة ، ولا أكلت لهم زاداً^(٢) ، حتى حضر خطيب الموتة^(٣) ومعه دجاجة فأكلتها ،
وأقاموا بى فى البرية يومين ، ولا أعلم مقصودهم مأهو . وكان قصدهم أن يطلعونى
السكرك فى طالع نحس ، يقتضى ألا أخرج من السكرك . ثم أدخلونى السكرك ليلاً ،
على الطالع الذى اختاروه للنحسى ، فاختاره الله عز وجل لسمادتى ونحسهم . ووُكِّل
بى مملوك فظ غليظ يقال له زُرَيْق . وكان علىّ أضر من كل شيء أنا فيه ، فأقت
عندهم إلى شهر رمضان ، سبعة أشهر . ولقد كان عندى خادم صغير ، فأكل كثيراً^(٤)
فتنخم ، وبال على البساط ، فأخذت البساط بيدى وخرجت إلى الدهليز ، وقلت :
« يا مقدمين هذا الخادم قد أتلف هذا البساط ، لعل تأخذوه وتنسلوه فى النهر
بالوادي » . قال : فنفر فى زريق ، وقال : « إيش خروجك إلى هاهنا ؟ » وصاحوا
علىّ . وكان قد وكل بى ثمانين رجلاً^(٥) ، فعدت إلى موضعى وبكيت ، وتوسلت
إلى الله عز وجل . ثم إن الوزيرى طلع بخزائنى وخيولى وحرعى إلى قلعة الصلت^(٦) ،
وأقام مماليسكى بنابلس . وحضر ابن الناباسى من مصر من عند العادل ، يطلبنى من
الناصر ، وأبدل له فى مائة ألف دينار ، فما أجاب لذلك . وكذلك كاتبه الصالح
إسماعيل وأسد الدين صاحب حمص ، وأبدلوا له أموالاً عظيمة ، فلم يجبهما إلى ذلك .
فلما طال مقامى عنده ، استشار عماد الدين بن موسك ، وابن قليج والظهير ، وسخره
الله عز وجل لما كان لى كامن فى الغيب من السعادة ، فاتفقوا على إخراجى ، فأخرجنى

(١) كذا فى المتن ، وفى عقد الجمان للعيني « وساروا بى إلى الموتة فى ثلاثة أيام » . والموتة
قرية على مرحلة من السكرك (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٢) فى المتن : « زاد » .

(٣) فى المتن : « البرية » .

(٤) فى المتن : « كثير » .

(٥) فى المتن : « رجل » .

(٦) الصلت : بليدة وقلعة فى جبل الغور الشرقى جنوبى عجلون بالأردن (أبو الفدا ،
تقويم البلدان) .

في آخر شهر رمضان، وحلفني على أشياء ماتقدر عليها ملوك الأرض، وهو أن آخذ له دمشق وحمص وحماة وحلب والجزيرة والموصل وديار بكر، ويكون له نصف ديار مصر، ونصف ما في هذه الخزائن التي للملك هذه الأقاليم. قال: فحلفت له من تحت القهر والسيف، والله مطلع على ضميري. ولما بلغ العادل من مصر والصالح من دمشق مع بقية الملوك أنه أخرجني، رماه^(١) الجميع عن قوس واحدة، وعزموا على قصده، فكان أول من برز إليه العادل من مصر إلى بلبيس جريدة بالعساكر القوية، فاختلقوا عليه، وقبضوه يوم الجمعة ثامن ذي القعدة، وأرسلوا إلى الصالح يعرفونه^(٢). وكانت^(٣) مدة ملك العادل الديار المصرية سنتين وثمانمهورا.

٩

ذكر سلطنة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب

وذلك لما وصل إليه رسول الأمراء المصريين يستحثونه في سرعة القدوم عليهم، ظن أن ذلك خديعة من العادل، فسأل الناصر أن يتوجه معه، فأنعم^(٤)، وسارا جميعا طالبين مصر، مع عسكر الكرك، وجماعة من الأمراء. وكان وصول الملك السلطان الصالح أيوب إلى بلبيس يوم الأحد رابع عشرين ذي القعدة، فنزل في خيمة العادل، والعادل ممثقل في خراكة^(٥).

١٥

قال أبو المظفر: قال لي الملك الصالح أيوب: «ما قصدت مجيء الناصر صاحب الكرك معي إلا^(٦) خشية أن تسكون^(٧) معمولة على من جهة العادل. ثم إن الناصر

(١) في المتن: «رموه».

(٢) في المتن: «يعرفوه».

(٣) في المتن: «وكان».

(٤) أي وافقه وقال: «نعم».

(٥) الخراكة: لفظ فارسي، يعني خيمة.

(٦) في المتن: «إلى».

(٧) في المتن: «لاتكن».

تغير على ، وطعمت نفسه بالملك ، وطعمته^(١) حاشيته بذلك ، فأراد قتلى ، فسلم الله معه . ثم إن الناصر ضرب تلك الليلة وطاب ونحن على بلبيس ، فشطح إلى عند العادل ، فخرج إليه العادل وقبل له الأرض . فقال له : « كيف رأيت ما أشرت به عليك ؟ » فقال : « ياخوند العفو والتوبة على يديك . وأنا في جبرتك » . فقال : « طيب قلبك . الساعة أخاصك » . ثم جاء إلى عددي ، فدخل الخيمة ، ووقف .

٣ فقلت : « بسم الله اجلس » . فقال : « ما أجلس حتى تطلق العادل الساعة » . فازلت ألافه حتى نام . فما صدقت بنومه [وقت في باقي الليل]^(٢) . ولو أطلقت العادل تلك الساعة ضربت رقبتى ورقبته جميعا . ثم قت في باقي الليل ، فأخذت العادل في محفة

٤ ودخلت القاهرة أذان الصبح . وبعثت^(٣) إلى الناصر بعشرين ألف دينار ، ورجع من بلبيس إلى السكرك .

وفيها سلم الناصر داود صاحب السكرك القدس الشريف للفرنج ، فلم يزل في أيديهم إلى أن فتحها الله على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز بن الظاهر ابن السلطان صلاح الدين ، في تاريخ ما يأتي ذكره . فلما عادت دار إسلام كما كانت عليه ، فقال فيه بعضهم :

١٥ المسجد الأقصى له عادة صارت وسارت مثل سائر
إذا غدا بالكفر مستوطنا أن يبعث الله له ناصر
فناصر ظهره أولا وناصر ظهره آخر

(١) في المتن : « وطعموه » .

(٢) ما بين حاصرتين تكملة من النجوم الزاهرة لأبي المحاسن (ج ٦ ص ٣١١) .

(٣) في المتن : « بعث إلى الناصر » ، والتصحيح من النجوم الزاهرة لأبي المحاسن (ج ٦ ص ٣١١) .

ذكر سنة ثمان وثلاثين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وعشرون أصبعا . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا ٣ وعشرون أصبعا .

مأخض من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير بحاله . والملوك كذلك ، خلا صاحب حمص ، فإنه توفي إلى رحمة الله تعالى . وقام بمملكة حمص الملك المنصور ولده إبراهيم بن أسد الدين شيركوه ، وباقى نسبه قد تقدم .
- ٩ وفيها كانت ^(١) الوقعة بين الحلبيين والخوازرمية . وكان الجواد مع الخوارزمية ، وكذلك صاحب حمص . ونزلوا على باب بزاعة ^(٢) في خمسة آلاف فارس ، فخرج إليهم عسكر حلب في ألف وخمسمائة فارس ، فمكسروهم كسرة عظيمة ، وأسروا أمراءهم ، ونهبوا أثقالهم ، وساقوا إلى جيلان ، وقطعوا المياه عن حلب ، ثم رجعوا ١٢ إلى منبج ، فنهبوا وقتلوا ، ثم إلى حران . ثم إن الحلبيين استدعوا صاحب حمص إليهم ، قال معهم ، ونزل بعسكره على حلب . والسبب في مجيء الخوارزمية أن الملك الحافظ صاحب قلعة جمبر لحقه مرض الفالج ، فخاف من الخوارزمية لينزعوا ^(٣) منه ١٥ قلعة جمبر ، فسير إلى صاحبة أم الملك العزيز صاحب حلب يسألها أن تقسم منه القلعة ، وتعوضه بنظيرها ^(٤) من أعمال حلب . فلما تم ذلك ، حمل الخوارزمية النبط ، حتى قصدوا حلب ، وفعلوا ما فعلوا . وهذا تلخيص الكلام . ١٨

(١) في المتن : « كان » .

(٢) الباب ، ويعرف بباب بزاعة : بليدة من أعمال حلب (أبو الفدا ، تقويم البلدان ص ٢٦٧) . وبزاعة بلدة من أعمال حلب ، بينها وبين منبج (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٣) في المتن : « لا ينزعوا » .

(٤) في المتن : « بنظرها » .

- وفيهما وصل رسول التتار إلى ميافارقين، إلى عند المظفر غازي، وقال الرسول له :
 « قد جعلك القان سلحداره ، وأمرك أن تخرب أسوار بلادك جميعها » . وعلى يد
 ٣ الرسول كتاب من جكزخان عنوانه يقول : « من نائب رب السماء ، مسح وجه
 الأرض ، ملك الشرق والغرب ، طولاً وعرضاً ، قاقان » . فقال المظفر غازي :
 « أنا من جملة الملوك ، وبلادى حقيرة بالنسبة إلى الروم والشام ومصر ، فتوجه إليهم ،
 ٦ ومهما فعلوه أنا موافق » . وكان هذا الرسول شيخاً لطيفاً من أهل أصبهان .

ذكر عجائب مما ذكر رسول التتار

- منها أنه قال أن بالقرب من بلاد القان يأجوج ومأجوج ، وهم صور مختلفة ،
 ٩ ربما رأوا منهم جماعة على أعلى السد مراراً . وقد تقدم ذكرهم في هذا التاريخ في عدة
 أماكن منه ، مما يفنى عن تكرار القول فيهم ها هنا .
 ومنها أن بجوارهم على البحر المحيط أقوام ليس لهم رؤوس ، وأعينهم وأفهامهم
 ١٢ في مناكبهم . وإذا رأوا الناس هربوا منهم ، وعيشهم أكل السمك . وقد ذكرنا
 ذلك أيضاً في هذا التاريخ عندما ذكرنا ملوك السامانية في الجزء الرابع منه ، وأصل
 هؤلاء القوم ، واسمهم الذي يعرفون به ، من أبيهم^(١) الأول ، مما يفنى بإعادته
 ١٥ ها هنا .
 ومنها أن في تلك النواحي أناس يزرعون في الأرض بزراً فيقول منه الغنم ، كما
 يتولد دود الحرير ، وأن الخروف لا يعيش غير شهرين ، مثل إقامة سائر النباتات في
 ١٨ الأرض ، وأنها لا تنفاسل .
 ومنها أن بماء زبدان عين ماء ، وهي بركة واسعة ، تطلع في كل ستة وثلاثين سنة ،
 صفة خشبة غليظة ، شبه المنارة العالية ، فتقيم طول ذلك النهار إلى أن تغرب الشمس ،
 ٢١ فتغوص في الماء ، فلا تمود تظهر إلى مثل ذلك الحين [إلا]^(٢) بعد ستة وثلاثين سنة .

(١) في المتن : « أبيهم » .

(٢) ما بين حاصرتين لإضافة لسياق المعنى .

وأن بعض ملوك المعجم حضر سنة في ذلك الوقت الذي فيه ظهورها وطالوعها، فربطها بسلاسل من حديد في غاية القوة ، وأوثقها وثقا جيداً في أساطين من حديد قد ضربت في الأرض من أربع جوانبها ، واستوثق منها بأشد ما يكون . فلما كان وقت ٣ غوصها ، قطعت تلك السلاسل ، وغاصت على عادتها . قال : وهى إلى الآن إذا طلعت رأى^(١) الناس السلاسل فيها مشدودة في وسطها .

٦ وفيها اختلف عسكر مصر على السلطان الملك الصالح أيوب ، فسك كثيراً^(٢) منهم . فنَّ الأمراء الذين قبض عليهم الملك الصالح الأمير عز الدين أيوب الأشمر^(٣) الأشرفي ، مع سائر الأشرافية . ومن الخدام الكبار الذين كانوا يحكم الدولة العادلية؛ جوهر النوبى ، وشمس [الدين] الخواص^(٤) . وانتظم الملك له بعد ذلك . واستوزر ٩ معين الدين بن شيخ الشيوخ ، ومكنه ، وفوض إليه تدبير المملكة ، وشرع في شراء الممالك^(٥) الترك .

١٢ وفيها تسلم عسكر الروم آمد بعد حصار شديد . وكان بآمد يومئذ الملك المعظم غياث الدين توران شاه بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فتوجه منها إلى حصن كيفا ، واستمر به إلى قدومه إلى الديار المصرية ، بعد وفاة أبيه ، حسبما يذكر من بعد . واستقر بحصن كيفا ولده الملك الموحّد عبد الله ، فاستمر الملك الموحّد ١٥ بحصن كيفا تحت حكم التتار . وله بحصن كيفا عدة أولاد . وكان لما توجه والده الملك المعظم إلى الديار المصرية عمره عشر^(٦) سنين .

(١) في المتن : « رأوا » .

(٢) في المتن : « كثير » .

(٣) كذا في المتن ، وكذلك في مفرج الكروب لابن واصل (حوادث سنة ٦٣٨ هـ -

مخطوط) . أما في النجوم الزاهرة لأبى المحاسن (ج ٦ ص ٣٢٠) فقد جاء الاسم « أيوب الأشقر » .

(٤) في النجوم الزاهرة لأبى المحاسن (ج ٦ ص ٣٢٠) : « شمس الدين الحامس » .

(٥) في المتن : « الممالك » .

(٦) في المتن : « عشرة » .

وفيها [كانت] كسرة الحلبيين للخوارزمية^(١) ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً^(٢) ،
 وهرب مقدمهم بركة خان إلى الخابور . وأخذ المنصور إبراهيم صاحب حمص حران ،
 وعصت^(٣) عليه القلعة . ٣

وفيها - خامس شعبان - حفر أساس قلعة الجزيرة^(٤) بمصر .
 وفي عاشر ذى القعدة هدمت الدُّور التي بالجزيرة ، وتحول^(٥) سكانها عنها .
 ولما كمل بناء القلعة ، قال فيها على بن سعيد الأندلسي : ٦

تأمل لحسن الصالحية إذ بدت وأبراجها مثل النجوم تلالا
 ووافى إليها الفيل من بُعد غاية كما زاد مشغوقا يروم وصالا
 وعانقها من فرط وجده لحسنها فدد يميناً نحوها وشمالا ٩

وفي رابع المحرم شرع في بناء القنطرة التي على الخليج ، وهي التي تعرف بقنطرة
 السد .

وفيها - خامس شهر رمضان المعظم - قبض السلطان الملك الصالح على الأمراء
 الأشرفية الذين كانوا بالديار المصرية ، لما بلغه عنهم ما عزموا عليه من فساد الدولة .
 ونودى في مصر والقاهرة من اختفى عنده أحد من الأشرفية شُق ، وغُلقت أبواب
 القاهرة مدة أيام ، خلا باب زويلة ، وذلك حرصاً على مسكهم ، ثم قيدوا واعتقلوا .
 وفي سابع عشرين ربيع الأول تولى^(٦) بدر الدين بن باخل ثغر الاسكندرية .
 وكان قبل ذلك متولى مصر .

وفي ربيع الآخر وردت الأخبار أن الملك الناصر صاحب الكرك والملك الصالح
 إسماعيل صاحب دمشق يومئذ اصطالحا وتحالفا ، واتفقا مع الفرنج ، وسلموا لهم القدس

(١) العبارة في المتن : « وفيها كسرت الحلبيون للخوارزمية . . . » .

(٢) في المتن : « خلق كثير » .

(٣) في المتن : « وعصى » .

(٤) يقصد قلعة جزيرة الروضة ؛ انظر المقرئى ، المواعظ . ج ٢ ص ١٨٣ .

(٥) في المتن : « وتحولوا » .

(٦) في المتن : « تولا » .

الشريف وصيدا وبيروت . ولم تزل في أيديهم إلى أن فتحها الله على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب في سنة إحدى وخمسين وستائة . ثم إنه صالح الفرنج أن يكون القدس بينهم مناصفة . ولم تزل كذلك إلى أن خرجت البلاد عنه ، ٣ واستقر للفرنج صند وطبرية وهونين .

قال ابن واصل : وفيها قدم القاضي بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزارى ، المعروف بقاضى سنجار ، على السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، بالديار المصرية ، ٦ من بلاد حماة ، فالتقاء أحسن ملتقى^(١) . وكان له عنده يد مقدمة ، لما أنجده بسنجار وهو محصور وقدم عليه بالحوارزمية بعد خروجهم عنه عند وفاة الملك الكامل ، فخلصوه من حبائل الأسر الذى كان قد تمانى له من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، ٩ فأحسن مكافأته ، وولاه القضاء بالديار المصرية بمصر والوجه القبلى ، بكاله . وكان القضاء بكاله للقاضى شرف الدين المعروف بابن عين الدولة الإسكندرى ، فأبقى بيده قضاء القاهرة مع الوجه البحرى . وكان شرف الدين قد طالت مدة ولايته من أيام ١٢ الكامل ، وإلى هذا التاريخ .

وكان القاضى شرف الدين بن عين الدولة - مع حرمة ورياسته وسكونه - كثير الزايد ، مليح الأجوبة ، حسن المحاضرة ، يقول الشعر الجيد ، في شعره يقول : ١٥
وليت القضاء وليت القضاء لم يكن شيئا توليته
فأوقعنى القضاء فى القضاء وما كنت قدما تمنيته
ومن زواده أن حضرت بين يديه امرأة المحاكمة فقال لها : « ما اسمك ؟ » . قالت : ١٨
« ست من يراها ! » ، فوضع كفه على عينيه . وقال بمض العدول يوماً بين يديه : « إن هذا المكان قليل الهواء ، كثير الغاموس » . فقال القاضى : « هكذا ينبغى تكون مجالس الحكماء » .
وفيها توفي مجد الدين بن اللامعى^(٢) بمنية بنى خصيب . وهو أبو الطاهر إسماعيل ٢١

(١) فى المتن : « ملثقا » .

(٢) انظر كتاب السلوك للمقرئى (ج ١ ص ١٧١) .

ابن أبى الفوارس أحمد بن الحسن المنعوت بالكرم . وكان قد ولى عدة ولايات بالديار المصرية . ومولده سنة خمس وأربعين وخمسة .

٣ وفيها ملك الناصر صاحب حلب قلعة جعبر ، بتدبير الزين الحافظى على الملك الحافظ صاحبها . وهو نور الدين أرسلان شاه ، وأخرجوه منها ، ودخل حماء . وفيها كانت عدة حروب بين ملوك الإسلام . وكل ذلك لما أراد الله عز وجل من تملك التتار وتحكمهم فى البلاد .

٦ وفيها استولت الخوارزمية على بلاد كثيرة ، وفعلوا أقبح مما فعلوه التتار . هذا قبل كسرتهم من الحلبيين .

ذكر سنة تسع وثلاثين وستمائة

القليل المبارك في هذه السنة

الماء القديم أربعة أذرع وعشرون أصبعاً . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً ، وسبعة عشر أصبعاً .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . والوزير بحاله . والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان الإسلام بالديار المصرية . والصالح إسماعيل بدمشق . والناصر داود بالسكر . والمنصور إبراهيم بمصر . والمظفر محمود بجها . والناصر يوسف بحلب . وباقي الملوك حسبما ذكرناه من قبل .
- ٩ وفيها شرع السلطان الملك الصالح في عمارة المدارس بالقاهرة . وفيها كان دخول الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى الديار المصرية ، وولاه الملك الصالح نجم الدين القضاء والخطابة معاً بمصر مع الوجه القبلي . ثم إنه عزل نفسه وانقطع ، رضى الله عنه .
- قلت : هذا ما ذكره أبو المظفر من تولية القاضي عز الدين بن عبد السلام .
- ١٥ وفيها توفي الملك الحافظ أرسلان شاه صاحب قلعة جبر ، بمرض الفالج . وفيها كان توجه كمال الدين بن شيخ الشيوخ بمسكر المصريين . وكانت الوقعة بينه وبين صاحب السكر . وانكسر ابن الشيخ وأمره الملك الناصر صاحب السكر . ثم من عليهم الملك الناصر وأطلقهم من الأسر .
- ١٨ وفيها تسلم الفرنج صفد والشقيف ، وهما من جملة الفتوح الصلاحى . وسبب ذلك الخلف بين الملكين صاحب مصر وصاحب الشام . وذلك أن الملك الصالح إسماعيل لما خاف من الملك الصالح أيوب قصد معاودة الفرنج ، فلم يجيبوه حتى سلم لهم هذين الحصنين .
- ٢١ وفيها كان مرض الملك المظفر صاحب حماه بالفالج ، وبطل شقه ، وعجزت الأطباء عن مداواته ، وهو لا يورى الأعداء إلا تجلداً .

ذكر سنة أربعين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم أربعة أذرع وأربعة عشر أصبعا . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا
وثمانية أصابع .

ما لخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى حين وفاته في هذه السنة ، بكرة
يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة ، وله أحد وخمسون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام .
وكنم موته ، ولم يشمر بوفاته ، ودعاء الخطباء في ذلك اليوم له . ثم خرج شرف الدين
٩ إقبال الشراي ومعه جماعة من الخدام إلى التاج الشريف ، وحضروا بين يدي
ولده .

ذكر خلافة الإمام المستعصم بالله وأخباره وما لخص من سيرته

١٢ هو أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله
ابن الناصر لدين الله . وبقى نسبه قد علم . أمه أم ولد ، يقال إنها رومية ، تعرف
بقوت القلوب . بويح يوم وفاة أبيه . ودخل عليه شرف الدين إقبال الشراي وبقية
١٥ الخدام ، وسلموا عليه بأمر المؤمنين . ثم عرّف الوزير وأستادار . وحضر القضاة
وبدر الدين بن التميمي وبايموه ، وعزوه بأبيه . وكذلك باقى أولاد الخلفاء ، ثم سائر
الأمراء والأعيان . ثم أعرضت عليه ألقاب^(١) الخلفاء ، فاختر المستعصم بالله .
١٨ وفي صبيحة ذلك اليوم رأى الناس أبواب الخلافة مغلقة . وجلس عبد اللطيف
ابن عبد الوهاب الواعظ ، ثم أخبرت الناس بوفاة الإمام المستنصر ، وبيعة الإمام
المستعصم . فكان من جملة ما قاله الواعظ من الكلام : « أيها الناس إن إمامكم
٢١ المستنصر بالله قد درج إلى رحمة الله ورضوانه . وقد بويح ولده الإمام المستعصم بالله

(١) في المتن : « ألقاب » .

- أبو أحمد عبد الله أمير المؤمنين . ثم استدعى إلى دار الخلافة الولاة والرعايا والمدرسون ، ومشايخ الرباطات ، والأعيان . وفتح باب العامة ، فدخل المذكورون وعليهم ثياب الغراء . وانتهى بهم المشى إلى بستان التاج الشريف . وقد نصب بين ٣
- يدى شباك المباينة كرسى بدرج ، والوزير جالس على أعلى درجة ، ومن دونه الأستاذار يأخذ البيعة على الناس . ونصها : « بايع سيدنا ومولانا أمير المؤمنين على كتاب الله وسنة نبيه واجتهاد رأيه الشريف ، وأن لا خليفة للمسلمين سواه » . فبايع ٦
- الناس أولاً فأولاً على قدر درجاتهم . ثم أسبلت الستارة ، واحتجب بها . ولم تزل المباينة إلى يوم الاثنين ثالث عشره .
- ثم تقدم من حضر من الناس ، وأمر بالحضور بين يديه إلى دار النوبة . ووصلت ٩
- محنة الوزير إلى باب الرواق . وجلست الصدور حوله على قدر مراتبهم ، وقمى القرآن العظيم ، وختمت الختمة الشريفة . وتسكلم الإمام جمال الدين بن الجوزي ، وهو أبو الفرج عبد الرحمن بن محيي الدين يوسف . وانقضى المجلس . ١٢
- واستقر خليفة إلى حين أخذ التتار بغداد ، في سنة ست وخمسين وستائة ، في شهر المحرم ، فكانت خلافته خمس عشرة سنة ، وثمانية أشهر . وأخرج من ١٥
- خلافته ومحلّ سلطانه [في] السابع والعشرين من الشهر المذكور ، حسبما يأتي من ذكر ذلك في تاريخه .
- وكان لها أخ يعرف بالخفاجي ، كان يزيد على المستنصر بالله في الشهامة . وكان يقول : « إن ملكني الله أمر الأمة لأستنقذن من التتار جميع ما ملكوه من بلاد المسلمين » . فأضرب^(١) عنه أرباب الدولة لشهامته ، ومالوا للمستعصم ، لينه ، ليكُونوا الحكام عليه . وكان ذلك لأمرٍ قد قدر .
- وكان فيه هوج ، وطيش ، وظلم ، مع بلاءه ، وضعف ، وانقياد إلى أصحاب ٢١
- السخف . يلعب بطيور الحمام ، ويركب الحمير المصرية الفره ، غير ناظرٍ إلى أمر مصالح

(١) في المتن : « فأضربوا » .

- المسلمين ، ولا مفكر في عواقب الزمان . وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد . وعدتهم من السفاح إليه أربعة وثلاثون^(١) خليفة ، بعدما أسقطنا من جملتهم إبراهيم ابن المهدي ، وعبد الله بن المعتز ، فإن حُسباً في الجملة كانوا ستة وثلاثين^(٢) خليفة ، مُدة ملكهم إلى حين انتفاض أمرهم على يد التتار من العراق - بحكم التقريب لا بالتحرير - يكون خمس مائة سنة ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً ، فإن العبد جَمَلَ عدة سنين تملكهم - من السفاح إلى المستعصم هذا على رأى الجماعة أصحاب التواريخ - فكانت خمس مائة سنة وتسع سنين . وأضفت ذلك إلى أيام ملك بني أمية ، وأيام الخلفاء الراشدين ، وأيام الهجيرة . وأضفت إلى تلك السنين إلى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، فنقصت عن الجملة ، تقدير عشر^(٣) سنين . ولعلها متداخلة فيما بين المدد ، واختلاها من جهة الأشهر والأيام التي لم تحصر ، والله أعلم .
- وفي هذه السنة توفي سيدى الشيخ أبى السعادات بن أبى العشائر الواسطى ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، شيخى وقدوتى ، والوسيلة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل ، أن يحشرنى على ملته ، ويمتنى على محبته ، بفضله وكرمه ورحمته . ودفن سيدى الشيخ المشار إليه بالقرافة ، بسفح المقطم ، نفع الله ببركته .
- قال ابن واصل : وفي هذه السنة كانت الوقعة بين الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص وبين الملك المظفر شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين . وكان مع الملك المنصور التركمان ، ومقدمهم يسمى ابن دودا^(٤) . وكان مع المظفر غازى الخوارزمية ، فكانت الكسرة على المظفر والخوارزمية ، ونهب أموالهم ونساءهم ، وذلك يوم الخميس ثلاث يمين من صفر . ورجع المنصور إبراهيم إلى حلب مقتصراً ، وهو يومئذ منتظم في سلك الصاحبة [ضيفة خاتون] أم الملك العزيز صاحب حلب .

(١) في المتن : « وثلاثين » .

(٢) في المتن : « وثلاثون » .

(٣) في المتن : « عشرة » .

(٤) كذا في المتن ، وفي مفرج الكروب لابن واصل (حوادث سنة ٦٤٠ هـ - مخطوط)

جاء الاسم : « ابن دودى » .

- وفيهما توفت الصاحبة [ضيغة خاتون]^(١) المذكورة ، واستقيد بالأمر الملك الناصر صلاح الدين ، وله يومئذ من العمر ثلاث عشر سنة ، مراهقاً للبلوغ ، والرأى راجع إلى الأمير جمال الدولة إقبال الخاتوني ، والوزير القاضي الأكرم جمال الدين بن القفطي . ٣
- وفيهما - أعنى سنة أربعين وستمائة - كانت عدة وقعات بين عسكر حلب وبين الخوارزمية ، ومعهم شهاب الدين غازي ، وكذلك صاحب ماردین الملك السعيد إيلغارى^(٢) . وآخر الأمر أن صاحب الروم أصلح بينهم ، وقعد كل منهم ببلاد ونواحي . ٦
- وسير صاحب الروم يستخدم الرجال لأجل التتار وما فعلوه ، وبطلت النجدة عليهم .

(١) ما بين حاصرتين إضافة من ابن واصل (مفرج الكروب - حوادث سنة ٦٤٠ هـ) .

(٢) كذا في المتن ؛ وفي مفرج الكروب لابن واصل : « الملك السعيد نجم الدين غازي صاحب ماردین » .

ذكر سنة إحدى وأربعين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم خالٍ ، لم يكن به ماء يذكر . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وثمانية أصابع .

ماخلص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين . والوزير بحاله . والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان الديار المصرية وما معها .

وفيها كان ابتداء الصلح بين الملك الصالح أيوب والملك الصالح إسماعيل . وكان السفير بينهما في ذلك من قبل الخلافة الأصيل الخطيب . وأطلق الصالح إسماعيل

٩ المغنيث عمر بن الملك الصالح . ثم إن السامري وزير الصالح إسماعيل أعكس الرأي ، وقال لإسماعيل : « هذا خاتم سليمان في يدك لا تنزعه » . فتوقف الأمر ولم يتم الصلح

١٢ بينهما . ومنع المغنيث من الركوب ، وجلس في برج بقلعة دمشق . وكتب الملك الصالح أيوب إلى الخوارزمية ، فعبروا الفرات^(١) ، وانقسموا قسمين : قسمة أتوا

على بقاع بعلبك وقسمة على غوطة دمشق ، يذهبوا ويسبوا ويقتلوا ، وسد الصالح إسماعيل أبواب دمشق ، ونزلوا غزة .

وفيها صالح صاحب الروم التتار^(٢) ، على أن يدفع لهم في كل يوم ألف دينار ، وفرسا ومملوكا وجارية وكب صيد . وكان عقله ناقصا يلعب بالكلاب والسباع ،

١٨ ويسلطها على الناس ، فعضه أسد ، فأت منه . واستولى^(٣) التتار على مملكة الروم . وأكسروا عساكرها . وكان قبل ذلك قد اصطالح صاحب الروم مع الخوارزمية ،

واتفقوا مع صاحب ميافارقين وصاحب حلب وصاحب ماردين . واجتمعوا جميعهم

(١) في المتن : « الفراء » .

(٢) في المتن : « للتتار » .

(٣) في المتن : « واستولوا » .

وضربوا مع التتار مصافاً . وكان التتار في جمعٍ عظيمٍ ، فكانت الكسرة في الأول على التتار . ثم ردوا ردة على المسلمين ، فانسكروا كسرة عظيمة ، وقتل منهم خلق كثير ، وهرب كل ملكٍ إلى جهة . واستولى^(١) التتار على البلاد . ورجع عسكر ٣ حلب في أنحس حالٍ . واستولى على الممالك التتار . واستقر بملك الروم بعد وفاة صاحبه عز الدين كيكاوس ، وأخوه ركن الدين قليج أرسلان . ثم هرب كيكاوس إلى قسطنطينية ، واستقل قليج أرسلان بملك ٦ الروم . هذا والخوارزمية بغزة ، تحت أوامر الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر ، ومقدموهم يومئذ أربع خانات وهم : حسام الدين بركة خان ، وزين الدين خان بردى ، وعز الدين صاروخان ، وبهاء الدين كشلواخان . وكانوا في عشرة آلاف ٩ فارس . وأفسدوا في طريقهم - حتى أتوا إلى غزة - ما وصلت إليه قدرتهم من كل فعلٍ قبيحٍ . وكان عسكر دمشق مجرداً^(٢) على غزة ، فلما بلغهم مجيء الخوارزمية ، هربوا إلى دمشق . وهرب الملك الناصر داود إلى الكرك . وهربت الفرنج الذين ١٢ كانوا ببيت المقدس إلى عكا . ونهبت الخوارزمية القدس ، وقتلوا كل من وجدوه في طريقهم من النصارى^(٣) ، ودخلوا كنيسة قمامة ، وأخربوا القبور التي فيها ، وأحرقوا عظام الموتى . ثم نزلوا غزة بعد فسادٍ كثير . ثم سيروا رسلهم إلى الملك ١٥ الصالح أيوب بمصر ، يستأذنونهم في محاصرة دمشق ، ومحاربة الصالح إسماعيل عمه . فأخلع على رسلهم وأعطاهم الأموال ، وسير الخلع والأموال الجزيلة إلى مقدسى الخوارزمية . وجهز من عنده عسكرياً^(٤) من المصريين ، نجدة للخوارزمية ، مع أمراء ١٨ كبار من الأكراد ، وكانوا أيضاً أتوا من الشرق نجدة للملك الصالح أيوب . وتوجهوا إلى نحو دمشق .

(١) في المتن : « واستولوا » .

(٢) في المتن : « مجرد » .

(٣) في المتن : « النصارى » .

(٤) في المتن : « عسكر » .

وأما الصالح إسماعيل فإنه سَير إلى الفرنج يطلب منهم النجدة . واتفق الحال بينه وبين الفرنج أن تكون مصر والشام بينهم بالمساواة . ثم خرجت عساكر الشام ، ومعهما فرسان الفرنج ، والتقوا مع عساكر مصر ومعهما الخوارزمية . وكانت وقعة عظيمة ، قتل من الفريقين خلق كثير . ثم انتصر^(١) المصريون والخوارزمية على الشاميين والفرنج . ثم إن الفرنج ركبوا أقفية أصحابهم الشاميين المهزيمين ، قتلوا وأسروا . ٦

ووصل الخبر إلى الديار المصرية بكسرة الفرنج ومن معهم من عسكر الشام ، فضربت البشائر بذلك . وجمع الملك الصالح أيوب الأمراء عنده بقلعة المقياس ، وفرق الأموال والخلع ، وكان نهراً مشهوداً . ثم بعد أيام قلائل دخل الأمير حسام الدين بن أبي علي بالأسرى^(٢) من الفرنج على الجمال ، وشقوا بهم القاهرة . ثم سير السلطان الملك الصالح أيوب مملوكه الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى^(٣) ، في عسكر كثيف من المصريين والتركمان ، ثم أمره أن ينزل على غزة . ١٢

وفي هذه السنة انتظمت مملكة السلطان الملك الصالح أيوب ، ووصل إليه جميع عساكر السواحل ، وعسكر القدس ، والخليل ، وبيت جبريل ، والأغوار ، وغيرهم . وفيها رسم السلطان لوزيره معين الدين^(٤) بن شيخ الشيوخ أن يكون نائبه بدمشق ، وحكمه فيها ، وأقامه مقام نفسه . ووصل إلى الخوارزمية وصار مقدماً عليهم . واشتد الحصار بدمشق ، فسَير الصالح إسماعيل إلى ابن الشيخ سجادة وعكاز وإبريق^(٥) . ١٥

(١) في المتن : « ثم انتصروا » .

(٢) في المتن : « بالأسرا » .

(٣) ركن الدين بيبرس هذا غير السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الظاهري ؛

انظر أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٣٢٢ .

(٤) في المتن : « صني الدين بن شيخ الشيوخ » وأمامها في هامش الصفحة : « قال ابن واصل

اسمه معين الدين » . وهو معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه (انظر كتاب

السلوك للمقرئزي ، ج ١ ص ٢٢١ ، والنجوم الزاهرة لأبي المحاسن ، ج ٦ ص ٣٢٢) .

(٥) السجادة والعكاز والإبريق هي أدوات الانقطاع للعبادة والزهد والتصوف .

وذلك يوم الاثنين ثامن المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وقال له : « اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بحرب الملوك وأبناء الملوك » . فنفذ إليه ابن الشيخ جنك^(١) وزمر وغلالة^(٢) حرير أحمر وأصفر وقال له : « السجادة وما معها تصلح لي ، وأنت أولى بهذا . ٣ من الملك » . وأصبح فقوى الحصار ، حسبا يأتي من تمة الكلام في تاريخه .

(٣) الجنك بكسر أوله وسكون ثانيه، المشتغل بالرقص والفناء والطرب . أو هي من أدوات الفناء والطرب . (Dozy : Supp. Dict. Ar.)
 (٤) الغلالة : قيس يرتديه الرجال أو النساء . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

ذكر سنتي اثنتى وثلاث وأربعين وستمائة

النيل المبارك في هاتين السنتين

٣ الماء القديم لسنة اثنتين أربعة أذرع . مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً واثني عشر أصبعاً .

٦ الماء القديم لسنة ثلاث أربعة أذرع وعشرين أصبعاً . مبلغ الزيادة ثمانية عشرة ذراعاً وأربعة أصابع .

الحوادث

٩ الخليفة فيهما الإمام المستعصم بالله . والوزير مؤيد الدين بن العلقمى بحاله . والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بالديار المصرية . والحصار مستمر^(١) على دمشق . وملسكها الصالح إسماعيل أبو الخيش . وابن الشيخ مقدم المساكر المصرية وقد شدد الحصار وأحرق قصر حجاج . ولم يزل مشدداً في ذلك حتى فتجها في أول شهر جمادى الأولى . وهرب الصالح إسماعيل ، والأمير عز الدين أيوب صاحب صرخد . واستقر الصاحب صفى الدين نائباً بها من قبل السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب .

١٥ وفيها بعث الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين خلع السلطنة والتقليد بمصر والشام وما معهما للملك الصالح نجم الدين أيوب ؛ واستقام سلطانه .

١٨ قال ابن واصل : وفي سنة اثنتى وأربعين توفي الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماه إلى رحمة الله تعالى . وذلك يوم السبت لثمان بقين من جمادى الأولى ، وكانت مدة ملكه خمسة عشر سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام . أقام مريضاً بالفالج سنتين وتسعة أشهر . وكان عمره نحو ثلاثة وأربعين سنة ، لأن مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

٢١ ولم يخلف من الذكور غير الملك المنصور ناصر الدين محمد وأخيه الأفضل نور الدين على أبى الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل الآتى ذكره في الجزء المختص بسيرة مولانا

(١) في المتن : « مستمرا » .

- السلطان الأعظم الملك الناصر عز نصره . وكان الملك المظفر المذكور، رحمه الله، ملكاً شجاعاً ، ذا^(١) قوة وافرة ، ذكياً ، فطناً ، لوذعياً . وقام بأمر الملك ولده السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد ، وعمره يومئذ عشر سنين وشهراً واحداً وثلاثة عشر يوماً . ٣
- وقام بتدبير ملكه الأمير سيف الدين طغرل أستاذ دار والده ، والمشير إليه في الدولة شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري ، والطواشي شجاع الدين مرشد المنصوري ، والوزير بهاء الدين بن تاج الدين . والجميع يرجعون إلى ما تأمر به ٦
- الساحبة غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل ، رحمه الله .
- وفيها أيضاً توفي الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل . وملك بعد المظفر غازي ميفارقين وأعمالها ولده الملك الكامل ناصر الدين محمد ، ولم يزل مالِكها إلى أن ٩
- تملكها التتار .
- [وتوفي] الملك المنيث بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب . وكانت^(٢)
- وفاة الملك المنيث وهو معتقل عند الصالح إسماعيل بدمشق . وآتهم أنه قتله ، فتغير لذلك ١٢
- الملك الصالح أيوب على الصالح إسماعيل .

(١) في المتن : « ذو » .

(٢) في المتن : « وكان » .

ذكر سنة أربع وأربعين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

- ٣ الماء القديم ستة أذرع . مبلغ الزيادة سبعة عشرة ذراعا وسبع أصابع .
- ما نلخص من الحوادث
- ٦ الخليفة الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين . والوزير بحاله . والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية . وابن الشيخ النائب بدمشق .
- ٩ وفيها استمال الخوارزمية الصالح إسماعيل ، وانحرفوا عن ابن الشيخ ، وعن خدمة الملك الصالح نجم الدين . وسببه أنه لما أكثر فسادهم بأعمال دمشق ، كاتب فيهم ابن الشيخ للملك الصالح ، فسكتب إليه بردهم ، فتنمروا عليه ، ومالوا إلى الصالح إسماعيل بمكاتبتهم لهم ، وترغيبهم فيما أحبوا . واستمال الملك الصالح نجم الدين أيوب الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص ، واقتطعه عن الصالح إسماعيل .
- ١٢ وفيها كانت الواقعة بين الملك المنصور صاحب حمص - وكان معه الحلبيون^(١) - وبين الخوارزمية ، والصالح إسماعيل والناصر داود ، وعز الدين أيبك ، على بحيرة حمص ، يوم الجمعة تاسع المحرم . وانكسرت الخوارزمية كسرة شنيعة ، ما كسروا مثلها قط . وقتل مقدمهم بركة خان . وهرب الصالح إسماعيل ، والأمير عز الدين أيبك ، عرايا جياعا ، على فرس ، فرس ، ونهبت أموالهم . ووصلوا إلى حوران . وساق صاحب حمص إلى بعلبك ، وأخذ الربض^(٢) وسلمه للأمير ناصر الدين القيمري والأمير جمال الدين هارون ، وودع الحلبين وعاد إلى حمص .
- وفيها حضر السلطان الملك الصالح أيوب إلى دمشق ، وأتى إلى خدمته صاحب

(١) في المتن : « الحلبين » .

(٢) يقصد ربض بعلبك ، والربض هو ماحول المدينة من الخارج ، وقل ما تغلو مدينة من ربض (ياقوت ، معجم البلدان) .

حمص ، ونزل بستان شامة ، ونزلت طائفة من الخوارزمية بأرض البلقاء . ونزل إليهم الملك الناصر داود صاحب الكرك وصاهرم واستخدمهم وأنزل غائلتهم الصلت .

٣

وفيها مرض المنصور صاحب حمص بدمشق ، وتوفي بها ، وحُمل إلى حمص ، ودفن بها . وقام بمملكة حمص ولده الملك الأضراف موسى بن المنصور إبراهيم .

وفيها كانت وقعة ابن الشيخ مع الخوارزمية ، وكسروهم وبدد شملهم . وكانت الفاصر - فيهم - صاحب الكرك ، وتبعه الخوارزمية ، فلم يتمكنهم من صعود القلعة بالكرك ، ولا الريض . وأحرق ابن الشيخ الصلت ، وساق إلى الكرك . وطلع الأمير عز الدين أبيك إلى قلعة صرخد ، واعتصم بها . وكانت كسرة الخوارزمية من ابن الشيخ في سابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة .

ونزل ابن الشيخ على الكرك في الوادي . وتسلم الأمير حسام الدين بن أبي (١) على قلعة بعلبك ، باتفاق واليها . وبعث عيال الصالح إسماعيل إلى مصر ، وفيهم الملك المنصور نور الدين محمود بن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، وأمين الدولة السامري ، وزين الملك الصالح إسماعيل ، وأستاذ داره ناصر الدين بن يغمور ، فاعتقلوا بالقلعة المحروسة .

١٥

وكان حسام الدين بن أبي علي - لما اعتقله الصالح إسماعيل بقلعة بعلبك مع جماعة من أصحاب الملك الصالح أيوب - تمنى ذات يوم على الله تعالى أن يمكنه من أهل الملك الصالح إسماعيل ، ويعلمه بعلبك . ثم قال في نفسه : « هذا أمل بعيد » . فلم تمض الأيام والليالي حتى بلغه الله أمنيته .

وفي هذه السنة - أعني سنة أربعة وأربعين (٢) وستائة - [كان] الأمير حسام الدين بن أبي علي ، نائبا بدمشق للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب .

٢١

(١) في المتن : « أبو » .

(٢) في المتن : « أربعة وعشرين » .

- ثم إن الصالح إسماعيل وفد على حلب في جماعة من الخوارزمية، منهم كشلوخان ،
 هارين من الملك الصالح أيوب . ولم يبق لإسماعيل مكان بالشام يؤويه ، فتلقاهم الملك
 ٣ الناصر يوسف صاحب حلب . ، ونزل الصالح إسماعيل في دار جمال الدين الخنّادم .
 ثم قبض على كشلوخان ومن معه من الخوارزمية ، وملأ بهم الحبوس .
- ثم إن السلطان الملك الصالح أيوب توجه إلى بعلبك ورتب أحوالها ، ورجع
 ٦ إلى نحو صرخد . ومشى الأمير ناصر الدين القيمرى في الصلح ، وكذلك جمال الدين
 ابن مطروح ، بين السلطان وبين الأمير عز الدين صاحب صرخد ، بوساطة شمس
 الدين بن العميد أيضاً . وخرج الأمير عز الدين عن صرخد ، ونزل في ميدانها ،
 ٩ وتسلمها السلطان ، ورجع عز الدين في خدمته إلى دمشق . ونزل النيرب^(١) وكتب
 له منشوراً بقرقيسيا^(٢) والمجدل ، وضياعا في الخابور ، فلم يحصل له منها شيء .
 ثم إنه أحسن إلى أهل دمشق ، وتصدق على فقرائها بجملة مالٍ ، وخلع على أعيان
 ١٢ الدماشقة . ثم توجه السلطان إلى ديار مصر ، ودخل القدس الشريف ، وتصدق
 على فقرائه وقوّامه ، ومجاوريه ، بألفي دينار . وأمر بهارة سوره ، وقاسه ، فكان
 ستة عشر ألف ذراع ، فقال : « اصرفوا منل القدس في عمارته ، وإن عازره شيء بُعث
 ١٥ من مصر » . وأمنت البلاد واطمأنت أهلها ، بعد قتله بركة خان مقدم الخوارزمية .
 وحكى الشيخ تقي الدين أبو بكر بن الجوزى - رحمه الله - قال : حكى لى بعض
 كتاب الخوارزمية بالقاهرة في سنة خمس وستين وسبعمائة قال : كان لبركة خان منجّم
 ٢١ نصرانى ينظر في لوح كتف النعم ، فنظر له يوماً فقال : « لا بد ما تطلع حلب ، وتعلو
 قلعتها في الشهر الفلانى » . واطمأن بركة خان ، وركن لقوله . ثم إنه حرّر عليه المسألة

(١) نيرب : قرية مشهورة بدمشق ، على نصف فرسخ ، في وسط البساتين ، ذكر عنها
 ياقوت أنها « أزه موضع رأيت » (معجم البلدان) .

(٢) قرقيسيا أو قرقيسيا ، بلد على نهر الخابور عند مصبه في الفرات ، فهو في مثلث بين
 الخابور والفرات (ياقوت ، معجم البلدان) .

في أى يوم يكون في ذلك الشهر طلوعه إلى قلعة حلب ، فنظر وحرّر ، وقال له :
 « في اليوم الفلاني من الشهر الفلاني » . فلما قتل بركة خان وأتى برأسه إلى
 شمس الدين لؤلؤ نائب الناصر بحلب ، أمر بنصبها على قلعة حلب ، فنصبت في ذلك ٣ .
 اليوم الذي قال له المنجم إنه يملك فيه حلب ويعلو القلعة ، والله أعلم .

ذكر سنة خمس وأربعين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

- ٣ الماء القديم ستة أذرع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأربع أصابع .
- ما نلخص من الحوادث
- ٦ الخليفة الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن العلقمي بحاله .
والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان الإسلام بمصر والشام
وما معهما .
- والسكرتير الناصر داود .
- ٩ وحصل الأشراف موسى بحكم وفاة والده الملك المنصور إبراهيم في هذه السنة
بمرض السل . وكانت مدة مملكته خمس وأعمالها نحو من سبع سنين . وكان قد
رجع إلى مفاخرة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وقام في خدمته أتم قيام . ولما قام
١٢ بالملك بعده ولده مظفر الدين موسى ، ولقب بالأشرف ، كان صبيا ، فقام بتدبير
الأمر عنه ووزارته القاضي مخلص الدين إبراهيم بن إسماعيل بن قرماص ، وهو
من أكابر أهل حماه .
- ١٥ وحماه المنصور بن المظفر .
وحلب الناصر يوسف .
- وباقى الملوك حسبا تقدم من ذكرهم .
- ١٨ والتتار قد أخربوا البلاد وأكثروا فيها الفساد . وغاراتهم واصلت إلى بغداد
والأنبار ، وإلى ديار بكر . والشرق جميعه منهم في شغل شاغل .
- وفيها توفي الشيخ علي الحريري - قدس الله روحه - وكان مقبلا بقرية
٢١ بشرى^(١) ، وزاويته مجاورة لزرع . وفي هذه القرية قبر الشيخ عليه السلام .

(١) ذكر ياقوت أن بشرى اسم قرية (معجم البلدان) .

- وفى سنة خمسة وأربعين توفى الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن السلطان الملك الكامل وهو بالاعتقال . كانت^(١) مدة اعتقاله نحواً من ثمان سنين . وكان عمره نحو ثلاثين سنة . [وخلف ولداً صغيراً - وهو الملك المنصور فتح الدين عمر - ٣ فأنزل إلى القاهرة فكان عند عماته بنات الملك العادل المعروفات بالقطيبات]^(٢) .
- وفى فيها توفى الأمير عز الدين أيبك - رحمه الله - صاحب صرخد ، مستقيماً ، حسبما يأتى من ذكر ذلك فى شهر ذى الحجة . ٦
- وفى فيها توفى قاضى القضاة بالديار المصرية فى شهر رمضان .
- وفى فيها احترقت مأذنة جامع دمشق .
- وفى فيها أيضاً توفى بقلعة الجبل بدر الدين سليمان بن داود بن العاضد ، الذى كان ٩ آخر الخلفاء العبّاسيين بمصر ، وهو أحد من كان يمتقدونه الشيعة بالإمامة .

(١) فى المتن : « كان » .

(٢) العبارة مختلطة وناقصة بالمتن ، وما بين حاصرتين من مفرج الكروب لابن واصل

(حوادث سنة ٦٤٥ هـ - مخطوط) .

ذكر سنة ست وأربعين وستمائة

الذيل المبارك في هذه السنة

٣ الماء القديم خمسة أذرع وأربعة عشر أصبعا. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثلاثة وعشرون أصبعا .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين . والوزير ابن العلقمي بحاله . والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان الإسلام بمصر والشام . وكذلك بقية الملوك بحالهم ، حسبما تقدم من ذكرهم .
- ٩ وفيها ولدت ببغداد امرأة فقيرة أربعة أولاد في بطن واحدة ، ذكرين وأنثيين ، وأحضروا إلى الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين ، فأكرم عليهم بإنعام مبلغه ألف دينار ، وأوقف عليهم وقفاً ، والله أعلم .

ذكر سنة سبع وأربعين وستائة

الفيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وستة أصابع . مبلغ الزيادة تسعة عشرة ذراعاً ٣
وثمانية أصابع .

ما نلخص من الحوادث

- ٦ الخليفة الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين . والوزير بحاله . والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان الإسلام بمصر والشام . وكذلك بقية الملوك كل منهم في محل ملكه ومملكته سلطانه .
- ٩ والنائب في هذه السنة بالديار المصرية الأمير حسام الدين بن أبي علي ، وبدمشق الأمير جمال الدين بن ينعور ، وكلاهما نواب السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب . وفيها كان مرض السلطان الملك الصالح بالسقية ، التي يأتي ذكرها .
- ١٢ وفيها كانت نزول الفرنسيين ملك الفرنج^(١) على ثغر دمياط المحروس بالديار المصرية . وخرج السلطان الملك الصالح ونزل بالمسافر على أشموم الرمان ، وهو مريض لا يستطيع الركوب ، وقد وقعت بعض محاشمه على ما ذكر . وكان الحرب بينهم ، حسبما يأتي من ذكر ذلك . ١٥

ذكر سبب مجيء الفرنسيين وما تم في هذه الواقعة

- كان سبب ذلك أنه لما افترق ملك الفرنج الأنبرور^(٢) من السلطان المرحوم الملك الكامل ، وها أبحاب ، وعادت بينهما المراسلات والكتب والهدايا . واستمر ذلك ١٨ في سلطنة الملك الصالح أيضاً . وهذا الفرنسي أكبر ملوك الفرنج الداخلة ، وأكثرهم قلاعاً وجوعاً ، فحشد حشوده ، وجمع جموعه ، وقصد الديار المصرية ،

(١) يعني لويس التاسع ملك فرنسا .

(٢) يعني الإمبراطور فردريك الثاني إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة .

- لما حدثته نفسه الخائنة ، وأطاعه السكاذبة . ولم يكن له طريق ^(١) إلا على بلاد
 الأنبرور . فلما حسَّ به الأنبرور كتب كتاباً إلى السلطان الملك الصالح يعرفه
 ٣ بوصول الفرنسيس إليه ، وهو طالب ^(٢) لثغر دمياط . وهذا الفرنسيس يسمى
 ريدافرنس ^(٣) . ثم قال الأنبرور في كتابه للسلطان : « إنه قد وصل في خلق كثير ،
 وقد اجتهدت غاية الاجتهاد على رده عن مقصده وخوفته ، فلم يرجع لقولى ، فكُن
 ٦ منه على حذر » . فلما وصل كتاب الأنبرور إلى الملك الصالح احترز ، وجهاز الآلات
 برسم القتال وتحصين دمياط ، وجعل الأمير حسام الدين بن أبى على مشدداً على عمارة
 الشوانى ، ورسم لثغر الدين بن الشيخ أن ينزل على دمياط .
 ٩ ولما كان يوم الجمعة لسبع بقين من صفر من هذه السنة ، وصل إلى دمياط
 مراكب سدت البحر كثرة ، الفرنسيس وجوعه ، لعنه الله . ولما وصل البر بالفهم ^(٤)
 لم يعبره حتى نفذ رسول ، وعلى يده كتاب فيه ما هذا نسخته . يقول بعد كلمة كفرهم :
 ١٢ « بسم الإله النصيح ، صاحب الدين الصحيح ، عيسى بن مريم المسيح . أما بعد
 فإنه لم يخف عليك ولا على كل ذى عقل ثاقب ، وذهن لازب ، أنك أمين هذه الملة
 الحنيفة ، وأنا أمير هذه الملة النصرانية . وليس خفى عنك ما فتحنا من بلاد الأندلس
 ١٥ والسبارة ، وأخذنا النساء والعذارى ^(٥) ، وفرقناهم على ملة النصارى ^(٦) ، وجعلنا
 رجالهم أسارى ^(٧) ، ونساءهم عليهم حيارى . وقد علمت ما نحن فيه من حق الرعية ،
 لما فتحنا بلاد المهديّة ، وعفونا على ثغر الإسكندرية ، فلا تلجئ العالم إلى العسف ،

(١) في المتن : « طريقا » .

(٢) في المتن : « وهو طالبا » .

(٣) من الواضح أن هذه التسمية التى أطلقها المصادر العربية على لويس التاسع ، إنما هى
 ترجمة للفظ Roi de France

(٤) أى قم النيل عند مصب فرع دمياط في البحر المتوسط .

(٥) في المتن : « والعذارا » .

(٦) في المتن : « النصارا » .

(٧) في المتن : « أسارا » .

- ولا تسيّمهم بسياء الخسف . تقتل العباد ، وندوس البلاد ، ونظهر الأرض من الفساد ، فإن قابلتنا بالقتال ، فقد أوجبت على نفسك ورعتك النكال ، وأرميتهم في أشرّ الوبال ، يكثر فيهم العويل . ولا نرحم عزيز ولا ذليل ، ولا تجد إلى نصرتهم ٣ من سبيل . ونحن نشرح لك ما فيه الكفاية ، وأبذلنا لك غاية النصيحة والهداية ، أن تنقل إلى عندنا ماعقدك من الرهبان ، وتحلف لنا بمظائم الأيمان ، أن تكون لنا نائبا على ممرّ الأزمان ، وتمجّل لنا بما عندك من مراكب وطرائد وشواني ، ولا تكون فيك فترة ولا تواني ، لتسكون قلوبنا راضية عليك ، ولا تسوق البلاء بيدك إليك ، وتكون على نفسك وجيشك قد جنيت ، وتعود تقل « ياليت » . وتضع الحرب أوزارها ، وتشعل نارها ، ويتعالى شرارها ، ويقم فنارها ، وتأخذ منكم ٦ بقارها ، فسيوفنا حداد ، ورماحنا مداد ، وقلوبنا شداد ، ويحكم بيننا وبينكم رب العباد . فإن كانت لك فهدية ألقت بين يديك ، وإن كانت لنا فيدنا العليا عليك ، إذا استحق بالإضافة إمارة الملتين ، وحكم الشريعتين ، ويبد الله تعالى السعادة ، وهو ١٢ الموفق للإرادة » . ثم كتب في آخره يقول :

- ستسلم إن سلمت غير محارب فإنك لترجو^(١) أمورا ترومها
أتيناك في خلق كرام وعصبة مسيحية لم تخف عنك عاومها ١٥
وها أنا قد أنشدت بيتا مهددا مخافة أن لا تلتقي النفس ضيمها
ستعلم ليلي أي دين تداينت وأي غريم للتقاضى غريمها
ولما وصلت هذه المكاتبة للسلطان الملك الصالح كان في أشد ما يكون من ١٨
المرض ، فكتب الجواب ، ونفذه . وهو ما هذا نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

- وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، والماقبة ٢١
للمتقين ، ولا عدوان إلا على القوم الظالمين ، من عند الدارئ عن حرم المسلمين ،

(١) في المتن : « لا ترجو » .

- والقارئ كتاب رب العالمين ، المنزل على خير المرسلين ، محمد صلى الله عليه وعلى آله
الطاهرين ، وأصحابه الأنصار والمهاجرين ، صلاة دائمة إلى يوم الدين . أمّا بعد فقد
٣ وصل كتابك ، وفهمنا لفظك وخطابك ، وها أنا قد أتيتك بالخيل والرجال ،
والخزائن والأموال ، والمساكر والأثقال ، والقيود والأغلال ، فإن كانت لك فانت
الساعي ، وقد أمنت الناعي ، وإن كانت عليك فانت الباغي لحثفك ، والجادع أنفك
٦ بظلمك . فإن رأيت أن لا تقيم بين الفئتين ضغنا ، فلذلك من الله علينا وعليكم مننا ،
وإن غير ذلك فقد قال الله تعالى : « أفن زين له سوء عمله فرءاه حسنا »^(١) . ولما وصل
إلينا كتابك أعطيناك جوابك ، « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له
٩ ولياً مرشداً »^(٢) . وفي كتابك تهددنا بجيوشك وأبطالك ، وخيلك ورجالك ، أو
ماتعلم أن نحن أرباب الختوف ، وفضلات السيوف ، ما نزلنا على حصن إلا هدمناه ،
ولا عدم منا فارس^(٣) إلا جددناه ، ولا طغى^(٤) علينا طاغ إلا دمرناه . فلو نظرت
١٢ أيها المغرور جدّ قلوبنا وجدّ خروبنا ، لرأيت فرسانا أسنتهم لاتل ، وسُيوفهم
لانسكل ، وقلوبهم لاتدل ، ولعضيت على يدك بسن الندم ، ولأخرك تحريك قدم عن
قدم ، فلا تعجبك المساكر التي بين يديك ، فهو يوم أوله لنا وآخره عليك . إذا
١٥ أتاك كتابي هذا فلتكن منه بالمرصاد ، على أول سورة النحل وآخر سورة ص ،
« أتى أمر الله فلا تستمجلوه »^(٥) ، « ولتعلمن نبأه بعد حين »^(٦) ، هنالك تناول
نحوك الأعناق ، وتشخص صوبك الميون ، ويشوبك الويل ، وتسوءك الظنون .
١٨ « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »^(٧) وفي آخره يقول :

(١) سورة فاطر ، آية ٨ .

(٢) سورة الكهف ، آية ١٧ ؛ وفي المتن : « من يهدى الله فهو المهتدى » .

(٣) في المتن : « فارسا » .

(٤) في المتن : « طغى » .

(٥) سورة النحل ، آية ١ .

(٦) سورة ص آية ٨٨ .

(٧) سورة الشعراء ، آية ٢٢٧ .

- ٣ ألا يأمليكَ الرُّوم هل أنت سامعٌ وهل أنت عما في ضميركَ راجعٌ
تروم بلاد القدس بالسيف عنوة ودون بلاد القدس دينك ضائعٌ
لقد حفظ البيت المقدس عصابة كما حفظ الكف اليمين الأصابعُ
جمعت بني الإفرنج شرقاً ومغرباً تشتت شملاً كان قبلك جامعٌ
فلا أنت ترجو بعض ما قصدته ولا من أتى مستنصراً لك راجعٌ
٦ أطمع من ليلي بوصلٍ وإنما تضرب أعناق الرجال المطامعُ

- فلما وصلت هذه المكاتبة إلى الفرنسيين أمر بنزول العساكر إلى البرّ ، وضرب
خيمة عظيمة حمراء . وفي ثانی يوم كان الملتقى بين الجيشين ، وقتل بين الفريقين عالم
لا يحصى ، بعدد الرمل والخصى . ومن جملة من استشهد من المسلمين في ذلك اليوم
الأمير نجم الدين بن شيخ الإسلام^(١) ، وأمير يُعرف ببدر الدين بيليك^(٢) رزيرى .
وأما ما فعله نحر الدين بن الشيخ من سوء التدبير ، فإنه لما أمسى الليل توجه إلى
الجسر الذى فى ناحية الجرف فقطعه ، ثم أخرج جميع من كان فى دمياط من النساء
والرجال ، ثم تركها تصفر . وكان رأياً ذمياً ، فلو أقاموا مع مشيئة الله عز وجلّ فى
دمياط ، ما قدر^(٣) عليها الفرنج ، لما كان فيها من الرجال المقاتلة من السكناينة
وشجاعتهم . ثم لو كانوا السكناينة الذين تبقوا فيها غلقوا بابها بعد رحيل ابن الشيخ
عنها ، لم تقدر الفرنج على أخذها فى تلك السرعة . لكنهم لما رأوا خروج الناس منها ،
ضعفت نفوسهم ، وظنوا أن مدة الحصار تطول عليهم ، فلذلك سلموها . فلما كان
صباح يوم الأحد لسبع بقين من صفر ، جاءت الفرنج إلى دمياط ، فوجدوها خالية ،
لم يكن بها مانع فملكوها . وكانت هذه من أعظم الحوادث . واستشعر الناس أن
الفرنج تأخذ الديار المصرية ، وخامر ذلك عقولهم . ولم يعلموا أن هذا الدين مؤيد^(٣) بالله

(١) فى المتن : « سيف الإسلام » ، والعبارة مصححة من مفرج الكروب لابن واصل
(حوادث ٦٤٧ هـ - مخطوط) .

(٢) فى المتن : « ماقدروا » .

(٣) فى المتن : « مؤيداً » .

عز وجل ، وهذه الديار محروسة بالإيمان بالله وحده ، فإن هذه النصره التي جرت نوبة
الفرنسيس ، كانت من آيات الله عز وجل العظيمة ، وصداقته الجسيمة ، نصره
الإسلام على الكفرة اللثام ، من غير ملك ولا جيوش ، وقُتل من الفرنج ما أُشبع
الطيور والوحوش .

فلما علم السلطان بأن الفرنج أخذوا دمياط - وكان سبب أخذها السكنانية -
أمر بشنقهم ، فشنقوا على النخل جميعهم . ثم كانت بين المسلمين والفرنج عدة وقعات .

ذكر وفاة السلطان الملك الصالح ، رحمه الله تعالى

لما كان لأربع ليال خلت من شهر رمضان المعظم ، توفي السلطان الملك الصالح
نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السلطان الملك العادل
سيف [الدين] ^(١) أبو بكر بن أيوب ، رحمه الله أجمعين . وكان عمره يوم وفاته
أربع وأربعون سنة وشمهور وأيام . وكان مولده في سنة ثلاث وستمئة ، ولم يتحرر
عندئذ الشهر .

قال ابن واصل : إن وفاة السلطان الملك الصالح لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان
في السنة المذكورة . وقال : وعمره يومئذ أربعين سنة . وقال : مولده سنة ثمان وستمئة
والأول أصح .

وكان ملكاً مهيباً ، عزيز النفس ، بعيد الغضب ، عفيفاً ، طاهراً في فرجه ولسانه ،
كثير الصمت ، عديم السقه . اشترى من المماليك الترك ما لم يشتري ^(٢) أحد من الملوك
مثله من قبله ، حتى عاد أكثر جيشه مماليكه ، وذلك لسكثرة ما جرب من غدر
الأكراد والخوارزمية وغيرهم من الجيوش . وكان إذا مات أحد ^(٣) من مماليكه ،

(١) ما بين حاصرتين ساقط من المتن .

(٢) في المتن : « ما لم يشتري » .

(٣) في المتن : « أحداً » .

- وكان له ولد^(١) ، أنعم بإقطاع والده عليه ، وإن لم يكن له ولد أنعم به على خشداشه .
 واستسن^(٢) ممالكه الترك من الملوك هذه السنة منه ، رحمه الله تعالى .
- وأما أوصافه المعنوية ، فإنه كان إذا جلس بين ممالكه لا يقدر أحد^(٣) أن ينطق
 بحرفٍ ، ولا ينقل قدم عن قدم ، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا ، وهم يرددون منه هبة
 وجلالة . وكان مع هذه العظمة لا يكاد يرفع عينه من الأرض ، ولا ينظر إلى شيء
 من محارم الله عز وجل ، ولا يسمع أحد من لفظه شتمة . وإذا غضب على أحد من
 غلمانه أو ممالكه يقول : « يا سبحان الله ، ما كان الأمر كذا وكذا » .
- وكان حسن الدين ، جيد العقيدة ، كثير الميل إلى مطالعة الكتب والعلوم وأخبار
 الناس ، يحب أرباب الفضل والأدب ، كثير الميل إلى العلماء وأرباب كل فضيلة ،
 ويحب تشييد المآثر ، وبناء القصور والمناظر ، والزهرة . وكان يبأسر البناء بنفسه ،
 ويهندسه بعقله ما لا تصل إليه المهندسون . وبني^(٤) قلعة المقياس ، والكبش ،
 والصالحية ، مع عدة أما كن وقصور ومستنزهات .
- وكان سبب موته السقية التي صنعها له الأمير عز الدين أيبك صاحب صرخد .
 وذلك أن السلطان الملك الصالح لما أخذ صرخد من الأمير عز الدين - رحمه الله -
 وأعطاه تلك البلاد المقدم ذكرها ، لم يتحصل له منها شيء ، وخشى السلطان عاقبة
 أمره ، لما كان يعلمه منه من التدبير وحسن السياسة ، فأعاده إلى صرخد ، وأنعم عليه ،
 وأفسر في قتله . وكان الأمير عز الدين سليم الصدر ، حسن اليقين ، فظن أن باطن
 السلطان صفي له . ثم إن السلطان يتحقق من الأمير عز الدين الدين المتين ، وحبه
 لتلاوة القرآن . وكان يختم في كل يوم و ليلة ختمة ، فصنع له السلطان ختمة عظيمة ،
 بخط منسوب ، مكتوبة بالذهب ، وسم جميع أوراقها ، وأهداها للأمير عز الدين

(١) في المتن : « ولدا » .

(٢) في المتن : « واستسنوا » .

(٣) في المتن : « أحدا » .

(٤) في المتن : « وبنا » .

- في جملة تحفٍ أخر . فلما وصلت إليه افتتن بها ، وعاد لا يفارقها غمضة عين ، وعاد يقرأ فيها ليلاً ونهاراً . ثم إنه كان كل ما تصفح أوراقها وضع يده فيه وعلى لسانه ، فعمل فيه السُّم . وتحقق أن ذلك من السلطان وعلم أنه ميت لا محالة ، فأخفى أمره وطلب الصَّنَاع ، وعمل سرج ما رأت الناس مثله ، نقد عليه عشرة آلاف دينار . وسمَّ الميترَة التي للسرج ، وتركه في خزانته ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى . فلما بلغ السلطان ذلك ، ركب من فورهِ ، وتسلم صرخد ، وأخذ سائر أمواله وذخائره ، وأباع مماليكه وجواريه^(١) بأقل الأثمان ، وأباع في الجملة أم الوالد^(٢) ، وهى حامل به من الأمير عز الدين ، فاشتراها رجل من أهل صرخد من كبارها ، يقال له عمر بن الأسعد ، وكان ديناً ، واستبهرأها فوجدها حاملاً . وكانت تسمى كمش خاتون ، خطائية الجنس . فولدت الوالد^(٣) عند ذلك الرجل ، ورباه كالولد إلى هذه السنة ، التي أخذ السلطان الملك الظاهر فيها صفد ، وهى سنة أربع وستين وستمائة . وكان الأمير حسام لاجين الدرفيل مملوكاً للأمير عز الدين أيبك وهو طفل صغير . وكانت هذه كمش خاتون قد ربته عندها مثل الولد ، فأبيع أيضا الأمير حسام الدين الدرفيل مع من أبيع ، وتنقل به الحال إلى أن عاد دوادار السلطان الملك الظاهر . فلما كان سنة فتح صفد - الآتى ذكرها - والسلطان بدمشق ، حضرت الصراخدة بقتادم للأمير حسام الدين الدرفيل ، وأحضروا له الوالد ، وهو يومئذ ابن سبعة عشر سنة ، فعرف له حقه ورباه كالولد . ثم ارتجع الوالد من عند الأمير حسام الدين إلى بيت السلطان الملك الظاهر ، في حديث طويل . ثم إن السلطان أنعم عليه بإقطاع عبدة ألفى وأربع مائة دينار ، وسلمه للأمير سيف الدين بلبان الرومى الدوادار ، وقال له : « علمه وخليفه يمشى معك » . فعرف الوالد بالدوادارى . ثم إن السلطان الشهيد الملك الأشرف خليل بن قلاوون أعطاه مقدمة . ثم إن مولانا وسيدنا السلطان الأعظم الملك الناصر أمره وولاه بلبليس والعربان ،

(١) في المتن : « وجواره » .

(٢) يعنى أم والد المؤلف .

(٣) أى والد المؤلف .

وذلك في سنة ثلاث وسبعمائة ، فأقام إلى سنة عشر وسبعمائة ، نقله إلى الشام بسؤاله ،
وجعله مهمنداراً . ثم ألزم بشاد الدواوين بدمشق ، فأقام سنة ، ثم تخلص ، إلى أن
توفي رحمه الله ، في شهر رجب سنة ثلاث عشرة وسبعمائة . ٣

وخرج بنسب تلاوة الكلام بمضه ببعض عن الفرض المقصود ، من ذكر وفاة
السلطان الملك الصالح ، رحمه الله تعالى . قال والدي - رحمه الله - : حدثني هذا الرجل
الذي شري أمي ، وكان رجلاً فقيهاً ، صوفياً ، فاضلاً ، محققاً ، له عندي كتاب تأليفه
يخطه في التصوف ، سماه « لباب الباب في علم التصوف والآداب » - ولقد أحسن
فيه كل الإحسان ، قال : لما أعرض السلطان الملك الصالح ذخائر الأمير عز الدين أيك ،
رأى ذلك السرج ، فركب فيه من يومه ، ولعب الأكرة في ميدان صرخد ، فرحاً ٦
بعوت عز الدين ، فملقت فيه السقية من تلك الساعة ، ولم تزل آمل فيه حتى مات ،
فكان عز الدين قاتل قاتله .

ولما توفي السلطان الملك الصالح ، رحمه الله ، على نثر دمياط في التاريخ الذي
ذكرناه ، أخفى موته ، وقام الأمير نحر الدين بن الشيخ مدير الدولة ، وجمع الأمراء ،
وقال : إن السلطان رسم أن تحلفوا لولده غياث الدين توران شاه ، ولقب بالمعظم ،
فامثلوا ذلك . وعاد ابن الشيخ القائم بأمور المملكة ، وغياث الدين بعد في حصن ١٥
كيفاً . وسير خلفه الأمير نحر الدين ، وسير إلى القاهرة أن يحلفوا من كان بها من
الأمراء والجند للملك المعظم غياث الدين توران شاه . وهذا كله والناس لا يعلمون
بعوت السلطان الملك الصالح ، رحمه الله . ١٨

وكانت تخرج علامته على السكتب ، وهي أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ،
يكتبها عنه خادم يُعرف بالسهيلى .

قال ابن واصل : أن كان الأمير حسام الدين محمد بن أبي علي الهذبانى عند السلطان
أوثق وأمكن من الأمير نحر الدين يوسف بن الشيخ . وكان لما ملك السلطان الديار ٢١

المصرية ركب نحر الدين بن الشيخ ركة عظيمة ، فتخيل منه واعتقله ، وما أخرجه حتى 'توفي أخوه' ^(١) معين الدين الوزير بدمشق ، فاضطر السلطان إلى إخراج نحر الدين .
 ٣ فهذا كان سبب تمييز ابن أبي علي عليه . ثم إنه حكم في الدولة إلى حين ما قتل ، حسبما يأتي من ذكر ذلك .

كان للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، رحمه الله ، ثلاث ذكور من الأولاد ،
 ٦ الكبير الملك المنيث الذي تولى في اعتقال الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بقلعة دمشق ، واتهم به أنه قتله . والملك القاهر - وهو الأصغر - توفي أيضاً في حياة أبيه بدمشق . والملك المعظم - وهو الأوسط - وكان مقيماً بمحضر كيفاً إلى أن توفي السلطان
 ٩ فأحضر ، حسبما ذكرنا . وكان هذا الملك المعظم يميل إلى العلوم ، ويجمع بالفقهاء ويباحثهم ، مع هوج فيه ، حسبما نذكره إن شاء الله تعالى . وكان ولده ^(٢) من شجر الدر ولد ^(٣) فبهاً خليلاً ^(٤) وهو يومئذٍ بحبس الكرك ، وحضر معه إلى ديار مصر ، وتوفي في حياة أبيه . ١٢

ذكر بيعه الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح ، رحمه الله

ولما كان يوم الخميس الثاني عشر من شهر رمضان المعظم من هذه السنة ، حضر
 ١٥ القاضي بدر الدين يوسف بن الحسن قاضي سنجان ، وصحبته القاضي بهاء الدين كاتب المملكة الصالحية ، وحلفوا الأمراء وسُرّاة الناس للملك المعظم توران شاه غياث الدين ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد
 ١٨ ابن السلطان الملك النعادل سيف الدين أبوبكر بن أيوب . ثم إن الكتب أقامت أياها وهي تخرج بعلامة السلطان الملك الصالح ، ولا يستجري أحد أن يفوه بموته . وكان الذي

(١) في المتن : « أخيه » .

(٢) أي للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب .

(٣) في المتن : « ولداً » .

(٤) في المتن : « خليل » .

- يعلم الملامة خادم^(١) يسمى^(٢) سهيل . ثم إن الأمير نحر الدين بن الشيخ تصرف في الملك ، وأطلق للأمرء ، وبذل الأموال ، وأخلع الخلع السنية . فعند ذلك تحققت الناس موت السلطان . وبلغ الفرنج ذلك ، فجدوا في القتال ، وزحفوا إلى المسلمين ، ٣ ووصلوا إلى فارسكور . ثم تقدموا منزلة أخرى ، ليأخذوا الديار المصرية .
- ولما كان يوم الخميس مع يوم الجمعة ورد كتاب^(٣) إلى القاهرة المحروسة ، في جملته : « انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله »^(٤) الآية . وفيه ٦ تحريض كثير ، وحث على الناس . وكان ذلك يوماً عظيماً بالقاهرة من البكاء والويل ، وخرج^(٥) الناس على وجوههم قاصدين الجهاد .
- فلما كان يوم الثلاثاء سلبخ شهر رمضان المعظم كانت الوقعة العظيمة بين المسلمين ٩ والفرنج ، قتل من الفتيين خلق كثير . ثم نزل الفرنج قبال المسلمين على المنعورة ، وعاد بينهما بحر أشموم . وكان في البر الغربي من ناحية جوجر^(٦) أولاد الملك الناصر داود صاحب السكرك ، وإخوته . وفي ذلك النهار عمات الفرنج خندقاً عظيماً ، وداروا ١٢ عليه سور ، ونصبوا المناجنيق يرمون بها المسلمين . وشوانى الفرنج وغربانهم يازائهم على المنصورة . ثم استمر القتال بين الفريقين ليلاً ونهاراً إلى يوم الأربعاء ، هرب من الفرنج ستة نفر من فرسانهم ، وأتوا إلى الأمير نحر الدين بن الشيخ مدبر الدولة ، ١٥ وأخبروا أن الفرنج في ضائقة عظيمة من عدم القوات عندهم .
- وفي يوم الجمعة وصل الخبر أن الملك المعظم توران شاه وصل إلى عانة وحديثة . ثم ورد الخبر أنه وصل دمشق ، ثم نزل القصير . ثم وصل للفرنج ملك كبير ١٨

(١) في المتن : « خادما » .

(٢) في المتن : « يسما » .

(٣) في المتن : « كتابا » .

(٤) سورة التوبة ، ٤١ .

(٥) في المتن : « وخرجوا » .

(٦) جوجر : من القرى القديمة ، على الضفة الغربية للنيل قرب طلخا (محمد رمزي ،

القاموس الجغرافي ، ق ٢ ج ٢ ص ٨٦) .

- ومراكب عدة ، فيها ما كؤل وسلاح ، ووقع القتال بينهم وبين المسلمين ، وكانت الفرنج تخاف من الحرافيش^(١) أكثر من العساكر .
- ٣ ثم وردت الأخبار أن السلطان غياث الدين الملك المظلم توران شاه وصل الصالحية ، ونزل في قصر أبيه . ووقعت البطائق مخلقة . فضربت البشائر في العسكر المنصور ، وكذلك بالقاهرة .
- ٦ ولما كان يوم الخميس النصف من شوال المبارك ، ركب الفرنج ، وركب المسلمون ، ودخلوا بر الفرنج ، واقتتلوا قتالاً عظيماً . وقتل من الفتيين عالم عظيم . وسيروا إلى القاهرة عدة أسرى^(٢) من الفرنج ، وفيهم ثلاثة من كبارهم وهم من الديوية . وكان لما دخل المسلمون إلى بر الفرنج ، ركب من المسلمين جماعة ، وقصدوا غيهمهم . وكذلك ركب جماعة كبيرة من الفرنج ، وهم جرتهم المحرقة ، وقصدوا غيهم المسلمين . فلم يشعر المسلمون المقيمون^(٣) بالخيام إلا بالفرنج معهم ، وكبسوا عليهم يداً^(٤) واحدة ، وعادت ضجة عظيمة . وكان الأمير نغر الدين في الحمام ، نخرج ولم يلحق بلبس لامته ، وركب فرسه ، وحمل على الفرنج ، فجاء سهم فقتل إلى رحمة الله . وتفرق المسلمون^(٥) يميناً وشمالاً ، وكادت تكون كسرة ، لولا لطف الله عز وجل بدين الإسلام . ووصل الفرنسيس إلى باب القصر الذي للسلطان الملك الصالح . ثم إن الله تعالى أغاث المسلمين بطائفة من المماليك الصالحية المعروفين بالبحرية . وركب الأمير فارس الدين أبو الهيثجاء ، والأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى ، في عدة جيدة من الترك ، فسكانوا سبباً لإخماد جرة الشرك . وحملوا على الفرنج حملة منكزة ، فبددوا شملهم يميناً وشمالاً . قال بعض من حضر هذه الواقعة : والله لقد كنت أسمع زعقات

(١) حرافيش ومفردها حرفوش : الدهاء من العامة ؛ انظر : سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عهد سلاطين المماليك ، ص ٣٧ .

(٢) في المتن : « أسرا » .

(٣) في المتن : « المسلمين المقيمين » .

(٤) في المتن : « يد » .

(٥) في المتن : « وتفرقت المسلمين » .

- الترك كالرعد القاصف ، ونظرت إلى لمان سيوفهم وبريقها كالبرق الخاطف ، فله درهم
لقد أحيوا في ذلك اليوم الإسلام من جديد ، بكل أسدٍ من الترك قلبه أقوى من
الحديد . فلم تسكن إلا ساعة وإذا بالأفرنج قد ولوا على أعقابهم منهزمين ، وأسود ٣
الترك لاكتاف خنازير الأفرنج ملتزمين . وأحصى من قتل من الفرنج في تلك
الساعة ، فكانت (١) عدتهم ألفين (٢) وخمسمائة فارس ، من كنودهم وشجعانهم ،
وليوشهم وفرسانهم . وأما من الرجال فلا يحصى عدتهم إلا الله عز وجل . وانهزم (٣)
الملاعين أقبح هزيمة . ومن ذلك النهار احتزوا على أنفسهم ، وانقطع من الطمع
أملهم ، وبنوا عليهم سوراً عظيماً ، وخافوا من سيوف الترك . وضربت البشائر
بسبب هذا النصر العظيم ، والإينام الجسيم . ٩
وكانت هذه الوقعة أول وقعة ظفرت أسود الترك بكلاب الفرنج . ثم ردت
البشائر بذلك على الملك المعظم توران شاه ، وهو بالصالحية .
ولما كان يوم السبت لأربع عشرة ليلة مضت من ذى القعدة ، وصل المعظم إلى ١٢
المنصورة ، وقد استصحب معه القاضي الأسعد شرف الدين الفائز ، وكتبه النشوب بن
حشيش النصراني ، كان كاتب المعظم بحصن كيفا . فلما دخل المعظم الرمل (٤) طالباً
للديار المصرية ، أسلم النشوب المذكور على يده ، ورشحه للوزارة . وأما الفائز فإن السلطان ١٥
الملك الصالح نجم الدين أيوب كان جعله ناظراً بدمشق في الديوان السلطاني . فلما وصل
المعظم إلى دمشق سأل أن يكون في الركاب السلطاني ، فأجيب إلى ذلك . ونزل
[توران شاه] بقصر أبيه ، وتحقق (٥) الناس موت السلطان الملك الصالح . ثم إن المسلمين ١٨
عملوا مراكب وحملوها على الجمال ، وأرموها في بحر الحلة ، فلما زاد النيل أرموها فيه .

(١) في المتن : « فكان » .

(٢) في المتن : « ألفي » .

(٣) في المتن : « وانهزموا » .

(٤) أطلق اسم الرمل على الصحراء الشرقية ، بين الدلتا وغزة .

(٥) في المتن : « وتحققوا » .

- ولما تقدمت مراكب الفرنج خرجت عليهم مراكب المسلمين ، واشتد بينهم القتال .
ثم انتصر^(١) المسلمون على الكافرين ، وأخذت مراكبهم - وعدتهم اثنتين وخمسين
٣ مركباً - وأسروا جميع من بها ، ودخلوا بالأسرى^(٢) إلى القاهرة .
- وفي يوم الاثنين لسبع بقين من ذى الحجة ، خرجت مراكب المسلمين أيضاً على
مراكب الفرنج ، وكانت مملوءة غللاً ومأكولاً^(٣) ، فالتقى الجمعان عند مسجد النصر ،
٦ فنصر الله الإسلام ، وأيد أمة النبي عليه السلام ، وأخذوا من مراكب الفرنج عدة
اثنتين وثلاثين مركباً . فعند ذلك ذلت نفوس الملاحين ، واشتد عندهم الغلاء ، وعدم
القوت ، وشرعوا يسألون الصلح . وترددت الرسل بينهم ، وتوجه إليهم رسول من
٩ المسلمين يسمى زين الدين قراجا أمير جندار ، وصحبته القاضي بدر الدين السنجاري ،
فأجاباه^(٤) الفرنج ، ولسكن على شرط أن يكون لهم القدس الشريف وبعض بلاد
الساحل ، ويسلموا دمياط . فلم يرض المسلمون^(٥) بذلك . ثم خرجت هذه السنة .

(١) في المتن : « انتصرت » .

(٢) في المتن : « بالأسرا » .

(٣) في المتن : « غلال ومأكول » .

(٤) في المتن : « فأجابوه » .

(٥) في المتن : « فلم يرضوا المسلمين » .

ذكر سنة ثمان وأربعين وستمائة

النيل المبارك في هذه السنة

الماء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشرة ذراعاً ٣
وأصبعان .

ما لخص من الحوادث

٦ الخليفة الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين . والوزير بحاله .

ذكر الليلة الغراء المسفرة عن الصباح الأزهر بالنصر والظفر

وذلك لما كانت ليلة الأربعاء لثلاث ليالٍ بقين من المحرم ، رحل ^(١) الملاعين ،
فارسهم وراجلهم ، هارين إلى نحو دمياط . وهربت مراكبهم في البحر . وركب ^(٢)
المسلمون يداً ^(٣) واحدة خلفهم ، ولحقوهم ، وأدركهم الصباح من كل جانبٍ ومكانٍ .
وتمكن منهم المسلمون قتلاً وأسرّاً ، فسكانت عدة القتلى ^(٤) في تلك الليلة نيفاً ^(٥)
وثلاثين ألف . ثم ساق خلفهم الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى ، ١٢
في جماعة من العصاة التركية . وحازوا الفرنسييس ومن معه من أمراء الفرنج وملوكها
على تل هناك ، فاستسلموا وطلبوا الأمان ، فلحقهم الطواشي محسن الصالحى ، فأقنهم
ونزلوا على أمانهم . وأحاطت بهم المسلمون ^(٦) وأخذوهم ، وعادوا بهم إلى المنصورة . ١٥
وضربت للفرنسييس خيمة كبيرة ، وأنزلوه بها . ثم رحل الملك المعظم ، ونزل على
فارسكور ، وضرب دهليزه . وجدّ في أخذ دمياط ، ولو كان طلبها من الفرنسييس

(١) في المتن : « رحلوا » .

(٢) في المتن : « وركبوا » .

(٣) في المتن : « يد » .

(٤) في المتن : « القتلى » .

(٥) في المتن : « نيف » .

(٦) في المتن : « المسلمين » .

لم يمنعها ، ولكن كان المعظم صبي العقل ، ضعيف الرأي ، لا يرجع لأى أحد .
وقد ذكر^(١) جماعة من المؤرخين أن عدة من قتل من الفرنج في هذه النوبة مائة ألف
أو يزيدون . ٣

ووصل كتاب السلطان الملك المعظم إلى الأمير جمال الدين ينمور نسخته :
بسم الله الرحمن الرحيم :
ولده توران شاه . ٦

الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن . وما النصر إلا من عند الله . ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم . وأما بنعمة ربك فحدث .
وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . نبشّر المجلس السامى الأميرى الجمالى ، بل نبشّر
الإسلام كافة ، بما منّ الله به على المسلمين ، من الظفر بأعداء الله وعدو الدين ،
وأمكن من ناصية طاغيتهم ، بعد ما استفحل أمره ، واستحكّم شره ، ويئس^(٢) العباد
من البلاد ، ومن الأهل والأولاد ، فنودوا لا تيئسوا^(٣) من روح الله . ١٢٠

ولما كان يوم الأربعاء ، لثلاث ليالٍ مضين من المحرم من هذه السنة المباركة ،
تمم الله على الإسلام بركاتها ، فتحنا الخزائن ، وبذلنا الأموال ، وفرقنا السلاح على
الرجال ، وجمعنا الجيوش من كل مكان ، حتى من سائر الأفطار العربان ، فاجتمع
خلق لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، وجاءوا من كل فج عميق ، ومن كل مكان
سحيق . ولما عين العدو المخذول ذلك ، وتحقق المهالك ، أرسل يطلب الصلح على
ما كان وقع عليه الاتفاق مع الملك الكامل ، وقصدوا أن يلغهم من ذلك ما يأمله
منهم كل أمل . ولم نوافقهم على قصدهم ، وعملنا على حصدهم . فلما يئسوا أركنوا إلى
الفرار ، ولبسوا سواد الليل لئلا يفضحهم ضوء النهار ، وتركوا خيامهم خالية ، وعلى
عروشها خاوية ، وكذلك أموالهم وعددهم وأثقالهم ، وقصدوا دمياط هارين . ٢١

(١) في المتن : « ذكروا » .

(٢) في المتن : « ويأس » .

(٣) في المتن : « فنود لا تيأسوا » .

- وما زال السيف يعمل في أديبارهم إلى الليل ، وقد حل بهم الحزن والويل . ولما أصبح
نهار الأربعاء ، وناعى الشتات بهم قد نعى^(١) ، قتلنا منهم مائة ألف أو يزيدون ،
ومزقناهم كما مزق الضحاك أفريدون بالسيف ، غير من ألقى نفسه في اللجج . وأما^٣
الأسرى^(٢) فحدث عن البحر ولا حرج . والتجأ الفرنسيين إلى الميمنة وطلب الأمان
فأمّناه ، وأخذناه أسيراً ، وعلى عوائدنا الجميلة أجريناه ، فليأخذ حظه من هذه
البشرى^(٣) ، وليعلم أن مع العسر يسرا .
وفيه كلام كثير هذا زبدته ، ثم بعث مع الكتاب بنفارية^(٤) الفرنسيين ملك
الفرنج ، وهى سقلاط^(٥) أحرر تحت فرو سنجاب ، وفيها بركة^(٦) ذهب .
ولما كان يوم الجمعة سلخ الحرم ورد المرسوم من السلطان الملك المعظم إلى الأمير
حسام الدين بن أبى على يأمره بالحضور إليه ، وسير مكانه الأمير جمال الدين أقوش
النجيبى الصالحى .
وفيها قتل الملك المعظم توران شاه .

١٢

ذكر قتلة الملك المعظم وتمليك أم خليل شجر الدّر وسبب ذلك

- وسبب ذلك أنه كان صبي العقل ، عديم الرأى ، أهوج ، كثير العجب ، زائد
السفه ، بالضد مما كان في أبيه من الخصال الحمودة . وأطرح جانب الأمراء الكبار ،

١٥

(١) في المتن : « نعا » .

(٢) في المتن : « الأسرا » .

(٣) في المتن : « البشرى » .

(٤) الغفار المعطف وجمعها غفائر ؛ انظر : (Dozy ; Supp. Dict. Ar.) .

(٥) سقلاط : نوع من القماش الحرير الموشى بالذهب اشتهر منه ما يصنع في بغداد ، وذاع
صيته في غرب أوروبا في العصور الوسطى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) هذا وجاء اللفظ
في كتاب السلوك للعقريزى « اشكر لاط » ، وقيل في شرحه إنه نوع من القماش كان يرد من
بلاد أيرلندة لونه قرمزي (السلوك ، ج ١ ص ٣٥٧) .

(٦) البكرة معرب اللفظ الفرنسى boucle ومعناه المشبك .

(Dozy ; Supp. Dict. Ar.) .

الذين كانوا في دولة أبيه لهم الحل والمقد والأمر والنهي، وصرف وجهه عنهم. وعاد
يبلغهم عنه كل كلام يشين، من التهديد والوعيد. واعتمد على جماعة كانوا قد جاءوا
معه من حصن كيفا. وكان ذلك لأمر يريده الله. وكان هؤلاء الذين قد اعتمد
عليهم من أطراف الناس وأراذلهم، وصار إليهم الأمر والحل والمقد. ومن جملة
ضعف رأيه، وقلة تصرفه، وكثرة هوجه، وذلك الذي أوجب قتله وعدمه، أنه
كان في الدهليز إذا شرب وسكر، وتمين له النملان بالشموع، يجذب النمشة^(١)،
ويضرب الشمع، ويقول: «هكذا أضرب رقاب البحرية»، ويسمى كل شمة
واحداً^(٢) من الأمراء البحرية، مماليك أبيه^(٣).

ومن أسباب قتله أنه كان أوعد الأمير فارس الدين أقطاي بوعد، وأبطأ عليه،
فذكره به على لسان بعض خواصه، فقال: «أعطيه - إن شاء الله - جبا مليحاً
يليق به»^(٤). فبلغه ذلك.

ومن أسباب قتله أن شجر الدر - زوجة أبيه - كانت قد توجهت إلى القدس
الشريف، ثم عادت إلى القاهرة، فنفذ إليها يهددها ويتوعدها، ويطلب منها
الأموال والجواهر، فخافت منه، وكاتبته فيه الأمراء، وحرضتهم على قتله، فاتفقوا
عند ذلك على قتله. فلما كان يوم الاثنين سابع شهر صفر - وقيل سابع عشر منه -
وثب عليه بعض المماليك البحرية، وهو جالس على الكرسي، وضربه بالسيف، قطع يده
من أشاجعه. فقام وولى هاربا، ودخل القصر، وصاح: «من يجيرني؟». فقال^(٥)
البحرية: «لا والله ما نبقيك، فإنك لا تبقينا». ثم قالوا فيما بينهم: «ما تنتظرون
فيه؟» ثم هجموا عليه، فهرب إلى أعلى البرج، فأطلقوا فيه النار، ورموه بالنشاب،

(١) النمشة - وهي أيضا النمشاء والنشا والتجة والتجاء والنجا - : خنجر مقوس يشبه السيف
الصغير (Dozy: Supp. Dict. Ar.).

(٢) في المتن: «واحد».

(٣) في المتن: «مماليك أبوه».

(٤) في المتن: «أعطيه لأن شاء جب مليح يليق به».

(٥) في المتن: «فقالوا».

فرى بنفسه إلى الأرض، وعاد يعدو بينهم، ويقول: « ما أريد لكم ملك، أعيدوني^(١) إلى موضعي بحصن كيفاً. يا مسلمين ! ما فيكم من يجيرني ؟ ما فيكم من يصطنعني ؟ » وهو يستغيث فلا يفاث . وجميع العساكر واقفين ينظرون إليه . فلم يجره^(٢) أحد ، ٣ فقتلوه بالشاب ، ثم بضعوه بضعاً في ذلك التاريخ المذكور .

قال ابن واصل : إن قتلة الملك المعظم المذكور كانت للبلقين بقيتا من المحرّم من هذه السنة . وقال : إن أول من ضربه الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى . ٦ وقال : إن من الأمراء الكبار مثل الأمير نحر الدين بن أبي ذكرى ، والأمير سيف الدين القيمرى ، والأمير عز الدين القيمرى ، والأمير نحر الدين حسين ، والأمير مجير الدين بن حسين وغيرهم ، كانوا هاضرين ما فعله^(٣) البحرية بالمعظم . ولم ينكروا ٩ عليهم ولا أغاثوه ، لما كان في أنفسهم منه من تغيير مآزلهم عنده . وقتل وله من العمر دون الثلاثين سنة .

ثم اجتمعت الأمراء على تملك أم خليل شجر الدرّ ، وأن يكون نائبها الأمير ١٢ عز الدين أيبك التركانى الصالحى ، وحلفوا على ذلك . ثم ورد الأمير عز الدين أيبك الرومى إلى القاهرة ، وحلف بقية الناس ، وعادت التواقيع تخرج^(٤) بعلامة شجر الدرّ ، والتقدير للأمير عز الدين أيبك التركانى أتابك الجيوش . واستقر الأمر ١٥ كذلك . وكانت علامة شجر الدرّ على التواقيع ما هذا صفته : « أم خليل » .

ثم بعد ذلك وقع الحديث مع الفرنسييس في تسليم دمياط ، وأن يجودوا عليه ١٨ بنفسه . وكان الأمير حسام الدين بن أبى^(٥) على يتردد إلى الفرنسييس - وهو تحت

(١) فى المتن : « عيدونى » .

(٢) فى المتن : « فلم يجيره » .

(٣) فى المتن : « ما فعلوه » .

(٤) فى المتن : « تخرجوا » .

(٥) فى المتن : « أبى » .

الاحتراز في قاعة تعرف بقاعة ابن لقمان، و مترسم عليه خادم فقط غليظ يسمى صبيح، فكان أشد على الفرنسيين من كل شيء، وجرت (١) له مع الفرنسيين أمور كثيرة - حتى قال الفرنسيون للأمير حسام الدين بن أبي علي: « سألته بدينك ألا (٢) ماقتلتوني وأرحتوني من حس هذا الخادم ونظره، فإنه أصعب على من كل ما أنا فيه ». وكذلك جرى للأمير حسام الدين بن أبي علي مع الفرنسيين محاورات، من جملتها أنه قال له يوماً في جملة كلام: « أنت رجل عاقل، وملك عظيم الرأي، رزين الرأس، وفعلت بنفسك ما لا يفعله المجانين ». قال: « وكيف ذلك يا حسام الدين؟ ». قال: « غررت بنفسك وأموالك وجيوشك وركبت هذا البحر المهلك، وتأتي إلى مثل هذا الإقليم العظيم، الذي فيه هذا العالم الكثير، فإن سلمت من البحر وغرقه، لم تسلم من هذه الطوائف العظيمة. ونحن في ملتنا إن أي من ركب البحر مرة بعد مرة لا يقبل الحاكم له شهادة ». قال: فضحك الفرنسيين، ورفع رأسه إلى الأمير حسام الدين، وقال: « وكيف ما يقبل شهادته؟ ». قال: « فإنه يكون ناقص العقل، ومن كان ناقص العقل لا تقبل شهادته ». قال الراوي: فاستغرق الفرنسيون في ضحكهم، ثم قال: « والله لقد صدقت، ولقد صدق قائل هذا الكلام من قبلك ». ثم وقع الاتفاق على تسليم دمياط، ويفرج عن الفرنسيين ومن معه من أصحابه.

فلما طلع السنجق السلطاني على دمياط، ورفع على الأسوار، وتسلمها المسلمون (٣)، أطلقوا الفرنسيين وجميع من كان معه، وركبوا من ساحل دمياط إلى عكا. وفي ذلك يقول القاضي جمال الدين بن مطروح، وهي القصيدة المشهورة التي من جملتها يقول:

قل للفرنسيين إذا جئتهُ مقال ذي نصيح (٤) وقول صحيح

(١) في المتن: « وجرى ».

(٢) في المتن: « إلى ».

(٣) في المتن: « وتسلموها المسلمين ».

(٤) في المتن: « مقال ذو نصيح ».

- أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى مَا جَرَى مِنْ قَتْلِ عُبَّادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ
 أَتَيْتَ مِصْرَ تَبْتَغِي مُلْكَهَا تَحْسِبُ أَنَّ الزَّمَرَ يَا طَبْلَ رِيحِ
 فَسَاقَكَ الْحَيْنَ إِلَى أَدَمَ ضَاقَ بِهِ عَنْ نَازِرِيكَ الْفَسِيحِ ٣
 وَكُلُّ أَصْحَابِكَ أَوْدَعْتَهُمْ بَنَحَسَ تَدِيرُكَ بَطْنُ الضَّرِيحِ
 خَمْسُونَ أَلْفًا لَا تَرَى مِنْهُمْ إِلَّا قَتِيلًا أَوْ أُسِيرًا أَوْ جَرِيحِ
 وَفَقَكَ اللَّهُ إِلَى مِثْلِهَا لَعَلَّ عَيْسَى مِنْهُمْ يَسْتَرِيحِ ٦
 إِنْ كَانَ بَابَاكُمْ بِذَا وَاضِيًا فَرُبَّ غَشٍّ أَتَى مِنْ نَصِيحِ
 وَقُلْ لَهُمْ إِنْ أَضْمَرُوا عَوْدَةَ لِأَخَذِ ثَأْرٍ أَوْ لِقَصْدٍ صَحِيحِ
 دَارَ ابْنِ لَقْمَانَ عَلَى حَالِهَا وَالْقَيْدَ بَاقٍ وَالطَّوْاشِيَّ صَبِيحِ ٩
 وَلَمَّا رَحَلَ الْفَرَنْسِيْسُ إِلَى عَكَا دَخَلَ الْمَسَاكِرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي أَسْرٍ حَالٍ، وَأَنْعَمَ بِهَا .
 وَكَانَ عُبُورَ الْمَسَاكِرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ لثَلَاثَ عَشَرَ بَقِيْنَ مِنْ صَفَرٍ . ثُمَّ خَرَجَتْ الْخَلْعُ
 لِلْأَمْراءِ ، وَالْأَمْوَالِ ، مِنْ شَجَرِ الدَّر . ١٢
- وَفِيهَا اسْتَوْلَى الْمَلِكُ الْمَغِيْثُ عَلَى الْكَرْكِ وَالشُّوبِكِ . وَهُوَ الْمَلِكُ الْمَغِيْثُ فَتَحَ الدِّينَ
 عَمَرَ بْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ سَيْفِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ بْنِ الْعَادِلِ
 الْكَبِيْرِ . وَكَانَ قَدْ قَعِدَ وَاعْتَقَلَ بِقَلْعَةِ الشُّوبِكِ . فَلَمَّا قَتَلَ الْمُعْظَمَ أَخْرَجَهُ بِدْرِ الدِّينِ ١٥
 الصَّوَابِي الصَّالِحِي ، وَكَانَ نَائِبَ الْكَرْكِ عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَالشُّوبِكِ مُضَافَةً
 إِلَيْهِ ، وَسَلَّمَهُ الْكَرْكُ ، فَقَامَ الْمَلِكُ الْمَغِيْثُ بِمَلِكِيَّتِهَا ، وَعَادَ الصَّوَابِي مَدِيرَ أَمْرِ دَوْلَتِهِ .
 وَاسْتَمَرَّ كَذَلِكَ إِلَى حَيْنٍ أَخَذَهُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ الْبَنْدَقْدَارِي ، حَسْبَمَا يَذْكُرُ ١٨
 مِنْ ذَلِكَ .

- وَفِيهَا مَلَكَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ دِمَشْقَ ، وَلَمْ يَجِدْ بِهَا مَانِعًا ، فِي يَوْمِ السَّبْتِ لَثْمَانِ مُضِيْنِ
 مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ . وَأَخْلَعَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْراءِ الْقِيَمَرِيَّةِ ، وَعَلَى الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ ٢١
 يَنْمُورٍ . وَقَبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْراءِ الْمَصْرِيِّينَ مِنَ الْمَهَالِيكِ الصَّالِحِيَةِ الْقِيَمِيِّينَ بِدِمَشْقَ .
 وَعَصَى عَلَيْهِ بَعْضُ الْبِلَادِ مِثْلَ بَيْلِيْكِ وَسْرَمِيْنِ وَعَجْلُونِ . وَوَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى مِصْرَ

- بما فعله الملك الناصر من القبض على المماليك الصالحة، فانتحوا^(١) البحرية لخشداشيتهم الذين مسكهم الملك الناصر، فاجتمعوا وجددوا بينهم الأيمان، وجهزوا الساكر إلى الشام، يقدمهم الأمير حسام الدين بن أبي غلى. هذا كله والأمير عز الدين أبيك التركمانى نائب^(٢) لأم خليل شجر الدر، كما يأتى بقية الكلام فى الجزء الذى يتلوه إن شاء الله تعالى.
- ٦ انتهى الكلام فى هذا الجزء بحول الله، وقوته، وبركة إلهامه، وحسن توفيقه. وهو الجزء السابع^(٣) من هذا التاريخ المبارك، المسمى بكنز الدرر وجامع النور. وتتلو ذلك بذكر الشعراء المختصين به، وهم شعراء المائة السادسة، من أهل المشرق والمغرب، وشعراء المائة السابعة منهم، حسبما اشترطنا فى جميع أجزاء هذا التاريخ، موافقا لذلك إن شاء الله تعالى.
- ٩

ذكر الشعراء بالمائة السادسة من أهل المشرق،

والمختار من أشعارهم فى طبقتى المرقص والمطرب

- ١ — ابن الخياط الدمشق، له فى المرقص، ظعن فى السادسة فحُسب منها :
ومحتجب بين الأسنان معرض وفى القلب من إعراضه مثل حجبته
أغار إذا آنت فى الحى أنه حذاراً وخوفاً أن تكون لحبه ١٥
- ٢ — أبو الحسن الباخري، له فى المرقص :
ما للمُعيل وللعمالى إنما يسمى إليهن الأديب القادر
فالشمس تجتاب السماء فريدة وأبو البنات النعش^(٤) فيها راكد ١٨

(١) كذا فى المتن.

(٢) فى المتن : « نائباً » .

(٣) فى المتن : « السادس » .

(٤) بنات نعش : سبعة كواكب، تشاهد جهة القطب الشمالى، شُبهت بحملة النعش .

٣ — أخوه أبو علي الباخري ، له في المرقص ، وقد أصابه مع محبوبه :

لما جرينا بين البنان بحكمة رضينا بها والكاشحون غضاباً
وكنا معاً كالأواء والنحر صحبةً علانا لفرط الامتزاج حباً ٣

٤ — الوزير البيهقي أبو الحسن ، له في المرقص :

كأنما بغداد في جانبي بنيتها جب له عاشق
والجسر ما بينهما قايد والنهر من غيرته خالق ٦

٥ — الخطيري ، صاحب كتاب الزينة^(١) ، له في المرقص ،

أقول والليل في امتدادٍ وأدمع العين في انسياب
أظن ليلى بلا اختلافٍ قد بات يسكى على الصباح ٩

٦ — القاضي الأرجاني ، من جملة مرقصاته :

وما ينزل النيث إلا ليقبل بين يديك الثرى

١٢ وقوله :

واصلت جودك بعد ما أغنيتهني سح الغمام على الغدير المسترع

وقوله :

١٥ شمس إذا غسرت غداة نوى فالدمع في آثمارها شفق

وقوله :

وتحدثنا سرّاً حول قبابها سمر الرياح يعلن للإصغاء

١٨ وقوله :

تأوم قلبي إن أصماه ناظره فما اعتراضك بين السهم والمهدف

ومن مطرباته البديعة ، قوله :

٢١ أعينى كفاً عن فؤادي فإنه من البنى سعى اثنين في قتل واحد

(١) في المتن : « المحصرى صاحب كتاب الريه » ويبدو أنه يقصد الخطيري صاحب كتاب زينة الدهر ، وهو أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم الأنصاري ، المعروف « بدلال الكتب » (ت ٥٦٨هـ) ؛ انظر مفتاح السعادة ، لأحمد بن مصطفى ، ج ١ ص ٢٦٣ .

وقوله :

يزيد دعى على مقدار سيرهم تزايد الشهب إثر الشمس في الأفق

وقوله :

ويراد صونك بالتبرقع ضالة وأرى السفور لثل وجهك أصونا
كالشمس يمنع نورها من أن يرى فإذا اكتست برقيق غيم أمكفا

وقوله :

ولقد شربت مع الحبيب مدامةً عذراء إلا أنها شمطاء
والروض بين تكبر وتواضع شمع القصيب به وخر الماء

وقوله :

سقيتنيها يا نديمي بين بنيات السكروم
في رياض رائقات مثل جنات النعيم
نهرها يجري مداماً كالصراط المستقيم
أذن القمرى فيها عند تهويم النجوم
فانثنى النصفن يصلى بتحيات النسيم

٧ — أبو إسحاق العزى ، له في المرقص :

لو لم أمت في هواك قال المذل ما قيمة السيف الذى لا يقتل

وقوله :

وضقت يداً فجدت وكل جارٍ يضيق يزيد جدوله انصبابا

وقوله

مدحت الورى قبله كاذباً وما صدق الفجر حتى كذب

٨ — فضل الدولة الأبيوردى ، له [في] المرقص :

وسقانى الكأس مترعة كضرام النار تلهب
ولها من ذاتها طرب فلهذا يرقص الحب

٩ — محمد بن نصر القيصراني ، له في المرقص :

وأهوى الذي يهوى له البدر ساجداً ألت ترى في وجهه أثر الترب

وقوله :

ما عليهم لو أتاحوا في الهوى ماحوه من صفات المستهام
من خصورٍ وشجوها بالضنا وجفونٍ ملؤها بالسقام

وقوله :

ما أنت حين تنغي في مجالسهم إلا نسيم الصبا والقوم أغصان

١٠ — أبو الحسن بن مثير ، له في المرقص :

أرق من الماء لولا الشعاع لأفتته رشفاً شفاة المقل
وكالنار من وهج تيه الصبا فلولا تبسمه لاشتعل

١١ — الحيص بيص ، له في المرقص ، في جواب ابن أبي الفضل البغدادي :

لا تضع من عظيم قدرٍ وإن كان مشاراً إليه بالتمظيم
فالشريف الكريم يصغر قدراً بالتعدي على الشريف الكريم
ولع الخمر بالمقول رمى الخمر ر بتنجيسها وبالتحريم

وقوله :

صاحب أخا الشر لتسطو به يوماً على بعض صروف الزمان
فالرمح لا يهرب أنبوه إلا إذا ركب فيه السفان

١٢ — ابن الهبارية ، له في المرقص :

ولولا نداء خفت نار ذكائه عليه ولكن الندى مانع الوقد

١٣ — ابن جكينا البغدادي ، له في المرقص :

تبرّم بالمدار وظن أني أفاطمه وأخلص من يديه
نفحات عارضاه خلاص قلبي من التبريح فاقلمت عاينه

- ١٤ — ابن المياد البغدادي ، له في المرقص في فرس أشعل محجل :
وأشعل الذيل ذى حجولٍ قد عقدت صبحه بليله
كأنما البرق خاف منه فجاء مستمسكاً بذيله ٣
- ١٥ — النقاش البغدادي ، له في المرقص :
إذا وجد الشيخ من نفسه نشاطا فذلك موت خفي
ألست ترى أن ضوء السرا ج له لهب عندما ينفطي ٦
- ١٦ — ابن سيّار ، قاضي هراة ، له في المرقص :
ماشأنها والله زرقة عينها بل صار ذلك زائداً في حسنها
كادت أساود شعرها تسطو على مهج الوري لولا زمرد جفنها ٩
- ١٧ — الأمير أسامة بن منقذ ، له في المرقص :
خلع الخليع عذاره في فسقه متهتكاً في غاية الإفراط
يأتى ويؤتى ليس يُنكر ذا ولا هذا كذلك إبرة الخياط ١٢
- ١٨ — ابن أبي حُصين المغربي ، له في المرقص في كوز الفقاع :
ومحبوس بلا جرمٍ جناهُ له قفل وباب من رصاص
يضيّق بابه خوفاً عليه ويوثق بعد ذلك بالعقاص ١٥
- إذا أطلقته خرج اندفاعاً يقبل فاك من فرح الخلاص
- ١٩ — ابن البداء المغربي ، له في المرقص :
لا غرو إن كان من دوني يفوز بكم وأنثني عنكم بالويل والحرب ١٨
يدني الأراك فيضحى وهو يكرع من ثمر القناة ويلقى العود في اللهب
- ٢٠ — أبو طامة البغدادي ، له في المرقص :
حتى إذا ضحك الزجاج لقربها منه بكى لفراقها الراووق ٢١
- ٢١ — أبو الفضل البغدادي ، له في المرقص :
خطرت فكاد الورق تسجع فوقها إن الحمام لغرم بالبان
من معشر نشروا على هام الربي للطارقين ذوائب النيران ٢٤

٢٢ — ابن سلامة الخصكفي ، له في المرقص :

قلت إن الطمر مخبئة^١ قال حاشاها من الخبث

قلت منها التيء قال نعم شرفت عن مخرج الحدث ٣

٢٣ — التعاويذي ، له في المرقص :

بين السيوف وعينه مشاركة من أجل ذا قيل للأغداد أجفان

٢٤ — الواسطي بن العلم ، له في المرقص :

واستقبلوا الوادي فأطرقت المما وتمايلت بنفسونها السكتبان

فكأنما اعترفت لهم بعيونها الخزلان أو بقودها الأعصان

٢٥ — المهاد الأصفهاني الكاتب ، له في المرقص :

يا رب حتم أمانى الهوى في ذنب المنرب ولا أرتقى

غارت في الشمس فن أجل ذا لم تبقى أطلع في المشرق

٢٦ — القاضي الفاضل البيساني ، له في المرقص ، في وكيله الكحال :

رجل توكل لي وكلفني فأصبت في عيني وفي عيني

وقوله فيه :

١٥ عادى بنى العباس حتى أنه خلع السواد من العيون بكحله

وحسب أن القاضي الفاضل المذكور والقاضي المهاد الأصفهاني المذكور تسائرا ،

فعثر فرس الفاضل ، فقال له المهاد على البديهة :

١٨ سر فلا كبا بك الفرس

فقال القاضي الفاضل في جوابه سرعة من غير توقف :

دام علا المهاد

٢١ وهذا مما يقرأ مستقيماً ومقلوباً^(١) فيصح في كلاهما ، فله درهما .

(١) في المتن : « يقرأ مستقيم ومقلوب » . والمقصود أن أية عبارة من العبارتين السابقتين لو حلت حروف كلماتها فإتباعها تقرأ من أولها إلى آخرها ، أو من آخرها إلى أولها دون أى تغيير في بناء الكلمات .

٢٧ — عمارة اليمنى ، له فى المرقص فى مصلوبٍ ، وكأنه كان لسان حاله

فى نفسه :

٣ . ورأت يدها عظيم ماجنتا ففرن ذا شرقاً وذا غرباً

وإمال نحو الصدر منه فماً ليوم فى أفعاله القلبيا

٢٨ — سعادة الأعمى الحمصى ، له فى المرقص :

٦ . والورد ما بين أغصانٍ يحاربنا عند القطاف بأظفار السنابير

ومن المطرب الجيد ، قول الآخر :

وما بلى الندمان قط بمثلها أوائل وردٍ فى أواخر شعبان

٩ ذكر شعراء المائة السادسة من أهل المغرب ،

والمختار من أشعارهم فى طبقتى المرقص والمطرب

١ — أبو إسحاق بن خفاجة ، له فى المرقص :

١٢ وعشى أنس أضجعتنا نشوة فيها تمد مضجعى وتدمتُ

خلعت على بها الأراكه ظلها والنصن يصنى والحمام يحدثُ

والشمس تجنح للغروب مريضة والرعد يرقى والنعامة تنفث

١٥ وقوله :

يا ههذه لا تروى خدا ع من ضاق ذرعه

تبكى وقد قتلتنى كالىف يفر يقطر دمعاه

١٨ — ابن أخيه أبو جعفر ، له فى المرقص :

رعى الله ليلاً لم يرح بمنم عشية واراننا بجود مؤمل

وغرد قرى على الدوح وانثنى قضيب من الريحان من فوق جدول

٢١ ترى الروض مسروراً بها قد بداله عناق وضم وارتشاف مقبل

٣ - أبو الحسن بن صقر ، له في المرقص :

لو أبصرت عيناك زورق فتية يبدى لهم نهج السرور مراحه
وقد استداروا تحت ظل شراعه كل يمدُّ بكأس راج راحه
لحسبته خوف العواصف طائراً مدّ الجنان على بنيه جناحه

٤ - أبو عبد الله البلنسي له في المرقص ، في غلام حائك :

جدلان يلعب بالمحواك أنمله على السد لعب الأيام بالدول
ضماً بكفيه أو فحصاً بأخصه تحبّط الطي في إشرارك مختبل

٥ - ابن مجير وزير الجزيرة ، له في المرقص :

تراه عيني وكفى لا تباشره حتى كأتى في المرأة أبصره

٦ - ابن بقي^(١) ، له في المرقص :

حتى إذا مالت به سنة السكرى زحزحته عني وكان معانق
أبعدته عن أضلع تشنقه كيلا ينام على وساد خافق

٧ - ابن حسنون الأشبيلي - في اشتراك المين لا يفارقها الدمع :

سترت فقلنا زورق من فضة مالت بإحدى دفتيه الريح
وكأنا إنسانها ملاحها قد خاف من غرق فظل يميح

٨ - ابن فلاقس الإسكندراني :

قرنت بواو الصدغ صاد المقبل وأعربت في لام العذار المسلسل
فإن لم يكن وصل لديك لآمل فلم لاح في مرآك المتأمل

٩ - ابن حمديس^(١) الصقلي في النيلوفر^(٢) :

(١) هو أبو بكر بن بقي من شعراء الجزيرة ، صاحب الموشعات ؛ انظر ابن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغرب - تحقيق مصطفى عوض ص ١٨١ .

(٢) هو أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر محمد بن حمديس ، شاعر جيد السبك مليح العبارة . (ابن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغرب ص ٥٤) .

(٣) النيلوفر : نبات مائي يتميز بأوراقه العريضة وأزهاره ، له فوائد طبية في علاج بعض الأمراض ؛ انظر (النويري ، نهاية الأرب ج ١١ ص ٢١٩ - ٢٢٠) .

أشرب على بركة نيلوفر مصفرة الأوراق خضراء
كأنما أزهارها أخرجت السنة النار من الماء

ذكر شعراء المائة السابعة من أهل المشرق ، والختار من أشعارهم في المرقص والمطرب

- ٦ ١ - ابن الساعاتي ، له في المرقص :
والطير تقرأ والندير صحيفة والريح تكتب والغمامة تنقط
وله :
- ٩ ٢ - صدأ الظلال يزيد رونق حسنه أرايت سيناً قط يصقل بالصدأ
٢ - محب الدين الحلبي ، له في المرقص :
لا تقولى لا فكتوب على وجهك المشرق سطرا نعم
١٢ من حُرُوفٍ أبدعت من قدرة ماجرى [يوماً] ^(١) عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها طرفك الفتان والميم القم
٣ - راجح الحلي ، له في المرقص :
١٥ يا ليل طلت ولم ترق للمرم لم يظلموا إذ لقبوك بكافر
٤ - ابن خطيب خوارزم ، في المرقص :
عرض المشيب بمارضيه فأعرضوا وتقوضت خيم الشباب فقوضوا
١٨ وكان في الليل البهيم تبسطوا خفراً وفي الصبح المنير تقبضوا
ولقد رأيت وما سمعت بمثله أبداً غراب البين فيه أبيض
٥ - ابن مازة البخاري ، له في المرقص - في مملوك وفي يده قوس :
٢١ نهاني لما بدت عقرب على خده أن أروم السفر
قلقت وفي يده قوسه أسير في القوس حل القمر

(١) ما بين حاصرتين بياض ، والتكلمة لضبط الوزن .

٦ - ابن الفقيه المحوّل ، له في المرقص :

مذعقربت صدغاه واستجمع النحل على شهد اللعي الأشنب
تقدم الحاجب للمعارض أن يكتب بالأدم في الأشهب ٣
يا أمراء الحُسن لا تركبوا فالقمر الأرضي في العترب

٧ - ابن التكريتي ، له في المرقص :

ألفني القوام عنى أمالوه فقد بي مكسور بقلك الإماله ٦

٨ - ابن عتير الدمشقي ، له في المرقص - ينشوق إلى دمشق :

دمشق في شوق إليها مبرح وإن لجّ واشٍ أو ألحّ عذول
بلاد بها الحصباء در وترها عبير وأنقاس الشمال شمول ٩
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصحّ نسيم الروض وهو عليل

٩ - الحاجري ، له في المرقص :

عجبتُ لخالٍ يعبد النار دائماً بخذك لم يحرق بها وهو كافرُ ١٢
ومُذْ خبروني أن غصن قوامه تيقنت أن القلب مني طائرُ
وقوله :

نزلوا برامة قاطنين فلا تسل ماحلّ بالأغصان والسكبان ١٥
لم يملُ ذاك الخدّ خال أسود إلا لنكث شقائق النعمان
وقوله :

إني لأعذر في الأراك سخامه الش ادى كذلك تفعل العشاقُ ١٨
حكم الغرام الحاجريّ بأسرها فعدت وفي أعناقها الأطواقُ
١٠ - ابن فضل الحلبي ، له في المرقص :

تواضع إذا نلت المعالي تزد عللاً وتكسب الشكر الجليل من الورى ٢١
فلن يشكر النيثُ الرفيع محله قرين الثريا أو يصير إلى الثرى

١١ - ابن علي الحنفي ، له في المرقص :

كأن عذاره المسكى لام وفاه من بديع الحسن صاد
وطرة شعره ليل بهيم فلا عجب إذا سرق الرقاد ٣

١٢ - العماد السهاسي ، له في المرقص - يرثي غلاما يلقب بسيف :

ستدرف أجفاني عليك دموعها ولا غرو أن تبكي على السيف أجفان
بكثك عيون الشهب إذ كنت بدرها وغالك من بعد التهمة نقصان
وشقت يمين الصبح فيك على الدجى قيصاً فأضحى وهو للحزن عريان
بكت فقدك الدنيا قديماً بدمعها فكان بها في سالف الدهر طوفان ٦

١٣ - الشريف الطوسي ، له في المرقص :

ودولاب إذا دار يزيد القلب أشجانا
سقى العنن وغناه فما يبرح نشوانا ٩

١٤ - البهاء زهير الحجازي ، له في المرقص :

أيا ظبي هـلا كان فيك التفاتة ويا غصن هـلا كان فيك تعطف
ويا حرم الحسن الذي هو آمن وألبابنا من حوله تتخطف
عسى عطفه بالوصل يا واو صدغه على فإني أعرف الواو تعطف ١٥

١٥ - القاضي ابن أبي جراد ، له في المرقص :

يا واحداً في الحسن ما أبقى هواه على أحد
لم ينمطف غصن النقا لكن لقامته سجد
لما تبسم في الدجى از شق الصباح من الحسد
ما داب إلا غيرة من دُر مبسمه البرد
وقوله : ٢١

واهياً لعقرب صدغه لو لم تكن للماء تجمي
ولنفيل خط عذاره لو بت أعجمه بلثمي

وقوله :

طرفى وقلبي منزلاه لأنه قر وتلك منازل الأتار
ياساكن الجفن القريح وليته يعى لجارى الدمع حق الجار
٣ وقوله - وقيل لملاء الدين بن يعيش - فى حرب الأتراك :

ادغموا الذابلات فى مثلها من هم وفى المثل يحسن الإدغام
وأمالوا إليهم ألفات النبل حتى لم يحمم منه لأم
٦ ١٦ - سليمان بن العجمى ، له فى المرقص :

لهيب الخلد حين بدا لعيني هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالاً وها أثر الدخان على الحواشى
٩ ١٧ - ابن زولاق الموصلى ، له فى المرقص :

ومن عجبى أن يحرسوك بخادمٍ وخدام ذاك الحسن أبهى وأكثر
عذارك ريحان وخالك عنبر وخذك كافور ونترك جـوهر
١٢ وردفك مثقال فكأن أنت محسناً^(١) عسى بوصول القرب يأتى مبشر

١٨ - ابن عزى الموصلى ، له فى المرقص :

أنا صب وماء دمعى صب وأسير من الضنا فى قيود
وشهودى على الهوى أدمع العيون ولـكننى جرحت شهودى
١٥ ١٩ - ابن الخلاوى الموصلى ، وقد تقدم من شعره شئ :

كتبت فلولا أن ذاك محرم وهذا حلال قست لفظك بالذر
فوالله ما أدرى أزهر خميلة بطرسك أم در يلوح على نحر
١٨ فإن كان زهراً فهو صنع سحابة وإن كان دراً فهو من لجة البحر

٢٠ - ابن الظهير الأيربلى ، له فى المرقص :

قلبي وطرفى ذا يسيل دماً وذا دون الورى أنت العليم بقرحه

(١) فى المتن : « محسن » .

وهما بحبك شاهدان وإنما تعديل كل منهما في جرحه
وقوله :

٣ غارت مناطقه وأنجد ردفه يابعد شقة غوره من نجده

٢١ — ابن الصقار الدينسرى ، له في المرقص :

٦ تعشقه أُمى حسن فما له أتى بكتابٍ ضمنه سورة النمل
وما لى أنا المجنون فيه وشعره إذا مرّ بالكشبان خط على الرمل

وقوله :

٩ ومتى تقوم قيامتى بوصاله ويضم شملينا معاد شامل
وأكون من أهل الخطايا خده نارى وصدغاه على سلاسل

٢٢ — ابن الحواري المرى ، له في المرقص :

١٢ ووالله ما أخرجت عنك مدائحى لأمرٍ سوى أتى عجزت عن الشكر
وقد رضت فكرى مرةً بعد مرةً فما ساغ أن أهدى إلى مثله شعري
فإن لم يكن دراً قتلك نقيصة وإن كان دراً كيف يهدى إلى البحر

٢٣ — التامغرى ، له في المرقص :

١٥ وإذا الثنية أشرفت وشممت من أرجأها أرجأ كنشر العبير
سل هضبتها المنصوب أين حديثها الـ حرفوع عن ذيل الصبا المحرور

٢٤ — ابن القمرأوى ، له في المرقص :

١٨ وبالليل الذوائب ما كفانى تطاول حالك الليل البهيم
وحاكت النسيم على مرورٍ بعطفه فال مع النسيم

٢٥ — فتیان الشاغورى ، له في المرقص :

٢١ فبطنها حجير الأسباط متبجس وظهرها حجير الإسلام مستلم

٢٦ — العفيف المرى ، له في المرقص :

فإن نُحت في أفنان وجدى يحق لى لأنى بما أوليتمونى مطوق

- ٢٧ — ابن إسرائيل الدمشقي ، له في المرقص :
أنت الأمير على الملاح بأسرهم وعليك من قلبي لواء خافق
- ٢٨ — ابن بطريق البندادي ، له في المرقص - في جرب أصابه :
أعاذك الله من همي ومن وصبي وذا جربي أبو معيط وذا قلبي أبو لهب
- ٢٩ — ابن نجيم الموصل ، له في المرقص - من جملة مرثية :
فالمضرب أوتر والمثقف ذابل حزناً وكل حيفة مرتاب
- ٣٠ — أيدير ، مملوك صاحب الجزيرة ، في المرقص - في النرجس :
وكان نرجسه المضاعف خائض في الماء لف ثيابه في رأسه
- وقوله :
شكاً^(١) رمداً جفن الأصيل إلى الدجى فكحله مثل الظلام بإمد
- ٣١ — ابن عبد الله الكردي ، له في المرقص :
إذا ما اشتقت يوماً أن أراكم وحال البعد بينكم وبينى
- بمئت لسكر سواداً في بياضٍ لأنظركم بشيء مثل عيني
- ٣٢ — ابن العربي الدمشقي ، له في المرقص :
وقالوا قصيرٌ شعر من قد هويته فقلت دعوني لا أرى منه مخلصاً
- مُحيّاه شمس قد علّت غصن قده فلا عجب للظل أن يتقلصاً
- وله :
عائنت في الحمام بدرًا مشرقاً ينو بمقلة شادنٍ مذعور
- يرخى ذوائبه على أعطافه فيريك ظلاً لاح فوق غدير
- ٣٣ — بدر الدين الذهبي ، له في المرقص - في حرب وقع :
والخيلُ قد نشرت من نغمها صحفاً قامت كتائبها ما بيننا سطرا
- تملى علينا الردينيات ما نظمت فيها ويملى علينا السيف ما نثرا

(١) في المتن : « شكى » .

- ٣٤ - ابن الحيمى اللغوى ، له فى المرقص - وقد كتب إلى أبيه :
 جنت فعودنى بكتبك أن لى شياطين شوقٍ لاتفارق مضجعى
 استرقت أسرار وجدى تمرِّداً بعثت إليها فى الدجى شهب أدمعى ٣
 ٣٥ - نور الدين الأسعدى ، له فى المرقص :
 ولم أر شمساً قبلها فى زجاجةٍ مكلفةٍ من نفسها بنجوم
 وتنظر من ستر الزجاج كأنها سنا البرق يبدو من رقيق غيوم ٦
 ٣٦ - ابن خطلمج الأرموى ، له فى المرقص :
 صابونةٌ من راحتي منم قد أضحت السحبُ لها جسداً
 تلاطم البحران فى صدرها فأصبح الموج بها مُزبداً ٩

ذكر شعراء المائة السابعة من أهل المغرب ،

والمختار من أشعارهم فى طبقتى المرقص والمطرب ١٢

- ١ - الأسعد بن ممانى ، له فى المرقص ، من مصر فحسب من المغرب :
 مررتُ بدار الملك والنيل آخذ بأطواقها والماء يضربها ضرباً
 ٢ - ابن سفاء الملك ، له فى المرقص :
 لا تخش منى فإنى كالنسيم ضناً وما النسيم بمخشيء على عُصن
 وقوله :
 ١٨ وأملى على ليل الغدائر غدرها وأملى عليه وهو فى الأرض يكتبُ
 أغار من القرطين خيفة حبها ألم ترهم مثل قلبى يُعذب (١)
 وأنكر من تلك الغدائر أنها إذا أرسلت ظلت مع الحجل تلعبُ
 ٢١ وما لاح فى الغرب الهلال وإنما هو البدر إجلالاً لها يتنقبُ

(١) فى المتن : « يعذبوا » .

٣ — النجيب بن الدباغ ، له في المرقص :

يا ربَّ إن قدرته لمقبلٍ غيري فللاً كواب أو للأكوس
وإذا قضيت لنا بعين مراقبٍ في الحب فلتك من عيون النرجيس

٤ — ابن شمس الخلافة ، له في المرقص :

يارب ليلٍ قد طرقت وصاد من أهواه سراً
فقمشت قفلاً من عقيدٍ في أحمرٍ وسرقت دُرّاً

٥ — ابن النبيه الكاتب ، له في المرقص — من قصيدة طويلة :

وكوكب الصبح نجاب على يده محلق تملأ الدنيا بشاره

٦ — ابن الفقيه نصر ، له في المرقص :

أقتطف السوداء من لمتي أخذاً مع البيضاء إذ تسرفُ
فتخلف البيضاء أمثالها وتخلف السوداء فما تخلفُ
حماقة السوداء من هاهنا يعرفها من لم يكن يعرفُ

٧ — سيف الدين المشد ، له في المرقص :

(بياض في المتن)

٨ — ابن مطروح ، له في المرقص :

إذا ما شتهى الخلل خال أخبار قُرطها فيا طيب ما تملئ عليه الضفائرُ
وقوله :

١٨ وجاء في حُلةٍ معصفرة قوموا انظروا العنصن في أصائله

٩ — شرف الدين الديباجي ، له في المرقص :

شهر الحسام وكالأقاحي خده ثم اثني كشقائق النعمانِ
لو لم يكن طرباً براحتته لما غنى بضرب مثاليٍّ ومثاني

١٠ — ابن شاور ، له في المرقص :

لا تثق من آدمي في ودادٍ وصفاء كيف ترجو منه صفواً وهو من طينٍ وماء

١١ — ابن أبي الأصبع ، له في المرقص :

ولما رأيتك عند المديح جهم الحيا لنسا تنظرُ
تيقنت بخلك لي بالندى لأن الجهامة لا تمطرُ ٣

١٢ — أبو الحسين الجزار :

من منصفى من معشري كثروا على وأكثروا
صادقهم وأرى الخرو ج من الصداقة يعسرُ ٦
كانخط يسهل في الطرؤ س ومحوه متمذرُ
وإذا أردت كسطته لكن ذاك يؤثرُ

١٣ — ابن غنوم الإسكندري :

لا غرو للأعين أن رقرقت دموعها حين وداع السفرُ
فالتور أصبح مستعبرًا وليس إلا لوداع السحرُ

١٤ — سلطان إفريقية يحيى ، له في المرقص - في الجوز :

تفضل بطعمٍ له ملبس صلابة وجه لثيم حكي
إذا برّ عن جسمه ثوبه أناك كما تمضغ المستكا

١٥ — ابن العفون ، له في المرقص :

أخواك يابن الأكرمين بجمة راياتها ما لم تكن في الجنة
عنبًا ملاحيًا وخمرًا مزّة وظلالنا من تحت أغصن كرمة
فشرابنا بنت السكروم ونقلنا بالأم واستظللنا بالجدة ١٨

١٦ — ابن طلحة ، وزير هود صاحب الأندلس :

ياهل ترى أطرف من يومنا قلّد جيد الأفق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدها مرقصة كل قضيب وريق ٢١
والشمس لا تشرب خمر النداء في الروض إلا بكؤوس الشقيق

- ١٧ — مرح كل المغربي ، له في المرقص :
- نهر يهيم بحسفه من لم يهيم ويحيد فيه الشعر من لم يشمر
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها إلا لفرقة حسن ذاك المنظر ٣
- ١٨ — مطرف الترناطي ، له في المرقص :
- غدوت مفكراً في سر أفق أفاد العلم من بعد الجهالة
فا طويت له شبك الدار إلى أن أظفرت بالنزالة ٦
- ١٩ — ابن جودي الترناطي ، له في المرقص :
- يقول وقد قالوا أطال تأملاً لحظ عذاريه مقيماً لعذره
إذا رمدت عيناي من شمس وجهه ملأتهما كحلا بأتمد شعره ٩
- ٢٠ — ابن طارق الترناطي ، له في المرقص :
- سقى والحمام يبيكي صباحاً فتخال الرذاذ من مقلتيه
وكان النسيم جاء إلى الفص ن دخيلاً مسترفداً ما عليه ١٢
فأثنى كالكريم وفاءً ضيف ثم ألقى ما في يديه لديه
- ٢١ — ابن محبوب كاتب الرمي ، صاحب المرية ، له في المرقص ، في غلام
حلقوا شعره : ١٥
- حلقوك تغييراً لحسبك غيراً فازداد حسبك بهجةً وبهاءً
كالنجر زال فدامه فتشعشت والشمع قط ذباله فأضاء ١٨
- ٢٢ — ابن طلحة الصقلي ، له في المرقص :
- أيتها النفس إليه اذهبي فخبه المشهور من مذهبي
مفضض الثغر له نقطة مسكية في خده المذهبي
آيسني التوبة في جبهه طابوعه شمساً من المغرب ٢١
- ٢٣ — حمدوس الصقلي ، له في المرقص ، في شمة :
- وصعد لبست سربال مشتهر بالحب مغمس في الدمع والحرق

- مازال يطعن صدر الليل لهذمها حتى غدا سائلاً منه دم الشفق
٢٤ — أبو جعفر بن عياش له في المرقص :
- هربت مذّوب فوق الخلد عارضه حتى بدا شائناً بالصبح مختضباً
٣ فلم أدع ذهب الصهباء من قدحى حتى رأيت خلع الليل قد ذهباً
٢٥ — عفيف الدين التلمساني ، له في المرقص :
- ساروا فيا وحشة الوادى لبعدهم عنه ولا سيما الأغصان والكتب
٦ وله :
- وأعدلى حديثهم فلسمعى قرط وجدٍ باللؤلؤ النثور
٩ ثم صيف لى ذؤابة منه طالت ودجت فهى ليله المهجور
٢٦ — ابن سلمون البلنسى ، له في المرقص :
- يا قائلًا كم أراه للحمد فى مسديما وجدت عرضك روضاً فكنت فيه نسما
٢٧ — أبو الحسين القوصى ، له في المرقص :
- ألا لله نهر فى رياض يحض على الشجاعة من رآه
١٢ تلاعب للحباب به فرند وأدمى بالشقائق جانباه
٢٨ — ابن الصّابونى الإشبيلي ، له في المرقص ، فى العذار :
- وما خيّلت نفسى إلىّ بأنه ستفعل أفعال السيوف الحائل
١٥ — أبو الوليد بن الحيان ، له في المرقص :
- والسحب قد نثرت فى الروض لؤلؤها فضمه الشمس فى ثوب من الذهب
١٨ وله :
- ودوحة أطربت منها حمامها أفق السماء فلم يبرح ينقطها
٢١ تحكى الكرامة منها راحة قبضت يلقى السحاب لها دراً فتبسطها
وقوله :
- ودوح بدت معجزات له تبين عليه وتدعو إليه

جـرى النهر حتى سقى أرضه فقال يقبل شكراً لديه
وكف الصَّبَا صبغت حُلِيه فقام الحمام ينادى عليه
كساه الأصيل ثياب الضنى فخل طبيب الدياجى لديه
وجاء النسيم له عائداً فقام له لائماً معطفيه

٣٠ — سعيد وزير صاحب إفريقية ، فى المرقص - فى دولاب :

ومحنة الأصلاب تحنو على الثرى^(١) وتسقى نبات الترب درّ الترائب
تعد من الأفلاك أن نجومها نجوم لرجم المحل ذات الذوائب
وأطربها رقص الفصون ذوابلاً فدارت بأمثال السيوف القواضب

٣١ — موسى بن سعيد ، له فى المرقص :

ألا حبذا روض بكرنا له ضجى وفى جنبات الورد للطل ادمع
وقد جُمعت بين الفصون نسمة^(٢) تمزق ثوب الظل منه وترقع
ونحن إذا ما صلت القضب ركعاً نظل لها من هزة السكر ركع^(٣)

٣٢ — على بن موسى بن سعيد ، له فى المرقص - فى جزيرة الصالحية :

وعانقها من فرط شوقٍ حُسْنها فمدَّ يميناً نحوها وشمالاً
وقوله :

كَأَنَّ خالاً لاح فى خدّه لأمين فى سلسلة من عذار
أسود يخدم فى جنّة قيده موله خوف الفرار

١٨ ***

نجزت أسماء الشعراء المختصين بهذا الجزء . وبتمامهم تم الجزء السابع^(٢) من هذا
التاريخ ، المسمى بكنز الدرر وجامع الغرر ، بخط يد واضعه ومصنفه وجامعه

(١) فى المتن : « السرا » .

(٢) فى المتن : « السادس » .

- ومؤلفه^(١) ، أضعف عباد الله وأفقرهم إلى الله ، أبو بكر بن عبد الله بن أيوب ، صاحب صرخند - كان - عُرف الوالد بالدواء دارى . غفر الله له ولوالديه ، ولمن قرأه ، وتجاوز عن كل خطأ يراه ، ولكافة المسلمين أجمعين . وكان الفراغ من نسخ هذا الجزء نهار يوم الثلاثاء سابع شهر شعبان المكرم ، سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، أحسن الله تقصمها بخير .
- ٦ يتلو ذلك في أول الجزء الثامن - وهو آخر هذا التاريخ المبارك - ما مثاله : مقدمة في ذكر بعض محاسن مولانا السلطان ، أعز الله أنصاره . وبعدها ابتداء ذكر الدولة التركية ، أدام الله أيام مولانا مالسكها ، وأدام اقتداره ، إلى آخر ما يقف بنا الكلام من السنين والأعوام .
- ٩ والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) في المتن : « ومألفه » .

فهارس

الجزء السابع

من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر

لابن أبيك الدوادارى

أولا - فهرس الأعلام

ابن الأثير الجزرى (عز الدين) : ٦ ، ٨٢ ، ١٢٤ ،

١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٣٧ - ٢٣٩ ،

٢٤١ ، ٢٥٧ .

ابن الأثير الجزرى (مجد الدين) : ١٧٤ .

ابن إسرائيل الدمشقي (الشاعر) : ٣٩٩ .

ابن أسعد (الفقيه) : ١١٥ .

ابن الأنبرون : ٢١١ .

ابن بارزان ، انظر : باليان الثانى دى لمبلين .

ابن البداء المغربى (الشاعر) : ٣٩٠ .

ابن بشير الخادم الناصرى (الأمير شهاب الدين) :

٦٨ ، ٦٩ .

ابن بطريق البغدادى (الشاعر) : ٣٩٩ .

ابن بى أبو بكر (الشاعر) : ٣٩٣ .

ابن الجهلوان (ملك الكرج) : ٣٠٤ .

ابن البواب : ٢١٨ .

ابن التكريتى (الشاعر) : ٣٩٥ .

ابن جراح : ١٥ .

ابن أخرجى (الناهض) : ٢٠٣ .

ابن جكيننا البغدادى (الشاعر) : ٣٨٩ .

ابن جودى القرناطى (الشاعر) : ٤٠٣ .

ابن الجوزى ، انظر : عبد الرحمن بن على (جمال الدين

أبو الفرج) .

ابن جوسلين ، انظر : جوسلين دى كورتناى .

ابن حسنون الإشبلى (الشاعر) : ٣٩٣ .

ابن الحلاوى الموصلى (الشاعر) : ٣٩٧ :

ابن حمدى الصقلى (الشاعر) : ٣٩٣ .

ابن الحوارى المعرى (الشاعر) : ٣٩٨ .

ابن الحمى اللغوى (الشاعر) : ٤٠٠ .

ابن الحناب (القاضى) : ٣٢ .

(١)

آدم (عليه السلام) : ١٠٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٩٤ .

آل ساسان : ٢٤٨ - ٢٥٠ .

آل على : ٤٩ .

إبراهيم بن إسماعيل بن قمراس (القاضى مخلص الدين) :

٣٦٢ .

إبراهيم بن الأجد بهرام شاه (الملك المنصور) : ٢٠٦ .

إبراهيم بن شمس الدين بن القدم (عز الدين) : ١٢٠ .

إبراهيم بن شيركوه بن محمد (الملك المنصور) : ٨٠ ،

٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٨ ،

٣٦٢ ، ٣٥٩ .

إبراهيم بن صلاح الدين الأيوبى (الملك الموفق

نصرة الدين) : ١١٦ .

إبراهيم بن العادل (الملك نفاثر شمس الدين) : ١٩٧ ،

٢٠٨ .

إبراهيم المرزوقى (الشيخ) : ٣٣٣ .

إبراهيم بن المهدي (الخليفة العباسى) : ٣٥٠ .

أبقا بن هلاوون : ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

ابن أبى الأصبع (الشاعر) : ٤٠٢ .

ابن أبى جرادة (القاضى - الشاعر) : ٣٩٦ .

ابن أبى الرداد (أبو القاسم هبة الله) : ١٥٦ .

ابن أبى عصرون (القاضى محي الدين) : ١٢٥ - ١٢٨ .

ابن أبى عصرون ، انظر : عبد الله بن محمد بن أبى عصرون

(شرف الدين) .

ابن أبى الفضل البغدادى : ٣٨٩ .

ابن أبى الهيجاء (الأمير حسام الدين السمين) : ٤٤ ،

٥٨ ، ٦٩ ، ١٠٩ ، ١٢٩ ، ٣١٩ .

ابن الأثير الجزرى (الوزير ضياء الدين) : ١٢٤ ،

١٣٠ ، ٢٧٤ .

- ابن خطلخ الأرموى (الشاعر) : ٤٠٠ .
- ابن خطيب خوارزم (الشاعر) : ٣٩٤ .
- ابن خطيب الرى ، انظر : نثر الدين الرازى .
- ابن الحلال ، انظر : يوسف بن محمد .
- ابن خلـكان (القاضى شمس الدين) : ١٧ ، ٢٤ .
- ابن الحياطة ، انظر : عبد السلام الديماطى (القاضى) .
- ابن الحياط الدمشقى (الشاعر) : ٣٨٦ .
- ابن دانيال (الحكيم شمس الدين) : ٢١٨ .
- ابن دودا (مقدم التركان) : ٣٥٠ .
- ابن الزنجيلى عثمان ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٣٢١ .
- ابن زولاق الموصلى (الشاعر) : ٣٩٧ .
- ابن زيتون ، انظر جمال الدين البلالينى .
- ابن الساعى (الشاعر) : ٣٩٤ .
- ابن الساعى (الشيخ تاج الدين) : ١٣٤ ، ٢٨٢ .
- ابن سلامة الخصكى (الشاعر) : ٣٩١ .
- ابن سلمون البلسنى (الشاعر) : ٤٠٤ .
- ابن سناء الملك (القاضى هبة الله) : ٧٥ ، ٩١ ، ٤٠٠ .
- ابن السنباطى (منجم) : ١٠٩ .
- ابن سيار (قاضى هراة) : ٣٩٠ .
- ابن شاهان شاه : ١٥ ، ١٩ .
- ابن شاور : ٤٠١ .
- ابن شداد (القاضى بهاء الدين يوسف بن رافع) : ٩٠ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٩ .
- ابن شمس الخلافة : ٤٠١ .
- ابن شيخ الشيوخ ، انظر : عبد الرحمن (شمس الدين) ؛
- عبد الرحيم (صدر الدين) ؛
- عماد الدين بن صدر الدين ؛
- نفر الدين بن صدر الدين ؛
- كمال الدين بن صدر الدين ؛
- معين الدين بن صدر الدين .
- ابن الصابونى الإشبلى (الشاعر) : ٤٠٤ .
- ابن الصفار الدنيسرى (الشاعر) : ٣٩٨ .
- ابن الصيرقى المصرى : ١٤٥ .
- ابن الضحاك : ١٦٧ .
- ابن طارق الغرناطى (الشاعر) : ٤٠٣ .
- ابن طلحة (الشاعر) : ٤٠٢ .
- ابن طلحة الصقلى (الشاعر) : ٤٠٣ .
- ابن الظهير الإربلى (الشاعر) : ٣٩٧ .
- ابن عبد الظاهر (القاضى محي الدين) : ١٤٢ .
- ابن عبد القوى (قاضى القضاة) ، انظر : إسماعيل
- ابن عبد القوى .
- ابن عبد الله السكردى (الشاعر) : ٣٩٩ .
- ابن عبد المؤمن (أبو يعقوب ملك المغرب) : ٧٤ ، ٨٣ ، ٢٨٣ .
- ابن العجمى (قطب الدين) : ١٨ .
- ابن العديم (القاضى كمال الدين) : ٣٣١ .
- ابن العربى الدمشقى (الشاعر) : ٣٩٩ .
- ابن عزى الموصلى (الشاعر) : ٣٩٧ .
- ابن العفون (الشاعر) : ٤٠٢ .
- ابن العلقمى (الوزير مؤيد الدين) : ٢٧٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٩ .
- ابن على الحنفى (الشاعر) : ٣٩٦ .
- ابن عنين (الشاعر شرف الدين أبو المحاسن محمد
- ابن نصر الدين) : ١٣١ ، ٢١٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٩٥ .
- ابن عوف (ضياء الدين المحتسب) : ٣٢ .

- ابن عين الدولة الإسكندري (القاضي شرف الدين):
٣٤٥ ، ٢٠٨ .
- ابن غنوم الإسكندري (الشاعر) : ٤٠٢ .
- ابن فضل (نجيم الدين - والي الإسكندرية) : ٣٢ .
- ابن فضل الحلبي (الشاعر) : ٣٩٥ .
- ابن الفقيه المحولي (الشاعر) : ٣٩٥ .
- ابن الفقيه نصر (الشاعر) : ٤٠١ .
- ابن قتيبة : ٢٤ .
- ابن فلاقس الإسكندراني : ٣٩٣ .
- ابن القمراوى (الشاعر) : ٣٩٨ .
- ابن القيسراني (موفق الدين) : ١١١ .
- ابن كامل (ضياء الدين أبو انفاسم هبة الله) :
١٢ ، ٥٥ .
- ابن كردم ، انظر : المهراني .
- ابن لاون (ملك الأرمن) : ١٥٩ ، ١٨٢ ،
١٨٤ .
- ابن مازة البخاري (الشاعر) : ٣٩٤ .
- ابن الملقى : ٧٤ .
- ابن محبوب كاتب اريمى (شاعر) : ٤٠٣ .
- ابن المرزبان : ٩ .
- ابن المشطوب ، انظر : على بن أحمد المشطوب .
- ابن المعتز (الشاعر) : ١٤٢ .
- ابن المقدم (شمس الدين) : ٥٦ .
- ابن ملكيشو (بهاء الدين) : ٣٢٨ .
- ابن مماتي (الأسعد أبو اسكارم) : ١٥١ ،
٤٠٠ .
- ابن موسك (الأمير بدر الدين) : ١١٠ .
- ابن موسك (الأمير عماد الدين) : ٣٠٠ ، ٣٢٣ ،
٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .
- ابن المياد البغدادى (الشاعر) : ٣٩٠ .
- ابن النابلسى (الشاعر) : ٣٢٧ ، ٣٣٨ .
- ابن النيه (الشاعر) : ٦٧ ، ٤٠١ .
- ابن نجية (الواعظ الدمشقي) : ١٧ .
- ابن نجيم الموصلى (الشاعر) : ٣٩٩ .
- ابن هبيرة (الوزير عون الدين) : ٣٦ .
- ابن واصل (القاضي جمال الدين) : ٦ ، ٢٧ ، ٣٥ ،
٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧١ ، ١١٧ ،
١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
١٣٤ ، ١٤١ ، ١٥٦ - ١٥٨ ، ١٦٤ ،
١٦٨ - ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ،
١٨٤ ، ١٩٣ ، ٢١٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ،
٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ،
٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٤٥ ، ٣٥٠ ،
٣٥٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٨٣ .
- ابن الوكيل ، انظر : صدر الدين بن المرحل .
- أبو إسحاق بن خفاجة (الشاعر) : ٣٩٢ .
- أبو إسحاق المزى (الشاعر) : ٣٨٨ .
- أبو الأشبال ، انظر : ضرغام بن عامر بن سوار .
- أبو بكر الصديق (الخليفة) : ٨٨ ، ١٣٤ ، ٢٧٤ .
- أبو بكر بن صلاح الدين الأيوبي (الملك المنصور
سيف الدين) : ١١٦ ، ١٢٣ .
- أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدوادارى (المؤلف) :
٥ ، ١٠ ، ٣١ ، ١١٦ ، ١٦٩ ، ٢٥٧ ،
٤٠٦ .
- أبو جعفر بن خفاجة (الشاعر) : ٣٩٢ .
- أبو جعفر بن عياش (الشاعر) : ٤٠٤ .
- أبو جعفر المنصور بن محمد الظاهر بأمر الله (الخليفة
المستنصر بالله) : ٢٨١ - ٢٨٣ ، ٢٨٩ ،
٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ،
٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٤١ ،
٣٤٨ ، ٣٤٧ .
- أبو الجيش ، انظر : إسماعيل بن نور الدين (الملك
الصالح) .

- أبو الحرب ، انظر : سنجر سلطان .
أبو الحسن ، انظر : علي بن أبي العباس (الملك المظلم) ؛
علي بن شرف الدين يوسف ؛
علي بن محمد أبو سعد ؛
علي بن يوسف بن تاشفين ؛
أبو الحسن البخارزي (الشاعر) : ٣٨٦ ، ٣٨٧ .
أبو الحسن بن صقر (الشاعر) : ٣٩٣ .
أبو الحسن بن فضل : ٢٠٣ .
أبو الحسن بن منير (الشاعر) : ٣٨٩ .
أبو الحسين الجزار (الشاعر) : ٤٠٢ .
أبو الحسين القوصي (الشاعر) : ٤٠٤ .
أبو زريق : ١٧٣ .
أبو السعادات بن أبي العثائر الواسطي (الشيخ) : ٣٥٠ .
أبو شامة (الشيخ شهاب الدين) : ١٨٩ .
أبو شجاع ، انظر : ألب أرسلان .
أبو الشجاع ، انظر : شاور بن مجير بن نزار (الوزير الفاطمي) .
أبو الطاهر (متولى ديوان الجيوش) : ١٥ .
أبو العباس بن أحمد بن أبي محمد الحسن (الحليفة الناصر لدين الله) : ٦٦-٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٣-٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٣-١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٥٣-١٥٥ ، ١٥٨-١٦١ ، ١٦٤-١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ .
أبو عبد الله ، انظر : محمد بن أبي العباس التيفاشي .
- أبو عبد الله البلسني : ٣٩٣ .
أبو عبد الله بن محمد بن محمد طبر (السلجوقي) : ٢١ .
أبو عزيز فتادة (صاحب مكة) : ١٧١ .
أبو العلاء المعري : ٢٤ .
أبو الفرج (الوزير عضد الدين) : ٦٦ .
أبو الفضل البغدادي (الشاعر) : ٣٩٠ .
أبو القاسم ، انظر : محمد طبر .
أبو كريم (الشيخ) : ١٨١ .
أبو المحاسن ، انظر : ماجد بن محمد .
أبو مسلم عبد الرحمن الخراساني : ٢١٩ .
أبو المظفر ، انظر : يوسف بن الجوزي (جمال الدين) ؛ المستنجد بالله يوسف .
أبو منصور الجواليقي : ١٥٠ .
أبو الوليد بن الحيان (الشاعر) : ٤٠٤ .
أبو يعقوب ، انظر : ابن عبد المؤمن .
أنس بن الكامل (الملك المسعود) : ١٥٦ ، ٢٧٩ .
أحمد بن الدامغاني (نثر الدين أبو طالب) : ٢٩٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
أحمد بن صلاح الدين الأيوبي (الملك المحسن بين الدين) : ١١٦ .
أحمد بن الظاهر عري (الملك الصالح صلاح الدين) : ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٣١٢ .
أحمد بن العادل (الملك المفضل قطب الدين) : ١٩٨ .
أحمد بن محمد (شرف الدين) : ٤٦ .
أحمد بن المظفر تقي الدين (شهاب الدين) : ٦٣ .
أخو زنتون : ٢١١ .
الأرجاني (القاضي) : ٣٨٧ .
أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملك شاه : ٦١ .
أرسلان شاه بن العادل (الملك الحافظ) : ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٨٣ ، ٣١٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .
أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود (نور الدين) : ١٢٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

- أرشاق بفان : ٢٨٤ .
 أرق بن كينغ بن كيكافوس بن تكان : ٢٤٩ ، ٢٤٨ .
 الأرمن : ١٨٤ ، ١٦٧ ، ١٥٩ .
 أرناط (رينودي شاتيون) : ٥٠ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٧١ .
 أزبك بن البهلوان السلجوقي : ٢٥١ .
 أزديشير : ٢١٩ .
 أسامة (عز الدين) : ١٢٠ ، ١٧٢ .
 أسامة بن منقذ (الأمير الشاعر) : ٣٩٠ .
 الأسبتار : ٢٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٤٣ ، ١٥٥ .
 إسحاق بن صلاح الدين (الملك المعز فتح الدين) : ١٤٨ ، ١١٦ .
 إسحاق بن العادل الأيوبي (تاج الملوك) : ١٩٨ .
 أسد الدين ، انظر : شيركوه بن شاذي (الملك المجاهد) ؛
 شيركوه بن محمد بن شيركوه .
 أسد الدين جفري : ٣٢٠ ، ٣١٦ ، ٣١٣ ، ٢٥٢ .
 الأسعد أبو المكارم ، انظر : ابن ممتي .
 الأسعد شرف الدين الفائز (القاضي) : ٣٧٧ .
 الإسكندر الأكبر المقدوني : ٢١٩ .
 إسماعيل (ملك السامانيين) : ٢١ .
 إسماعيل بن أبي الفوارس أحمد الأمضى (مجد الدين أبو طاهر) : ٣٤٥ ، ٣٤٦ .
 إسماعيل بن شاهان شاه (الملك الصالح) : ٢٠٦ .
 إسماعيل بن طغتكين بن أيوب (الملك المعز لدين الله) : ١٣٢ ، ١٥٦ ، ٢٠٥ ، ٦ .
 إسماعيل بن العادل (الملك الصالح عماد الدين أبو الحيش) : ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٨٣ ، ٣٠١ ، ٣١٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠ .
 إسماعيل بن عبد القوى (قاضي القضاة) : ٥٥ ، ٣٨٥ ، ٣٧٤ .
 إسماعيل بن نور الدين محمود (الملك الصالح) : ٨٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٩ .
 الإسماعيلية : ١٢٠ ، ١٧١ ، ١٨٣ .
 الأشرف بن الفاضل : ١٤٢ .
 أطن خان بن تثار خان كشكري : ٢٣٠ .
 الأعز العوريس (قاضي القضاة) : ٥٥ .
 أغز خان بن تثار خان كشكري : ٢٣٠ .
 الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي : ٢٧٦ .
 أفضل الدين ، انظر : محمد الخونجي (الفقيه) .
 أقباش : ٢٠٨ .
 إقبال الخاتوني (الأمير جمال الدين) : ٣٥١ .
 إقبال الشراي (شرف الدين) : ٣٤٨ .
 أفسنقر الزاهد (علاء الدين) : ٣٠٠ .
 أقطاي (فارس الدين) : ٣٨٢ .
 أقوش (مملوك صاحب أذربيجان) : ٢٥١ .
 أقوش النجبي الصالحى (الأمير جمال الدين) : ٣٨١ .
 الأكراد الروادية : ٦ .
 ألب أرسلان داود بن ساجوق (عضد الدولة أبو شجاع) : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٢١٧ ، ٢٤٩ .
 ألب أرسلان (الأمير سيف الدين) : ٢٧٩ .
 ألب قرا أرسلان بلجكي : ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٩٠ .
 ألدكنز : ٦١ .
 أطفنكتين : ٣٠١ ، ٣١٠ .
 أطن خان : ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ .
 ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
 أطنبغا الجحاف : ١٣٨ .
 الألمان : ١٠٥ ، ١٩١ .
 أماريك (جفري الكوند أسطبل) : ٥٣ .
 أمجل (صاحب مرقية) : ٥٣ .
 أمين الدين الحموي : ٢١٨ .

١٤٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٧، ١٧٩،
١٧٢، ١٧٥، ١٩٧، ٢٠٥.

(ب)

- البارومية : ٥٣ .
الباطنية ، انظر : الإسماعيلية .
باليان الثانى دى ابلين (ابن بارزان) : ٨٤ ،
٨٥ .
بخت نصر : ٢٠٢ .
بخشى : ٢٣٣ .
بدر الدين ، انظر - ابن موسى
- بيسرى
- بيليك الوزيرى
- دلدوم بن بهاء الدين يروق
- سليمان بن داود بن العاضد
- لؤلؤ النورى
- محمد بن أبى القاسم
- يوسف بن الحسن الزرزارى .
بدر الدين بن باخل : ٣٤٤ .
بدر الدين الذهبى (الشاعر) : ٣٩٩ .
بدر الدين السنجارى (القاضى) : ٣٧٨ .
بدر الدين الصوابى الصالحى : ٣٨٥ .
بدر الدين القمى : ٣٤٨ .
بدور (أم الخليفة المستضى بنور الله) : ٤٦ .
براق الحجاب : ٢٦١ .
برزجمير بن البختكان الفارسى : ٢١٩ ، ٢٢١ -
٢٢٥ .
برغش : ٣٥ .
بركة خان (حسام الدين مقدم التتار) : ٣٤٤ -
٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ .
برنقش (مجاهد الدين) : ١٠٠ .

- أمين الملك (صاحب هرة) : ٢٥٨ ،
٢٥٩ .
أندريه الثانى (ملك هنغاريا) : ١٩١ .
الأنكثير ، انظر : ريتشارد قلب الأسد .
أوك ، انظر : هيو الثانى .
أولاد الداية : ٤٣ .
أولاد الراعى : ١٦ .
أولى ، انظر : هيو الثانى .
أى أطام : ٢٢٣-٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٦ .
أيا خان : ٢٨٦ .
أيان (مملوك بدر الدين لؤلؤ) : ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
٣٠٨ .
أيبك : ٢٦٦ ، ٣٢٩ .
أيبك الأسمر الأشرفى (الأمير عز الدين) : ٣٤٣ .
أيبك التركمانى الصالحى (عز الدين) : ٣٨٣ ،
٣٨٦ .
أيبك الروى (عز الدين) : ٣٨٣ .
أيبك المعظمى (الأمير عز الدين - جد المؤلف) :
١٧٧ ، ٢٠٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٩٢ ،
٢٩٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ، ٣٥٦ ،
٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ .
أيتامش : ٢٦٠ .
أيدمر (مملوك صاحب الجزيرة) : ٣٩٩ .
أيزابلا أوبولاند : ١٨٣ .
أيلغازى بن نجم الدين أرتقى (قطب الدين) :
٧٨ ، ٣٥١ .
أيوب بن شاذى بن مروان (نجم الدين) : ٥٠ - ٩٠ ،
٥٠ ، ١٢٤ .
أيوب بن صلاح الدين (الملك الجواد نجم الدين) :
١١٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ .
أيوب بن العادل (الملك الأوحى نجم الدين) :

- بكتسر (الملك الناصر سيف الدين صاحب أخلاط) :
 . ٧٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٦١ ، ٣٢٢ .
 بلبان (سيف الدين مملوك شاه أرمن) : ١٦١ ،
 . ١٦٢ .
 بليان الرومي الدوادار (سيف الدين) : ٣٠٦ ،
 . ٣٧٢ .
 بلغاق : ٢٩٠ .
 البنادقة : ١٩٢ ، ٥٣ .
 بندارك (ملك التوباردية) : ٢١١ .
 بنو أمية : ٦ ، ٧ ، ٦٨ ، ١٣٢ ، ٣٥٠ .
 بنو أيوب : ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ٤٩ ، ١٢٤ ،
 . ١٥٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢٨٨ .
 بنو بويه : ٢٠ ، ٢١ ، ١٦٦ ، ٢١٧ .
 بنو رزيك : ٢٥ .
 بنو زنكي : ١٢٤ .
 بنو سلجوق : ٥ ، ٢٠ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٦ ،
 ٤٨ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١٠٦ ، ١٦٦ ، ١٧٥ ،
 ١٨٩ ، ٢١٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،
 . ٢٥٠ ، ٢٧٨ .
 بنو العباس : ٢٠ ، ٢١ ، ٤٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
 . ٣٥٠ ، ٣٩١ .
 بنو عبد المؤمن : ٦٨ ، ٣٢٠ .
 بنو غنزة : ٢٢٣ .
 بنو قشير : ٤٠ .
 بنو كلب : ٤٠ .
 بنو مرة بن عوف : ٧ .
 البهاء زهير الحجازي (الشاعر) : ٣٩٦ .
 بهاء الدين ، انظر : ابن شداد ؛
 ؛ ابن ملكيشو ؛
 ؛ زهير بن علي القوصي ؛
 ؛ قراقوش ؛
 . ؛ كشلوخان .
- بهاء الدين بن تاج الدين (الوزير) : ٣٥٧ .
 بهاء الدين بن الحميدي (الفقيه) : ١٨٣ .
 بهاء الدين الزردى (الشيخ) : ١٠٦ .
 بهرام أفيند بن يزدرج : ٢٤٨ .
 بهرام شاه بن فرخ شاه (الملك الأجد مجد الدين) :
 . ٦٧ ، ١٢٠ ، ٢٠٦ ، ٢٨٣ .
 بهلوان : ٢٨٦ .
 بوري بن أيوب (تاج الملوك) : ٧٧ ، ٩١ .
 بوهموند الثالث : ٣٣ ، ٩٥ .
 بيبرس البندقداري (الملك الظاهر ركن الدين) :
 ٩ ، ٨١ ، ٢٠٦ ، ٣٥٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦ ،
 . ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ .
 بيسرى (بدر الدين) : ٢١٨ .
 بيشخان بن جكرخان : ١٣١-٢٠٥ ، ٢٤٠ .
 بيليك الوزيرى (الأمير بدر الدين) : ٣٦٩ .
 البيهقي (أبو الحسن) : ٣٨٧ .
- (ت)
- تاج الدين ، انظر : ابن الساعي ؛
 عبد السلام الديماطي (ابن الحياط) ؛
 . علي بن محمد أبو سعد .
 تاج الدين بن الحرط (القاضي) : ٢٠٨ .
 تاج الملوك ، انظر : إسحاق بن العادل الأيوبي ؛
 . بوري بن أيوب .
 تبل : ٣٣٧ .
 التتار : ٢١ ، ٦٦ ، ٨١ ، ١١٢ ، ١٨٩ ،
 ٢٠٧-٢١٦ ، ٢١٩-٢٢٣ ، ٢٢٩-٢٤٤ ،
 ٢٥٠-٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧-٢٧٠ ،
 ٢٧٩ ، ٢٨٤-٢٨٦ ، ٢٨٩-٢٩١ ،
 ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ،
 ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،
 ٣٤٦ ، ٣٤٩-٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ .

(ج)

- جاهاني بن بهلولان أزيك : ٢٨٥ ، ٢٦٠ .
 جاي لوز جنان : ٥٣ ، ٥٢ .
 جبريل بن بختيشوع المتطبب : ٢١٩ ، ٢٢١ - ٢٢٧ .
 جرديك : ٣٥ .
 جعبر بن مالك : ٤٠ .
 جعفر بن شمس الخلافة (الشاعر) : ٢٧٩ .
 جعفر الصادق : ٢٤ .
 جفري ، انظر : أماليك .
 جكزخان بن تثار خان كشكري : ٢٣٠ .
 جكزخان ترجمي (ترجمي) : ٦٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ - ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ - ٢٥٩ ، ٢٦٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٤٢ .
 جلال الدولة ، انظر ملكشاه .
 جلال الدين ، انظر : حسن (إمام الإسماعيلية) :
 عبد الله بن المختار
 منكبرتي .
 جاز بن شيعة : ٣٢٠ .
 جمال الدين ، انظر : ابن واصل :
 لإقبال الخاتوني :
 أقوش النجيب الصالحى :
 عبد الرحمن بن علي (أبو الفرج بن الجوزي) :
 علي بن جرير :
 علي بن صفى الدين :
 محمد بن المظفر تقى الدين محمود (الملك المنصور) :
 يوسف بن الجوزي .
 جمال الدين البلايتي (ابن زيتون) : ٢١٨ .
 جمال الدين المصري (الشيخ) : ٢٨٨ .
 جمال الدين السملوطي (الشيخ) : ٢١٨ .
 جمال الدين بن القفطي (القاضي) : ٣٥١ .

- تثار خان ييفو : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ .
 تثار خان كشكري : ٢٣٠ .
 ترك (ج أترك) : ٢٠ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ .
 التركان : ٢١ ، ٥١٠ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٦٨ .
 السماويدي (الشاعر) : ٣٩١ .
 تقى الدين ، انظر : زاسكي بن نور الدين أرسلان شاه :
 عباس بن شاهان شاه :
 عباس بن العادل (الملك الأجد) :
 عمر بن أيوب :
 عمر بن العادل (الملك المغيث) .
 تسكان بن فيروز بن بهرام أفيند : ٢٤٨ .
 تسكان بن ميسور بن حنصرة : ٢٤٨ .
 تهرقاش (حسام الدين) : ٤٤ ، ٤٥ .
 تنكا خاتون : ٢٣٣ .
 تنكرد : ٤٩ .
 توران شاه بن أيوب (الملك المعظم فخر الدين) :
 ٥٠ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٢٠٤ .
 توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب (الملك المعظم غياث الدين) : ٢٠٥ ، ٣٤٣ ، ٣٧٣ - ٣٨٣ .
 توران شاه بن صلاح الدين الأيوبي (الملك المعظم) :
 ١١٦ ، ٣١٢ .
 توسيخان ، انظر : تولو خان بن جكزخان .
 تولو خان بن جكزخان (توسيخان) : ٢٥٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ .

حسن بن قتادة (صاحب مكة) : ٢٠٨ ، ٢٤٣ ، ٢٦٥ .

الحسن بن هاني (الشاعر أبو نواس) : ٢٨٢ .
الحسن بن يوسف بن محمد المقتني (الخليفة المستضيء
بنور الله أبو محمد) : ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٢٧١ .

حسين بن باريك المهراني (الأمير حسام الدين -
ابن كردم) : ١٠٢ ، ١٠٨ .

حسين بن طاهر : ٢٤٨ .

حطان بن منقذ : ٧٠ ، ٧٣ .

الحلواس : ١٥ ، ١٩ .

الحليم سعد الدين : ٣٣٦ .

حليمة السعدية : ١٩ .

حمدوس الصقلي (الشاعر) : ٤٠٣ .

حناء دى برين : ١٨٣ ، ١٩١ .

حيص بيص (الشاعر) : ٣٨٩ .

(خ)

خان بردى (زين الدين) : ٢٨٦ ، ٣٥٣ .

الحبوشاني (الشيخ نجم الدين) : ١٤ ، ١١٠ .
خراكي وبر : ٢٤٩ .

خسروشاه بن قليج أرسلان (صاحب الروم) :
١٦٩ .

خضر بن صلاح الدين (الملك الظاهر مظفر الدين) :
١١٦ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ .

الخطا : ٢٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٠٢ ، ٢٣٨ .
خطلبا (الأمير صارم الدين) : ٧٠ .

الخطيري (صاحب كتاب الزينة) : ٣٨٧ .

الحفاجي بن المستنصر بالله بن الظاهر : ٣٤٨ .

خليل بن الصالح نجم الدين أيوب : ٣٧٤ .

خليل بن قلاون الأثني (الملك الأشرف) : ٣٧٢ .

خواجا رشيد (وزير هلاون) : ٣٠٧ .

جمال الدين بن مصعب : ٧٤٩ ، ٢٥٠ .

جمال الدين بن مطروح (الشاعر) : ٣٦٠ ،
٣٨٤ ، ٤٠١ .

جمال الدين هارون (الأمير) : ٣٥٨ .

جمال الدين بن يسمور (الأمير) : ٣٦٥ ، ٣٨٠ ،
٣٨٥ .

جنكز نوين : ٢٨٤ .

جهاركس (الأمير نغر الدين أياز) : ١٢٤ ، ١٣١ ،
١٣٨ ، ١٧٠ .

جوسلين دى كورتناي : ٣٣ .

جوهرة النوبى : ٣٤٣ .

(ح)

الحاجري (الشاعر) : ٣٩٥ .

حجاج بن عبد الملك بن مروان : ١٩٠ .

حزاد بن جرهز : ٢٤٨ .

حسام الدين ، انظر : ابن أبي الهيجاء (السمين) ؛

بركة خان

تمرتاش

حسين بن باريك المهراني

سفر الأخلاص

على الحاجب

أؤلؤ

بولق أرسلان بن لميلة زى

حسام الدين بن أبي على الهذلي (الأمير) :

٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ،

٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ .

حسام الدين لاجين الدوفيل (الأمير) : ٣٧٢ .

حسن (جلال الدين) إمام الإسماعيلية : ١٧٦ .

حسن بن العادل (الملك الأشهد مجد لدين) : ١٩٧ .

الحسن بن غريب الحرسي (من بني مرة) : ٧ .

الرشيدي بن الزبير : ٣٢ .
 رشيد شروان شاه : ٢٥٥ .
 ركن الدين ، انظر : سليمان بن قليج أرسلان ؛
 شاهنشاه بن أيوب ؛
 قليج أرسلان بن كيخسرو ؛
 الهيجاوى .

الروافض : ٢٤ ، ٢٨١ .
 الروس : ٢٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .
 الروم : ٢٧ - ٢٩ ، ١٥٨ ، ١٨٢ ، ١٩٦ ،
 ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ،
 ٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٣٠١ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ،
 ٣١٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ .
 رومان (الكاف - صاحب رومية) : ٢١١ .
 رينشارد قلب الأسد (الأنكثير) : ١٠٢ ،
 ١٠٨ .

ريدا فرنس ، انظر : لويس التاسع .
 الريدكور ، انظر : وليم الثاني
 الريدكور (صاحب المساوى) : ٢١١ .
 ريموند الثالث : ٣٣ ، ٥٦ .

(ز)

زريق : ٣٣٨ .
 زكى الدين ، انظر : مسعود القاضى .
 زكى الدين بن يحيى الدين بن زكى الدين (القاضى) :
 ١٥٣ .

زنكى بن آقنقر : ٦ ، ٢٤٩ .
 زنكى بن قطب الدين مودود بن زنكى (الملك
 العادل - عماد الدين) : ٤٤ ، ٤٥ ، ١٠٤ ،
 ١٢٥ ، ١٣٢ ، ٢١٦ .
 زنكى بن نور الدين أرسلان شاه (تقي الدين) :
 ٣٠٦ .
 زهير بن على القوصى (الشاعر بهاء الدين) : ٢١٣ .

الخوارج : ٢٤٨ .

الخوارزمية : ٢٤٩ ، ٢٨٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،
 ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠ - ٣٥٤ ،
 ٣٥٨ - ٣٦٠ ، ٣٧٠ .

(د)

داود (نجر الدين) : ٥٥ .
 داود بن الأشرف (الملك الناصر) : ٧ .
 داود بن صلاح الدين (الملك الزاهر مجير الدين) :
 ١١٦ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٣١٢ .
 داود بن العادل (الملك الجواد شمس الدين) : ١٩٨ ،
 ٢٥٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٢٨ .
 داود بن المظفر عيسى بن العادل (الملك الناصر
 صلاح الدين) : ٢٠٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ،
 ٣١٧ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ - ٣٤٠ ،
 ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
 ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ .
 دلدريم بن بهاء الدين ياروق (بدر الدين) : ١٢٠ .
 الديوية : ٥٣ ، ٥٤ ، ٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٩٤ ،
 ٣٧٦ .

(ر)

راجح الحلى (الشاعر شهاب الدين) : ١٧٩ ، ١٨٦ .
 راجح بن قتادة : ٢٦٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ - ٣١٣ ،
 ٣٢٠ .

ربيعة خاتون بنت أيوب : ١٧١ .
 رزيك بن ملائم بن رزيك (العادل) : ١٨ ،
 ١٩ ، ٢٥ .

رستم بن جرهمز (صاحب القادسية) : ٢٤٨ .

- غازى
غازى بن المشطوب
غازى بن مودود بن زنكى
مرزبان
سيف الدين القيمرى (الأمير) : ٣٨٣ .
سيف الدين بن كهيدان : ١٩٦ .
سيف الدين المشد : ٤٠١ .
- (ش)
- شاذى بن صلاح الدين (الملك الأجد عماد الدين) :
١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ٣٠١ ، ٣٢٠ .
شاذى بن مروان : ٦٠٥ .
الشافعى (الإمام) : ١٧٠ ، ١٧٦ .
شاه أرمن بن سكمان (صاحب أخلاط) : ٧٨ ،
١٦١ .
شاه أرمن ، انظر : موسى بن العادل (الملك
الأشرف) :
شاهنشاه بن أيوب (ركن الدين) : ٩١ ،
٢٠٥ ، ٢٠٦ .
شاور بن بجر بن نزار (الوزير أبو شجاع) :
١٨ ، ١٩ ، ٢٥ - ٣٩ ، ١٤٢ .
شبرام (زين الدولة) : ٥٥ .
شجاع الدين ، انظر : مرشد المنصور .
شجر الدر : ٣٧٤ ، ٣٨١ - ٣٨٦ .
شرف الدين ، انظر : ابن عنين
ابن عين الدولة الإسكندرى القاضى
أحمد بن محمد
إقبال الشربانى
عبد العزيز بن محمد بن عبد الحى
عبد الله بن محمد بن أبي عصرون
محمد بن عز الدولة
يعقوب بن صلاح الدين
- شرف الدين الديباجى (الشاعر) : ٤٠١ .
الشريف (حاكم همدان) : ٢٥٤ .
الشريف الطوسى (الشاعر) : ٣٩٦ .
شمائل (الأمير علم الدين) : ٢٠٠ ، ٢٠١ .
شمس الدولة ، انظر : توران شاه بن أيوب .
شمس الدين ، انظر : إبراهيم بن العادل (الملك الفائز)
ابن خلصكان
ابن دانيال
ابن المقدم
داود بن العادل (الملك الجواد)
صواب العادل (الطواشى)
عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ
لؤلؤ
شمس الدين التينى : ١٧٨ .
شمس الدين الخواس : ٣٤٣ .
شمس الدين سبط الشيخ جمال الدين بن الجوزى :
٢٩٤ ، ٢٩٥ .
شمس الدين الطغرائى : ٢٥٥ .
شمس الدين بن العميد : ٣٦٠ .
شهاب الدين ، انظر : ابن بشر نخدام الناصرى
أبو شامة
أحمد بن المظفر تقي الدين
راجح الحلى
طغرل
غازى الخوارزمى
غازى بن العادل (الملك المنصور)
غازى بن العادل (الملك المظفر)
الغورى بن سام
مالك العقيلي
محمود بن تكش الحارى
شهاب الدين بن التلاعى : ١٥٥ .
شهاب الدين الحيوقي (الشيخ) : ٢٣٩ .

- شهاب الدين السهروردي (الشيخ) : ١٦٤ ،
١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٦٦ .
شهاب الدين بن شرف الدين بن أبي عصرون : ١٩٤ .
شهاب الدين بن مسعود (الأمير) : ١٦٣ ، ١٦٢ .
شيتم بن الزعفراني : ١٥٠ .
شيركوه بن شاذي (الملك المجاهد أسد الدين) :
٢٠٤ ، ١٥١ ، ٥٩ ، ٤٠ - ٢٦ ، ٧ ، ٦ .
٢٨٣ ، ٢٠٦ .
شيركوه بن محمد بن شيركوه (الملك المجاهد أسد الدين) :
٨٠ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٩١ ،
٢٦٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ ،
٣٣٣ ، ٣٣٥ - ٣٣٨ .
الشيء بنت الحارس بن عبد العزى : ١٩ .

(ص)

- صارم الدين ، انظر : خطبا ؛
قائمز النجمي .
صاروخان (عز الدين) : ٣٥٣ .
الصالح ، انظر : طلازم بن رزيك .
الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل : ١٧٧ ،
٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ،
٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ - ٣٣٩ ،
٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ -
٣٦٧ ، ٣٧٠ - ٣٧٧ .
الصباغ ، انظر : علي بن حميد (نور الدين أبو الحسن) .
صبيح : ٣٨٥ ، ٣٨٤ .
الصدر البكري ، انظر : الملق .
صدر الدين ، انظر : عبد الرحيم بن شيخ الشيوخ ؛
عبد الملك بن عيسى بن درباس .
صدر الدين بن المرحل (الشيخ ابن الوكيل) : ٢٤٩ .

- صفي الدين بن شكر (صاحب) : ٢٠٧ ،
٣٠١ ، ٣٥٦ .
صفي الدين بن مرزوق : ٣٣٣ ، ٣٣٤ .
صلاح الدين ، انظر : أحمد بن الظاهر غازي (الملك الصالح) ؛
يوسف أقيس بن الكامل (الملك المسعود) ؛
يوسف بن العزيز محمد .
صلاح الدين يوسف الأيوبي (السلطان الملك الناصر) :
٤ ، ٧ - ١٠ ، ١٤ ، ٢٦ - ٣٩ ، ٣٤ - ٤٤ ،
٤٧ - ١٢٠ ، ١٢٣ - ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،
١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
١٦٤ ، ١٨٦ ، ٢٠٤ - ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،
٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣١٠ ، ٣١٤ .
الصايبيون : ٢٧ ، ٢٨ ، ٦٤ .
صمصام الدين الخزندار العادلي (الأمير) : ٢٥٢ .
صواب العادلي (الطواشي شمس الدين) : ٢٧٧ ،
٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ .
الصوفي : ٣٠٧ .
الصوفية : ١٩٤ ، ٢٦٦ .

(ض)

- ضرغام بن عامر بن سوار (أبو الأشبال) : ٢٥ ، ٢٦ .
ضياء الدين ، انظر : ابن الأثير الجزري ؛
ابن عوف ؛
ابن كامل ؛
عيسى الهكاري .
ضيقة خاتون بنت العادل : ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٣٥٠ ،
٣٥١ .

(ط)

- الطالقاني (القاضي ناصح الدين) : ١٣١ .
طاهر الحلي (الفقيه) : ١٨٣ .
(٢٨ - ٧)

١٨١-١٨٧، ١٩٠-١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥،
٢٦١، ٢٦٤-٢٦٦، ٢٧٧، ٢٧٨،
٢٨٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٢٨،
العادل بن الكامل بن العادل : ٢٨٤، ٢٩٢،
٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٧، ٣٢٦،
٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧-
٣٤٠، ٣٦٣.

عاشورا خاتون بنت الكامل : ٣٠٨، ٣١٧.
العاضد لدين الله ، انظر : عبد الله بن أبي الحجاج
يوسف .

عباس بن شاهان شاه (تقي الدين) : ٢٠٦ .
عباس بن العادل (الملك الأجد تقي الدين) : ١٩٨،
٢٩٩، ٣١٣، ٣٢٤ .

عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ (شمس الدين) : ٢٩٦ .
عبد الرحمن بن عبد العلي (القاضي عماد الدين) :
١٦٥، ١٨٣ .

عبد الرحمن بن علي (الشيخ جمال الدين أبو الفرج
ابن الجوزي) : ١٥٠، ٣١٧، ٣٤٩ .
عبد الرحيم (الإمام صدر الدين أبو القاسم بن شيخ
الشيوخ) : ٦٨، ١٤٧، ١٩٣، ١٩٤،
١٩٦، ٢٠٨ .

عبد الرحيم بن علي البيهقي (القاضي الفاضل) : ١١٤،
١٢٩، ١٤١-١٤٥، ٣٩١ .
عبد الرحيم العمري الحسيني (الشيخ القناوي) : ١٨١ .
عبد السلام الدمياطي (القاضي تاج الدين بن الحياط) :
١٨٣ .

عبد الصمد (القاضي) : ٥٥ .
عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري
(شرف الدين) : ٣٥٧ .

عبد العظيم المحدث (الفقيه) : ٣١٧ .
عبد اللطيف بن عبد الوهاب الواعظ : ٣٤٨ .
عبد الله بن أبي الحجاج يوسف بن الحافظ أبي اليمون

طاووس (أم الخليفة المستنجد بالله) : ١١ .
طرباط (صاحب البندقية) : ٢١١ .
طرخان (عز الدين) : ١٥ .
طفتكين بن أيوب (سيف الإسلام ظهير الدين -
المنز لدين الله) : ٦، ٧٠، ٧٢، ٧٣،
٧٨، ٩١، ١٢٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٧،
١٧٧، ٢٠٤، ٢٠٥ .

طغرل شاه بن قليج أرسلان السلجوقي : ١٧٤،
١٧٥ .

طغريل (الأمير سيف الدين) : ٣٥٧ .
طغريل (الأمير شهاب الدين) : ١٨٥، ١٨٦ .
طغريل ملكشاه : ٢١، ٢٦٢ .

طلائع بن رزيك (الوزير - الصالح) : ١٢، ١٣،
١٥-١٩، ٢٥ .
طلي بن شاور : ٢٥ .

(ظ)

الظافر بن الحافظ (الخليفة العباسي) : ١٢ .
الظافر بن صلاح الدين الأيوبي : ١٠٠ .
الظاهر بأمر الله ، انظر : محمد بن أبو العباس أحمد
(الخليفة) .

الظهير بن سنقر الحلبي : ٣٣٧، ٣٣٨ .
الظهير أخو عيسى الهسكاري (الفقيه) : ٦٣ .
ظهير الدين ، انظر : طفتكين بن أيوب .

(ع)

العادل ، انظر : رزيك بن طلائع بن رزيك .
العادل الأيوبي (الملك سيف الدين أبو بكر) : ٦،
٧، ٤٣، ٥٨، ٦٣، ٦٨، ٧٦، ٧٩،
٨٢، ٩١، ٩٤، ١١٠، ١١٣، ١٢٠،
١٢٣-١٤١، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٣-
١٦١، ١٦٥-١٧٢، ١٧٥-١٧٨،

- عبد المجيد (الخليفة العاضد لدين الله أبو محمد) : ١٢-١٩ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ .
- عبد الله بن أسعد الموصلی (نزيل حمص) : ١٧ .
- عبد الله بن توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب (الملك الموحد) : ٣٤٣ .
- عبد الله بن طاهر بن حسين : ٢٤٩ .
- عبد الله بن محمد بن أبي عسرون (القاضي شرف الدين) : ١٠٩ .
- عبد الله بن المختار (جلال الدين) : ٢٩٦ .
- عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر بالله (الخليفة) : ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ .
- عبد الله بن المعتز (الخليفة العباسي) : ٣٥٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٩ .
- عبد المسيح (نضر الدين) : ٤٤ ، ٤٥ .
- عبد الملك بن عيسى بن درباس (القاضي صدر الدين) : ٤٧ ، ١٢٣ ، ١٦٥ .
- عبد المؤمن بن علي اقيسي الكومي (سلطان المغرب - أبو محمد) : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .
- عبد النبي بن محمد (صاحب زبيد) : ٥٧ .
- عثمان (الأمير عز الدين - صاحب عدن) : ٥٧ .
- عثمان بن الداية (سابق الدين) : ١٢٠ .
- عثمان بن صلاح الدين الأيوبي (الملك العزيز عماد الدين) : ٨٢ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣-١٢٦ ، ١٢٨-١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٣١٢ .
- عثمان بن العادل (الملك العزيز عماد الدين) : ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٤ .
- عثمان بن عفان : ٨٨ ، ٩٧ ، ١٣٤ .
- عثمان بن قزل (نضر الدين) : ٣٠٦ .
- العجم : ٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٦٦ ، ١٥٠ ، ٢١٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ .
- عز الدين (صاحب ماردين) : ١٣٧ .
- عز الدين أبقر : ٣٠٥ .
- عز الدين بن عبد السلام (الشيخ) : ٣٤٧ .
- عصمة الدين خاتون بنت العادل الكبير : ٢١٦ .
- عصمة الدين خاتون (أم السلطان علاء الدين خوارزم شاه) : ٢٥٠ .
- عضد الدولة أبو شجاع ، انظر : ألب أرسلان .
- عضد الدين ، انظر : أبو الفرج .
- العفيف المعري (الشاعر) : ٣٩٨ .
- عفيف الدين التلمساني (الشاعر) : ٤٠٤ .
- العقيليون : ٤٠ .
- عرب (العربان) : ٣ ، ٦ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ١٩٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٩ ، ٣٣٠ ، ٣٧٢ ، ٣٨٠ .
- عرقلة الدمشقي (الشاعر) : ٤٩ .
- عز الدين ، انظر : إبراهيم بن شمس الدين بن المقدم
- ابن الأثير الجزري
- أسامة
- أيبك الأسمر الأشرفي
- أيبك التركاني الصالحی
- أيبك الرومی
- أيبك المعظمی
- صاروخان
- طرخان
- عثمان (صاحب عدن)
- فرخ شاه بن شاهنشاه
- قلج أرسلان
- القميري
- كيككوس بن عز الدين كيخسرو
- مسعود بن مودود بن زنكي
- موسك

- علاء الدين ، انظر : أقسنقر الزاهد ؛
 كيقباز بن كيخسرو .
 علاء الدين (الملك السعيد-صاحب الموصل) : ١٠٤ .
 علم الدين ، انظر : سليمان بن جندر ؛
 شمائل .
 علم الدين (الأمير غلام الطالقاني) : ١٣١ .
 علم الدين السنجاري (الشيخ) : ١٩٦ .
 علي (حسام الدين الحاجب) : ٢٦٦ ، ٢٧٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢١ .
 علي (زمام القصر) : ٢٥ .
 علي بن أبو العباس أحمد : ١٥٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .
 علي بن أبي طالب : ٢٢ ، ٢٣ ، ٨٨ ، ١٠٩ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ، ٢٢٦ ، ٢٩٦ .
 علي بن أبي علي الآمدي (سيف الدين) : ٢٦٣ .
 علي بن أحمد المرى : ٧ .
 علي بن أحمد المشطوب (سيف الدين) : ١٠٠ ، ١٠٧ .
 علي بن جرير (الوزير جمال الدين) : ٣٢٣ ، ٣٣٢ .
 علي الحريري (الشيخ) : ٢٥٠ ، ٣٦٢ .
 علي بن حميد (الشيخ نور الدين أبو الحسن الصباغ) : ١٨١ .
 علي بن سعيد الأندلسي (الشاعر) : ٣٤٤ .
 علي بن شرف الدين يوسف (القاضي زين الدين أبو الحسن) : ١٢٣ ، ١٣٨ .
 علي بن صفى الدين بن الطريقة (الرئيس جمال الدين) : ١٨٥ .
 علي بن صلاح الدين (الملك الأفضل نور الدين) : ٨٢ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ٢٠٥ ، ٢٧٥ .
 علي الفاسي (الشيخ) : ٣٢٣ .
 علي بن قايح (الأمير سيف الدين) : ٣٢٨ .
 علي كوجك (زين الدين) : ٣٨ ، ٤٤ ، ٣٩٠ .
 علي بن محمد أبو سعد (أبو الحسن تاج الدين بن حمدان) : ١٧٠ .
 علي بن المظفر تقي الدين محمود (الأفضل نور الدين) : ٣٥٦ .
 علي بن موسى الرضى : ٢٦٩ .
 علي بن موسى بن سعيد (الشاعر) : ٤٠٥ .
 علي بن يوسف بن تاشفين (أبو الحسن) : ٢٣ .
 عماد الدين ، انظر : ابن موسك ؛
 إسماعيل بن العادل (الملك الصالح) ؛
 زنكي بن قطب الدين بن مودود ؛
 شاذي بن صلاح الدين ؛
 عبد الرحمن بن عبد العلي ؛
 عثمان بن صلاح الدين ؛
 عثمان بن العادل (الملك العزيز) ؛
 يحيى الحسنى البصري .
 عماد الدين الأصفهاني الكاتب : ٢٣ ، ٤٠ ، ٩٠ ، ١٥٢ ، ٣٩١ .
 عماد الدين بن صدر الدين بن حمويه (ابن شيخ الشيوخ) : ١٩٤ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ .
 عماد الدين بن المشطوب (الأمير) : ١١٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ .
 عمارة اليمني (الشاعر) : ١٨ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٩٢ ، ٥٥ .
 عمر بن الأسعد : ٣٧٢ .
 عمر بن أيوب (الملك المظفر تقي الدين) : ٤١ ، ٥٦ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ٢٠٦ .
 عمر بن الخطاب : ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٢٧٤ .

- عمر بن الصالح إسماعيل (الملك المغيث) : ٢٠٦ .
 عمر بن الصالح أيوب (الملك المغيث فتح الدين) :
 ٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ .
 عمر بن العادل (الملك المغيث تقي الدين) : ١٩٧ ،
 ٢٠٥ .
 عمر بن العادل بن الكامل بن العادل (الملك المغيث
 فتح الدين) : ٣١٨ ، ٣٦٣ ، ٣٨٥ .
 عمر بن علي بن رسول (الأمير نور الدين) :
 ٢٤٣ .
 عموري بن علي بن رسول (الأمير نور الدين) :
 ٢٤٣ .
 عموري الأول : ٢٧ - ٣٢ ، ٨٤ .
 المنكر (ملك الفرنج) : ١٩١ .
 عون الدين ، انظر : ابن هبيرة (الوزير) .
 عيسى (الخليفة العائز بالله أبو القاسم) : ١٢ .
 عيسى بن العادل (الملك المعظم) : ٧ ، ٥١ ، ٥٦ ،
 ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ،
 ١٧٧ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ -
 ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٦٥ - ٢٦٩ ،
 ٢٨٠ - ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٥ - ٢٩٧ ، ٣٢١ .
 عيسى بن مريم (المسيح) : ٥٢ ، ٩٩ ، ٢١٦ ،
 ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٦٦ ، ٣٨٥ .
 عيسى الهكاري (الفقيه ضياء الدين) : ٦٣ ، ٩٠ ،
 ٩٤ ، ١٠٠ - ١٠٢ ، ١٠٦ .
- (غ)
- غازي (الأسد) : ١٥ ، ١٩ .
 غازي (الأمير سيف الدين) : ١٠٢ .
 غازي بن جبريل : ١٥٦ .
- غازي الخوارزمي (شهاب الدين) : ٣٢١ .
 غازي بن سنجر شاه : ١٦٧ ، ١٦٨ .
 غازي بن صلاح الدين (الملك الظاهر غياث الدين) :
 ٩ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٠ ،
 ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ،
 ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ،
 ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٤ - ١٨٦ ،
 ٢٠٥ ، ٣١٤ .
 غازي بن العادل (الملك المظفر شهاب الدين) :
 ١٩٨ ، ٢٦٦ ، ٢٨٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ -
 ٣٠٣ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ،
 ٣٥٠ ، ٣٥٧ .
 غازي بن المشطوب (سيف الدين) : ٥٦ .
 غازي بن مودود بن زنكي (سيف الدين) : ٣٨ ،
 ٤٤ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٩ .
 غازية خاتون بنت الملك العزيز : ٣٣٠ .
 غازية خاتون بنت الملك الكامل : ٣٠٤ ، ٣٥٧ .
 غريب (أم الخليفة المستنصر بالله) : ٢٨١ .
 الغزالي (الإمام أبو حامد) : ٢٦٣ .
 الغوري بن سام (شهاب الدين) : ١٣٣ ، ١٣٤ .
 غياث الدين ، انظر : غازي بن صلاح الدين ؛
 كيخسرو ؛
 كيخسرو بن علاء الدين بن كيخسرو ؛
 محمد بن سام .
 غياث الدين أبو الفتح السلجوقي : ٢١ .
 غياث الدين بن شهاب الدين الغوري (صاحب
 الهند) : ٣٢٠ .

(ف)

فارس الدين ، انظر : أقطاي .

٩٨-١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٣١ ،
١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥١ ،
١٥٤-١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ،
١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٩٠-٢٠٣ ، ٢٠٦-٢١٢ ،
٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٣ ، ٢٦٤ ، ٢٨٠ ،
٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ،
٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ،
٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٥ ،
٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥-٣٨١ .

فروخ (صاحب بيروت) : ٥٣ .

فضل الدولة الأيوبرى (الشاعر) : ٣٨٨ .

فليت : ١٧٧ .

الفونس التاسع (ملك قشتالة) : ١٢٧ .

فيروز بن بهرام أفيند : ٢٤٨ .

(ق)

القادر بالله (الخليفة العباسى) : ٢٧١ .

قاس (فليج - مملوك خوارزم شاه) : ٣٠٣ .

القاضى الفاضل ، انظر : عبد الرحيم بن على
البيسانى .

قايتاز (الأمير مجاهد الدين) : ١٢٦ .

قايتاز النجمى (الأمير صارم الدين) : ١٢٤ .

قتادة بن إدريس (الشريف صاحب مكة) :
٢٦٥ .

قرا أرسلان (الملك المظفر) : ٣٣٥ .

قرا أرسلان بلجى : ٢٣٠ .

قراجا الكبير : ١٣٨ .

قرا جكون برجى : ٦٦ .

القرا خطمين : ١٦٢ .

قراقوش الأسدى (بهاء الدين) : ٤٢ ، ٨٣ ،

٩٤ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٥١ .

قارس الدين أبو الهيجاء : ٣٧٦ .

قارس المسلمين ، انظر : ضرغام بن عامر .

القائز بالله ، انظر : عيسى (أبو القاسم) .

فاطمة خاتون بنت الملك الكامل : ٣٠٤ .

الفاطميون (العبيديون) : ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ،

٢٧٦ ، ٢٦٣ .

فتح الدين ، انظر : إسحاق بن صلاح الدين ؛

عمر بن العادل بن الكامل بن العادل (الملك المغيث) .

فتيان الشاغورى (الشاعر) : ٣٩٨ .

الفخر بن بصفة : ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

نفر الدين ، انظر : أحمد بن الدامغانى (أبوطالب) ؛

توران شاه بن أيوب ؛

جهازكس ؛

داود (صاحب حصن كيفا) ؛

عبد المسيح ؛

عثمان بن قزل ؛

نفر الدين بن أبى ذكرى (الأمير) : ٣٨٣ .

نفر الدين حسين (الأمير) : ٣٨٣ .

نفر الدين الرازى (الإمام ابن خطيب الرى) : ٢٦٣ .

نفر الدين بن صدر الدين بن حويه (ابن شيخ الشيوخ) :

١٩٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٢٨ ،

٣٢٩ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣-٣٧٦ .

العداوية : ٦٠ ، ١٢٧ ، ١٢٩ .

فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب (الملك المنصور

عز الدين) : ٦٧ ، ٦٩ ، ٩١ ، ٢٠٦ .

فردريك بربروسا (ملك الألمان) : ١٠٥ .

فردريك الثانى (إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة) :

٢٨٤ ، ٣٦٥ .

الفرس : ٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٤٨ .

الفرنج : ٨-١٠ ، ١٥ ، ٢٧-٣٤ ، ٣٧ ، ٤١-٤٤

٤٤ ، ٤٩-٥٥ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧١ ،

٧٢ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩-٩٤ ،

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٥ -
٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ،
٢٦١ - ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ - ٢٨٤ ،
٢٨٧ ، ٢٨٩ - ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ -
٣٢٠ ، ٣٢٤ - ٣٣٣ ، ٣٤٥ ، ٣٦٥ ،
٣٨٠ .

الكرج : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٥١ ،
٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
السكرجية (زوجة الأشرف موسى) : ٣٠١ .
كرد (أكراد) : ٥ - ٧ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٢٤ ،
١٢٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٥١ ، ٢٦٨ ، ٣٠٣ ،
٣٧٠ .

كرمريك (صاحبه صقلية) : ٢١١ .
كرموك بن الباب : ٢١١ .
كشكري بلجكي : ٢٢٧ .
كشلوخان (بهاء الدين) : ٢٤٠ ، ٣٥٣ ،
٣٦٠ .

كمال الدين ، انظر : ابن العديم (الفاضل) ؛
ابن الزبيد (الشاعر) ؛
محمد بن طاحنة (أبو سالم) .
كمال الدين بن صدر الدين بن حمويه (ابن شيخ
الشيوخ) : ١٩٤ ، ٣٤٧ .

كش خان بن ألطن خان : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،
٢٣٥ ، ٢٣٦ .
كش خانون : ٣٧٢ .
كشتكين (سعد الدين) : ٤٥ .

كندريس : ٢١١ .
كندفور : ٢١١ .
كندكين : ٢٨٦ .
الكنز : ٥٨ .
كهومرت : ٢٢٣ .
كوج تكين : ٢٨٦ .

القرامطة : ١٧٦ .

قشتمر (مملوك الخليفة الناصر) : ٢٥٣ .

قطب الدين ، انظر : ابن العجمي ؛
أحمد بن العادل (الملك الفضل) ؛
إبلغازي بن نجم الدين أرتق ؛
سقيان بن محمد بن قرا أرسلان ؛
محمد بن زندي بن قطب الدين مودود ؛
ملكشاه بن قليج أرسلان ؛
مودود بن زندي ؛
موسى بن صلاح الدين .

قطب الدين بن مجلي : ٣١٠ ، ٣١٢ .

قطو خان بن جكرخان تمرجي : ٢٧٠ .

قفجاق : ١٧٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

قلاون الألفي الصالحى (الملك المنصور) : ٩ .

قليج أرسلان بن سليمان بن قليج أرسلان : ١١٢ .

قليج أرسلان بن مسعود (السلطان عز الدين) : ١١١ .

قليج أرسلان بن أرسلان بن كيخسرو (ركن
الدين) : ٧٩ ، ٣٥٦ .

قليج أرسلان بن المنصور محمد (الملك الناصر) :

١٥٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٦٣ ، ٢٩٥ .

القمص صاحب أنطاكية ، انظر : يوهيموند
الثالث .

قنبر - عنبر ، انظر : سعيد السعداء .

قوت القلوب (أم الخليفة المستعصم) : ٣٤٨ .

القيمرى (الأمير عز الدين) : ١٠٢ ، ٣٨٣ .

(ك)

الكارم : ٧١

الكامل بن العادل الأيوبي (السلطان) : ٥ - ٩ ،

١١٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٧ ،

١٤٨ ، ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ،

١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ،

(م)

- ماجد بن محمد (الشاعر أبو الحسن) : ١٨٥ .
 ماريا كومنين : ٨٤ .
 مالک العقيلي (شهاب الدين) : ٤٠ .
 المأمون بن الرشيد (الخليفة العباسي) : ٢١٩ .
 ماهويه : ٢٤٨ .
 المبارك بن خطايج : ١٩٦ .
 مبارك بن منقذ (سيف الدولة) : ٥٧ .
 المتنبي (الشاعر) : ٧ .
 مجاهد الدين ، انظر : برنقش ،
 قايماز
 مجد الدين ، انظر : ابن الأثير الجزري
 إسماعيل بن أبي الفوارس أحمد (الامطى)
 بهرام شاه (الملك الأمجد)
 حسن بن العادل (الملك الأمجد)
 مجد الدين أبو السعادات : ١٢٤ .
 مجد الدين الحلبي (الشاعر) : ٣٩٤ .
 مجلي (الفقيه) : ١٢ .
 مجير الدين ، انظر : داود بن صلاح الأيوبي ؛
 يعقوب بن العادل (الملك المعز) .
 مجير الدين (خادم السلطان الكامل) : ٣٢٧ .
 مجير الدين بن حسين (الأمير) : ٣٨٨ .
 مجير الدين الخوارزمي (القاضي) : ١٨٩ .
 محسن الصالحى (الطواشى) : ٣٧٩ .
 محمد بن أبو العباس أحمد (الخليفة الظاهر بأمر الله) :
 ٩٨ ، ١٥٨ ، ٢٤٣ ، ٢٧١-٢٧٤ ،
 ٢٨١-٢٧٩ .
 محمد بن أبو العباس التيفاشي (الفقيه أبو عبد الله) : ٢٣ .
 محمد بن أبو القاسم (الأمير بدر الدين) : ١٩٢ .
 محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشى (نور الدين
 النسوى) : ٣٠٣ .

- كوكبورى بن زين الدين كوجك (مظفر الدين) :
 ٣٨ ، ٧٣ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٤ ، ٣١٠ .
 كومية (قبيلة) : ٢٤ .
 كيخسرو بن علاء الدين كيقباز بن كيخسرو
 (غياث الدين) : ٣٢٠ ، ٣٣٠ ،
 ٣٣١ ، ٣٣٥ .
 كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوق (غياث
 الدين) : ١١١ ، ١١٢ ، ١٧٤ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٢ ، ٢٨٥ .
 كينغ بن كيكوس بن تكان بن فيروز : ٢٤٨ .
 كيقباز بن كيخسرو (علاء الدين) : ١١٢ ،
 ١٧٤ ، ٢٥٦ ، ٢٨٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
 ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣١٩ .
 كيكوس بن تكان بن فيروز بن بهرام : ٢٤٨ .
 كيكوس بن عز الدين كيخسرو (عز الدين) :
 ١١٢ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٦ ،
 ٢٧٦ ، ٣٥٣ .
 كيكوس بن غياث الدين كيخسرو : ١٧٤ ،
 ١٧٥ ، ٢٤٧ .

(ل)

- اللسكر : ٢٥٥ ، ٢٥٦ .
 لؤلؤ (الأمير حسام الدين) : ٧٢ .
 لؤلؤ (الأمير شمس الدين) : ٣٦١ .
 لؤلؤ الصقاي (زمام القصر) : ٢٥ .
 لؤلؤ النورى (بدر الدين - الملك الرحيم) : ١٢٦ ،
 ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٥٣ ،
 ٢٦٧ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٣٠٦-٣٠٨ ،
 ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ .
 لويس التاسع (ريدا فرنس) : ٣٦٥ ، ٣٦٦ .
 ليوبولد السادس (دوق النمسا) : ١٩١ .

١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٨٥ ،

٢٠٥ .

محمد النورى (الملك) : ٧١ .

محمد بن قرا أرسلان (نور الدين) : ٧٥ .

محمد بن قلاون الألفى الصالحى (الملك الناصر) :

٣٧٢ ، ٩ .

محمد بن محمد بن أحمد النسوى : ١٨٩ .

محمد بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق (الملك الصالح

ناصر الدين) : ٢٦٤ .

محمد بن المظفر تقى الدين محمود (الملك المنصور ناصر

الدين) : ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ، ٢٦٣ ،

٢٩٥ ، ٣١٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ .

محمد بن المظفر غازى (الملك الكامل ناصر الدين) :

٣٥٧ .

محمد بن المقنفى لأمر الله (الخليفة المستنجد أبو المظفر

يوسف) : ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٦ ،

٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ .

محمد بن ميكائيل بن سلجوق : ٢١ .

محمد بن نصر القيصرانى (الشاعر) : ٣٨٩ .

محمد بن يعقوب : ٦ ، ١٧٢ .

محمد اليونانى (الفقيه) : ٣٢٣ .

محمود بن تكش الحارمى (شهاب الدين) : ٤١ ، ٥٩ .

محمود بن داود (نور الدين) : ٥٥ .

محمود بن زنى (الملك العادل نور الدين) : ٦-٨ ،

٢٥-٣٥ ، ٤٠-٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦-٥٧ .

٥٩ ، ٨٩ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٥٢ ، ١٩٣ ،

١٩٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ .

محمود بن سنجر شاه : ١٦٧ .

محمد بن أسد الدين شيركوه (الملك الفاهر ناصر الدين) :

٥٩ ، ٨٠ ، ٢٠٤ .

محمد بن أسعد بن على بن معمر الحسينى : ٩٦ .

محمد بن تكش خوارزم شاه (السلطان علاء الدين) :

٢١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٨ ،

١٨٨ ، ١٨٩-١٩١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ،

٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٧-٢٤٤ ،

٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٩ ، ٣٠٣ .

محمد بن تومرت (المهدي) : ٢٣ ، ٢٣ .

محمد الخونجى (الفقيه أفضل الدين) : ٣١٩ .

محمد بن زنى بن قطب الدين مودود (قطب الدين) :

١٣٢ ، ٢١٦ .

محمد بن سام (غياث الدين) : ١٣٣ .

محمد بن سنجر شاه (الملك المنصور) : ٣٣٥ .

محمد بن صلاح الدين (الملك الأشرف نصير الدين) :

١١٦ .

محمد طبر (أبو القاسم) : ٢١ .

محمد بن طلحة النصيبى (كمال الدين أبوسالم) : ٢٣ .

محمد بن عبد الرحيم البلخى : ٢٤٥-٢٤٩ .

محمد بن عبد الله (النبى) : ٣-٥ ، ٧ ، ١٩ ، ٣١ ،

٣٩ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٧ ،

١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٥ ، ١٣٥ ،

١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٧٠ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ،

٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٧١-٢٧١ ،

٢٧٥ ، ٣٥٠ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٨ ،

٤٠٦ .

محمد بن عز الدولة (القاضى شرف الدين) : ١٨٣ .

محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين (الملك المنصور

ناصر الدين) : ١٠٣ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ،

مسعود بن محمد طبر : ٢١ .
 مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر (عزالدين) :
 ٦٩ ، ٧١ ، ٧٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .
 مسعود بن نور الدين أرسلان (عزالدين) : ١٧٥ ،
 ١٩٧ .
 مسلم (مسلمون) : ١٠ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٩ ،
 ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٢ ،
 ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ،
 ١٠٠-١٠٩ ، ١١٧ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ،
 ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ،
 ١٧٢ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ،
 ١٩٨-٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،
 ٣٥٣ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ ،
 ٣٧٦ ، ٣٧٧-٣٨٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ،
 ٤٠٦ .
 المصامدة : ٢٣ ، ١٠٩ .
 مصطنع الملك : ٥٥ .
 مطرف الغرناطي (الشاعر) : ٤٠٣ .
 مظفر بن رسول ، انظر : يوسف بن رسول .
 مظفر الدين ، انظر : خضر بن صلاح الدين ؛
 كوكبوري ؛
 يونس بن مودود بن العادل (الملك الجواد) .
 معاوية بن أبي سفيان : ٣٢٨ .
 المعز لدين الله ، انظر : لإسماعيل بن طغتكين .
 المعز لدين الله الفاطمي : ٢٤ .
 معين الدين ، انظر : سنجر شاه .
 معين الدين بن صدر الدين بن حمويه (ابن شيخ
 الشيوخ) : ١٩٤ ، ٣٤٣ ، ٣٥٤-٣٥٩ ،
 ٣٧٤ .

محمود بن الصالح لإسماعيل (الملك المنصور نورالدين) :
 ٢٠٦ ، ٣٢٤ ، ٣٥٩ .
 محمود بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان (نورالدين) :
 ٧٣ ، ١٥١ .
 محمود بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه
 (الملك المظفر) : ٢٦٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٤ ،
 ٣٢٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧ ،
 ٣٥٦ ، ٣٥٧ .
 محي الدين ، انظر : ابن أبي عصرون ؛
 ابن عبد الظاهر .
 محي الدين بن الجوزي : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ .
 محي الدين بن زكي الدين (قاضي قضاة دمشق) :
 ٧٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٥٣ .
 مخلص الدين ، انظر : لإبراهيم بن إسماعيل بن قرماص .
 مرح كحل المغربي (الشاعر) : ٤٠٣ .
 مرزبان (الأمير سيف الدين) : ١٩٢ .
 مرزبان مرو : ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
 مرشد المنصوري (الطواشي شجاع الدين) : ٣٥٧ .
 مروان بن محمد بن يعقوب : ٥ ، ٦ .
 مري ، انظر : عموري الأول .
 المسترشد بالله (الخليفة) : ١٨٧ .
 المستضيء بنور الله ، انظر : الحسن بن يوسف بن محمد
 المقتني (أبو محمد) .
 المستعصم ، انظر : عبد الله المستعصم بالله بن المستعصم بالله .
 المستنجد بالله ، انظر : محمد بن المقتني لأمر الله .
 المستنصر الفاطمي (الخليفة) : ١٩ ، ١٤٩ .
 مسعود (القاضي زكي الدين) : ٢٦١ .
 مسعود الرهاوي (الشيخ) : ٣٢٣ .
 مسعود بن صلاح الدين (الملك المؤيد نجم الدين) :
 ١١٦ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ،
 ١٧١ .

الملك الرحيم ، انظر : لؤاؤ (بدر الدين) .
 الملك الزاهر ، انظر : داود بن صلاح الدين
 الملك السعيد ، انظر : علاء الدين
 الملك السعيد بن الصالح إسماعيل : ٢٠٦ .
 الملك الصالح ، انظر : أحمد بن الظاهر غازي (صلاح الدين) ؛
 إسماعيل بن العادل (عماد الدين) ؛
 إسماعيل بن نور الدين (أبو الجيش) ؛
 إسماعيل بن شاهان شاه ؛
 محمد بن محمد بن قرأرسلان بن أرتق (ناصر الدين) .
 الملك الظاهر ، انظر : خضر بن صلاح الدين
 الملك الظاهر بن الصالح إسماعيل . ٢٠٦ .
 الملك الظاهر ، انظر : يبرس البندقداري (ركن الدين) ؛
 غازي بن صلاح الدين .
 الملك العادل انظر : زكي بن قطب الدين مودود ؛
 محمود بن زكي .
 الملك العزيز ، انظر : عثمان بن صلاح الدين ؛
 عثمان بن العادل (عماد الدين) .
 الملك العزيز بن الظاهر غازي : ١٧٦ ، ١٧٩ ،
 ١٨٤ - ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ،
 ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣١٨ ، ٣٤١ .
 الملك الغالب ، انظر : ملكشاه بن صلاح الدين .
 الملك الفائز ، انظر : إبراهيم بن العادل (شمس الدين) .
 الملك القاهر ، انظر : محمد بن أسد الدين شيركوه .
 الملك القاهر بن الصالح نجم الدين أيوب : ٣٧٤ .
 الملك الكامل ، انظر : محمد بن المظفر غازي (ناصر الدين) .
 الملك المجاهد ، انظر : شيركوه (أسد الدين) ؛
 شيركوه بن محمد بن شيركوه .
 الملك مجير الدين ، انظر : يعقوب بن شاهان شاه .
 الملك المحسن ، انظر : أحمد بن صلاح الدين .
 الملك المسعود ، انظر : أنس بن الكامل ؛
 يوسف أقديس بن الكامل بن العادل (صلاح الدين)
 الملك المسعود بن الصالح إسماعيل : ٢٠٦ .

معين الدين بن مهاجر : ٣١٦ .
 المغاربة : ١٠٩ .
 المغرب : ٢٤٤ .
 المغول : ١٦٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،
 ٢٧٠ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧ .
 مغيث الدين (صاحب أرزن الروم) : ١٦٢ .
 مفرج (الشيخ) : ١٨١ .
 المقتني لأمر الله (الخليفة العباسي) : ١١ .
 المثلثون : ٢٣ .
 الملق (الصدر البكري) : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
 الملك الأشرف ، انظر : خليل بن قلاون الألفي ؛
 محمد بن صلاح الدين ؛
 موسى بن إبراهيم بن الأجددهرام شاه ؛
 موسى بن إبراهيم بن شيركوه ؛
 موسى بن العادل ؛
 موسى بن الكامل بن العادل .
 الملك الأغر ، انظر : يعقوب بن صلاح الدين .
 الملك الأفضل ، انظر : أيوب بن شاذي (نجم الدين) ؛
 علي بن صلاح الدين (نور الدين) .
 الملك الأجد ، انظر : بهرام شاه (مجد الدين) ؛
 حسن بن العادل (مجد الدين) ؛
 شاذي بن صلاح الدين ؛
 عباس بن العادل (تقي الدين) .
 الملك الأجد بن الصالح إسماعيل : ٢٠٦ .
 الملك الأوحده ، انظر : أيوب بن العادل (نجم الدين) .
 الملك الجواد ، انظر : أيوب بن صلاح الدين ؛
 داود بن العادل (شمس الدين) ؛
 يونس بن مودود بن العادل (مظفر الدين) .
 الملك الجواد بن داود بن العادل : ١٩٨ .
 الملك الحافظ ، انظر : أرسلان شاه بن العادل
 (نور الدين) .
 ملك خان : ٢٩٠ .

- الملك المسعود بن الصالح ناصر الدين محمود بن محمد
ابن قرا أرسلان : ٢٦٤ ، ٣٠٨ .
- الملك المظفر ، انظر : عمر بن أيوب
غازي بن العادل (شهاب الدين)
قرا أرسلان
محمود بن المنصور محمد بن تقى الدين عمر .
الملك المعز ، انظر : إسحاق بن صلاح الدين
يعقوب بن العادل (مجير الدين) .
الملك المعظم ، انظر : توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب ؛
توران شاه بن صلاح الدين
علي بن أبو العباس (أبو الحسن)
عيسى بن أيوب
عيسى بن العادل
الملك المنيف ، انظر عمر بن الصالح إسماعيل
عمر بن الصالح أيوب (فتح الدين)
عمر بن العادل (تقى الدين)
عمر بن العادل بن الكامل (فتح الدين) .
الملك الفضل ، انظر : أحمد بن العادل (قطب الدين)
موسى بن صلاح الدين .
الملك المنصور ، انظر : إبراهيم بن الأئجد بهرام شاه ؛
إبراهيم بن شيركوه بن محمد
أبو بكر بن صلاح الدين
غازي بن العادل (شهاب الدين)
فرخ شاه بن شاهنشاه
قلاون الألفي
محمد بن سنجر شاه
محمد بن العزيز عثمان
محمد بن المظفر تقى الدين محمود (ناصر الدين)
محمود بن الصالح إسماعيل (نور الدين) .
الملك الموحد ، انظر : عبد الله بن توران شاه .
- الملك الموفق ، انظر : إبراهيم بن صلاح الدين .
الملك المؤيد ، انظر : مسعود بن صلاح الدين .
الملك الناصر ، انظر : بكتمر (سيف الدين)
داود بن الأشرف
داود بن المعظم عيسى بن العادل
صلاح الدين الأيوبي
قليج أرسلان
محمد بن قلاون الألفي
يوسف بن العزيز محمد .
الملك الناصر بن إسماعيل بن طفتكين : ٢٠٥ .
ملكشاه (جلال الدولة) : ٤٠ .
ملكشاه بن صلاح الدين (الملك الغالب) : ١١٦ .
ملكشاه بن قليج أرسلان بن مسعود (قطب الدين) :
١١١ ، ١٢٢ .
ملكشاه بن محمد بن محمد طبر : ٢١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ .
ملكة خاتون : ١٥٧ .
الماليك البحرية : ٢٠٥ ، ٢٦١ ، ٣٧٦ ، ٣٨٢ ،
٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ .
المنصور ، انظر : ضرغام بن عامر .
منكبرتي خوارزم شاه (السلطان جلال الدين) :
٢١ ، ١٨٩ ، ٢٥٧ - ٢٦٢ - ٢٦٦ - ٢٧٠ ،
٢٧٨ - ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ - ٣٠٥ ،
٣١٧ ، ٣٢١ .
منكتمر بن هلاوون : ٣٠٧ ، ٣٥٨ .
منكورس بن خارتسكين (ناصر الدين) : ١٢٠ .
المهدي ، انظر : محمد بن تومرت .
المهدي العباسي : ٢٤٨ .
المهراني ، انظر : حسين بن باريك (حسام الدين
ابن كردم) .
المهرانية (من الأكراد) : ١٠٠ .

ناصر الدين ، انظر : محمد بن العزيز عثمان ؛
 محمد بن محمد بن قرا أرسلان (الملك الصالح) ؛
 محمد بن المظفر تقي الدين محمود ؛
 منكورس بن تجارتكين ؛
 ناصر الدين بن أبي النجيب (الحكيم) : ٢٧٦ .
 ناصر الدين القيمرى (الأمير) : ٣٥٨ ، ٣٦٠ .
 ناصر الدين بن يغمور : ٣٥٩ .
 الناصر لدين الله ، انظر : أبو العباس بن أحمد .
 ناصر المسلمين ، انظر : هام بن سوار .
 الناهض ، انظر : ابن الجرخى .
 نجم الدين ، انظر : ابن فضل ؛
 أيوب بن شاذى ؛
 أيوب بن صلاح الدين ؛
 أيوب بن العادل (الملك الأوحى) ؛
 الحبوشانى (الشيخ) ؛
 مسعود بن صلاح الدين .
 نجم الدين بن شرف الإسلام (الفقيه) : ١١١ .
 نجم الدين بن شيخ الإسلام : ٣٦٩ .
 نجم الدين التورى : ١٣٧ .
 النجيب بن الدباغ (الشاعر) : ٤٠١ .
 نجيب الدين المالسى (القاضى) : ١٠٧ .
 نرجس (أم الخليفة الناصر لدين الله) : ٦٦ .
 نزيل حمص ، انظر : عبد الله بن أسعد الموصلى .
 النشو بن حشيش النصرانى : ٣٧٧ .
 النصرانى : ٢٠ ، ٣٩ ، ٧٢ ، ١٥١ ، ٢٥٦ ، ٣٥٣ ، ٣٦٠ .
 نصر ابن امرأة عباس : ١٢ .
 نصرة الدين ، انظر : إبراهيم بن صلاح الدين .
 نصير الدين ، انظر : محمد بن صلاح الدين .
 نصير الدين بن ناصر الدين مهدى الحسى (الوزير الشريف) : ١٥٨ ، ١٦٤ ، ٢٠٨ .

مؤتمن الدولة : ٢٤ .
 مودود بن زنكى (قطب الدين) : ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٥ .
 مودود بن سنجر شاه : ١٦٧ ، ١٦٨ .
 مودود بن العادل الكبير : ٣٢٦ .
 موسك (الأمير عز الدين) : ٥٨ .
 موسى بن إبراهيم بن الأجد بهرام شاه (الملك الأشرف) : ٢٠٦ .
 موسى بن إبراهيم بن شيركوه بن محمد (الملك الأشرف) : ٨٠ ، ٨١ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ .
 موسى بن سعيد (الشاعر) : ٤٠٥ .
 موسى بن صلاح الدين (الملك المفضل قطب الدين) : ١١٦ ، ١٣٠ ، ٢٧٥ ، ٣١٢ .
 موسى بن العادل (الملك الأشرف) : ٦٧ ، ١١٢ ، ١٥٧ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ - ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٥ - ٢٦٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ - ٣٠٤ ، ٣٠٨ - ٣٢٥ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ .
 موسى بن عمران (النبي) : ١٨ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .
 موسى بن السكامل بن العادل (الملك الأشرف) : ٢٠٥ .
 موفق الدين ، انظر : ابن القيسرانى .
 المؤيد (صاحب خراسان) : ٦٠ .
 مؤيد الدين ، انظر : ابن العلقمى (الوزير) .
 ميكائيل بن سلجوق : ٢١ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
 ميمون القيصرى (الأمير) : ١٢٤ ، ١٣٦ .

(ن)

ناصر الدين ، انظر : الطالقانى .
 الناصر بن طفتكين بن أيوب : ١٥٦ .

- الختاريون : ١٩١ .
هفري ، ، انظر : همفري الرابع .
الهنود : ٢٦٠ .
الهياطلة : ٢٤٨ .
الهيجاوى (الأمير ركن الدين) : ٣١٧ ،
٣٢٨ .
هيو (ملك قبرس) : ١٩١ .
هيو الثانى (أولى - أوك) : ٥٣ .

(و)

- واسطمنان : ٢٨٤ .
وليم الثانى (الريدكور صاحب مقلية) : ٤٩ ،
١٦٠ ، ٥٥ .

(لا)

- اللان : ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(ى)

- ياجى نوين : ٢٨٤ .
ياسر (صاحب عدن) : ٥٧ .
ياقث بن نوح : ٢٣٧ .
يحيى الحسنى البصرى (عماد الدين) : ٣٢٧ .
يزدجرد بن شهريار : ٢٤٨ - ٢٥٠ .
يعقوب بن شاهان شاه (الملك مجير الدين) :
٢٠٦ .
يعقوب بن صلاح الدين (الملك الأغر شرف الدين) :
١١٦ .
يعقوب بن العادل (الملك المعز مجير الدين) : ١٩٧ ،
١٩٨ ، ٣٢٤ .
يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن (صاحب المغرب) :
١٢٧ ، ١٢٨ .

- نظام الدين (نائب ماردن) : ١٣٧ .
نظام الدين الطغرائى : ٢٦٢ .
نفرى (الملك) : ١٨٣ .
نفيسة بنت الحسن بن على بن أبى طالب : ٢٦ .
النقاش البغدادى : ٣٩٠ .
نمرود بن كنعان : ٢٢٨ .
نور الدين ، انظر : أرسلان شاه بن العادل (الملك الحافظ) ؛
أرسلان شاه بن عز الدين مسعود ؛
على بن حميد (أبو الحسن) ؛
على بن المظفر تقي الدين محمود ؛
عمر بن على بن رسول ؛
محمد بن قرا أرسلان ؛
محمود بن داود ؛
محمود بن زنكى ؛
محمود بن الصالح إسماعيل (الملك المنصور) ؛
محمود بن قرا أرسلان ؛
نور الدين السلحدار الناصرى (الأمير) : ١٦٤ .
نور الدين سلطان شاه بن قلع أرسلان : ١١١ .
نور الدين بن نخر الدين : ٧٧ .

(ه)

- هبة الله ، انظر : ابن أبى الرداد ؛
ابن سناء الملك .
الهذبانية : ٦ .
هرمس الثانى : ٧٦ .
المروى (الشيخ) : ١٨١ .
الهكارية : ١٠٠ .
هلاون : ١٩٨ ، ٢٤٤ ، ٣٠٦ - ٣٠٨ ،
٣١٩ .
همام بن سوار (ناصر المسلمين) : ٢٦ .
همفري الثانى (صاحب باناس) : ٦٤ .
همفري الرابع (همفري صاحب تبين) : ٥٤ .

- يحيى الدين ، انظر : أحمد بن صلاح الدين .
اليهود : ٣٩ ، ١٥١ .
- يوسف أقيس بن السكامل بن العادل (الملك
المسعود صلاح الدين) : ١٧٧ ، ١٨٢ ،
٢٠٥ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ،
٢٨٠ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٨٣ .
- يوسف بن الجوزى (الشيخ جمال الدين أبو المظفر) :
١١٦ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ،
١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
٢٠٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ،
٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،
٣٢١ - ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ،
٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٦٠ .
- يوسف بن الحسن الزرزارى (القاضى بدر الدين) :
٣٤٥ ، ٣٧٤ .
- يوسف الدمشقى (القاضى زين الدين) : ١٢٥ ،
١٢٧ ، ١٤٧ .
- يوسف بن رسول الخارجى (مظفر الدين) :
٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ .
- يوسف بن زين الدين على كوجك (زين الدين) :
١٠٣ ، ١٠٤ ، ٣١٠ .
- يوسف بن العزيز محمد (الملك الناصر صلاح الدين) :
١٨٠ ، ٢٠٥ ، ٢٨٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،
٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ،
٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،
٣٦٢ .
- يوسف بن محمد (الموفق بن الخلال) : ١٤٢ .
- يولقى أرسلان بن ليلغازى (حسام الدين) :
١٢٥ ، ١٣٧ .
- يونس الأطفحى (القاضى) : ١٢ .
- يونس البيطار : ٣٢٣ .
- يونس القاضى : ٢٥ .
- يونس بن مودود بن العادل الكبير (الملك الجواد
مظفر الدين) : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ،
٣٢٩ ، ٣٣١ - ٣٣٤ ، ٣٤١ .

ثانيا - فهرس الأماكن والبلدان

(١)

- أسوان : ٥٨ .
 أشبيلية : ٨٣ .
 أشرماق : ٢٢٧ ، ٢٢١ .
 أشموم الرمان : ٣٧٥ ، ٣٦٥ ، ١٩٥ .
 أصبهان (أصفهان) : ٦٣ ، ١٨٨ ، ٢٥٠ ،
 ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٦١ .
 ٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٣٤٢ .
 أطفيج : ٣٧ ، ٢٨ .
 أعزاز (حصن) : ٦٠ ، ١٦٠ .
 أفامية : ١٢٠ .
 إفريقية : ٢٣ .
 الأنبار : ٣٦٢ .
 أنبولية : ٢٩٢ .
 الأندلس : ٢٣ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ١٢٧ ، ١٧٢ ،
 ٣٠٥ ، ٣٦٦ ، ٤٠٢ .
 أنطاكية : ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٨٢ .
 أنطاليا : ١٨٢ .
 أنطربوس : ١١٩ .
 الأهرام : ١٣٦ ، ١٥١ .
 أيدرماق : ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ،
 ٢٣٧ .
 أيلة : ٤٣ ، ٤٧ ، ٧١ .
- (ب)
 باب إقساس : ٢٧٦ .
 باب الأبواب (بأرمينية) : ٢٠ ، ٢٥٦ .
 باب البحر : ٦٥ .
 باب بزاعة : ٣٤١ .
 باب توما : ٣٢٤ .
- آمد : ٧٥ ، ١٥١ ، ١٦٩ ، ٢٦٤ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٤٣ .
 أبو صير ، انظر : بوصير السدر .
 أيار : ٣١ .
 أتراب : ٢٣٧ .
 أخلاط : ٧٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٥٠ ، ١٦١ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ،
 ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
 ٢٨٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ،
 ٣٢٢ ، ٣٢١ .
 أذربيجان : ١٥٠ ، ١٦٧ ، ٢٣١ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٨٦ .
 أران : ٢٥٥ .
 ماربل : ٣٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٢٥٣ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣١٩ .
 أرجان : ٢٦٢ .
 أرجيش : ٣٠١ ، ١٦٦ .
 الأردنوا : ٣٠٧ .
 أرزن الروم : ١٦٢ ، ٣٠١ .
 أرزنسكان (أرزنجان) : ٣٠٠ .
 أرسوف : ١١٩ .
 أرمينية : ٢٠ ، ٦٨ ، ١٥٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .
 أرتون : ١١٩ .
 أسكندرونة : ٥٣ .
 الإسكندرية : ١٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٧ ،
 ٤٩ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ١١٧ ،
 ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ،
 ١٥٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٧ ،
 ٣٤٤ ، ٣٦٦ .

- باب الجالية : ١٩٠ .
باب الرحة : ٩٠ .
باب زويلة : ١٥ ، ١٨ ، ٤٤ ، ١٠٩ ، ٢٠١ ، ٣٤٤ .
باب سكون : ٢٤٤ .
باب السلامة : ٣٢٢ .
الباب الصغير (بدمشق) : ١٩٠ ، ٣٢٢ .
باب الفتوح : ١٥١ .
باب الفرديس : ٣٣٦ .
باب الفرج : ١٩١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ .
باب النصر (بدمشق) : ٣٢٤ ، ٣٣٢ .
البابين : ٢٨ .
واجه : ٧٤ .
بانياس : ٣٣ ، ٦٤ ، ١١٩ ، ١٥٠ ، ١٨٧ ، ٣٣٦ ، ٣١٢ ، ١٩٣ .
البحر الأسود : ٢٢٠ .
بحر الخزر : ٢٥٦ .
بحر القلزم : ٧١ .
بحر منسك : ٢٥٦ .
البحيرة : ٦٩ ، ٣٢ .
بحيرة قدس : ١٦٠ .
بخارى : ١٦٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٠٣ .
البرج الأحمر : ١١٩ .
برج السلسلة : ١٩٦ .
برقة : ٦٨ .
بركة الحبش : ١٧٠ .
بركة الحجاج : ٢٨٠ .
بزاعة (حصن) : ٦٠ ، ١٩٦ .
بزرع : ٢٩٦ .
بستان شامة : ٣٥٩ .
بشرى : ٣٦٢ .
- البشير : ١١٩ .
بصرى : ١٢٠ ، ١٣٠ ، ٢٨٣ ، ٣٢٥ .
البصرة : ١٨٣ .
بغرين : ١٢٠ .
بعلبك : ٤٤ ، ٦٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ٢٠٦ ، ٢٨٣ ، ٣٠١ ، ٣١٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٣٥ .
٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٨ — ٣٦٠ ، ٣٨٥ .
بغداد : ١٢ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٢٢ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ .
بغراس : ٩٥ ، ١٢٠ .
بكاس : ٩٥ ، ١٢٠ .
بكران (مكران) : ٢٩٦ .
بكسر ائيل : ١٢٠ .
بلاد الروم : ٣٩ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٥٧ ، ١٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ .
٣٥٣ .
بلاد الساحل : ٢٨ ، ٧٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٣١٢ ، ٣٢٩ ، ٣٧٨ .
بلاد سيف : ٢٩٦ .
بلاشغر : ٢٣٧ .
بلاصفون (بلاساغون) : ٢٠ .
بلاطنس : ١٠٣ ، ١١٩ .
بليس : ١٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ١٢٥ .

- تركستان : ٢٤٤ ، ٢٣٧ .
 ترمذ : ٢٦٧ .
 تروجة : ٢٥ .
 قفليس : ٦٣ ، ٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ ،
 ٢٨٠ .
 مكريت : ٧ - ٩ ، ١١٤ ، ١٧٨ .
 تلا : ٣١ .
 تل باشر : ١٢٠ ، ١٩٦ .
 تل السلطان : ٥٦ .
 تل العجول : ١٣٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
 ٣١٤ .
 تل العياضية : ٩٩ ، ١٠٨ .
 تل الفرس : ١٩١ .
 تل الفضول : ٩٤ .
 تلف : ٢٨٩ .
 تلمسان : ٢٣ ، ٢٤ .
 توريز : ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٨٤ ، ٣٠٢ .
 تونس : ٨٣ .
- (ج)
- جامع أولاد عنان : ٤١ .
 جامع بني أمية : ١٥٠ .
 جامع التوبة (بدمشق) : ٣١٣ .
 جامع دمشق : ١٥٠ .
 جامع الصالح طلائع بن رزيك : ١٨ .
 الجامع العتيق (مصر) : ٣٩ .
 الجب التحتاني : ١١٩ .
 الجب الفوقاني : ١١٩ .
 جبل الجودي : ٢٥٩ .
 جبل الصالحية : ٨ .
 جبل عوف : ١٤٨ .
 جبل لبنان : ٤٤ .
- ١٣٨ ، ٢١٨ ، ٢٧٩ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،
 ٣٧٢ .
 باخ : ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٦٧ .
 بنجازآب : ٢٤٤ .
 البندقية : ٢١١ .
 البهنسا : ١٨١ .
 بوصير السدر : ٧٦ .
 بيت جبيل : ٥٥ ، ١١٩ ، ٣٥٤ .
 بيت حبرون : ١١٩ .
 بيت لحم : ١١٩ .
 بيت المقدس : ٨ - ١٠ ، ٢٧ ، ٤٧ ، ٥٣ ،
 ٧٦ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ - ٩١ ، ٩٦ - ١٠٠ ،
 ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٩ ،
 ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ،
 ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢٩٢ - ٢٩٥ ،
 ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
 ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ .
 بيت هرمس الثاني : ٧٦ .
 بيت يعقوب ، انظر : قصر يعقوب .
 بيروت : ٥٣ ، ٩٣ ، ١١٩ ، ٣٤٥ .
 البيرة : ٣١٢ .
 بيسان : ٧٣ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٣٣٧ .
 بيلقان : ٢٥٥ .
 البمارستان النوري : ١٥٠ ، ٢٠٤ .
 بين القصرين : ٤٤ ، ٢٦٧ .
- (ت)
- تاجرة (بلدة بالمغرب) : ٢٤ .
 التيت : ٢٢٨ .
 تبريز ، انظر : توريز .
 تبنين : ١١٩ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٨٧ .
 تدمر : ١٢٣ .

حصن الأكراد: ١٥٣، ١٦٠، ١٩٦ .
 حصن الأملوت: ١٧١ .
 حصن برزية: ٩٥، ١٢٠ .
 حصن بلدة: ١١٩ .
 حصن جسر بنات يعقوب، انظر: قصر يعقوب .
 حصن الجليل: ١١٩ .
 حصن الحاضرية: ١١٩ .
 حصن دبورية: ١١٩ .
 حصن سكندرونة: ١١٩ .
 حصن العازرة: ١١٩ .
 حصن عفرا: ١١٩ .
 حصن كوكب، انظر: كوكب .
 حصن كيفا: ٥٥، ٧٣، ٧٥، ٨٠، ١٥١ ،
 ٣٨٢، ٣٧٧، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٤٣ ،
 ٣٨٣ .
 حصن يازور: ١١٩ .
 حصن يحمود: ١١٩، ١٢٠ .
 حلب: ٣٣، ٤٣، ٤٤، ٥٨، ٦٠ - ٦٣ ،
 ٧٥ - ٨٢، ٨٩، ١١١، ١١٢ ،
 ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠ ،
 ١٤٠، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٩ ،
 ١٧١، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٤ -
 ١٨٦، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٧٥ ،
 ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٤ ،
 ٣١٨ - ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٥ ،
 ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٥ - ٣٤٧، ٣٥٠ -
 ٣٥٣، ٣٦٠ - ٣٦٢ .
 حمه: ٥٣، ٥٨، ٦٢، ١٠٣، ١١٠، ١٢٠ ،
 ١٢٣، ١٢٩، ١٥٠، ١٥٥ - ١٥٨ ،
 ٢٠٠، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٦٣، ٢٨٣ ،
 ٢٩٥، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٤ ،
 ٣١٨، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٤ ،

جبل اللوان: ١٢٢ .
 جبل نهاوند: ٥٠ .
 جبله: ٧٥، ١٠٣، ١١٩، ٢٠٩ .
 جبلية: ١١٩ .
 جبيل: ٥٣، ١١٩ .
 الجزيرة: ٤٣، ٥٢، ٧٨، ٨٠، ١٢٨ ،
 ١٥٠، ١٥٦، ١٦٧، ١٦٩، ٢٨٠ ،
 ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٢٠، ٣٣٩ ،
 ٣٩٣، ٣٩٩ .
 جزيرة ابن عمر: ١٦٧، ٢٨٣، ٣٣٥ .
 جزيرة بنى نصر: ٣١، ٣٢ .
 جزيرة الروضة: ٣٠، ٣٠٤ .
 جزيرة قيس، انظر كيش .
 جزيرة النسون: ٢١١ .
 الجزيرة الورانية: ٢١١ .
 جعبر، انظر: قلعة جعبر .
 جوجر: ٣٧٥ .
 الجيزة: ٢٨، ٣٧، ١٥١ .
 جيلان: ٣٤١ .
 جينين: ١١٩، ١٩٣، ٣٢٩، ٣٣٧ .

(ح)

حارم: ٢٧، ٣٢، ٣٣، ٦١، ٧٦ .
 حارة السمرة: ١٤٩ .
 حارة الهلالية: ١٠٩ .
 الحجاز: ٥٨، ٦٨، ١٤٩، ١٥٦، ١٧١ ،
 ٢٨٣، ٣٠٩ .
 حديثة: ٣٧٥ .
 حران: ٧٣، ١٠٣، ١٢٦، ١٢٨، ١٤٨ ،
 ١٦٩، ٢٦٦، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٩ ،
 ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣١٠، ٣١٤ ،
 ٣١٥، ٣١٦، ٣٢١، ٣٣١، ٣٤١ ،
 ٣٤٤ .

(د)

- دار أسامة : ٣٢٧ ، ٣٢٨ .
 دار الأقباء : ١٠٩ .
 دار ست الشام : ١٩١ .
 دار العاقية (بحران) : ٣١٦ .
 دار الوكالة : ٣٠٤ .
 الداروم : ١١١ ، ١٩٣ .
 الدارون : ١١٩ .
 داريا : ٦٠ ، ١٩٠ .
 دامغان : ٢٨٤ .
 الدانور الشرقية : ١٢٠ .
 دجوى : ٣١ .
 درب ساك : ٩٥ ، ١٢٠ ، ١٥٩ ، ١٨٤ .
 درب الشعارين : ٣٣٦ .
 الدربند : ٢٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ .
 دربند شروان : ٢٥٥ .
 دقوفا : ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ .
 دمان : ١٨١ .
 دمشق : ٥ - ٨ ، ٢٩ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ،
 ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ،
 ٦٤ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ،
 ٨٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٩ ،
 ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ -
 ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٨ - ١٤١ ، ١٤٨ ،
 ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
 ١٨١ ، ١٩٠ - ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
 ٢٠٢ - ٢٠٤ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
 ٢٦٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ،
 ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ،

- ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ،
 ٣٥٦ ، ٣٦٢ .
 حص : ١٧ ، ٣١ ، ٥٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٢٠ ،
 ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ،
 ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢٦٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ،
 ٣٠٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ -
 ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٨ ،
 ٣٥٩ ، ٣٦٢ .

الحوراء : ٧٢ .

حوران : ٢٩٦ ، ٣٥٨ .

حيفا : ٩٣ ، ١١٩ ، ١٦٠ .

(خ)

- الخابور : ٧٣ ، ١٢٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٤ ،
 ٣٦٠ .
 خان ابن الزنجارى : ٣١٣ .
 خاتقة سعيد السعداء : ١٩ .
 خراسان : ٦٠ ، ١٨٨ ، ٢١٧ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٨٧ ،
 ٣٠٣ .
 خربة اللصوص : ١٩١ .
 خربت : ٣١١ .
 الخروبة : ٩٩ ، ١٠٢ .
 خزانة البنود : ١٠٩ .
 الخزر : ٦٣ .
 خزران : ٢٠ .
 خلاط ، افطار : أخلاط .
 الخليل : ٣٥٤ .
 خوارزم : ٦٠ ، ١٦٣ ، ٢٣٩ ، ٢٥٧ ،
 ٢٦٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ .
 الخواصين : ٣٣٣ .
 خوزستان : ٢٦٢ .
 خيوق (خيوه) : ٢٣٩ .

(ز)

- زبيد: ٢٩٧، ٢٤٣، ٧٠، ٥٧.
زحر: ١٩١.
الزعقة: ٥٥.
زنجان: ٢٥١، ١٦٤.
الزوزان: ١٦٧.

(س)

- سابور: ٢٦٩، ٢٤٤.
سبقة: ١٥٧، ٢٣.
سبسطية: ٣٣٧، ٣٢٩، ١١٩، ٩٥.
سجستان: ٢٦٠، ٢٤٤.
السرقند: ١١٩.
السرمانية: ١٢٠، ٩٥.
سرمين: ٣٨٥.
سروج: ٣٣١، ١٤٨.
سلا: ٢٤.
السلطانية: ١٦٤.
سلجية: ٣٢٥، ١٢٠، ١٠٣.
سمرقند: ٢٠، ١٦٢، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٦٧، ٢٥٠، ٣٠٣.
سمنود: ٣٢، ٣١.
سمساط: ٣١٢، ٢٧٥، ١٤٩، ١٣٥، ١٠٣.
سنجار: ١٣٢، ١٢٥، ١٠٠، ٧٣، ٤٥.
٣١٦، ٢٨٣، ٢١٦، ١٦٩، ١٦٧.
٣٤٥، ٣٣٥، ٣٣١، ٣٣٠، ٣١٩.
٣٧٤.
سهرورد: ١٦٤.
سوداق: ٢٥٦.
سوس: ٣٠٦.
سوق الخيل: ٥٥.
السويداء: ٣١٥.

- ٣٢٤، ٣٢٢، ٣٢٠، ٣١٨، ٣١٦.
٣٥٣، ٣٥٣، ٣٤٧، ٣٤٤، ٣٣٩.
٣٧٧ - ٣٧٢، ٣٦٥، ٣٦٣، ٣٦٠.
٣٩٥، ٣٨٥.
دمياط: ٢١٠، ٢٠٨ - ١٩٥، ١٦٨، ٤١.
٣٦٥، ٣١٧، ٣١١، ٢٨٠، ٢١٦.
٣٧٨، ٣٧٣، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٦.
٣٨٤، ٣٨٣، ٣٨٠.
دنيسر: ٣١٦، ١٢٨، ١٢١.
دهستان: ٦٣.
ديار بكر: ١٠١، ٨٠، ٧٨، ٦٨، ٦١، ١٦٧، ٣٦٢، ٣٣٩، ٣٠٢.

(ر)

- رأس العين: ٧٦٦، ١٧٠، ١٢٨.
رباط الأخلاطية (بيقداد): ٣٠٦.
الرحبة: ٣٣٠، ١٢٣.
رشيد: ١٥٥.
رعبان: ١٩٦.
الرقعة: ٣١٨، ٢٩٩، ٧٣، ٤٥.
الرقيم: ١١٩.
ارمل (الصحراء الشرقية): ٣٧٧.
الرملة: ١٠٩، ٨٤، ٦٤، ٦٣، ٥٥، ٤٧، ١٩٣، ١١٩.
اروم: ١٨٤، ١٧٥، ١٦٩، ٢٨، ٢٧.
روما: ٢١١، ١٩٢، ١١٨.
ارها: ١٥٣، ١٤٨، ١٠٣، ٧٣، ٤٣، ١٧٥، ٣٠١، ٢٨٣، ٢٧٦، ٢٠٥، ٣٠٢، ٣٢١، ٣١٥، ٣١٤، ٣١٠، ٣٠٢، ٣٣١، ٣٢٣.
الري: ٢٦٣، ٢٥٠، ٢٤٤، ١٨٨، ١٢٢، ٢٨٤.

٣٦٢ ، ٣٥٣ ، ٣٤٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٠

٣٩٤ ، ٣٨٦

الشرقية : ٢١٨ .

شروان : ٢٥٦ .

الشفر : ١٢٠ .

شفر بكاس : ١٣٧ .

شفرعم : ١٠٨ .

الشقيف : ١٣٧ ، ١٩٣ ، ٣٤٧ .

شقيف أرفون : ٩٩ .

شقيف تيرون : ١١٩ .

شقيق : ١١٩ .

شماخي : ٢٥٦ ، ٢٥٥ .

شنترين : ٧٤ .

شهرزور : ٣٨ ، ٧٩ .

الشوبك : ١٢٠ ، ٢٠٩ ، ٢٩٥ ، ٣٨٥ .

شيراز : ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٠٥ .

شيرز : ١٠٩ ، ١٢٠ .

(ص)

صافيتا : ١٩٦ .

الصافية : ١١٩ .

الصالحية : ١٤١ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

الصخرة : ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٢٠٢ ، ٢٩٣ ،

٢٩٥ .

صرخد : ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،

١٧٧ ، ٢٠٢ ، ٢٤٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،

٣٢٤ ، ٣٣٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،

٣٦٣ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٤٠٦ .

الصعيد ، انظر : الوجه القبلي .

صفد : ٦٤ ، ٧٩ ، ٩٥ ، ١١٩ ، ٣٤٥ ،

٣٤٧ ، ٣٧٢ .

صفورية : ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٩ .

السويس : ٣١ ، ٤٣ ، ٧١ ، ٧٢ .

سيس : ١٨٤ .

سيناء : ٢٨ .

سيواس : ١١١ ، ١٧٤ .

(ش)

الشاغور : ١٩٠ ، ٣٢٥ .

الشام : ٣ ، ٧ ، ٩ ، ١٢ ، ٢٥ ، ٣٤ ،

٣٧ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٦ ،

٥٨ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٢ ،

٩١ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١١٤ ،

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،

١٤١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ،

١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ،

١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ،

٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٤٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ،

٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ،

٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،

٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ،

٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ،

٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٣ ،

٣٨٦ .

شبرا : ٣٠٥ .

الشرق : ٣ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٥٣ ،

٥٨ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ١٠٠ ،

١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ،

١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ،

١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٩١ ، ١٩٦ ،

١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

٢١٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،

٢٧٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،

٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٦ ،

(ع)

- عانة : ٣٧٥ .
 العباسة : ٢١٦ .
 عجلاون : ١٢٠ ، ١٧٥ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٨٣ ،
 ٢٩٥ ، ٣٢٩ ، ٣٨٥ .
 عدن : ٥٧ ، ٧٠ .
 عرا : ١١٩ .
 العراق : ٢٠ ، ٣٧ ، ١٦٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٣ ،
 ٢٦٠ ، ٢٧١ ، ٣٠٦ ، ٣٥٠ .
 عراق العجم : ١٨٨ ، ٢١٧ ، ٢٤٤ .
 عرعر : ١١٩ .
 عرفة : ٢٥٢ .
 العريش : ٥٥ ، ٢٨٧ .
 عسقلان : ٩٣ ، ١١٩ .
 عقبة أسد : ١٩٠ .
 عقبة دمر : ٣٣٦ .
 عقبة فيق : ١٩١ .
 العقبية (بدمشق) : ٣١٣ ، ٣٢٤ .
 عكا : ٧٦ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
 ١٠٠ ، ١٠٤ - ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٥٠ ،
 ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٨٣ ،
 ١٩١ - ١٩٣ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٣٥٣ ،
 ٣٨٤ ، ٣٨٥ .
 عيذاب : ٧١ ، ٧٢ .
 عين تاب : ٣١٢ .
 عين جالوت : ١٩٠ .

(غ)

- الغرب ، انظر : المغرب .
 الغريبة : ٧٢ ، ١١٧ .
 غزنة : ١٣٤ ، ٢٤٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨٩ .
 غزة : ٤٩ ، ٥٥ ، ١١٩ ، ٢٠٠ ، ٣٢٩ ،
 ٣٥٢ ، ٣٥٤ .

- صقلية : ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٩٠ ،
 ١٥٧ ، ٢١١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ .
 الصلت : ٢٩٥ ، ٣٥٩ .
 صهيون (حصن) : ٩٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ .
 صور : ١٥٠ .
 صيدا : ٦٠ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ١١٩ ، ١٩٣ ،
 ٣٤٥ .
 صيدا الصغيرة : ١١٩ .
 الصين : ٢٠ ، ٦٨ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٠٢ ،
 ٢٣٧ ، ٢٤٠ .

(ض)

- ضريح الإمام الشافعي : ١٧٠ .
 ضمير : ٢٦٦ .

(ط)

- طالقان : ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩٠ .
 طبرستان : ٢٤٤ .
 طبرية : ٥١ ، ٥٢ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ٩٣ ، ٩٦ ،
 ١٠١ ، ١١٩ ، ١٤٣ ، ٢٠٩ ، ٣٤٥ .
 طرابلس : ٥٦ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ .
 المطرانة : ٣٢ .
 طرق البساتين : ١٩٠ .
 الطريق البدرية : ٢٨ ، ٣١ ، ٣٧ .
 الطريق الفوقانية ، انظر : الطريق البدرية .
 طريق المدرية : ٢٧ .
 طريق المفازة : ١٢٦ .
 طالخا : ٢٠٧ .
 طليطلة : ١٢٧ ، ١٧٢ .
 الطور : ٥١ ، ٩٣ ، ١١٩ ، ١٧٢ ، ١٨٧ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ .
 طوس : ٢٦٩ .
 الطينة : ٣١١ .

(ف)

فارس : ٢٦١ .

فارسكور : ٣٧٥ ، ٣٧٩ .

الفاضلية : ٣٠٢ .

فاقوس : ١٥ ، ٦٣ .

فرغانة : ٢٦٧ .

الفرما : ٢٨ .

قلسطين : ٢٨ .

قوة : ١٥٥ .

القيوم : ٣٢ .

(ق)

القابون : ٣٢٩ ، ٣٢٤ .

القادسية : ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

قاعة ابن لقمان : ٣٨٤ .

فاقون : ١١٩ .

القاهرة : ٤ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ،

٢٩ - ٣٢ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ١٠٨ ،

١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٨ ،

١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٥ ،

١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ،

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ، ٢٤٣ ،

٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٣٠٢ ،

٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ،

٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٤ ،

٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ،

٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ .

قبرص : ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٩١ .

قبة النسر : ١٥٠ .

قراطاغ (الجبل الأسود) : ٢٠٧ ، ٢٢٠ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ،

٢٣٤ ، ٢٣٦ .

القرافة الصغرى : ١٧٠ .

قرقيسيا : ٣٦٠ .

قزوين : ٢٥١ .

القسطنطينية : ٨٩ ، ١٠٥ ، ١٥٨ ، ٢٥٦ ،

٣٥٣ .

قشتالة : ١٢٧ .

قصر حجاج : ١٩٠ ، ٣٢٩ ، ٣٥٦ .

قصر يعقوب : ٦٤ .

القصير : ١٢٨ ، ٢٧٩ ، ٣٣٧ ، ٣٧٥ .

القطرون : ١١٩ .

قطيا : ٢٨ ، ٣١٧ .

قطينا : ٣١٥ .

قلعة أبو الحسن : ١١٩ .

قلعة أبو قبيس : ١٢٠ .

قلعة أيلة : ٤٧ .

قلعة بريم : ٥٠ .

قلعة بعلبك : ١٥٠ .

قلعة تكريت : ٣٨ .

قلعة الجبل (بالقاهرة) : ٦٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٦٤ ، ٣١٧ ، ٣٦٣ .

قلعة الجزيرة (بمصر) : ٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٧١ .

قلعة جعبر : ٤٠ ، ١٤٠ ، ١٩٨ ، ٢٨٣ ،

٣١٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

قلعة حران : ٣٨ ، ٥١ .

قلعة حلب : ٧١ ، ١٧٨ ، ٣٤١ ، ٣٦٠ .

قلعة الخليل : ٢٩٥ .

قلعة دمشق : ١٩٠ ، ٣٥٢ .

قلعة سنجار : ٣٨ .

قلعة الصالحية : ٣٧١ .

قلعة صدر : ٤٣ ، ٢١٦ ، ٢٨٠ .

قلعة الطفيلة : ١١٩ .

- كرمان : ٦٣ ، ١٧٨ ، ٢٤٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ،
 ٢٦١ ، ٢٨٦ .
 كفر الزيات : ٣١ .
 كفر طاب : ١٢٠ .
 الكلاسة : ١١٤ ، ١٥٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ .
 كنجة : ٢٥٥ .
 الكنيسة (قرية بالقرية) : ٧٢ .
 كنيسة القيامة : ٨٤ ، ٩٠ ، ١٠٩ .
 الكهف : ١١٩ .
 كوكب : ٩٤ ، ٩٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٢ ،
 ١٧٥ .
 الكوم الأحمر : ٤١ ، ٤٢ .
 كيش (جزيرة قيس) : ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(ل)

- لد : ١١٩ .
 لكي : ٤٩ .
 اللاذقية : ٩٥ ، ١٠٣ ، ١١٩ ، ٢٠٩ .
 لوبية : ٥٢ .

(م)

- ماردين : ٨٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٦٩ ،
 ١٧٣ ، ٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ .
 مازندران : ٢٤٤ ، ٢٥٠ .
 المجلد : ٣٣٦ ، ٣٦٠ .
 مجدليا : ٩٤ ، ١١٩ .
 المحلة : ٧٢ .
 محلة المنصورة : ٤٤ .
 مخاضة الأحزان : ٦٤ ، ٧٩ .
 المدائن : ٢٥٥ .
 المدرسة الحسامية : ٢٠٤ .
 المدرسة العادلية (بدمشق) : ١٨١ ، ٢٦٥ .

(م ٢٩)

- قلعة الهادية : ٣٨ .
 قلعة المتدقر : ١١٩ .
 قلعة فرح : ١٦٧ .
 قلعة الكيش : ٣٧١ .
 قلعة كلام : ٢٦٧ .
 قلعة القس ، انظر : قلعة المقسم .
 قلعة المقسم (قلعة القس) : ٤١ ، ٤٢ .
 قلعة المقياس ، انظر : قلعة الجزيرة .
 قلعة منصور كوه : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
 قلعة نجم : ١٠٣ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٤٢ ، ١٤٨ .
 قلعة الهرمز : ١١٩ .
 قلنسوة : ١١٩ .
 قليوب : ٣١ .
 قنا : ١٨١ .
 قوس : ٨٢ ، ١٨١ .
 قونية : ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٢ .
 القيروان : ٨٣ .
 قيسارية : ٢٩ ، ٩٣ ، ١١٩ ، ٣٠٤ .
 قيسارية جهاركس : ١٣١ ، ١٧٠ .
 قيليقية : ١٠٥ .
 القيصون : ٩٩ ، ١٨٣ ، ١٩٨ .

(ك)

- كابل : ٢٩٠ .
 كاشغور (كاشغر) : ٢٠ ، ٢٣٧ .
 الكرك : ٥٠ - ٥٤ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٨ ،
 ٩٥ ، ١٢٠ ، ١٤٠ ، ١٧٢ ، ١٩٥ ،
 ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٨٣ ،
 ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ،
 ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ -
 ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ،
 ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٥ .

- مدرسة نور الدين الشهيد : ٣٣٣ .
 المدينة المنورة : ٧٢ ، ٣٢٠ .
 مراغة : ٢٥١ ، ٢٦٢ .
 مراکش : ٢٣ ، ٢٤ ،
 مرج الصفار : ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ .
 مرج الصفر : ١٨٧ .
 مرعش : ١٨٤ .
 المرقب : ١٦٠ .
 المرقية : ٥٣ ، ١٩٢ .
 مرو : ١٨٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
 المزة : ١٢٩ ، ٣٢٤ .
 المساوى (إقليم بالمغرب) : ٢١١ .
 مسجد أبو الفضل : ١٥٠ .
 المسجد الأقصى : ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٢٠٢ ،
 ٢٩٢ ، ٣٤٠ .
 مسجد التبر : ٣٢ ، ٣٤ .
 مسجد التين ، انظر : مسجد التبر .
 المسجد الحرام : ٨٨ .
 مسجد سعد الدولة : ٤٢ .
 مسجد القدم : ٣٢٤ .
 مسجد القصب : ٣٢٢ .
 مسجد النصر : ٣٧٨ .
 مشغرى : ٥٦ .
 مشهد السيدة نفيسة : ٢٦ .
 المغيلب : ٣١١ .
 مصر (الديار المصرية) : ٣ ، ٩ ، ١٥ ، ٢٥ -
 ٣١ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ،
 ٤٣ ، ٤٨ ، ٤٩ - ٥١ ، ٥٦ ، ٥٨ ،
 ٦٠ - ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٩٤ ، ٩٨ ،
 ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ -
 ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٦ -
 ١٦١ ، ١٦٤ - ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٢ .
 ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨١ - ١٨٥ ، ١٨٧ ،
 ١٩٢ ، ١٩٦ - ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ،
 ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ -
 ٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ،
 ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،
 ٣١٣ ، ٣١٥ - ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ،
 ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،
 ٣٣٧ - ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ -
 ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ - ٣٦٥ ،
 ٣٦٩ ، ٣٧٣ - ٣٧٧ ، ٣٨٥ ، ٤٠٠ .
 المعرات ، انظر : معرة مصرين ، معرة النعمان .
 معرذفتين : ٢٠٠ .
 المعرة : ١٠٣ ، ١٢٠ ، ١٢٣ .
 معرة مصرين : ٣٣٠ ، ٣٣١ .
 معرة النعمان : ٣٣٠ ، ٣٣١ .
 الملى : ٢٩٧ .
 مغارة الجوع (مجبل الصالحية) : ٨ .
 المغرب : ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٨٣ ،
 ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ،
 ٢١١ ، ٢٨٣ ، ٢٩٧ ، ٣٢٠ ، ٣٤٢ ،
 ٣٨٦ ، ٣٩٢ ، ٤٠٠ .
 المقسم : ٦٥ .
 مكران : ١٧٨ .
 مكة : ١٩ ، ١٧١ ، ٢٠٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ،
 ٢٦٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٠ .
 ملاذكرد : ١١٠ .
 ملطية : ٢٤٧ .
 المناقير (حصن) : ٦٨ .
 مسج . ٣ ، ١٠٣ ، ١٢٠ ، ١٤٨ ، ١٩٦ ،
 ٣٤١ .

نهر الأردن : ٢٩٣ ، ١٩٠ .
 النهر الأزرق : ٣١١ .
 النهر الأسود : ١٥٩ .
 نهر جيحون : ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٦٧ ،
 - ٢٨٧ .
 نهر دجلة : ١٦٧ ، ١٨٧ ، ٣١٦ .
 نهر السند : ٢٠ ، ١٧٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،
 - ٢٩٧ ، ٢٩١ ، ٢٦٠ .
 نهر سيحون : ٢٠ ، ١٦٢ ، ٢٤١ .
 نهر الصافية : ٦١ .
 نهر العاصي : ١٥٨ .
 نهر الفرات : ٤٣ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١٢٣ ، ٢٩٩ ،
 - ٣١٦ ، ٣٥٢ .
 نهر عيسى : ١٩٠ .
 الواقير : ٩٩ .
 النرب : ٣٣٢ ، ٣٦٠ .
 نيبابور : ١٦٦ ، ١٨٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .
 النيل : ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧ ،
 - ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ،
 - ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ،
 - ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ،
 - ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩١ ،
 - ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١١ ،
 - ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣١ ،
 - ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ،
 - ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦١ ،
 - ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،
 - ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ،
 - ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ،
 - ٢١٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ، ٢٧٠ ،
 - ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ،
 - ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،

منزلة البويب : ٢٥٢ .
 المنصورة : ١٥٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ،
 - ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ .
 منوف : ٣١ .
 منية بني خصيب : ٢٨ .
 الموزر : ١٠٣ .
 موش : ١٦١ .
 الموصل : ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٨ ،
 - ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٨ ،
 - ٨٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٢٤ ،
 - ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
 - ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ،
 - ٢١٦ ، ٢٥٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٢٩٩ ،
 - ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ،
 - ٣٣٠ ، ٣٣٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥ .
 موفان : ٢٥١ .
 ميا فارقين : ٧٨ ، ١٠٣ ، ١٤١ ، ١٤٨ ،
 - ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٩٨ ، ٢٦٦ ،
 - ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٤١ ،
 - ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ .

(ن)

نابلس : ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٣٦ ،
 - ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٨٧ ، ٢٩٤ ،
 - ٢٩٥ ، ٣١٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨ .
 الناصرة : ٩٣ ، ١١٩ .
 نصيبين : ٨٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٦٩ ،
 - ٢٧٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٩ ، ٣٣٠ .
 النظرون : ٥٥ ، ١٠٩ .
 النقيز : ٢٠٤ .
 النمسا : ١٩٩ .
 النوبة : ٥٠ .

- الوجه القبلي : ١٩ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ،
 ٥٨ ، ٧٦ ، ١١٧ ، ١٤٩ ، ١٨١ ، ٢٠٨ ،
 ٣٤٧ ، ٣٤٥ .
 وهران : ٢٣ .

(ى)

- الياروقية : ١٢٢ .
 يافا : ١١٩ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ .
 ينبع : ٧٢ ، ٢٥٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ .
 العين : ٦ ، ٤٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٨ ،
 ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١٢٠ ، ١٣١ ،
 ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٧٧ ،
 ١٨٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ،
 ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ .

(هـ)

- هراة : ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٩٠ ، ٣٩٠ .
 همذان : ٦٣ ، ١٢٢ ، ١٦٤ ، ١٨٨ ، ٢٤٤ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ .
 هولن : ١١٩ ، ١٥٠ ، ٣٤٥ .
 الهند : ٦٨ ، ٧١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٤٤ ،
 ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٣٠٥ ،
 ٣٢٠ .
 هنغاريا : ١٩١ .

(و)

- الوجه البحرى : ٣٤٥ .

ثالثا — فهرس المصطلحات

٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ،
٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ،
٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ،
٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٩ .

إصطبل (إصطبلات) : ١١٨ ، ١٢٢ .

إقطاع : ٥٩ ، ١٩٠ ، ٣١٤ ، ٣٧١ .

أمير آخور : ٢٦١ ، ٢٦٢ .

أمير جانداه : ٣٧٨ .

أمير علم : ٦ .

أمير مائة مقدم ألف : ٥ .

أمير مجلس : ٢٤٧ .

(ب)

الباشورة : ١٠٧ .

بخت (بخاق) : ٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ .

براني مسك : ٢٩٧ .

برد : ١٢٢ .

برددار : ٧ ، ٢٠٠ .

بركستوان : ١٧٩ .

البرواناه : ٢٤٧ .

البريد : ١١٣ ، ١٦٨ ، ٢٣٥ ، ٣٠٧ ، ٣١١ .

بشرى (بشائر) : ٣١ ، ١٢٥ ، ١٦٣ ، ٣٥٤ .

٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨١ .

بطرك (بطاركة) : ٣٩ ، ٤٧ ، ٨٤ ، ٩٠ ،

٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

بكلة : ٣٨١ .

بلخش : ١٧٩ .

البندق : ٢٩٨ .

بهار : ٧١ .

البيارستان : ٣٣ ، ٤٣ .

(١)

الآدر : ٣٩ .

أتابك : ٦ ، ٧ ، ٦١ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،

١٥٦ ، ١٧٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢١٦ ،

٢٦١ ، ٣٨٣ .

أرباب الصنائع : ١٤٩ .

أستادار : ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ،

١٧٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٣٠٦ ، ٣٣٤ ،

٣٤٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ .

أسطول (أساطيل) : ٥٦ ، ٧١ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ،

١٥٥ ، ١٥٩ .

أسير (أسرى) : ٢٩ ، ٣١ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ،

٦٤ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٧ ،

١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ،

١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٣ ،

٢٠٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،

٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٥٤ ،

٣٦٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ .

أصبع (أصابع) : ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ،

٢٦ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ،

٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٠ ،

٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ،

٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١١ ،

١١٣ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣١ ،

١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٥٣ —

١٥٥ ، ١٥٨ — ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،

١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨١ ،

١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ،

٢٠٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ، ٢٧١ ،

(ت)

الترسيم : ١٢٩ .
التسمير : ١٥ .
توقيع : ٨٠ ، ٩٤ ، ٢٧٣ ، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، ٣٨٣ .

(ج)

جارية (جوارى) : ١٧٨ ، ١٨٥ ، ٢١٥ ، ٢٧٦ ، ٣٢٢ ، ٣٣٧ ، ٣٥٢ ، ٣٧٢ .
جاسوس (جواسيس) : ٢٠٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ .
جاليش : ١٠١ .
جامكية : ٣٢٦ .
جرائحي : ١٤٩ .
جريدة (سجل) : ٢٦٨ .
جريدة : ١٣٨ ، ٣٣٩ .
الجفر : ٢٢ - ٢٥ .
جند (أجناد) : ٤١ ، ٨٩ .
جندار : ٢٠٠ ، ٣٣٤ .
جوسق : ١٥١ ، ٢٦٦ .
جوك (الجوق) : ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

جيش (جيوش) : ٥ ، ٦ ، ٢٣ ، ٢٦ - ٣٠ ، ٣٣ - ٣٧ ، ٥١ ، ٦١ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٩٩ - ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ - ٣٠٠ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٦٧ - ٣٧٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(ح)

حاجب (حجاب) : ٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٦٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٣٢١ .
حرفوش (حرافيش) : ٢٠٧ ، ٣٧٦ .
حرير لمبريسم : ١٨٨ .
حسبة (محتسب) : ٢٦٦ .
الحلقة السلطانية : ٢٠٠ .
حمار عتاني : ٤٨ .

(خ)

خازندار : ١١٧ ، ١١٨ ، ٢٩٨ .
خان : ١٥١ .
خاقاه (خوانق) : ١٩٤ ، ٢٨٣ .
خانوق : ٣٥ ، ٥٧ .
خدآكان : ٢٤٨ .
خراج : ٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٥٠ .
خرگاه : ١٨٨ ، ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ٣٣٩ .
خزانه (خزائن) : ٣٠ ، ٣١ ، ١١٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٠ ، ٣٠٥ ، ٣٢٨ .
خزانه : ٣٢٩ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ .
خشداس (خشداشية) : ٣٧١ ، ٣٨٦ .
خلعة (خلع) : ٢٦ ، ٣٥ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ١٦٤ - ١٦٦ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٧٩ .
خزانه : ٣٠٥ ، ٣٥٣ - ٣٥٦ ، ٣٧٥ .
خوان : ١١٨ .
خوند : ٨ .

(د)

دبوس (دبابيس) : ١٠١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ .
درهم (دراهم) : ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٧٤ ، ٢٠٢ ، ٢٧١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ .
درهم أسود : ١٧٧ .

١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ،
٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ،
٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،
٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ،
٣٣٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ،
٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،
٣٧٩ .

ذهب عين : ٣٣ ، ١٨٨ .

ذهب عين ابريز : ٧٣

(ر)

راهب (رهبان) : ٤٧ ، ٨٩ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
٢١٢ ، ٣٦٧ .
رباط : ٩٠ ، ١٥١ ، ٢٨٣ ، ٣٠٦ ، ٣٤٩ .
ربع (رباع) : ٣٩
رسول (رسل) : ٦٨ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٨٥ ،
٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ١١٨ ،
١١٩ ، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ،
١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٨٩ ،
١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ،
٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٨٩ ،
٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٩ ،
٣٤٢ ، ٣٦٦ ، ٣٧٨ .

رطل (أرطال) : ٦ .

ركبدار : ٣٢٦ .

روك : ٤٢ ، ١٠٨ .

(ز)

الزرد : ٧٠ ، ٧٣ ، ١٢٧ ، ٢٧٥ .

درم كامل : ٢٧١ .

دست : ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٨٦ ، ٢١٢ ،
٢٨٩ ، ٣١٠ ، ٣٢٤ .

الدناير القراقوشية : ٤٢ .

الدهليز السلطاني : ٥٣ ، ٥٤ ، ٣١٢ ، ٣٢٩ ،
٣٧٩ .

الدوا دار : ١٧٤ ، ٣٠٦ .

دينار (دناير) : ١٣ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٤٢ ،
٤٣ ، ٦٩ ، ٨٦ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٧ ،

١١٨ ، ١٣١ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٨ ،

١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

٢١٦ ، ٢٧٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠١ ،

٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٨ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ،

٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠ ،

٣٧٢ ، ٣٦٤ .

دينار جيشى : ٤٢ .

دينار صوري : ١١٤ .

دينار عين : ٧٠ ، ١٧٩ .

ديوان الإنشاء : ١٤٢ ، ٣٢٧ .

ديوان الترسل : ١٤٢ .

ديوان الجيش : ١٥ .

(ذ)

ذراع (أذرع) : ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ،

٢٦ ، ٣٤ ، ٣٧ - ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ،

٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ -

٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ،

٨٤ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١١ ،

١١٣ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣١ ،

١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ - ١٦١ ، ١٦٥ ،

(ص)

- صبرغوا (الشبابية) : ٢٣٠ ، ٢٣٤ .
صليب (صليبان) : ٣٩ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٨٤ ،
٨٨ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢١٠ ،
٢١١ ، ٢١٣ .

(ط)

- الطابق (مرض) : ١٣٧ .
طارمة : ١١٨ .
طبخانة : ٢٠١ .
طاعون : ١٢١ .
طرخان : ١٥ .
طريدة (طرائد) : ٤٩ ، ٣٦٧ .
طنريل (اسم طائر) : ٢٣١ ، ٢٣٢ .
طلب (أطلاب) : ١١٨ ، ٣٠٠ ، ٣١٦ ، ٣١٨ .
طواشي : ٢٠١ .

(ع)

- عرادة (عرادات) : ٨٥ .
عسكر (عساكر) : ٢١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤١ ،
٤٣ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ،
٦٣ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٩٤ ، ٩٩ ،
١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ،
١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٨٧ ،
١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ،
٢٣٦ - ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٥١ - ٢٥٤ ،
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤ ،
٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٣٠٠ ،
٣٠٦ ، ٣٠٩ - ٣١٦ ، ٣١٩ ،
٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ،
٣٥١ - ٣٥٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٦ ،
٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

زلزال (زلازل) : ٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ،

١٥٧ ، ١٦٦ .

الزمام : ٤٨ ، ١٥١ .

زنارة (زنارات) : ١٠٦ .

الزنبورك : ١٠٦ .

زووق (زوارق) : ٣٠ .

(س)

- سرادار : ١٧٤ .
سراقوجة : ٢٥٨ .
السرطان : ٦٤ .
سروال الفتوة : ١٦٥ ، ١٧٥ .
سقلاط : ٣٨١ .
السكة : ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ،
١٩٨ ، ٣٢٠ .
سلاح خاناه : ٧٣ .
سلاحدارية : ٣٠٥ ، ٣٤٢ .
السمرمر (طائر) : ٢٦٧ .
السمور : ٢٣٧ .
سنجق (سناجق) : ٩٦ ، ٢٦٦ ، ٢٨٩ ،
٣١٧ ، ٣٣٢ ، ٣٨٤ .

(ش)

- شاد الدواوين : ٣٧٣ .
شاد العائز : ٤٢ .
الشاليش : ٣٠٠ .
شبارة (شبار) : ١٨٧ .
الشحنة : ٢٥٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ .
شربوش (شرابيش) : ١٣١ .
شرخ (شروخ) : ١٠٦ .
شيني (شواني) : ٤٩ ، ٧١ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ،
٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧٥ .

(ل)

لوزينج : ١١٧ .

(م)

مال (أموال) : ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

مثال : ٢٨١ .

مخفية (مخاف) : ١١٨ .

مرسوم (مراسيم) : ١٩٠ ، ٢٨١ ، ٣١١ .

مركب (مراكب) : ٥٤ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٥٠ .

١٦٨ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ .

٢٥٩ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

٣٧٦ - ٣٧٩ .

المرخ : ٦٤ .

مزارق (مزاريق) : ١٩٢ .

للزور : ١٠٩ .

مزين : ١٤٩ .

مسجد (مساجد) : ١٣ ، ١٤ ، ٣٩ .

مسك التبت : ٢٢٨ .

معجر (معاجير) : ١٧٩ .

مقدم : ٢٠٠ .

(٧ - ٣٠)

عنوه : ٦٤ ، ١٣٧ ، ١٦٦ ، ٢٥٥ ، ٣١٥ ، ٣١٩ .

عود قافلي : ٢٩٧ .

عين (عيون) : ١٨٧ ، ٢٣٨ .

(غ)

الغاشية : ٣١٧ ، ٣٢٤ ، ٣٣٢ .

غراب (أغربة) : ١٤٣ ، ١٤٥ ، ٣٧٥ .

غفار (غفائر) : ٣٨١ .

(ق)

قاضي (قضاة) : ٥٣ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٩١ .

١٠١ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٢٥ .

١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ١٨٩ .

٢٤١ ، ٢٧٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

٢٩٤ ، ٣١٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٤٥ .

٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٦٣ .

الفاقل : ٢٣٧ .

قباء : ١٥٣ .

القراطيس السوداء العادلية : ١٧٧ .

قبيس (قباوسة) : ٤٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

القندس : ٢٣٧ .

قنطارية : ٣١ ، ١٩١ .

قو : ٢٢٨ ، ٢٣٢ .

(ك)

الكارم : ٧١ .

كجاوه (كجاوات) : ١٧٨ .

كة : ١٥٣ .

كنيسة (كنائس) : ٣٩ ، ٩٦ ، ١٥٨ .

نشاب (نشاب) : ١٠٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ .	مقياس النيل : ١٥٦ .
نصفيه (نصافي) : ٢٩٧ .	مكس (مكوس) : ١٢ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٦ .
نقط : ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٩٢ .	٣٢٩ .
النقرس : ١٢ ، ٤٦ .	مملوك (ممالك) : ٥٤ ، ١٢٤ ، ١٥٦ ، ١٦١ .
النجاح : ٥٤ .	١٩٩٠ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ .
النخبة : ٣٨٢ .	٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ .
نوافج مك : ٢٩٧ .	٢٧٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ .
النيلوفر : ٣٩٣ .	٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ .
(و)	٣٥٧ ، ٣٥٤ ، ٣٧٠ - ٣٧٦ ، ٣٧٢ .
وإه (أوبته) ٥٨ ، ١٤٩ .	٣٨٢ .
الوزارة : ١٥ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ١٤٢ .	المناجنيق : ٥١ ، ٥٤ ، ٨٥ ، ١٦٠ ، ١٩٥ .
١٥٥ ، ١٧٠ ، ٣٧٧ .	٢٦٨ ، ٣٧٥ .
وزير (وزراء) : ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ .	منجم (منجمون) : ٧٩ .
٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ١١١ ، ١٣٠ ، ١٥٠ .	مهندار : ٣٧٣ .
١٥٨ ، ٢٥٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ .	مؤدب : ٧١ .
٢٩٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٤٧ - ٣٥٢ ، ٣٥٦ .	(ن)
٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .	نائب (نواب) : ٤١ ، ٧٠ ، ١٢٨ ، ١٣٠ .
وقف (أوقاف) : ٣٣ ، ١٥١ ، ٣٢٢ .	١٤٠ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢٩٢ .
(ي)	٣٠١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٨ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ .
يزك : ١٠٨ ، ١٩٠ .	٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٨٦ .
	نائب الباب : ٢٥ .

طبع بدارالانجمن الكائن في بيروت
ميسر البابي الحبيبي وشركاه

Herausgabe der Chronik *Kanz ad-durar wa-ğāmi' al-ğurar* des Ibn ad-Dawādārī walten ließen, und für die geglückte äußere Form des Buches zu danken.

Ich hoffe, daß es mir gelungen ist, durch die Edition von Band VII, den ich hiermit der wissenschaftlichen Welt vorlege, meinen Teil zu diesem verdienstvollen Projekt beizusteuern und dadurch einen weiteren Beitrag zur Erschließung des arabischen Erbes zu leisten.

Kairo, im Februar 1972

DR. SA'ID 'ABD AL-FATTĀH 'ĀŠŪR
Professor an der Universität Kairo

IV

Man könnte Ibn ad-Dawādārī in den letzten Bänden seiner Universalgeschichte *Kanz ad-durar wa-ğāmi' al-ğurar* kaum treffender charakterisieren als mit der Bezeichnung „Chronist des Nils“. Zwar weisen manche darauf hin, daß Ibn ad-Dawādārī darin nicht allein steht, sondern daß auch Ibn Tagrībirdī, ein Chronist des 9./15. Jhs. (st. 874/1469–70), in jedem Jahr seiner berühmten Chronik *an-Nuğūm az-zāhira fī mulūk Miṣr wal-Qāhira* sehr sorgfältig die Nildaten aufgezeichnet habe. Zwei wichtige Kriterien jedoch verdienen unsere Aufmerksamkeit: Erstens lebte und schrieb Ibn ad-Dawādārī in einem früheren Jahrhundert, was seine Originalität ausmacht. Zwar gab es vor Ibn ad-Dawādārī Chronisten und Autoren, die den Nilstand erwähnen, freilich nur in den Jahren, deren Ereignisse sie ohnehin berichten, aber soweit wir wissen, stoßen wir vor Ibn ad-Dawādārī auf keinen, der konsequent alljährlich den Nilstand verzeichnet. Der zweite Umstand, der Ibn ad-Dawādārī gegenüber Ibn Tagrībirdī auszeichnet, besteht darin, daß Ibn ad-Dawādārī den Nilstand zu Anfang, Ibn Tagrībirdī am Ende eines jeden Jahresberichtes erwähnt. Ibn ad-Dawādārī läßt die Ereignisse eines jeden Jahres mit der immer gleichbleibenden Überschrift: „Der gesegnete Nil in diesem Jahr“ beginnen; Ibn Tagrībirdī beschließt ein Jahr mit den Nekrologen bedeutender Verstorbener und fügt dann erst die Zwischenüberschrift: „Der Nil in diesem Jahr“ an.

Ibn ad-Dawādārī hat die Bedeutung des „gesegneten“ Nils und der jährlichen Nilüberschwemmung als Schlüssel für das Studium der Geschichte Ägyptens und seiner Bevölkerung erkannt und beginnt daher ein jedes Jahr mit dem Nilstand; die wirtschaftlichen, sozialen und politischen Ereignisse in Ägypten lassen sich aus dem Nilstand und der Höhe der jährlichen Nilüberschwemmung interpretieren. Zwar könnte man gelegentlich Ibn ad-Dawādārī fehlende Genauigkeit bei der Angabe des jährlichen Höchst- und Niedrigwassers des Nils vorwerfen, wir können aber nur nochmals wiederholen, daß wir bei der Bewertung eines historischen Werkes die Zeitumstände, die Möglichkeiten und die Quellen, die dem Verfasser zugänglich waren, und noch weitere Faktoren in Betracht ziehen müssen, die nur ein erfahrener und einfühlsamer Historiker richtig einschätzen kann.

V

Zum Schluß bleibt mir noch die angenehme Pflicht, im Namen aller, die auf dem Gebiet der mittelalterlichen Geschichte arbeiten, dem Deutschen Archäologischen Institut in Kairo und seinen Mitarbeitern für die Sorgfalt, die sie bei der

vieles Einblick, das anderen verschlossen war. Nichtsdestoweniger zeichnet sich Ibn ad-Dawādārī in seinem Buch durch Bescheidenheit und Zurückhaltung in seinen eigenen Urteilen aus. Zuweilen gibt er offen zu, daß er bei einigen seiner Informationen selbst nicht die letzte Gewißheit habe. So sagt er z. B. unter dem Jahr 591/1194—5, daß al-ʿĀdil nach Damaskus zurückgekehrt sei „und einen seiner Söhne im Osten zurückgelassen habe; er wisse jedoch nicht, welcher genau es gewesen sei“. Von der Schlacht von Hittin spricht er unter den Ereignissen des Jahres 568/1172—3, weist aber darauf hin, daß Ibn Wāṣil diese Schlacht in das Jahr 583/1187—8 datiert. Er stützt die Meinung Ibn Wāṣils, wenn er sagt: „Ich aber meine, daß dies das Richtige ist.“ Ibn ad-Dawādārī erklärt diese Diskrepanz damit, daß sein Gewährsmann für diese Stelle, Abū l-Muẓaffar ʿĀmil ad-Dīn Yūsuf, die Methode verfolgte, sich länger hinziehende Vorgänge und Geschehnisse en bloc zu behandeln statt unter den einzelnen Jahren, auf die sie sich verteilten. Abū l-Muẓaffar erwähnte die Schlacht „und fuhr fort, darüber zu berichten, ob es nun noch in die Berichtsjahre fiel oder nicht“ Ibn Wāṣil indessen folgt der streng annalistischen Darstellung; innerhalb eines Jahres behandelt er nur die Ereignisse, die darin abgeschlossen wurden. „Darum“, so sagt Ibn ad-Dawādārī, „ist es immer besser, die Geschehnisse der einzelnen Jahre bei ihm statt bei einem anderen nachzuschlagen.“

Wenn man auch gegen Ibn ad-Dawādārīs *Kanz ad-durar* das eine oder andere einwenden kann — Weitschweifigkeit hier, allzu große Kürze dort, ganz abgesehen von der Dürftigkeit des Stils und der großen Zahl sprachlicher Vorstöße —, vermag dies doch alles nicht die Qualitäten des Buches als einer bedeutenden Quelle der dort beschriebenen Epoche zu schmälern. In unserem Urteil über historische Werke dürfen wir nicht die Maßstäbe unserer Zeit anlegen, vielmehr verlangt die Objektivität, daß wir sie nach den Maßstäben der jeweiligen Zeit bewerten. Ibn ad-Dawādārī lebte und schrieb in einer Zeit, als Nichtaraber, Türken, Mongolen und andere Völker des Ostens in den arabisch sprechenden Vorderen Orient, besonders in den Irak, in Syrien und in Ägypten, einströmten und viele ihrer Institutionen und Traditionen mitbrachten, vor allem aber drangen viele Ausdrücke aus ihren Sprachen ins Arabische ein und wurden sowohl vom einfachen Volk als auch den oberen Schichten alltäglich benutzt. Man findet sie in jeder Quelle, jedem Buch, jeder Enzyklopädie, die damals in arabischer Sprache verfaßt wurden. Was man Ibn ad-Dawādārī als Fehler ankreiden mag, ist im Grunde nichts anderes als ein Zeugnis der Zeit, in der er lebte, in deren Geist er schrieb und deren Verhältnisse und Strömungen ihn beeinflussten. Für uns kommt es darauf an, daß Ibn ad-Dawādārī uns in seinem Buch präzise, interessante und oft neue Informationen gibt.

lehren und ihn zu unterhalten. Auch unser Autor läßt sich gelegentlich zu derlei weit ausholenden Beschreibungen verleiten, manchmal verläßt er sogar das Gebiet der Geschichtsschreibung und wechselt zum Adab über, z. B. in seiner Biographie al-Qāḍī al-Fāḍils im Bericht über das Jahr 596/1199–1200. Dort begnügt er sich nicht damit, ein paar herausragende Beispiele aus dessen literarischem Schaffen beizubringen, sondern führt bei dieser Gelegenheit auch einiges aus seinem eigenen poetischen Fundus an. Als der Verfasser dann bemerkt, daß er sein eigentliches Thema verlassen und sich in anderem verloren hat, rechtfertigt er sich damit, daß er in voller Absicht so gehandelt habe: „zur Ergötzung des Lesers, damit er nicht bei bloß einer Disziplin Langeweile und Überdruß empfinde; denn wenn ihn die Verzweigungen des Vortrags von einer Disziplin zur anderen führen, sprüht der Feuerstahl seiner Gedanken lebhafter und singt der Vogel seines Denkens heller“ (vgl. Jahr 596). Dennoch mißbilligt Ibn ad-Dawādārī im Grunde diese Digressionen, in die er manchmal verfällt; sofort kündigt er seine Rückkehr „zum Lauf der Geschichte mit Gottes Hilfe und Gnade“ an. Manchmal bekennt er auch offen diesen seinen Fehler: „Die Erzählung mit all ihren Verzweigungen hat uns vom Prinzip der knappen Formulierung abgebracht; daher sage ich: Gott verzeih’ mir!“ (vgl. Jahr 619).

Trotz der knappen Berichterstattung, die in der Chronik *Kanz ad-durar* vorwaltet, vermochte Ibn ad-Dawādārī in diesem Buch durchaus Neues zu bringen. Dies zeigt sich in einigen Informationen und Stellungnahmen, von denen zwar nur kurz die Rede ist, auf die wir aber in keiner anderen Quelle über diese Zeit stoßen. Der Schlüssel hierzu liegt darin, daß einige Quellen, aus denen Ibn ad-Dawādārī geschöpft hat, keinem anderen diese Zeit behandelnden Chronisten zugänglich waren.

Einmalig ist z. B. der ungewöhnliche Bericht Ibn ad-Dawādārīs über den Ursprung und die Frühgeschichte der Tataren (vgl. Jahr 638). Ebenso erfahren wir, daß die Boten der Kreuzfahrer an die Muslime entgegen ihren eigenen Behauptungen sehr wohl Arabisch verstanden (vgl. Jahr 589). Weiterhin lernen wir die Politik Saladins kennen, die Franken zu umwerben, vor allem Rainald von al-Karak, und ihnen reichlich Gelder zukommen zu lassen, dies zu Beginn der Zeit, als Saladin die Muslime Ägyptens und Syriens gemeinsam für den Heiligen Krieg zu mobilisieren suchte. „Er pflegte den Franken einen großen Betrag von unbekannter Höhe zu geben, um sie für sich einzunehmen; er bemühte sich, dies geheimzuhalten, damit zu niemandes Ohren gelange, daß er seinet- und seines Landes wegen Verhandlungen führe“ (vgl. Jahr 568). Wir finden noch mehr derlei Andeutungen, die Licht auf den Geist der Zeit werfen, nach denen wir aber bei anderen Chronisten vergeblich suchen.

Wie oben erwähnt, war Ibn ad-Dawādārī — wie schon sein Vater und Großvater — an den großen Ereignissen seiner Zeit unmittelbar beteiligt und hatte in

Wie Aibak als frommer Mann bekannt war, so wuchs auch sein Sohn 'Abdallāh in einer religiösen Umgebung auf, denn der Mann, der seine Mutter gekauft hatte, „war ein frommer, gewissenhafter und aufrechter Muslim, bewandert im religiösen Recht und in der Mystik; ich besitze ein Buch über den *tasawwuf*, das er selbst geschrieben hat“ — dem entnehmen wir, daß der junge 'Abdallāh in einem Hause groß wurde, wo Bildung und Wissen gepflegt wurden. Später gehörte 'Abdallāh zu den Vertrauten zunächst des Sultans al-Ašraf Ḥalīl und dann dessen Bruders an-Nāṣir Muḥammad. Dieser machte ihn zum Emir und übertrug ihm im Jahre 703/1303—4 Bilbais und das Beduinendepartement; dieses Amt übte er bis zum Jahre 710/1310—1 aus. Auf sein Ersuchen hin versetzte ihn an-Nāṣir nach Syrien, wo er ihn zum Mihmandār ernannte; schließlich übertrug er ihm das Amt des Šādd ad-dawāwīn in Damaskus. Bis zu seinem Tode im Jahre 713/1313—4 nahm der Vater des Autors also aktiv an den Regierungsgeschäften teil (vgl. Jahr 647).

So wurde Abū Bakr, unser Autor, in einem Haus geboren und erzogen, das den Wert und Rang der Wissenschaft kannte. Zwar bewahren die zeitgenössischen Quellen seltsamerweise völliges Stillschweigen über ihn, doch zeugen seine zahlreichen Werke von seiner wissenschaftlichen Erfahrung, von der Weite seines Horizontes und dem Reichtum seiner Kenntnisse. Zu seinen Werken zählt u. a. ein Buch über die Topographie Kairos, *al-Luḡat al-bāhira fī ḥiṭaṭ al-Qāhira*, (vgl. Jahr 557), also über einen gewiß nicht einfachen Gegenstand, an den sich nur ein fähiger Gelehrter mit sehr breitem Wissen wagen konnte. Im vorliegenden siebten Band teilt uns der Verfasser mit, daß er von Zeit zu Zeit in seinen Notizen nachsah, um sich über das eine oder andere Ereignis Gewißheit zu verschaffen. Diese Praxis, alle zu ihm gelangenden Informationen aufzuzeichnen und auf sie im Bedarfsfall zurückzugreifen, kennzeichnet seine saubere wissenschaftliche Methode (vgl. Jahr 589).

III

Die gedrängte Kürze der Chronik *Kanz ad-durar* Ibn ad-Dawādārīs hebt sich von dem Usus der mittelalterlichen Chronisten ab, auf alle Einzelheiten und Nebensächlichkeiten ausführlich einzugehen. Dieser Methode folgt der Verfasser ganz bewußt. Über einige Vorgänge sagt er selbst: „Ich behandle sie nicht ausführlich, weil der Bericht sonst zu lang würde und ich eine zusammenfassende Chronik schreiben will.“ Ebenso bemüht er sich, Wiederholungen zu vermeiden: „... nach einigen Ereignissen, die zuvor schon abgehandelt worden sind und auf deren nochmalige Erwähnung ich um der Kürze willen verzichte“ (vgl. Jahr 628).

Doch wir können Ibn ad-Dawādārī nicht von seiner Zeit, die Weitschweifigkeit in Schrift und Rede liebte, trennen. Die Zeitgenossen sahen in dieser Weitschweifigkeit eine Art Abwechslung, um den Leser auf kurzweilige Art zu be-

den späteren Ayyubiden; dies verhalf ihm dazu, zahlreiche Details über die Ayyubidenherrscher und ihr persönliches Leben zu erfahren, z. B. über ihre Handlungen und Gespräche untereinander, die neues Licht auf den Geist der Zeit im allgemeinen und ganz besonders auf ihr privates und öffentliches Leben werfen (vgl. Jahre 634, 635). Zu Beginn des vorliegenden Bandes sagt der Verfasser sogar offen in seinem Bericht über die Anfänge des Ayyubidenstaates, daß er ein Freund des al-Malik al-Kāmil b. aṣ-Ṣāliḥ Ismāʿīl al-Ayyūbī sei und die Freundschaft zwischen beiden so eng geworden sei, daß „er mir sogar viele seiner Geheimnisse anzuvertrauen pflegte“.

Wenn der Autor über seinen Großvater väterlicherseits ʿIzz ad-Dīn Aibak, den Herrn von Ṣarḥad (st. 645/1247—8) spricht, tritt klar die bedeutende Rolle hervor, die dieser Mann bei den Vorgängen in Syrien während der ersten Hälfte des siebten Jahrhunderts der Hīġra gespielt hat (vgl. Jahre 616, 626, 635 und 647). Der Emir ʿIzz ad-Dīn Aibak widmete sich nicht nur der Politik, wie es seinem Offiziersstand entsprach, sondern zeichnete sich — wie wir von seinem Enkel, unserem Autor, erfahren — durch tiefe Frömmigkeit, Begeisterung für die Koranrezitation (vgl. Jahr 647) und seine Beschäftigung mit der Schriftstellerei aus. Von ihm selbst waren Schriften bekannt, die er mit eigener Hand geschrieben hatte; auch besaß er eine reiche Bibliothek. Bei dieser Gelegenheit — der Nennung des Großvaters — erfahren wir als interessante und wichtige Neuigkeit, daß sich die Familie Ibn ad-Dawādārīs auf die Selġuqen zurückführe und daß ʿIzz ad-Dīn Aibaks eigentlicher Name Mikāʾīl b. Bahrām gewesen sei; die Hwārazmier hätten ihn gefangengenommen und an al-Malik al-Murazzam verkauft. Daher leite sich seine Niġba al-Murazzamī her, unter der er bekannt wurde (vgl. Jahr 619). Wir erfahren weiter, daß Sultan aṣ-Ṣāliḥ Naġm ad-Dīn Ayyūb gegen ʿIzz ad-Dīn Aibak konspirierte und ihm heimlich Gift gegeben habe, um sich seiner zu entledigen und sein Geld und seinen Besitz an sich zu reißen. Als Aibak die Wirkung des Giftes an sich spürte und den Anschlag aṣ-Ṣāliḥs erkannte, konspirierte er seinerseits gegen den Sultan und sorgte dafür, daß er selbst vergiftet wurde. Unter den Sklavinnen des Emirs Aibak, deren sich Sultan aṣ-Ṣāliḥ bemächtigte, war die Mutter ʿAbdallāhs, des Vaters unseres Autors; sie war zentralasiatischer (*ḥiṭāʾiya*) Abstammung. Aṣ-Ṣāliḥ verkaufte sie, als sie von Aibak schwanger war, an einen bedeutenden Mann in Ṣarḥad, in dessen Haus sie dann auch das Kind, ʿAbdallāh, den Vater des Verfassers, gebar. Er wuchs bei jenem Mann bis zu seinem siebenzehnten Lebensjahr auf; dann gelangte er unter Umständen, auf die wir hier nicht näher einzugehen brauchen, zu Sultan aṣ-Ṣāliḥ Baibars; dieser gewährte ihm ein Lehen im Wert von 2400 Dinar und übergab ihn dem Emir Saif ad-Dīn Balbān ar-Rūmī ad-Dawādār, zu dem er sagte: „Bring ihm etwas bei und behalte ihn ständig in deiner Nähe!“ Auf diesen Dawādār geht ʿAbdallāhs Nisba „ad-Dawādārī“ zurück.

mals strömten viele Völker, vor allem Kurden, Türken und Turkmenen in das arabische Ägypten und Syrien ein; sie hinterließen deutliche Spuren in der sozialen, ethnischen und kulturellen Struktur des Landes, vornehmlich auf dem Gebiete der Institutionen, der Sprache, der Sitten und Gebräuche. Es genügt zur Kennzeichnung dieser Zeit zu bemerken, daß sich damals das System des Militärlebens und die Praxis, Mamluken genannte weiße Sklaven in Dienst zu nehmen, in Ägypten und Syrien ausbreiteten. In dieser Zeit tauchen auch viele später weit verbreitete Worte und Begriffe nichtarabischen Ursprungs auf, und zwar nicht etwa nur im Volk, sondern auch in der Oberschicht, also bei den Gelehrten, den Sekretären und den Schriftstellern, ganz abgesehen von den Machthabern selbst. Alle diese Erscheinungen verstärkten sich während der Ayyubidenzeit und setzten sich mit der Herausbildung des Mamlukenstaates endgültig durch, der die Ayyubiden in der Herrschaft über Ägypten und Syrien ablöste.

II

Im Rahmen dieser vereinfachten Darstellung zeichnet sich die große Bedeutung der im vorliegenden Band behandelten Periode ab, die noch dadurch verstärkt wird, daß Ibn ad-Dawādārī kein gewöhnlicher Chronist war, der sich in seinem Buch auf das bloße Sammeln, Resümieren und Wiedergeben dessen beschränkte, was Chronisten vor ihm geschrieben hatten. Vielmehr gehörte er einer Familie an, die maßgeblich am politischen Leben ihrer Zeit mitwirkte. Wenn wir den Jahren, die der Verfasser dieses Buches selbst miterlebte, diejenigen hinzurechnen, in denen sein Vater und sein Großvater lebten — beide spielten eine wichtige Rolle in ihrer Zeit —, dann ergibt sich für uns eine Zeitspanne, die grosso modo vom Anfang des siebten bis zur Mitte des achten Jahrhunderts der Hīğra reicht. Es war dies eine Periode von erstrangiger historischer Bedeutung: Damals fand der Wechsel von den Ayyubiden zu den Mamluken statt, oder — anders ausgedrückt — der Wechsel von der Epoche, in der der Aufbau des ayyubidischen Staates abgeschlossen war und ihn innere und äußere Kräfte zu zersetzen begannen, die schließlich zu seinem Sturz führten, hin zu der Zeit, in der sich die charakteristischen Züge und die Grundlagen des Staates der Mamlukensultane herausbildeten, der sich zu einer einflußreichen Kraft entwickelte. Dieser war einer der seltsamsten Staaten, die die Geschichte je gekannt hat, und zwar auf Grund sowohl seiner Entstehung als auch seiner Institutionen und der militärischen, politischen und kulturellen Rolle, die er auf der Bühne des Vorderen Orients im Spätmittelalter spielen sollte.

Den Verfasser dieses Buches, der die bewegte und ereignisreiche Epoche zu Beginn der Mamlukenherrschaft selbst erlebt hat, verbanden enge Beziehungen mit

EINLEITUNG

I

Der hier vorliegende Band ist der siebte der Chronik *Kanz ad-durar wa-ğāmi al-ğurar* von Abū Bakr b. 'Abdallāh b. Aibak ad-Dawādārī; der Verfasser hat ihm den Namen *ad-Durr al-maṭlūb fī aḥbār mulūk banī Ayyūb* gegeben, getreu seiner Praxis, jedem Einzelband dieser Chronik einen Untertitel beizufügen, der die darin behandelte Zeit und Dynastie näher bezeichnet.

Wer sich mit der Geschichte des Vorderen Orients im Mittelalter näher befaßt, kennt die Bedeutung gerade des Zeitalters der Ayyubiden, handelt es sich doch dabei um eine Zeit, in die eine der entscheidenden Phasen der Kreuzzugsbewegung fiel. Damals begann sich der Islam unter Aufbietung aller Kräfte in einem Heiligen Krieg gegen die Anwesenheit der europäischen Kreuzfahrer in Syrien zu wenden. Zu deren schließlich erfolgreicher Abwehr trug die Vereinigung Ägyptens und Syriens unter den Ayyubiden maßgeblich bei; wurden doch unter den Ayyubiden die Kreuzfahrer erstmals in die Defensive gedrängt: die Muslime vor allem Syriens gingen zum Angriff über. Jetzt erkannten die Anhänger und Organisatoren der Kreuzzüge im Westen, was auch den ersten Kreuzfahrern nicht vollständig verborgen geblieben war, nämlich daß Ägypten auf Grund seiner Lage, seiner Mittel und Möglichkeiten für die syrischen Kreuzfahrer eine Quelle großer Gefahr war und sich die Kreuzfahrer, wollten sie sich in Syrien sicher fühlen, zuerst um den Schutz ihrer Südflanke von Ägypten her kümmern mußten. So war denn Ägypten gegen Ende der Ayyubidenzeit in der ersten Hälfte des 13. Jhs. zwei großen Angriffen von seiten der Kreuzfahrer ausgesetzt, mit denen ein großer Teil der Ereignisse zusammenhängt, die die Geschichte des Vorderen Orients zur Zeit der Ayyubiden prägten.

Die Bedeutung des Zeitalters der Ayyubiden in der Geschichte dieses Raumes rührt aber auch von auswärtigen Entwicklungen her, wie z. B. dem Zerfall des ḥwārazmischen Staates, dem Auftauchen der Mongolen- bzw. Tatarengefahr im Osten und all dem, was beide Vorgänge an weitreichenden kulturellen und politischen Rückwirkungen vor allem in Ägypten und Syrien mit sich brachten. Da-

DRUCKEREI ISSA ÊL-BABY EL-HALABY, KAIRO

DIE CHRONIK DES IBN AD-DAWĀDĀRI

SIEBTER TEIL

DER BERICHT ÜBER DIE AYYUBIDEN

HERAUSGEGEBEN VON

SA'ID 'ABD AL-FATTĀH 'ĀSÜR

IN KOMMISSION BEI SCHWARZ FREIBURG/BR.

1972

Deutsches Archäologisches Institut Kairo

Quellen zur Geschichte des Islamischen Ägyptens

BAND 1g

DIE CHRONIK DES IBN AD-DAWĀDĀRĪ, TEIL 7

